مجموعة رسائل ابن عربي

تهذيب الأخلاق

الموعظة الحسنة

رسالة روح القدس

العجالة

الأنوار

عقيدة في التوحيد أو عقيدة أهل الإسلام

شجرة الكون

النور الأسنى بمناجاة الله بأسمائه الحسنى

تنبيهات على علو الحقيقة المحمدية العلية

الخلوة المطلقة

كتاب الباء

كتاب الكنه فيما لا بد للمريد منه

اصطلاحات الصوفية

الحكمة الحاتمية

رسالة

توجهات الحروف

تأليف
الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر سيدي
محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي

دار المحجة البيضاء
دار الرسول الأكرم (ص)

مجموعة رسائل ابن عربي

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت ـ لبنان ـ حارة حريك ـ ص.ب: ١٤/٥٤٧٩
ت: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧.

مجموعة رسائل ابن عربي

تأليف

الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر سيدي
محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي

المجلد الأول

دار المحجة البيضاء
دار الرسول الأكرم (ص)

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة من ترجمة الامام الأكبر محي الدين بن عربي (رضي اللّه عنه)

مولـده ونشأتـه :

ولـد(رضي الله عنه) في يـوم الاثنين السابـع عشر من رمضـان عـام خمسمـائة وستين هجـرية . في مـدينة «مـرسية» بـالأنـدلس وهي مـدينـة أنشأها المسلمون في عهد بني امية .

نسبتـه :

وكان أبوه : علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي من ولـد عبـد الله بن حـاتم أخي عـدي بن حـاتم ، من قبيلة طيء عهـد النبـوغ والتفوق العقلي في جاهليتهـا وإسلامهـا ، ويلقب بمحي الدين ويعـرف بـابن العربي لـدى أهل المغـرب ، وبابن عـربي لـدى أهـل المشـرق ، تفريقاً بينه وبين القاضي أبي بكـر بن العربي .

وأبوه علي بن محمد من أئمة الفقه والحـديث ، ومن أعلام الـزهد والتقـوى والتصوف ، وكـان جده أحـد قضاة الأنـدلس وعلمائهـا . فنشـأ نشـأة تقية ورعـة نقية من جميـع الشوائب . وهكـذا درج محي الدين في جو عامر بنور التقوى .

انتقـل والـده إلى اشبيليـة وحـاكمهـا إذ ذاك «السلطان محمـد بن

سعد» وهي عاصمة من عواصم الحضارة والعلم في الأندلس ، وفيها شب محي الدين ودرج ، وما كاد لسانه يبين حتى دفع به والده إلى «أبي بكر بن خلف» عميد الفقهاء فقرأ عليه القرآن الكريم بالسبع في كتاب «الكافي» فما أتم العاشرة من عمره حتى كان مبرزاً في القراءات ، ثم أسلمه والده إلى طائفة من رجال الحديث والفقه .

رحلاته :

لم يهدأ ابن عربي في مكان واحد من أجل الدعوة إلى الله ، فذهب إلى الحجاز وبعدها مال إلى العراق ثم إلى ربوع الروم ، ومنها إلى أرجاء الشام ومصر .

وتواريخ أسفاره ورحلاته هي : فيما بين سنتي ٥٩٧ ، ٦٢٠ هـ . يبدأ رحلاته الطويلة المتعددة إلى بلاد المشرق فيتجه إلى مكة والقاهرة وقد حبس في مصر ، وكان وضعه خطراً فسعى جهده لانقاذه أحد علماء المغرب «علي بن فتح البجائي» فاطلق سراحه ، فنجا من الوقيعة به .

وارتحل إلى حلب ، فأقام بها ردحاً من الزمن معززاً مكرماً من أميرها ، وأخيراً ألقى عصا التسيار في دمشق حيث كان أميرها أحد تلاميذه المؤمنين بعلمه ونقائه .

وظل بها يؤلف ويعلم ، ويخرج التلاميذ والمريدين ، يحوطه الهدوء وتحف به السكينة حتى توفى بها في ٢٨ ربيع الثاني سنة ٦٣٨ هـ (رحمه الله) رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته[١] .

---

(١) هذه الترجمة مأخوذة من كتب التاريخ المعتمدة ، كنفح الطيب ، ولسان الميزان ، وغيرهما .

(١)

تهذيب الأخلاق

- تقـديم .
- الأخلاق المذمومـة .
- في الأخلاق المحمـودة .
- في النفس الشهوانيـة .
- في النفس الغضبيـة .
- في النفس الناطقـة .
- في أنواع الأخلاق وأقسامهـا .
- في طريق الارياض بالأخلاق والتعمل لاعتيادها .
- في أوصـاف الإنسان التـام الجامـع لمحاسن الأخـلاق وطـريقتـه التي بها يصل إلى التمام .

تقـديم

بسم الله الرّحمن الرّحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم :

نحمـد الله سبحانـه وتعالى ، الـذي وصف أكرم أنبيـائه بـأعـظم الـوصف وأكرمـه في غير مـا آية من كتـابه الكـريم ، منها قـوله تعـالىٰ : ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ .

ومنها قوله تعالى :

﴿ولـو كنت فـظاً غليظ القلب لانفضـوا من حـولـك ، فـأعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر﴾ .

ومنها قوله تعالىٰ :

﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ .

وهكـذا في القـرآن الكـريم آيـات كثيـرة : تحض على مكـارم الأخلاق وتنهىٰ عن سفسافها .

وكذلك ورد في الحديث الشريف مالا يكاد يقع تحت حصر .

منهـا قـولـه (ص) ـ فيمـا رواه الحـاكم ـ «إن الله يحب معـالي الأخلاق ، ويكره سفسافها» .

وروى ابن السمعاني في كتاب «أدب الإملاء» قوله (ص) :

«أدبني ربي فأحسن تأديبي» .

وروىٰ أبو الشيخ(رحمه الله تعالى): أن رسول الله (ص) قال :

«الخلق زمام من رحمة الله» .

وروىٰ الطبراني ، عنه (ص) ، أنه قال :

«الخلق الحسن يذهب الخطايا كما يذهب الماء الجليد ، والخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل» .

* * *

وبعد :

فقد كتب كثير من علماء المسلمين في «الأخلاق» ، وما تؤدي إليه من نتائج ، وأوضحوها أبين إيضاح وأفضل بيان .

وممن كتب في هذا المجال : الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي (رحمه الله تعالى رحمة واسعة) : كتابه هذا الذي نقدم له تلك المقدمة الصغيرة .

ونحن هنا لا نزكيه ، فإنه ـ كما يقولون ـ أشهر من نار على علم .

والذي يحتاج إلى تزكية تكون فيه مادة النقص أوفر وأعلى من مادة الكمال .

وليس هو كذلك ، فإن فضله مشهور ، وعلمه غزير ، وكماله أوفر بكثير مما يتصور الناس .

إنه علم من أعلام الإسلام ، وإن أنكر هذا جاحدوه ، وشرق عند سماع اسمه شانؤه ، ورغم حسد الحاسدين وافتراء المفترين وكذب الكذابين وإفكهم .

ستلتقي الأعين أمام الله تبارك وتعالى ، ويتضح المكنون ، ويظهر المبطون ، في اليوم الذي لا يغني فيه المال ، ولا الدعاوي الكاذبة ـ **﴿يوم لا يغني مولىً عن مولىً شيئاً﴾** .

هذا الكتيب ـ على صغره ـ جامع لأخلاق الحميدة ، وناه عن الأخلاق الذميمة ، بأسلوب المتمكن أمكن في مادته وعلمه ، إذ تحت كل كلمة من كلماته بحر من المعاني ، غزير غوره ، بعيد ما بين شاطئيه .

سلك فيه مسلكاً فذاً رائعاً في بيان كل خلق ، وأسبابه ونتائجه فما ترك فيه خلقاً حميداً إلاَّ مجده ، ولا مسلكاً وضيعاً إلاَّ هتكه وفضحه .

واستعمل ركيزة أهل العلم والتجربة والخبرة ، فإنه عمل رئيساً لديوان «الإنشاء والرسائل» لبعض ملوك الأندلس .

* * *

ذكر السيد : شكيب أرسلان في كتابه «الحلل السندسية» هذا الكتاب باسم «الأخلاق» وذكر أنه ترجم إلى اللغة التركية .

* * *

والنسخة التي راجعنا عليها طبعت في ٢ شعبان سنة ١٣٣٢ هـ باسم «فلسفة الأخلاق» وجاء في آخرها ما نصه :

«تمَّ والحمد لله على كل حال في ٢ شعبان سنة ١٣٣٢ هجرية ، على ذمة المتوكل على الله : «علي محمد أبو طالب» الكتتبي بخان الخليلي بمصر .

وجاء في أولها ترجمة للشيخ الأكبر من صفحتين ، حذفناهما لعدم الجدوى ، ولأنه من خصوصيات الطبعة الأولى ، وترجمة الشيخ (رحمه الله تعالى) مشهورة معروفة .

وكتب في آخرها جملة حكم وآداب : التقطها الناشر من كتب الشيخ ، حذفناها أيضاً لأننا لا نقصد غير الكتاب وحسب . وما كان دخيلاً عليه لا شأن لنا به .

* * *

وقد ذكر الشيخ (رحمه الله تعالىٰ) في آخر الكتاب اسمه ، بقوله : (وهذا حين نختم القول بـ «تهذيب الأخلاق») .

فلذلك أدرنا هذه التسمية .

ونسأل الله تعالى أن يجعل علمنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجزي الشيخ أفضل الجزاء عن الإسلام والمسلمين : إنه سميع مجيب .

الناشر

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين .

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً .

إعلم أن الإنسان ـ من بين سائر الحيوان ـ ذو فكر وتمييز ، وهو أبداً يحب من الأمور : أفضلها ومن المراتب أشرفها ، ومن المقتنيات : أنفسها إذا لم يعدل عن التمييز في اختياره ، ولم يغلبه هواه في اتباع أغراضه .

وأولىٰ ما أختاره الإنسان لنفسه ، ولم يقف دون بلوغ غايته ، ولم يرض بالتقصير عن نهايته : تمامه وكماله[١] .

ومن تمام الإنسان وكماله : أن يكون مرتاضاً[٢] بمكارم الأخلاق ، ومحاسنها ، ومتنزهاً[٣] عن مساويها ومقابحها ، أخذاً في جميع أحواله بقوانين الفضائل ، عادلاً في كل أفعاله عن طريق

---

(١) يعني ينبغي للإنسان أن يبلغ غاية جهده في تكميل نفسه والسعي بها إلى أعلىٰ الدرجات جهد طاقته .

(٢) يعني مدرباً على المكارم .

(٣) تنزه عن الشيء : بعد عنه وأنفه .

الرذائل ، فإذا كان ذلك كان واجبا على الإنسان أن يجعل قصده اكتساب كل شيمة[1] سليمة من المعائب ، ويصرف همته على إقتناء كل خيم[2] كريم ، خالص من الشوائب ، وأن يبذل جهده في إجتناب كل خصلة مكروهة ردية ، ويستفرغ وسعه في إطراح كل خلة مذمومة دنية ، حتى يحوز الكمال بتهذيب خلائقه ، ويكتسي حلل الجمال بدمائه[3] شمائله ، ويباهي بحق أهل السؤدد والفخر ، ويلحق بالذرى[4] من درجات النباهة والمجد .

إلاَّ أن المبتدىء بطلب هذه المرتبة ، والراغب في بلوغ هذه المنزلة ، ربما خفيت عليه الخلال المستحسنة ، التي يعنيه تحريها ، ولم تتميز له من المستقبحة التي غرضه توقيها .

فمن أجل ذلك ، وجب أن نقول في الأخلاق قولاً نبين فيه :

ما الخلق ؟

وما علته ؟

وكم أنواعه ، وأقسامه ؟؟

وما المرضي منها المغبوط صاحبه والمتخلق به ؟

وما المشنو[5] منها ، المقموت فاعله ، والمترسم به ؟

ليسترشد بذلك : من كانت له همة تسمو إلى مباراة أهل الفضل ، ونفس أبية ، تنبو[6] عن مساواة أهل الدناءة والنقص ، وتدل أيضاً على طريق الارتياض بالمحمود من أنواعه ، والتدرب به ، وتنكب

---

(١) الشيمة : الصفة .

(٢) سجية وطبيعة .

(٣) سهولة الخلق .

(٤) الذرى : بضم الذال وفتح الراء : من ذروة الجمل : أعلى مكان فيه .

(٥) المكروه منها .

(٦) نبا عن الشيء : بعد عنه .

المذموم منها وتجنبه ، حتى يصير المرتاض به ديدناً[1] وعادة وسجية وطبعاً ليهتدي به من نشأ على الأخلاق السيئة وألفها ، وجرى على العادات الردية وأنس بها .

ونصف أيضاً الإنسان التام المهذب الأخلاق ، والمحيط بجميع المناقب الجميلة ، وطريقته التي يصل بها إلى التمام ، وتحفظ عليه الكمال ، ليشتاق إلى صورته[2] من تشوق إلى الرتبة العليا ، ويحن إلى احتذاء سيرته من استشرف إلى الغاية القصوى .

وقد يتنبه بما نذكره من كانت له عيوب قد اشتبهت عليه ، وهو مع ذلك يظهر أنه في غاية الكمال .

فإن من هذه حالة إذا تكرر عليه ذكر الأخلاق المكروهة ، تيقظ لما فيه من ذلك وأنف[3] واجتهد في تركه والتنزه عنه .

وكذلك إذا تصفح الأخلاق المحمودة ، من كان جامعاً لأكثرها ، عادماً لبعضها ، قدّم إلى التخلق بذلك البعض الذي هو عادم له ، وتاقت نفسه إلى الإحاطة بجميعها .

وقد ينتفع بما نذكره أيضاً من كان في غاية الكمال ، فإن المهذب الأخلاق الكامل الآلات ، الجامع المحاسن ، إذا مرّ بسمعه ذكر الخلائق الجميلة ، والمناقب النفيسة ، ورأى أن تلك هي عاداته وسجاياه ، كانت له بذلك لذة عجيبة ، وفرحة مبهجة ، كما أن الممدوح يسر إذا ذكر المادح نفسه ، ونشر فضائله .

وأيضاً فإنه إذا وجد أخلاقه مدونة في الكتب ، موصوفة بالحسن ، كان ذلك داعياً إلى الإستمرار على سيرته ، والإصرار على طريقته .

---

(١) الضمير راجع إلى الخلق ، أي يصير الخلق الذي عود نفسه عليه : عادة له وطبيعة .

(٢) أي إلى صورة الإنسان الكامل .

(٣) أنف : تنزه عنه .

وهذا حين ابتدائنا بذكر الأخلاق فنقول :

«إن الخلق هـو حال النفس ، بهـا يفعل الإنسـان أفعالـه بلا رويـة ولا اختيار» .

والخلق قد يكون في بعض النـاس غريـزة وطبعاً ، وفي بعضهم لا يكون إلاَّ بالرياضة والاجتهاد ، كالسخاء ، يـوجد في كثيـر من الناس من غيـر رياضــة ، ولا تعمل ، وكـالشجاعـة والحلم والعفة والعـدل ، وغيـر ذلك من الأخلاق المحمودة .

وكثير من الناس يوجد فيهم ذلك بالرياضة .

ومنهم من يبقى على عادته ، ويجري على سيرته .

الأخلاق المذمومة

فأما الأخلاق المذمومة ، فإنها موجودة في كثير من الناس ، كالبخل ، والجبن ، والظلم ، والشر .

فإن هذه العادات غالبة على أكثر الناس ، مالكة لهم .

بل قلما يوجد في الناس من يخلو من خلق مكروه ، ويسلم من جميع العيوب .

ولكنهم يتفاضلون في ذلك .

وكذلك في الأخلاق المحمودة ، قد تختلف الناس ويتفاضلون ، إلا أن المجبولين على الأخلاق الجميلة قليلون جداً .

وأما المجبولون على الأخلاق السيئة ، فأكثر الناس ، لأن الغالب على طبيعة الإنسان الشر .

وذلك أن الإنسان إذا استرسل مع طبعه ، ولم يستعمل : الفكر ، ولا التمييز ، ولا الحياء ، ولا التحفظ ، كان الغالب عليه أخلاق البهائم ، لأن الإنسان إنما يتميز عن البهائم بالفكر والتمييز .

فإذا لم يستعملها ، كان مشاركاً للبهائم في عاداتها ، والشهوات مستولية عليه ، والحياء غائب عنه ، والغضب يستنفره ، والسكينة غير

حاضرة له ، والحرص والأحقاد ديدنه ، والشر لا يفارقه .

فالناس مطبوعون على الأخلاق الردية ، منقادون للشهوات الدنية .

ولذلك وقع الافتقار إلى الشرائع والسنن ، والسياسات المحمودة ، وعظم الانتفاع بالملوك الحسنى السيرة ، ليردعوا الظالم عن ظلمه ، ويمنعوا الغاصب عن غصبه ، ويعاقبوا الفاجر على فجوره ، فيقمعوا الجائر حتى يعود إلى الاعتدال في جميع أموره .

فالأخلاق المكروهة في طباع الناس .

إلاَّ أن فيهم من يتظاهر بها ، وينقاد لها ، وهم شرار الناس .

وفيهم من ينتبه بجودة الفكر ، وقوة التمييز لقبحها ، فيأنف منها ، ويتصنع لاجتنابها ، وذلك يكون عن طبع كريم ونفس شريفة .

وفيهم من لا ينتبه لذلك ، إلاَّ أنه إذا نبه عليه أحسن بقبحه ، فربما حمل نفسه على تركه .

وفيهم من إذا أنتبه لما فيه من النقائص ، أو نبه عليها ، ورام العدول عنها : تعذر عليه ذلك ، ولم يطاوعه طبعه ، وإن كان مريداً للعدول عنها مجتهداً في ذلك .

وهذه الطائفة تحتاج أن ترشد إلى طريق التدرب والتعمل للعادات المحمودة ، حتى يصير إليها على التدريج .

ومن الناس من ينتبه للأخلاق الردية أو ينبه عليها ، فلا يحن إلى تجنبها ، ولا تسمح نفسه بمفارقتها ، بل يؤثر الإصرار عليها ، مع علمه برادءتها وقبحها .

وهذه طائفة ليس إلى تهذيبها طريق ، إلاَّ بالقهر والتخويف والعقوبة ، إن لم يردعها الترهيب .

في الأخلاق المحمودة

فأما الأخلاق المحمودة فإنها وإن كانت في بعض الناس عزيزة ، فليست في جميعهم ، وإن الباقين قد يمكن أن يصيروا إليها بالتدرب والرياضة ، ويترقوا إليها بالاعتياد والألفة .

ومع هذا الحال فقد يكون في الناس من لا يقبل طبعه العادات الحسنة ، ولا الخلق الجميل ، وذلك يكون لرداءة جوهره ، وخبث عنصره .

وهذه الطائفة من جملة الأشرار ، الذين لا يرجى صلاحهم ، وكثير من الناس من يقبل كثيراً من الأخلاق المحمودة ، وينبو طبعه عن بعضها ، وليس يعد هذا شريراً ، ولكن رتبته في الخير بحسب محاسنه .

فأما العلة الموجبة لاختلاف الأخلاق ، وهي النفس ، فللنفس ثلاث قوى ، وهي تسمى أيضاً نفوساً .

وهي النفس الشهوانية ، والنفس الغضبية . والنفس الناطقة .

وجميع الأخلاق تصدر عن هذه القوى ، فمنها ما يختص

بـإحداهن ، ومنهـا ما يشتـرك فيه قـوتان ، ومنهـا مـا يشتـرك فيـه القـوى الثلاث .

ومن هذه القوى ما يكون للإنسان وغيره من الحيوان .

ومنها ما يختص به الإنسان فقط .

في النفس الشهوانية

أما النفس الشهوانيـة ، فهي للإنسـان ولسائـر الحيوان ، وهي التي يكـون بها جميـع اللذات والشهوات الجسمـانية ، كـالإقدام إلى المـآكل والمشارب ، والمباضعة[1] .

وهـذه النفس قـويـة جـداً ، متى لم يقهـرهـا الإنسـان ، ويهـذبهـا ملكته ، فاستولت عليه .

فإذا هي استولت عليه خسر تهذيبها ، وصعب قمعها وتذليلها .

فـإذا تمكنت هـذه النفس من الإنسـان وملكتـه ، وانقـاد لهـا كـان بـالبهائم أشبـه من بالنـاس ، لأن أغراضـه ومطلوبـاته وهمتـه تصيـر أبـداً مصروفة إلى الشهوات واللذات فقط ، وهذه هي عادات البهائم .

ومن يكـــون بهـذه الصفـــة ، يقـل حيـاؤه ، ويكثـر خـــرقـه[2] ، ويستـــوحش من أهـــل الفضـــل ، ويميـــل إلى الخلوات[3] وينقبض عن المجـــالس الحفلة[4] ، ويبـغض أهـــل العـلم ، ويـــشنـأ أهـــل الـــورع

(١) المباضعة : كناية عن الجماع .

(٢) الخرق : بفتح الخاء والراء : إذا عمل شيئاً لم يرفق فيه .

(٣) المقصود بالخلوات هنا : أنه يبعد عن أهل الكمال وينعزل عنهم .

(٤) بفتح الحاء وكسر الفاء : أي مجالس الجماعات .

والنسك ، ويود أصحاب الفجور ، ويحب الفواحش ، ويكثر ذكرها ، ويلذ له استماعها ، ويسر بمعاشرة السفهاء ، ويغلب عليه الهزل ، وكثرة اللهو .

وقد يصير من هذه حالة إلى الفجور ، وارتكاب الفواحش والتعرض للمحظورات .

وربما دعته محبة اللذات إلى إكتساب الأموال من أقبح وجوهها ، وربما حملته نفسه على الغضب والتلصص ، والخيانة ، وأخذ ماليس له بحق ، فإن اللذات لا تتم لا بالأموال والأعراض .

فمحب اللذة إذا تعذرت عليه الأموال من وجهها ، جسرته شهوته على اكتسابها من غير وجهها .

ومن تنتهي به شهواته إلى هذا الحد ، فهو أسوأ الناس حالاً ، وهو من الأشرار ، الذين يخاف خبثهم ، ويستوحش منهم ، ويستروح إلى البعد عنهم ، ويصير واجباً على متولى السياسات قمعهم وتأديبهم ، وإبعادهم ونفيهم ، حتى لا يختلطوا بالناس ، فإن اختلاط من هذه صفته بالناس مضرة لهم ، وخاصة لاحداثهم ، فإن الحدث سريع الانطباع ، ونفسه مجبولة إلى الميل إلى الشهوات ، فإذا شاهد غيره مرتكباً لها ، مستحسناً للانهماك فيها ، مال هو أيضاً إلى الإقتداء به، وإلى مساعدة لذته .

وأما من ملك نفسه الشهوانية وقهرها ، كان ضابطاً لنفسه ، عفيفاً في شهواته ، محتشماً من الفواحش ، متوقياً من المحظورات محمود الطريقة في جميع ما يتعلق باللذات ، فالعلة الموجبة لاختلاف عادات الناس في شهواتهم ولذاتهم ، وعفة بعضهم ، وفجور بعضهم ، هو اختلاف أحوال النفس الشهوانية ، فإنها إذا كانت مهذبة مؤدبة ، كان صاحبها عفيفاً ضابطاً لنفسه ، وإذا كانت مهملة مرسلة ، مالكة لصاحبها : كان صاحبها : فاجراً شريراً .

وإذا كانت متوسطة الحال ، كانت رتبة صاحبها في العفة كرتبتها في التأدب .

فمن أجل ذلك وجب أن يؤدب الإنسان نفسه الشهوانية ، ويهذبها حتى تصير منقادة له ، ويكون هو مالكها ، فيستعملها في حاجاته التي لا غنىً عنها ، ويكفها عما لا حاجة له إليه من الشهوات الردية ، واللذات الفاحشة .

في النفس الغضبية

وأما النفس الغضبية ، فيشترك فيها أيضاً الإنسان وسائر الحيوان .

وهي التي يكون بها : الغضب ، والجراءة ،ومحبة الغلبة .

وهذه النفس أقوى من النفس الشهوانية ، وأضر بصاحبها إذا ملكته وانقاد لها .

فإن الإنسان إذا إنقاد للنفس الغضبية كثر غضبه ، وظهر خرقه ، واشتد حقده ، وعدم حلمه ووقاره ، وقويت جراءته ، وأسرع عند الغضب إلى الإنتقام والايقاع بمغضبه ، والوثوب على خصومه ، فأسرف في العقوبة ، وزاد في التشفي[1] فأكثر السب وأفحش فيه .

فإذا استمرت هذه العادات بالإنسان كان بالسباع أشبه منه بالناس .

وربما حمل قوماً[2] على حمل السلاح .

---

(١) قال في المصباح المنير : «واشتفيت بالعدو وتشفيت به من ذلك ، لأن الغضب الكامن كالداء ، فإذا زال بما يطلبه الإنسان من عدوه فكأنه برىء من دائه .

(٢) مفعول لفعل محذوف تقديره : «حمل الغضب قوماً» والله أعلم .

وربما أقدموا على القتل والجراح .

وربما وثبوا بالسلاح على إخوانهم ، وأوليائهم ، وعبيدهم ، وخدمهم عند الغضب من اليسير من الأمور .

وربما غضب من هذه حالة ، ولم يقدر على الإنتقام من خصمه ، فيعود بالضرر والسب والألم على نفسه .

فمنهم من يلطم وجهه ، وينتف لحيته ، ويعض يده ، ويسب نفسه ، ويذكر عرضه .

وأيضاً فإن من تملكه[1] النفس الغضبية يكون محباً للغلبة ، متولياً على من آذاه ، مقدماً على كل من ناوأه ، طالباً للترأس من غير وجهة .

فإذا لم يتمكن من الرياسة من وجهها ، توصل إليها بالحيل الخبيثة ، فاستعمل كل ما يمكنه من الشر .

وهذه الأفعال تورط صاحبها ، وتوقعه في المهاوي والمهالك .

فإن من وثب على الناس ، وثبوا عليه ، ومن خاصمهم خاصموه ومن أقدم عليهم أقدموا عليه ، ومن تشرر عليهم قصدوه بالشر .

وربما تسفه الإنسان على خصمه ، وكان الخصم أسفه منه ، فإن ناله بسوء ، قابله ذلك بأكثر منه .

وقد يغلب على من هذه حاله : الحسد ، والحقد ، والقحة[2] واللجاج[3] ، والجور .

وقد يحمل هؤلاء محبة الغلبة وطلب الرئاسة على إكتساب

---

(١) بضم الكاف لأنها في الأصل تتملكه .

(٢) القحة : بكسر القاف وفتحها .

(٣) في المصباح «قال ابن فارس : اللجاج تماحك الخصمين ، وهو تماديهما» .

الأموال من غير وجهها ، وأخذها بالغلبة والظلم .

وربما قتلوا على محبة الغلبة من يناوئهم .

وربما فعلوا ذلك من غير روية ، فيؤول الأمر بهم إلى البوار والاستئصال .

فأما من ساس نفسه الغضبية ، وأدبها وقمعها : كان رجلاً ، حليماً ، وقوراً ، عادلاً ، محمود الطريقة .

فالعلة الموجبة لاختلاف عادات الناس في غيظهم وسفاهة بعضهم ، هو اختلاف أحوال النفس الغضبية .

إذا كانت مذللة مقهورة : كان صاحبها حليماً وقوراً .

وإذا كانت مهملة ، مستولية على صاحبها ، كان صاحبها : غضوباً ، سفيهاً ، غشوماً .

وإذا كانت متوسطة ، كان صاحبها متوسط الحال ، رتبته في الحلم كرتبة نفسه الغضبية ، حتى تنقاد له فيملكها ويستعملها في المواضع التي يجب استعمالها فيها .

فإن لهذه النفس فضائل محمودة ، وذلك لأن الأنفة من الأمور الدنية ، ومحبة الرئاسة الحقيقية ، وطلب المراتب العالية ، من الأخلاق المحمودة ، وهي في أفعال النفس الغضبية .

فإذا ملك هذه بالتأديب والتهذيب ، واستعملها في الأمور الجميلة ، وكفها عن الأفعال المكروهة ، كان حسن الحال ، محمود الطريقة .

في النفس الناطقة

وأما النفس الناطقة ، وهي التي بها تميز الإنسان من جميع الحيوان .

وهي التي بها يكون الذكر[1] والتمييز ، والفهم .

وهي التي بها شرف الإنسان وعظمت همته ، فأعجب بنفسه .

وهي التي بها يستحسن المحاسن ، ويستقبح القبائح ، وبها يمكن الإنسان أن يهذب قوتيه الباقيتين ، وهما[2] : الشهوانية والغضبية ، ويكفهما ويضبطهما وبها يفكر في عواقب الأمور ، فيبادر بإستدراكها في أوائلها .

ولهذه النفس أيضاً فضائل ورذائل .

أما فضائلها فباكتساب العلوم والآداب ، وكف صاحبها عن الرذائل والفواحش ، وقهر النفسين الآخرين ، وتأديبهما ، وسياسة صاحبهما في معاشه ومكسبه ومروءته وتجمله ، وحث صاحبها على :

---

(١) بكسر الذال ، وسكون الكاف .

(٢) في الأصل : وهي .

فعل الخير ، والتودد ، والرقة ، وسلامة النية ، والحلم ، والحياء ، والنسك ، والعفة ، وطلب الرئاسة من الوجوه الجميلة .

وأما رذائلها : فالخبث ، والحيلة ، والخديعة ، والملق[1] والمكر ، والحسد ، والتشرر ، والرياء .

وهذه النفس هي لجميع الناس .

إلاَّ أن منهم من تغلب عليه فضائلها ، فيستحسنها ويستعملها .

ومنهم من تغلب عليه رذائلها فيألفها ويستمر عليها .

ومنهم من يجتمع فيه بعض الفضائل وبعض الرذائل .

وهذه العادات قد تكون في كثير من الناس سجية وطبعاً لا بتكلف .

فأما المطبوع على العادات الجميلة ، فمنها ما يكون لقوة نفسه الناطقة عنصرياً .

وأما المطبوع على العادات المكروهة ، فلضعف نفسه الناطقة ، وسوء جوهره .

وأما الذي يجتمع فيه فضائل ورذائل ، فهو الذي تكون نفسه الناطقة متوسطة الحال .

وقد يكتسب أكثر الناس هذه العادات ، وجميع الأخلاق جميلها وقبيحها إكتساباً .

وذلك يكون بحسب منشأ الإنسان ، وأخلاق من يحيط به ، ويشاهده ، ويقرب منه ، وبحسب رؤساء وقته ، ومن يشار إليه بالنباهة ، ويغبط على رتبته فإن الحدث[2] الناشيء يكتسب الأخلاق

---

(١) في المختار : «ورجل ملق : يعطي بلسانه ما ليس في قلبه» .

(١)(٢)غير الناشيء .

ممن يكثر ملابسته ومخالطته ، ومن أبويه ، وأهله وعشيرته .

فإذا كان هؤلاء سيء الأخلاق مذمومي الطريقة ، كان الحدث الناشيء بينهم أيضاً سيئي الأخلاق ، مكروه العادات .

وإذا لحظ الحدث أيضاً أهل الرئاسة ، ومن فوقه ، وغبطهم على مراتبهم : آثر التشبه بهم والتخلق بأخلاقهم .

فإذا كانوا مهذبي الأخلاق حسنى السيرة، كان المتشبه بهم حسن الأخلاق مرضي الطريقة .

وإن كانوا أشراراً جهالاً خرج الغابط لهم ، السالك طريقهم شريراً جاهلاً .

وهذه حال أخلاق أكثر الناس ، فإن : الجهل ، والشر ، والخبث ، والشره والحسد ، غالب عليهم .

والناس بالطبع : يقتدي بعضهم ببعض ، ويحتذي التابع أبداً سيرة المتبوع .

وإذا كان الغالب عليهم الشر والجهل ، كان واجباً أن لا يقتدي أحداثهم وأولادهم وأتباعهم بهم .

فالعلة الموجبة لاختلاف قوة النفس : اختلاف الناس في سياساتهم وفضائلهم ، وغلبة الخير والشر عليهم ، من اختلاف قوة النفس الناطقة فيهم إذا كانت خيرة ، فاضلة ، قاهرة للنفسين الباقيتين ، كان صاحبها خيراً عادلاً حسن السيرة ، وإذا كانت شريرة ، خبيثة مهملة للنفسين الأخريين ، كان صاحبها شريراً خبيثاً جاهلاً .

فمن أجل ذلك ، وجب أن يعمل الإنسان فكره ، ويميز أخلاقه ، ويختار منها ما كان جيداً مستحسناً جميلاً ، وينفي منها ما كان مستنكراً

قبيحاً ، ويحمل نفسه على التشبه بالأخيار ويتجنب كل التجنب عادات الأشرار .

فإنه إذا فعل ذلك صار بالإنسانية متحققاً ، وللرئاسة الذاتية[1] مستحقاً .

---

(١) الرئاسة الذاتية : أي يترأس نفسه ويملكها ، ولا تملكه .

في أنواع الأخلاق وأقسامها

فأما أنواع الأخلاق وأقسامها ، وما المستحسن منها وما المستحب اعتياده ويعد فضائل ، وما المستقبح منها وما المكروه ويُعد نقائص ، ومعائب ، فهي الأنواع التي نحن واصفوها :

أما التي تعد فضائل ، فإن منها العفة ، وهي : ضبط النفس عن الشهوات ، وقسرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجسد ويحفظ صحته ، واجتناب السرف ، والتقصير في جميع اللذات ، وقصد الاعتدال ، وأن يكون ما يقتصر عليه من الشهوات على الوجه المستحب ، المتفق على ارتضائه ، وفي أوقات الحاجة التي لا غنىً عنها ، وعلى القدر الذي لا يحتاج إلى أكثر منه ، ولا يحبس النفس والقوة أقل منه .

وهذه الحال هي غاية العفة .

ومنها القناعة ، وهي الاقتصار على ما سنح من العيش ، والرضى بما يسهل من المعاش ، وترك الحرص على إكتساب الأموال ، وطلب المراتب العالية، مع الرغبة في جميع ذلك وإيثاره والميل إليه ، وقهر النفس على ذلك ، والتمتع باليسير منه .

وهذا الخلق مستحسن من أوساط الناس وأصاغرهم .

وأما الملوك والعظماء فليس ذلك مستحباً منهم ، ولا تُعد القناعة من فضائلهم .

ومنها التصون ، وهو التحفظ من التبذل . فمن التصون : التحفظ من الهزل القبيح ، ومخالطة أهله ، وحضور مجالسه ، وضبط اللسان من الفحش ، وذكر الخنا والقبيح ، والمزاح السخيف ، وخاصة في المحافل ، ومجالس المحتشمين .

ولا أبهة لمن يسرف في المزاح ، ويفحش فيه .

ومن التصون أيضاً الإنقباض عن أدنياء الناس وأصاغرهم ، ومصادقتهم ، ومجالستهم والتحرز من المعايش الردية ، وإكتساب الأموال من الوجوه الخسيسة ، والترفع عن مسألة الحاجات للئام الناس وسفلتهم ، والتواضع لمن لا قدر له ، والإقلال من البروز من غير حاجة والتبذل بالجلوس في الأسواق وقوارع الطرق من غير اضطرار .

فإن الإكثار من ذلك مخل .

وأعظم الناس قدراً عند الخلق : من ظهر اسمه وخفي شخصه .

وأما الحلم وهو ترك الإنتقام عند شدة الغضب ، مع القدرة على ذلك ، وهذه محمودة ما لم تؤد إلى ثلم[1] جاه أو فساد سياسة .

وهي بالرؤساء والملوك أحسن ، لأنهم أقدر على الإنتقام من مغضبيهم ، ولا يعد فضيلة : حلم الصغير عن الكبير : وإن كان قادراً على مقابلته في الحال .

فإنه وإن أمسك ، فإنما يعد ذلك خوفاً لا حلماً .

ومنها الوقار ، وهو الإمساك عن فضول الكلام ، والعيب وكثرة الإشارة ، والحركة فيما يستغني عن الحركة فيه ، وقلّة الغضب ،

---

(١) الثلم : الخلل .

والإصغاء عنه الاستفهام ، والتوقف عند الجواب ، والتحفظ عن التسرع ، والمبادرة في جميع الأمور .

ومن قبيل الوقار أيضاً : الحياء ، وهو غض الطرف والانقباض عن الكلام حشمة للمستحيا منه .

وهذه العادة محمودة ما لم تكن عن عي[1] ولا عجز .

ومنها : الود ، وهي : المحبة المعتدلة من غير اتباع الشهوة ، والود مستحسن من الإنسان إذا كان وده لأهل الفضل والنبل ، وذوي الوقار والأبهة ، والمتميزين من الناس .

وأما التودد إلى أراذل الناس وأصاغرهم ، والأحداث ، والنسوان ، وأهل الخلاعة ، فمكروه جداً .

وأحسن الود ما ينتجه بين متآلفين : مناسبة الفضائل ، وهو أوثق الود ، وأثبته .

وأما ما كان ابتداؤه اجتماعاً على هزل أو لطلب لذة ، فليس هو محموداً ، وليس بباق ، ولا ثابت .

ومنها : الرحمة ، وهو خلق مركب من الود والجزع .

والرحمة : لا تكون إلاّ لمن ظهر منه نراحمه خلة مكروهة .

إما نقيصة ، وإما محنة عارضة .

فالرحمة هي محبة للمرحوم ، مع جزع من الحال التي من أجلها رحم .

وهذه الحال مستحسنة ، ما لم تخرج بصاحبها عن العدل ، ولم تنته به إلى الجور ، وإلى فساد السياسة ، فليس بمحمود رحمة القاتل عند القود ، والجاني عند القصاص .

---

(١) العي : بكسر العين : عدم الاهتداء للوجه الذي يريده والعي ضد البيان .

ومنهـا : الوفـاء ، وهو الصبـر على ما يبـذله الإنسـان من نفسـه ، ويرهن به لسـانه ، والخـروج مما يضمنـه ، وإن كان مجحفـاً به ، فليس يعـد وفياً من لم يلحقـه بوفـائه أذيـة وإن قلت . وكلما أضـر به الـدخول تحت ما يحكم به على نفسه ، كان أبلغ في الوفاء .

وهذا الخلق محمود ، ينتفع به جميع الناس .

فإن من عرف بالوفـاء ، كان مقبـول القول ، عـظيم الجاه ، إلاَّ أن انتفاع الملوك بهذا الخلق ، أكثر ، وحاجتهم إليه أشد .

وإنه متى عرف منهم قلة الـوفاء ، لم يـوثق بمواعيـدهم ، ولم تتم أغراضهم ، ولم يسكن إليهم جندهم وأعوانهم .

ومنها أداء الأمانة ، وهو التعفف عما يتصرف الإنسـان فيه من مـال وغيره ، وما يوثق به وعليـه من الأعراض ، والحرم[1] مع القـدرة عليه ، ورد ما يستودع إلى مودعه .

ومنها : كتمان السر .

وهذا الخلق مركب من الوقار ، وأداء الأمانة .

فإن إخراج السر من فضول الكلام .

وليس بوقور من تكلم بالفضول .

وأيضاً ، فكما أن من استودع مالاً فأخرجـه إلى غير مـودعه ، فقـد خفر الأمانـة ، كذلـك من استودع سـراً فأخـرجه إلى غيـر صاحبـه ، فقد خفر الأمانة[2] .

وكتمـان السر محمـود من جميـع النـاس ، وخـاصـة ممن يصحب

(١) الحرم : بضم الحاء وفتح الراء .
(٢) خفر الأمانة : اضاعها .

السلطان ، فإن إخراجه أسراره ـ مع أنه قبيح ـ يؤدي إلى ضرر عظيم ، يدخل عليه من سلطانه .

ومنها : التواضع ، وهو ترك الترأس ، وإظهار الخمول ، وكراهية التعاظم والزيادة في الإكرام ، وأن يتجنب الإنسان المباهاة بما فيه من الفضائل والمفاخرة بالجاه والمال ، وأن يتحرز من الإعجاب والكبر .

وليس يكون حسن التواضع إلاَّ في أكابر الناس ورؤسائهم ، وأهل الفضل والعلم .

وأما سوى هؤلاء ، فليس يكونون متواضعين ، لأن الضعة هي محلهم ورتبتهم ، فهم غير متضعين[1] لها .

ومنها البشر[2] وهو إظهار السرور بمن يلقاه الإنسان من إخوانه وأودائه وأصحابه وأوليائه ومعارفه ، والتبسم عند اللقاء .

وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس ، وهو من الملوك والعظماء أحسن .

فإن البشر في الملوك يتألف به قلوب الرعية والأعوان والحاشية ، ويزداد به تحبباً إليهم .

وليس سعيداً من الملوك من كان متبغضاً إلى رعيته .

وربما أدى ذلك إلى فساد أمره ، وزوال ملكه .

ومنها : صدق اللهجة ، وهو الإخبار عن الشيء على ما هو به .

وهذا الخلق مستحسن ، ما لم يؤد إلى ضرر مجحف ، فإنه ليس بمستحسن صدق الإنسان إن سئل عن فاحشة كان ارتكبها ، فإنه

---

(١) لأن هناك فرقاً بين المتواضع من الرفعة ، والوضيع بطبعه .

(٢) بكسر الباء وسكون الشين .

لا يفي حسن صدقه بما يلحقه في ذلك من العار والمنقصة الباقية اللازمة .

وكذا ليس يحسن صدقه متى سئل عن مستجير استجاره فأخفاه ، ولا إن سئل عن جناية متى صدق عنها عوقب عليها بعقوبة مؤلمة .

والصدق مستحسن من جميع الناس ، وهو من الملوك والعظماء أحسن ، بل لا يسعهم الكذب ، ما لم يعد الصدق عليهم بضرر .

ومنها سلامة النية ، وهو اعتقاد الخير لجميع الناس ، وتجنب : الخبث[1] والغيبة ، والمكر ، والخديعة .

وهذا الخلق محمود من جميع الناس ، إلاّ أنه ليس يصلح للملوك التخلق به دائماً ، ولا يتم الملك إلاّ باستعمال المكر والحيل والاغتيال مع[2] الأعداء .

ولكن لا يحسن بهم استعماله مع أوليائهم ، وأصفيائهم ، وأهل طاعتهم .

ومنها السخاء ، وهو : بذل المال من غير مسألة ولا إستحقاق ، وهذا الفعل مستحسن ، ما لم ينته إلى السرف والتبذير ، فإن بذل جميع ما يملك لمن لا يستحقه ، لم يسم سخياً ، بل يسمى مبذراً مضيعاً .

والسخاء في سائر الناس فضيلة مستحسنة ، فأما في الملوك فأمر واجب ، لأن البخل يؤدي إلى الضرر العظيم في ملكهم ، والسخاء والبذل يرتهن به قلوب الرعية والجند والأعوان ، فيعظم الانتفاع به .

---

(١) بضم الخاء وسكون الباء .

(٢) ذلك لأن العدو إن لم تمكر به مكر بك ، وإن لم تغتله اغتالك ، ولكن يجب أن تعلم أنه ليس بين المسلمين عداوة ، وحروب هذه الأيام من المسلمين بعضهم مع بعض حروب جاهلية وكفر والله أعلم .

ومنها الشجاعة ، وهو : الإقدام على المكاره والمهالك ، عند الحاجة إلى ذلك ، وثبات الجأش عند المخاوف ، والاستهانة بالموت .

وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس ، وهو بالملوك وأعوانهم أليق وأحسن ، بل ليس بمستحق للملك من عدم هذه الخلة .

وأكثر الناس أخطاراً وأحوجهم إلى اقتحام الغمرات ، هم الملوك ، فالشجاعة من أخلاقهم الخاصة بهم .

ومنها المنازعة ، وهو منازعة النفس في التشبه بالغير فيما يراه له وهو يرغب فيه لنفسه ، والاجتهاد في الترقي إلى درجة أعلا من درجته .

وهذا الخلق محمود إذا كانت المنافسة في الفضائل والمراتب العالية ، وما يكسب مجداً وسؤدداً ، فأما في غير ذلك من اتباع الشهوات ، والمباهاة باللذات ، والزينة ، والبزة[1] فمكروه جداً .

ومنها : الصبر عند الشدة .

وهذا الخلق مركب من : الوقار والشجاعة .

ومستحسن جداً : ما لم يكن الجزع نافعاً ، ولا الحزن والقلق مجدياً ، ولا الحيلة والاجتهاد دافعة ضرر تلك الحالة .

وما أقبح الجزع إذا لم يكن مفيداً[2] .

ومنها عظمة الهمة ، وهو : استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور ، وطلب المراتب السامية ، واستحقار ما يجود به الإنسان عند

---

(١) بكسر الباء وفتح الزاي المشددة : الهيئة .

(٢) الجزع المفيد : أن لا يقدم الإنسان على الشيء إلا إذا تدبر عواقبه ، فإن رآه خيراً أقدم ، وإلا أحجم .

لعطية ، والاستخفاف بأوساط الأمور ، وطلب الغايات ، والتهاون مايملكه ، وبذل ما يمكنه لمن يسأله ، من غير امتنان ولا اعتداد به .

وهذا الخلق من أخلاق الملوك خاصة .

وقد يحسن بالرؤساء والعظماء ، ومن تسمو نفسه إلى مراتبهم .

ومن عظم الهمة : الأنفة ، والحمية[1] والغيرة . والأنفة هو : نبو النفس عن الأمور الدنية .

والحمية ، والغيرة جميعاً هما : الغضب عند الإحساس بالنقص .

وإنما يلحق الإنسان الغيرة على الحرم ، لأن في التعرض لهن عاراً ومنقصة ، فإن المتعرض للحرم مهتضم لصاحبهن ، ومتصرف في حق له .

والاهتضام : نقيصة .

ومن عظم الهمة الأنفة من الاهتضام[2] ، ودخول النقص .

وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس .

ومنها العدل : وهو التوسط اللازم للاستواء ، وهو استعمال الأمور في مواضعها وأوقاتها ، ووجوهها ومقاديرها ، من غير سرف ولا تقصير ، ولا تقديم ولا تأخير .

فأما الأخلاق الردية التي تعد نقائص ومعايب ، فإن منها : الفجور ، وهو الإنهماك في الشهوات ، والاستكثار منها ، والتوفر على اللذات ، والإدمان عليها ، وارتكاب الفواحش ، والمجاهرة بها .

---

(١) بفتح الحاء ، وكسر الميم ، وتشديد الياء المفتوحة .

(٢) اهتضمه : ظلمه حقه .

وبالجملة : السرف في جميع الشهوات .

وهـذا الخلق أبداً يهـدم الحياء ، ويـذهب مـاء الـوجـه ، ويخـرق حجاب الحشمة .

ومنهـا الشـره ، وهـو : الحـرص على إكتسـاب الأمـوال وجمعهـا وطلبها من كل وجه ، وإن قبح التعسف في اكتسابها ، والكـالبة عليهـا ، والاستكثار من القنية[1] وإدخار الأعراض[2] .

وهذا الخلق مكروه في جميـع الناس ، إلاّ من الملوك ، فـإن كثرة الأمـوال والـذخـائـر والأعـراض تعين على الملك ، وتـزين الملوك ، وتزيدهم هيبة في نفوس رعيتهم ، وأعوانهم ، وأعاديهم وأضدادهم .

ومنها التبذل ، وهـو : اطراح الحشمـة ، وترك التحفظ عن الهـزل واللهو ،ومخـالـطة السفهـاء ، وحضـور مجـالس السـخف والـهـزل والفواحش ، والتفوه بالخنا ، وذكر الأعراض[3] والمـزح ، والجلوس في الأسـواق ، وعلى قـوارع الـطرق ، والتكسب بـالمعـاش الـرديء ، والتواضع للسفلة .

وهذا الخلق قبيح بجميع الناس .

ومنهـا السفه ، وهـو ضد الحلم ، وهـو سرعـة الغضب والطيش ، من يسير الأمور ، والمبـادرة في البطش الإيقـاع بالمؤذي ، والسـرف في العقوبة ، وإظهار الجزع من أدنى ضرر ، والسب الفاحش .

وهـذا الخلق : مستقبـح من كـل أحـد ، إلاّ أنـه من الـملوك والرؤساء أقبح .

---

(١) أي يكثر الإنسان من أقتناء الأشياء للحرص .

(٢) الاعراض جمع : عرض بفتح العين والراء .

(٣) يعني بالسوء .

ومنها الخرق[1] وهو كثرة الكلام والتحرك من غير حاجة ، وشدة الضحك ، والمبادرة إلى الأمور من غير قف ، وسرعة الجواب .

وهذا الخلق مستقبح من كل أحد .

وهو بأهل العلم وذوي النباهة : أقبح .

ومن قبيل الخرق القحة ، وهو : قلة الاحتشام ، لمن يجب احتشامه ، والمجاهرة بالجوابات الفظة المستشنعة .

وهذا الخلق مكروه ، وخاصة بذوي الوقار .

ومنها العشق ، وهو إفراط الحب ، والسرف فيه .

وهذا الخلق مكروه على جميع الأحوال ،إلاَّ أن أقبحه وأشره : ما كان مصروفاً إلى طلب اللذة ، واتباع الشهوة الردية .

وقد يحمل صاحبه على الفجور وارتكاب الفواحش ، وكثرة التبذل ، وقلّة الحياء ، ويكسبه عادات ردية، وهو بكل أحد قبيح ، إلاَّ أنه بالأحداث ، والمترفهين والمتنعمين : أقل قبحاً .

ومنها القساوة ، وهو : خلق مركب من : البغض ، والشجاعة .

والقساوة هو : التهاون بما يلحق الغير من الألم والأذى .

وهذا الخلق مكروه من كل أحد ، إلاَّ من الجندي وأصحاب السلاح والمتولين الحروب ، فإن ذلك غير مكروه منهم إذا كان في موضعه .

ومنها الغدر ، وهو : الرجوع عما يبذله الإنسان من نفسه ، ويضمن الوفاء به ، وهذا الخلق مستقبح ، وإن كان لصاحبه فيه مصلحة ومنفعة ، وهو بالملوك والرؤساء أقبح ، وبهم أضر ، فإن عرف

---

(١) بفتح الخاء والراء .

من الملك الغدر لم يسكن إليه أحد ، ولم يثق به ، وإذا لم يسكن إليه : فسد نظام ملكه .

ومنها : الخيانة ، وهو الاستبداد بما يؤمن الإنسان عليه من الأموال والأعراض والحرم[1] وتملك ما يستودع ، ومجاهدة مودعه .

ومن الخيانة أيضاً طي الأخبار إذا سدت مصلحة لتأديتها ، وتحريف الرسائل إذا تحملها وصرفها عن وجهها .

وهذا الخلق ـ أعني الخيانة ـ مكروه من جميع الناس ، يثلم الجاه ، ويقطع وجوه المعايش .

ومنها إفشاء السر .

وهذا الخلق مركب من الخرق والخيانة ، فإنه ليس بوقور من لم يضبط لسانه ، ولم يتسع صدره لحفظ ما يستسر له .

والسر أحد الودائع ، وافشاؤه نقيصة على صاحبه فالمشي للسر : خائن .

وهذا الخلق قبيح جداً ، وخاصة ممن يصحب السلاطين ويداخلهم .

ومن قبيل إفشاء السر : النميمة ، وهو أن يبلغ إنساناً[2] عن آخر قولاً مكروهاً .

وهذا الخلق : قبيح جداً .

وإن لم يستسر أيضاً بما يسمعه أو يبلغه ، فنقله إلى من يكرهه : قبيح ، لأن في ذاك إيقاع وحشة بين المبلغ والمبلغ عنه .

وذلك غاية التشرر :

---

(١) جمع حرمة .

((٢)مفعول لفاعل مقدر .

ومنها : الكبر ، وهو استعظام الإنسان بنفسه ، واستحسان ما فيه من الفضائل ، والإستهانة بالناس ، واستصغارهم ، والترفع على من يجب التواضع له .

وهذا الخلق : مكروه ضار لصاحبه ، لأن من أعجبته نفسه ، لم يستزد من إكتساب الأدب .

ومن لم يستزد بقي عليه نقصه .

فإن الإنسان ليس يخلو من النقص ، وقلما ينتهي إلى غاية الكمال .

وأيضاً فإن هذا الفعل يبغضه إلى الناس ، ومن أبغضه الناس ساءت حاله .

ومنها العبوس : وهو التقطيب عند اللقاء ، وقلّة التبسم ، وإظهار الكراهية .

وهذا الخلق مركب من : الكبر ، وغلظ الطبع .

فإن قلّة البشاشة ، هي : الإستهانة بالناس ، والإستهانة بالناس تكون من الإعجاب والكبر .

وقلّة التبسم أيضاً ـ وخاصة عند لقاء الإخوان ـ يكون من غلظ الطبع ، وهذا الخلق مستقبح وخاصة بالرؤساء والأفاضل .

ومنها : الكذب ، وهو : الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه .

وهذا الخلف: مكروه ، وما لم يكن لدفع مضرة ، لا يمكن أن تدفع إلاّ به ، واجترار نفع لا غنى عنه ، ولا يوصل إليه إلاّ به .

فإن الكذب عند ذلك ليس بستقبح ، وإنما بمستقبح الكذب إذا كان عبثاً ، ولنفع يسير لا خطر له ، لا يفي بقباحة الكذب .

والقبح بالملوك والرؤساء أكثر ، لأن اليسير من النقص يشينهم .

ومنها : الخبث : وهو إضمار الشر للغير ، وإظهار الخير له ، واستعمال : الغيلة[1] ، والمكر ، والخديعة في المعاملات .

وهذا الخلق : مكروه من جميع الناس ، إلاَّ من الملوك والرؤساء ، فإنهم إليه مضطرون ، واستعمالهم إياه مع أضدادهم وأعدائهم لا يستقبح .

فأما أوليائهم وأصحابهم ، فإنه غير مستحسن .

ومن قبيل الخبث : الحقد ، وهو إضمار الشر للجاني إذا لم يتمكن من الإنتقام منه ، فأخفى تلك الأحقاد إلى وقت إمكان الفرصة .

وهذا الخلق : من أخلاق الأشرار ، وهو مذموم جداً .

ومنها البخل : وهو منع المسترفد[2] مع القدرة على رفده .

وهذا الخلق : مكروه من جميع الناس ، إلاَّ أنه من النساء كمال[3] .

وأما سائر الناس ، فإن البخل : يشينهم ، وخاصة الملوك ، والعظماء ، فإن البخل يغض منهم أكثر مما يغض من الرعية والعوام ، ويقدح في ملكهم ، لأنه يقطع الأطماع منهم ، ويبغضهم إلى رعيتهم .

---

(١) الغيلة : بكسر الغين : الاغتيال ، والخداع .

(٢) المسترفد ـ بالفاء : من يطلب منك الرفد ـ بكسر الراء المشددة ، أي العطاء . والله تعالى أعلم .

(٣) لأن المرأة إذا أعطت كل من طلب خربت بيت زوجها ، مع أنها مقيدة برضا الزوج ، لأن ما تعطيه ملكه هو ، لا هي : فتصرفها ـ إذا تصرفت ـ في غير ملكها .

ومنها : الجبن ، وهو الجزع عند المخاوف ، والإحجام عما تحذر عاقبته ولا تؤمن مغبته[1] .

وهذا الخلق : مكروه من جميع الناس ، إلاَّ أنه بالملوك والجند وأصحاب الحروب : أضر .

ومنها الحسد ، وهو : التألم بما يراه الإنسان لغيره من الخير ، وما يجده فيه من الفضائل ، والاجتهاد في إعدام ذلك الغير ما هو له .

وهذا الخلق : مكروه ، وقبيح بكل أحد .

ومنها الجزع عند الشدة ، وهذا الخلق مركب من الخرق والجبن .

وهو يستقبح إذا لم يكن مجدياً ولا مفيداً ، فأما إظهار الجزع لتعمل حيلة بذلك عند الوقوع في الشدة ، واستغاثة مغيث ، أو اجتلاب معين ، فيما تغنى فيه المعاونة ، فغير مكروه ، ولا يعد نقيصة .

ومنها صغر الهمة ، وهو : ضعف النفس عن طلب المراتب العالية ، وقصور الأمل عن بلوغ الغايات ، واستكثار اليسير من الفضائل ، واستعظام القليل من العطايا ، والاعتداد به . والرضى بأوساط الأمور وأصاغرها .

وهذا الخلق : قبيح بكل أحد ، وهو بالملوك أقبح ، بل ليس بمستحق الملك من صغرت همته .

ومنها : الجور ، وهو : الخروج عن الاعتدال في جميع الأمور ، والسرف والتقصير ، وأخذ الأموال من غير وجهها ، والمطالبة بما لا يجب من الحقوق ، وفعل الأشياء في غير مواضعها ولا أوقاتها ، ولا

---

(1) المغبة : العاقبة .

على القدر الذي يجب ، وعلى الوجه الذي يجب .

ومن الأخلاق ما هو في بعض الناس فضيلة ، وفي بعضهم رذيلة .

فمنها : حب الكرامة ، وهو أن يسر الإنسان بالتعظيم والتبجيل ، والمقابلة بالمديح ، والثناء الجميل .

وهذا الخلق محمود في الأحداث والصبيان ، لأن محبة الكرامة تحثهم على اكتساب الفضائل .

وذلك أن الحدث والصبي ، إذا مدح على فضيلة ترى فيه كان ذلك داعياً له من الازدياد من الفضائل .

وأما الأفاضل من الناس ، فإن ذلك يعد منهم نقيصة ، لأن الإنسان إنما يمدح على الفضيلة إذا كانت مستغربة منه ، وإذا كان من أهل الفضل ، فليس ينبغي أن يسر ، بأن يستغرب ما يظهر منه من الفضائل .

وكذلك الإكرام والتبجيل إذا كان زائداً على استحقاقه ، فإنه يجري مجرى الملق ، والسرور بالملق غير محمود ، لأنه من جنس الخديعة .

ومنها : حب الزينة ، وهو التصنع بحسن البزة[1] ، والركوب ، والآلات ، وكثرة الخدم والحشم .

وهذا مستحسن من الملوك والعظماء ، والأحداث ، والظرفاء والمتنعمين ، والنساء .

وأما الرهبان[2] ، والشيوخ ، وأهل العلم ، وخاصة الخطباء

---

(١) بكسر الباء وفتح الزاي المشددة : الهيئة .

(٢) رهبان الحق ـ الذين فرغوا أنفسهم لعبادة الله ـ ، لا رهبان السوء الذين جمعوا كل الرذائل والمستقبحات .

والواعظين ، ورؤساء الدين ، فإن الزينة والتصنع : مستبح منهم .

والمستحسن منهم : لبس الشعر ، والخشن ، والمشي ، والحفاء ، ولزوم الكنائس[1] ، وحبرهم ، وكراهية التنعم .

ومنها المجازاة على المدح ، وهو : مجازاة من يمدح الإنسان ، ويشكره في المجالس والمحافل .

وهذا الخلق مستحسن من الملوك والرؤساء ، لأن ذلك يدعو الناس إلى مدحهم ، ويكسب الممدوح ذكراً جميلاً ، يبقىٰ على الدهر .

ومن فضائل الملوك والرؤساء : بقاء ذكرهم الجميل ، فأما محبتهم سماع المدح مواجهة ، فذلك غير مستحب ، لأنه من جنس الملق ، وحب الملق مكروه ، لأنه من قبيل الخديعة .

وأما إيثارهم انتشار ذكرهم ومدحهم ، وتداول الناس له ، وبقاءه بعدهم ، فإن ذلك محمود منهم .

فمجازاة المادح مستحسنة من الملوك ، ومنعهم مستقبح وضار : لأن ذلك يدعو إلى ذمهم .

وذمهم يبقىٰ أيضاً على الدهر ، فينشر لهم ذكراً قبيحاً ، وذلك مكروه للملوك والرؤساء .

وأما أصاغر الناس ، فمحبتهم جزاء المادح محمودة ، فإنه إذا مدح الدنيء من الناس فإنما يخدعه ، فإذا أجازه اعتقد أنه استرق منه تلك الجائزة .

وكثير من الناس إذا مدحوا بما ليس فيهم : يبادرون إلى مجازاة

---

(١) ليفرغوا أنفسهم لما فرغوا أنفسهم له ، وذلك في الأزمنة التي كان الإسلام فيها مالكاً للأمور .

المادح ، فيكونون قد وضعوا الشيء في غير موضعه ، وهم إذا صرفوا ذلك الشيء إلى الضعفاء ، وأهل المسكنة كان أجمل بهم وأليق .

ومنها : الزهد ، وهو : قلّة الرغبة في الأموال والأعراض[1] والإدخار ، والقنية ، وإيثار القناعة بما يقيم الرمق ، والاستخفاف بالدنيا ومحاسنها ولذاتها ، وقلّة الاكتراث بالمراتب العالية ، واستصغار الملوك وممالكهم ، وأرباب الأموال وأموالهم ، وهذا الخلق مستحسن جداً ، ولكن من العلماء والرهبان ورؤساء الدين والخطباء والواعظين ، ومن يرغب الناس في المعاد والبقاء بعد الموت .

وأما الملوك والعظماء ، فإن ذلك غير مستحسن منهم ، ولا لائق بهم ، لأن الملك إذا أظهر الزهد ، فقد صار ناقصاً ، لأن ملكه لا يتم إلاّ باحتشاد الأموال والأعراض[2] وإدخارها ، ليذب بها عن ملكه ، وصار معدوداً من جملة النقص من الملوك الحائدين عن طريق السياسة .

فهذه الأقسام التي ذكرناها ، هي أخلاق جميع الناس .

أما المحمود منها ، المعدود فضائل ، فقلما تجمع كلها في إنسان واحد .

وأما المذموم منها ، المعدود نقائص ومعايب ، فقلما يوجد إنسان يخلو من جميعها ، حتى لا يكون فيه خلق مكروه وخاصة ، من لم يرض[3] نفسه ويؤدبها ، فإن لم يتعمل لضبط نفسه ، ويفتقد من عيوبه ، لم يخل من عيوب كثيرة ، وإن لم يحسن بها ، ولم يفطن لها ، فإن كان الأمر على ما ذكرنا ، كان الأجدر بالإنسان أن يتفقد أخلاقه ، ويتأمل عيوبه ، ويجتهد في إصلاحها ، وينفيها عن نفسه ،

---

(١) ، (٢) جمع عرض، بفتح العين والراء .

(٣) بفتح الياء وضم الراء .

ويتبع الأخلاق المحمودة ، ويحمل نفسه على اعتيادها والتخلق بها فإن الناس إنما يتفاضلون على الحقيقة بفضائلهم ، لا كما يعتقد الجهال والعامة : أنهم يتفاضلون بأحوالهم وأموالهم ، وكثرة الذخائر والأعراض ، فإن أكثر الناس إنما يتفاخرون بالذخائر والأموال ، والآلات ، ويعظمون أبداً الأغنياء وذوي الأحوال ، ولا يترتب بعضهم على بعض إلاّ بكثرة الأموال ، وبالجاه المكتسب بالمال .

وليس كثرة الأموال ، مما تتفاضل بها أحوال الناس ، فأما نفوسهم ، فليس تكون أفضل من نفوس غيرهم ، بكثرة الأموال .

وذلك أن الفاجر السفيه الجاهل الشرير ـ وإن حوى أموالاً عظيمة ـ فليس يكون أفضل من الضعيف الحكيم العالم الخبير ، وإن كان فقيراً .

بل إنما يكون بكثرة الأموال أغنى منه ، فأما في الفضل فليس يكون أحد أفضل من أحد إلاّ بكثرة الفضائل فقط .

فإن اجتمع للإنسان ، مع أخلاقه الجميلة والعادات المستحسنة ـ الغنى والثروة ، فلعمري أنه يكون أحسن حالاً من الفاضل المقتر ، لأنه من سعادات الإنسان أيضاً ـ وخاصة إذا كان فاضلاً ، عادلاً ، عفيفاً ، وأنه يصرف ماله في وجوهه ، وينفقه في حقوقه ، ويتفقد به من يجب تفقده ، ويسعف به أهل المسكنة ، ولا يقعد عما يجب فارق صاحبه (و) سقطت منزلة صاحبه من نفوس الناس ، وساوى العامة والسوقة لأنه إذا رأس بالمال المعظم له هو ماله : لا نفسه ، فإذا زال ذلك المال ، لم يبق له شيء يعظم من أجله[1] .

---

(١) يقصدالشيخ (رحمه الله ورضي عنه) : إنه إذا عظم الناس صاحب مال أو سلطان ، فإنما يعظمون ماله أو سلطانه ، بدليل أنه إذا ذهب المال أو السلطان رجع كما كان ، غير معظم ولا محترم ـ ولعل في الجملة سقطاً أو تحريفاً في الطبعة الأولى ـ والله أعلم .

وليس كذلك الفاضل النفس ، المهذب الأخلاق ، فإن هذا رئاسته بفضائله ، وفضائله غير مفارقة له ، فهو رئيس ما دام[1] ومعظم لذاته لا لشيء من خارج ، ولأن الراغب في سياسة نفسه ، المؤثر تهذيب أخلاقه ، إذا نبه على خلق مذموم يجده في نفسه ، وأحب اجتنابه ، ربما صعب الانتقال عنه من أول وهلة ، وربما لم ينل التخلص منه ، ولم يطاوعه طبعه ، وربما استحسن أيضاً خلقاً محموداً لا يجده لنفسه ، وأثر التخلق به ، ولم تستجب له عادته ، ولم يصل إلى مراده ، فوجب أن نرسم للراغبين في السياسة المحمودة طرقاً يتدربون بها ، ويتدرجون فيها ، حتى ينتهوا إلى مرادهم من اعتياد الأخلاق الجميلة ، والأنطباع بها ، وتجنب الأخلاق القبيحة والتفرغ منها فنذكر من أجل ذلك :

---

(١) يعني : مدة دوامه .

في طريق الارتياض بالأخلاق والتعمل لاعتيادها

وقد ذكرنا فيما تقدم : أن سبب اختلاف الأخلاق في الناس ، هو اختلاف قوى النفس الثلاث فيهم : وهي : الشهوانيّة ، والغضبية والناطقة .

وإن ملاك الأخلاق ، هو تذليل الشهوانية منها ، والغضبية ، وتمييز عادات النفس الناطقة ، واستعمال المحمود من أفعالها .

وطريق التدريج لاستعمال العادات الجميلة ، والعدول عن العادات المستقحبة ، هو التدرج في تذليل هاتين القوتين .

* * *

أما النفس الشهوانية فالطريق إلى قمعها أن يتذكر الإنسان في وقت شهواته ، وعند شدة القدوم إلى لذاته ، أنه يريد تذليل نفسه الشهوانية ، فيعدل عما تاقت نفسه إليه من الشهوة الردية إلى ما هو مستحسن ، من جنس تلك الشهوة ، متفق على ارتضائه ، فيقتصر عليه .

فإن بذلك الفعل تنكسر شهوته ثم يعللها ويعدها ، فإن سكنت ، وإلاّ عاود الفعل من الوجه المستحسن ، فإنه إذا فعل ذلك وتكرر

فعله ، كفت النفس ، وإن استمر على هذه الحالة ألفت النفس هذه العادة ، وأنست بها ، واستوحشت مما سواها .

وينبغي ـ لمن أراد قمع نفسه الشهوانية ـ أن يكثر من مجالسة الزهاد والرهبان[١] والنساك وأهل الورع والواعظين ، ويكرم مجالسة الرؤساء وأهل العلم ، فإن الرؤساء ـ وخاصة رؤساء الدين ـ يعظمون من كان معروفاً بالعفة ويستزرون من كان فاجراً متهتكاً .

وملازمته لهذه المجالس تضطره إلى التصون ، والتعفف ، والتجمل لأولئك لئلا يستزروه ويغضوا منه ، وليلق برتبة من يعظم في المحافل .

وينبغي له أيضاً أن يديم النظر في كتب الأخلاق والسياسة ، وأخبار الزهاد والرهبان ، والنساك ، وأهل الورع ، ويجب عليه أن يتجنب مجالس الخلعاء والسفهاء ، والمتهتكين ، ومن يكثر الهزل واللعب .

وأكثر ما يجب عليه : تجنب السكر ، فإن السكر من الشراب يثير نفسه الشهوانية، ويقويها، ويحملها على التهتك وإرتكاب الفواحش، والمجاهرة بها ، وبذلك إن الإنسان إنما يرتدع عن القبائح بالعقل والتمييز ؛ وإذا سكر عدم ذلك الذي كان يردعه عن الفعل القبيح ، فلا يبالي أن يرتكب كل ما كان يتجنبه في صحوه .

فأولى الأسباب لمن طلب العفة هجر الشراب بالجملة ، وإن لم

---

(١) يقصد الشيخ(رحمه الله)بذكره الرهبان : الملتزمين منهم بحدود التوراة والإنجيل الّذين نـزلا من عند الله ـ ولعل في قول الله تبارك وتعالى ﴿إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾ إشارة إلى ذلك ، فإن قوله ـ كثيراً ـ يفيد أن فيهم أيضاً أناساً لا يفعلون ذلك ، لأنه لم يقل ـ إن الأحبار والرهبان ـ بل عبر جلّ وعلا بـ «كثيراً» وهذا النوع غير موجود الآن . والله أعلم .

يمكنه ، فليقتصر على اليسير منه[1] ويكون في الخلوات ، أو مع من لا يحتشمه ، ويتجنب مجالس المجاهرين بالشراب والسكر ، والخلاعة ، ولا يظن أنه إن حضر تلك المجالس ، واقتصر على اليسير من الشراب : لم يستضر به ، فإن هذا غلط[2] .

وذلك أن من حضر مجالس الشراب ، ليس تنقاد له نفسه إلى القناعة بيسير الشراب ، بل إن حضر مجالس الشراب ، وكان في غاية العفة ، تاركاً للشراب ، متمسكاً بالورع ، حملته شهوته على التشبه بأهل المجلس ، وتاقت نفسه إلى الفعل لما هو أكثر من ذلك ، وتهتك بعد الستر والصيانة .

فسيمة أحوال من طلب العفة : عدم حضور مجالس الشراب ومخالطة أهلها والاستكثار من معاشرتهم .

وينبغي : لمن أراد قمع نفسه الشهوانية أن يقل من استماع السماع ، وخاصة النسوان والشابات منهن ، المتصنعات ، فإن للسماع قوة عظيمة في اثارة الشهوة ، فإذا انضاف إلى ذلك : أن تكون المسمعة مشتهاة متعلمة[3] لاستمالة العيون إليها : اجتمع على السماع حوادث كثيرة ، فربما لم يستطع دفع جميعها عن نفسه ، والاولى لمن هم بقهر الشهوة : أن يتجنب السماع ، وإن لم يكن منه بد ، ولم تستجب نفسه إلى هجره بالكلية ، فليقتصر على استماعه من الرجال ، ومن لا مطمع للشهوة فيه ، والإقلال منه خير وأصون للمتعفف .

فأما الطعام ، فينبغي أن يعلم أن غايته هو : الشبع ، لدفع ألم الجوع ، فخير الطعام وردية جميعاً مشبعان ، فليس للمبالغة في تجويد الطعام كبير حظ .

---

(١) استدراجاً لنفسه ، حتى تنتهي بالمرة ، وفي كلامه بعد إشارة إلى ذلك أنظر ص ٥٥ .
(٢) أي إن الخمر ولو قليلة فيها الخطر ولا بد .
(٣) طرق الضرب والإيقاع .

والأولى هو التوسط في أنواع المآكل ، وأن يكون في الجنس الذي نشأ عليه الإنسان ، واعتاده وألفه ، على أن شهوة الطعام والنهم فيه ، وإن كان من الأخلاق الرديئة فهو أسهلها وأهونها ، وليس يكسب صاحبها من العار ما يكسبه محبة الشراب والمباضعة ، ومعاشرة النسوان ومصاحبة الأحداث ، المتهيئين للفواحش ، فإن ذلك في غاية القبح ، وشهوة المآكل أقل قبحاً منه ، وأخف على فاعله ، وهو مع ذلك قبيح ، والاستهتار به وكثرة النهم والشره إليه مكروه ، وطريق التدرج إلى الاقتصاد في الطعام ، هو : أن يبادر ذو الشهوة إلى أي شيء وجده من المأكل ، فإن كان المشتهي الذي تاقت نفسه إليه حلوا فإلى أي حلاوة وجدها ، وإن كان غير ذلك ، فإلى ما يشابهه في الطعم فإنه إذا تناول من الطعام ما يشبهه ذلك المشتهي في الطعم ، فإن شهوته تسكن ، ونفسه تكف .

وينبغي لمن أحب العفة أن يكون أبداً متيقظاً ، ذاكراً لما يلحق الفاجر والنهم والشرة والمتهتك من القباحة والعار ، ويجعل ذلك ديدنه وشعاره ، فإن نفسه تبغض الشهوات ، وتشتاق إلى التعفف والقناعة ، وتطرب عند العدول عن الفواحش ، مع القدرة عليها ، وترتاح لما ينشر عنها ، ويبلغها عن الناس من الثناء الجميل على صاحبها .

فهذا الذي ذكرنا هو : طريق رياضة النفس الشهوانية ، وتذليلها وقمعها ، وهو طريق الارتياض بالمعادات المحمودة المرضية ، فيما يتعلق بالشهوات واللذات .

فأما النفس الغضبية فإن الطريق في قمعها وتذليلها هو : أن يصرف الإنسان همته إلى أن يتفقد السفهاء الذين يسرع إليهم الغضب في أوقات طيشهم وحدتهم وتسفههم على خصومهم ، وعقوبتهم لخدمهم وعبيدهم ، فإنه يشاهد منهم منظراً شنيعاً ، يأنف منه الخاص والعام ، فإن تذكر ما شاهد في أوقات غضبه ، وعند جنابات خدمه

وعبيده ، وعند ذنوب إخوانه وأودائه ، وفي جميع محاوراته ومعاملاته ، فإنه إذا تذكر ما كان استقبحه من السفهاء : انكسرت بذلك سورة[1] غضبه ، وأحجم عماهم بالإقدام عليه من السب والوثوب ، فإن لم يكف بالكلية أقصر ، ولو أنه غاية الفحش .

وينبغي لمن أراد أن يقهر نفسه الغضبية ، أن يذكر أوقات غضبه على من يؤذيه ، أو يجني عليه ، أنه لو كان هو الجاني : ما الذي كان يستحق على جنايته ؟

فإنه بهذا الفعل يعتقد أن درك تلك الجناية ، أو أرش[2] ذلك الأذى : يسير جداً .

فإذا اعتقد ذلك ، كانت مقابلته للجاني ، والمؤذي ، بحسب اعتقاده ، فلا يسرف في الإنتقام ، ولا يفحش في الغضب .

فإذا فعل ذلك دائماً ، وجعله ديدناً ، وتفقد معائب السفهاء ، ومن يسرع إليه الغضب ، لم يبعد أن تنكسر نفسه الغضبية وتناقد ، فإذا استمر على ذلك مدة : صار خلقاً وعادة .

وينبغي لمن يرغب في تذليل نفسه الغضبية أن يتجنب حمل السلاح ، وحضور مواضع الحروب ، ومقامات الفتن ، ومجالسة الأشرار ، ومعاشرة السفهاء ، ومخالطة الشرط ، فإن هذه المواضع تكسب القلب قساوة وغلظة ، وتعدمه الرأفة والرحمة ، فتقسوا لذلك نفسه الغضبية .

فإذا كان يريد تذليلها وتسكينها ، وجب أن يجعل مجالسته لأهل العلم ، وذوي الوقار ، والشيوخ ، والرؤساء ، والأفاضل ، ومن يقل غضبه ، ويكثر حلمه ووقاره .

---

(١) بفتح السين المهملة وسكون الواو : شدة الغضب .

(٢) دية الجراحات .

وينبغي لـه أيضاً : أن يتجنب المسكـر من الشراب ، فـإن السكـر يهيج النفس الغضبية أكثر مما يهيج الشهوانيـة ، وبذلـك ربما يسـرع إلى العـربدة ، والـوثوب على جلسـائـه ، والاستخفـاف بهم وسبهم ، وذكـر أعراضهم ، بعد أن كان يتحنن عليهم ، ويتودد إليهم .

ولا يكـون بين الـوقتين إلاَّ بمقـدار مـا يستحكم عليـه السكـر ، فـالسكـر مثيـر للقـوة الغضبيـة ، ومقـولهـا ، فمن أراد أن تسكن نفسـه الغضبية ، فلا بد أن يتجنب المسكر .

وإن تمكنِ من هجـران الشـراب ألبتـة ، فهـو أصلح لقهـر النفس الغضبية والشهوانية ـ جميعاً .

وينبغي لمن أراد تـذليل قـوته الغضبيـة والشهوانيـة أن يستعمل في جميـع ما يفعله الفكـر ، ولا يقدم على الشيء إلاَّ بعـد أن يتروي فيـه ، ويجعل الفكرة واتبـاع الرأي ديـدنه وعـادته . فـإن الرأي وجـودة الفكر ، يقبحـان له السفـه وسرعـة الغضب ، والإنهماك في الشهـوات ، واتبـاع اللذات ، فـإذا استقبح ذلـك احجم عنه ، وعـدل إلى ما يقتضيـه الـرأي والفكـر ، وإن لم يرتـدع بالكليـة ، فلا بـد أن يؤثر ذلـك فيـه ، فيقتصر عما يريد الشروع فيه .

ومـلاك الأمـر في «تهـذيب الأخـلاق» وضبط النفس الشهـوانيـة والنفس الغضبية هي تقوية النفس الناطقـة فإن بهـذه النفس تكون جميـع السياسات .

وهذه النفس إذا قويت متمكنة من صاحبهـا أمكنة : إن يسـوس بها قـوتيه البـاقيتين ، ويكف نفسه عن جميـع القبائـح ، ويتبـع أبـداً مكـارم الأخلاق ، وإذا لم تكن هذه النفس قـوية في صـاحبها ، وكـانت مقهورة خـافتة ، فـأول ما ينبغي أن يعتمـده في سياسـة أخلاقـه أن يـروض هـذه ويقويها ، وتقـوية هـذه النفس إنما يكـون بالعلوم العقلية ، فـإنه إذا نـظر في العلوم العقلية ودقق النـظر فيهـا ودرس كتب الأخـلاق والسيـاسـة ،

وداوم عليها تيقظت نفسه ، وتنبهت ، وانتعشت من خمولها ، واحست بفضائلها ، وأنفت من رذائلها ، وذلك أن هذه إنما تضعف وتحفت إذا عدمت الفضائل والمناقب ، واستولت عليها الرذائل ، فإذا اقتنت الفضائل ، واكتسبت الآداب ، تيقظت من غشيتها ، وثارت من سكرتها ، وقويت بعد ضعفها .

وفضائل هذه النفس هي : العلوم العقلية ، وخاصة ما دق منها ، فإذا أرتاض الإنسان بالعلوم العقلية شرفت نفسه ، وعظمت همته ، وقويت فكرته ، وتمكن من نفسه ، وتملك أخلاقه ، وقدر على إصلاحها ، وإنفاد له طبعه ، وسهل عليه تهذيبه ، واذعنت له القوة الغضبية والشهوانية ، وهان عليه قمعها وتذليلها .

فأول ما ينبغي أن يبتدىء به من يحب سياسة أخلاقه : النظر في كتب الأخلاق ، والسياسة ، ثم الإرتباض بعلوم الحقائق ، فإن أشرف ما تكون النفس إذا أدركت حقائق الأمور ، وأشرفت على هيئات الموجودات .

وإذا شرفت نفس الإنسان وعلت همته : ترقى إلى مراتب أهل الفضل .

ومما يصلح النفس الناطقة ويقويها أيضاً : مجالسة أهل العلم ، ومخالطتهم ، والإقتداء بأخلاقهم وعاداتهم ، وخاصة أصحاب علوم الحقائق ، والمتيقظين منهم ، المستعملين في جميع أمورهم ما تقتضيه علومهم ، وتوحيه عقولهم .

فأما تمييز عادات النفس الناطقة ، واستعمال ما حسن منها واطراح ما قبح ، فذلك إنما يمكن ويسهل أيضاً إذا راض نفسه الناطقة فإن النفس الناطقة إذا ارتاضت بالعلوم الحقيقية ، وتيقظت ، وشرفت : أنفت من العادات المستقبحة وتنزهت عن التدنس بها ، فيهون حينئذ على صاحبها تجنب ما يكره من عاداتها ، ويتغلب عليه استحسان

الأخلاق الجميلة ، والتخلق بها ، وقد تبين من جميع ما ذكرنا : إن طريق الارتياض وبالأخلاق المحمودة : المرضي منها ، والتصنع لاعتيادها ، واتباع المحمود المرضي منها ، واجتناب المذموم والمستقبح .

وتذليل قوة الشهوة الغضبية ، وضبطها وقهرها هو : إصلاح النفس الناطقة وتقويتها ، وتحليتها بالفضائل والآداب والمحاسن ، فإن ذلك هو آلة السياسة ، ومركب الرياضة ، ومن لم يتمكن من إكتساب العلوم العقلية والإمعان فيها ، أو تعذر عليه ذلك ، فليبذل جهده في تدقيق الفكر ، ومجاهدة النفس ، وتمييز ما بين عاداته القبيحة والجميلة ، وينظر أيها اجدى عليه ، وأيها أنفع له ، وأيها أحمد عاقبة وأبقىٰ على الأيام ، فإنه إذا صدق نفسه ، وجد شهواته ولذاته إنما هي ملذة وقت استعمالها فقط ، فأما بعد مفارقتها ، فليست باقية عليه ، ولا نافعة له ويجد عارها وشينها باقياً على الدهر ، متداولاً بين الناس يعاب به ويزري عليه بقبحه .

وكذلك شدة الغضب ، والتسرع إلى الانتقام والسب ، والفحش ، فإنه إذا انجلت غمرته[١] ، وسكنت سورته[٢] ، وتأمل أمر ما فعله : وجده قبيحاً ، ولم يجده مجدياً ولا مفيداً .

وقد صار ما فعله عند الغضب نقيصة يوسم[٣] بها ، ومعرة يسب بها .

وربما ارتكب في الغضب جنايات ، يعاقب عليها ، ويؤدب من أجلها .

---

(١) الغمرة : بفتح الغين المعجمة : وسكون الميم : الشدة .
(٢) شدة الغضب .
(٣) الوسم : العلامة .

وكذلك العادات المكروهة من عادات النفس الناطقة أيضاً يجدها غير نافعة ولا مجدية .

وذلك إن : الحسد ، والحقد ، والخبث ، وأمثال هذه : لا ينتفع بها صاحبها ، وإن انتفع بالخبث والشر ، فشر منفعة .

ومع ذلك هو : ضار له ، فإن من تشرر : قصده الناس واستعدوا لأذيته وتصدوا للاضرار به ، وتوقوه ، واحترزوا منه ، وكرهوا نفعه ، وقصروا وجوه الخير عنه ، واجتهدوا في ذلك .

وما أسوأ حال من هذه صفته ، فمستعمل الشر والخبث سيء الحال ، يضره شره أكثر مما ينفعه .

فإذا حاسب الإنسان نفسه ، وأجال فكره ، وتمييزه : علم أن الضرر في مساوىء الأخلاق أكثر من النفع ، وأن الذي يعده منها نفعاً ليس هو بنفع على الحقيقة ، وهو يسير جداً غير باق ، ولا مستمر .

فإن هذا اليسير الذي يعده نفعاً لا يفي بالضرر الكثير ، والعار الدائم المتصل .

ويعلم أيضاً أن : الشر والخبيث يجلبان عليه الشر ، ويوحشان منه الناس .

فإذا أدام ذلك ، وأكثر منه ، قوى في نفسه اتباع محاسن الأخلاق ، ومسهل عليه اطراح مساوئها ومقابحها ، وغلب عليه الخير والسداد ، وفرغ من العيب والعار .

فإذا فعل ذلك دائماً : لم يلبث أن يصلح أخلاقه ، ويحسن طريقته ، ويهذب شمائله ، ويلحق برتبة أهل الفضل ، ويتميز عن أهل الدنس والنقص .

وينبغي لمن أراد سياسة أخلاقه . أن يجعل غرضه من كل

فضيلة : غايتها ونهايتها ، ولا يقنع منها بما دون الغاية ، ولا يرضى إلاَّ بأعلى درجة ، فإنه إذا جعل ذلك غرضه ، كان حرياً أن يتوسط في الفضائل ، ويبلغ منها رتبة مرضية ؛ إن فاتته الدرجة العالية .

فأما إن قنع بالتوسط : لم يأمن أن يقصر عن بلوغه ، فيبقى في أدون المراتب ، ويفوته المطلوب ، فلا يطمع أبداً في التمام .

فهذا الذي ذكرنا ، هو طريق الارتياض بمكارم الأخلاق ، ومنهج التدرج في محمود العادات .

فإذا أخذ الإنسان نفسه به ، وأكثر مراعاته ، وتعهده، صار له أمر الفضائل ديدناً ، والمحاسن له خلقاً وطبعاً .

وقد بقي علينا أن نذكر :

في أوصاف الانسان التام الجامع لمحاسن الأخلاق وطريقته التي بها يصل إلى التمام

فنقول : الإنسان التام ، هو الذي لم تفته فضيلة ، ولم تشنه رذيلة ، وهذا الحد قلما ينتهي إليه إنسان .

وإذا انتهى الإنسان إلى هذا الحد ، كان بالملائكة أشبه منه بالناس .

فإن الإنسان مضروب بأنواع النقص ، مستول عليه وعلى طبعه ضروب الشر ، فقلما يخلص من جميعها حتى تسلم نفسه من كل عيب ومنقصة ، ويحيط بكل فضيلة ومنقبة .

إلّا أن التمام ـ وإن كان عزيزاً بعيد التناول ـ فإنه ممكن ، وهو غاية ما ينتهي إليه الإنسان ، ونهاية ما هو منته له .

وإذا صدقت عزيمة الإنسان وأعطى الاجتهاد حقه كان قميناً(١) بأن ينتهي إلى غايته التي هي منتهى له ، ويصل إلى بغيته التي تسمو نفسه إليها .

فأما تفصيل أوصاف الإنسان التام ، فهو : أن يكون متفقداً لجميع أخلاقه ، متيقظاً لجميع معايبه ، متحرزاً من دخول كل نقص

---

(١) يعني : جديراً .

عليه ، مستعملاً لكل فضيلة ، مجتهداً في بلوغ الغاية ، عاشقاً لصورة الكمال ، ملتذاً بمحاسن الأخلاق ، متيقظاً لمذموم العادات ، معتنياً بتهذيب نفسه ، غير مستكثر ما يقتنيه من الفضائل ، مستعظماً لليسير من الرذائل ، مستصغراً للرتبة العليا ، مستحقراً للغاية القصوى ، يرى التمام دون محله ، والكمال أقل أوصافه .

فأما الطريقة التي توصله إلى التمام ، وتحفظ عليه الكمال فهي : أن يصرف عنايته إلى النظر في العلوم الحقيقية ، ويجعل غرضه الإحاطة بماهيات الأمور الموجودة ، وكشف عللها وأسبابها ، وتفقد غاياتها ، ولا يقف عند غاية من علمه إلاَّ ورنا[1] بطرفه إلى ما فوق تلك الغاية ، ويجعل شعاره ـ ليله ونهاره ـ قراءة كتب الأخلاق ، وتصفح كتب السير ، والسياسات ، وأخذ نفسه باستعمال ما أمر أهل الفضل باستعماله، وأشار المتقدمون من الحكماء باعتياده ، وينشد أيضاً طرفاً من أدب البيان والبلاغة ، ويتحلى بشيء من الفصاحة ، والخطابة ، ويغشى أبداً مجالس أهل العلم والحكمة ، ويعاشر دائماً أهل الوقار والعفة .

هذا إن كان رعية وسوقه .

فإن كان ملكاً ورئيساً ، فينبغي أن يجعل جلساءه ومنادميه وغاشته[2] والمطيفين به : كل من كان معروفاً بالخير والسداد ، موصوفاً بالأدب والوقار ، مخصصاً بالعلم والحكمة ، محققاً بالفهم والفطنة ، ويقرب مجالس أهل العلم ، وينشطهم ، ويكثر مجالستهم والأنس بهم ، ويجعل تفرجه وتفكهه مذاكرتهم في العلم وفنونه ، وسياسة الملك ورسومه ، وأخبار الحكماء وأخلاقهم ، وسير الملوك الأخيار وعاداتهم .

---

(١) رنا : أدام النظر .

(٢) بفتح الشين المعجمة والتاء الخفيفة : أي من يغشاه .

وينبغي للإنسان التام ، ولمن طلب طريقته التي بها يصل إلى التمام : أن يجعل لشهواته ولذاته قانوناً راتباً ، يقصد فيه الاعتدال ، ويجتنب السرف والإفراط ، ويعتمد من الشهوات واللذات المعتمدة له : ما كان من الوجوه المرتضاة المستحسنة ، ويأخذ نفسه بذلك ، ويحض عنها الطبع ، ويهجر أصحاب اللذات ومعاشرتهم ، وينقبض عن الخلفاء[1] ومخالطتهم ، ويشعر نفسه أن الشهوة عدو مكاشح[2] ، وخصم مكافح ، يريد أبداً ضرورة وأذيته ، ويعتمد شينه وفضيحته ، فيناصب شهوته بالعداوة ، ويكاشفها بالمعاندة ، ويقمع أبداً سورتها ، ويكسر دائماً حدتها ، ويقهر سطوتها ، ويذلل ـ على التدريج ـ عزتها ، ويسكن ـ على الترتيب ـ فورتها .

فإنه إذا فعل ذلك : كان خليقاً أن يملك نفسه ، وتنقاد له شهوته ، وتنطبع بالعفة ، وتألف حسن السيرة .

ومتى أرخى لشهوته عنانها ، وسمح لها في مرادها ، وأهمل سياستها ومراعاتها ، واستطالت وشمخت ، ولم تلبث أن توهن صاحبها ، وتقوده ، وتحمله على ما يسوؤه ، ويعره[3] فيصير بذلك بعيداً من التمام ، غير طامع في الكمال .

وينبغي لمن يطلب التمام ، أن يعلم أنه لا سبيل له إلى بلوغ غرضه ما دامت اللذة عنده مستحسنة ، والشهوة مستحبة ، وهذه الحال صعبة جداً ، متعسرة على طالبها ، بعيدة المأخذ ، وهي على الملوك والرؤساء أصعب وأبعد ، لأن الملوك والرؤساء أقدر على اللذات ،

---

(١) يقصد خلفاء السوء ، أو الخلفاء والملوك الذين كانوا في عهده ، فإن أيديهم كانت أقرب إلى السيف منها إلى النعمة وقد أصابه منهم أذى كثير والله تعالى أعلم .

(٢) مكاشح : لاصق بكشحه ، والكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع . وهو تعبير عن شدة القرب .

(٣) أي يلصق به الفضيحة .

وأشد تمكناً ، والشهوات واللذات لديهم معروضة ، ولهم سجية وعادة ، فمفارقتها عليهم متعذرة ، وإعراضهم عنها كالشيء الممتنع ، خاصة لمن قد نشأ على الانهماك فيها ، والتوفر عليها .

إلاَّ أن الملوك ـ وإن كانوا أقدر على اللذات وأكثر اعتياداً لها فهم أعظم همماً ، وأعز نفوساً ، والمحصل منهم إذا سمت نفسه إلى التمام الإنساني ، واشتاقت إلى الرئاسة الحقيقية ، علم أن الملك أحق أن يكون أتم أهل زمانه ، وأفضل أعوانه ورعيته ، فيهون عليه مفارقة الشهوات ، وهجر اللذات الدنية .

وينبغي لمن رغب في سياسة أخلاقه ، وسلك طريق الاعتدال في الشهوات ، أن يجعل (لها) قانوناً يقتصر عليه في المآكل والمشارب ، مقروناً بالكرم ، وهو أن لا يستبد بالمأكل والمشرب وحده ، بل يقصد أن يشرك في ما له من ذلك إخوانه وأوداءه ، إن كان رعبة وسوقه .

وإن كان ملكاً رئيساً فيجمع عليه حاشيته وندماءه ، ويعم به أصحابه وأعوانه ، ويتفقد بفضلاته[1] أهل الفقر والمسكنة ، وخاصة من سبقت له معرفة به ، أو تقدمت له خدمة ، فيصرف إلى حاجاتهم من عنايته ، فإن اعتداد هؤلاء بما يصل إليهم من بره ، أكثر من اعتداد حاشيته وأصحابه ، وليظهر لمن يجتمع على مائدته ، وعلى طعامه وشرابه ، من إخوانه وأصداقائه ، ورعيته وندمائه ـ وإن كان ملكاً ـ أن جمعه لهم للأنس بهم ، والسرور بمعاشرتهم ، لا ليكرمهم بطعامه وشرابه ، ولا أن لذلك قدراً يعتد به .

ويحترز ـ كل الاحتراز ـ من أن يبدو منه امتنان بالطعام والشراب ، أو تبجح به ، فإن ذلك يزري بفاعله ، ويغض منه ، ويوحش من يغشاه ، ويقطعهم عنه .

---

(١) ما يفضل منه .

وقد يستحسن من الإنسان أيضاً - إذا كان مقلاً - أن يواسي بطعامه إخوانه ، وإن كان محتاجاً إليه ، ويستحسن منه أيضاً أن يواسي به الفقراء والضعفاء ، وقد يستحسن منه أيضاً أكثر من ذلك ، بأن يؤثر الإنسان بطعامه وشرابه غيره ، وإن كان شديد الإضطرار إليه ، وكان لا يقدر على غيره .

وينبغي أيضاً لمن طلب السياسة التامة : أن يستهين بالمال ويحتقره وينظر إليه بالعين التي يستحقها .

فإن المال : إنما يراد لغيره ، وليس هو مطلوباً لذاته ، فإنه في نفسه غير نافع ، وإنما الانتفاع بالأغراض التي تنال به .

فالمال آلة تنال بها الأغراض ، فلا يجب أن يعتقد أن اقتناءه وإدخاره مفيد ، فإذا أدخر وحرص عليه : لم ينل صاحبه شيئاً من الأغراض التي هو بالحقيقة محتاج إليها .

فالمال هو مطلوب لغيره ، فينبغي للسديد الرأي ، العالي الهمة ، أن يزنه بوزنه ، فيكسبه من وجهه ، ويفرقه في وجهه ، ويكون مع ذلك ، غير متوان في اكتسابه ، ولا مقدم في طلبه ، لأن عدم المال يضطره إلى التواضع لمن هو دونه ، إذا وجد عنده حاجته ، ووجود المال يغنيه عن : من هو فوقه ، وإن دنت منزلته .

ويكون - أيضاً - غير مدخره ولا متمسك به ، بل يصرفه في حاجاته ، وينفقه في مهماته ، ويقصد الاعتدال في تفريقه ، ويحذر من السرف والتبذير في تخريجه ، ولا يمنع حقاً يجب عليه ، ولا يصرفه في شيء لا يحب ولا يشكر عليه .

وإذا فرغ من حاجته ، واستكفى من نفقاته ، وسد خلله[1] عاد إلى النظر في أمره ، فإن كان بقي من ماله بقية فاضلة عن مهم

(١) الخلل : بضم الخاء ، جمع خلة بفتح الخاء ، وهي : الحاجة .

أغراضه : أخرج منها قسطاً ، فجعله عنده يستظهر به لشدة ، و يعده لنائبة ، ثم عمد إلى الباقي وفرقه في ذوي الحاجة ، من أهله ، وأقاربه ، وإخوانه ، وأهل مودته ، وجعل فيه قسطاً للضعفاء والمساكين ، وأهل الفاقة المستورين ، وجعل اهتمامه بإفضاله وبره : أكثر من اهتمامه بضروراته ، فإن الضرورات تقوده كرهاً إليها ، وأكثر النوافل متى لم يهم بها ويشعر نفسه ألزامها : لم يسهل عليه فعلها ، لأن ضعف النفس وسوء الظن يصر فإنه عنها ، وإن لم يكن له جاذب من نفسه ، وداع قوى من همته ، لم يتقدم عليها ، وغلب عليه التواني ، فإذا توانىٰ عن البر والفضل : كان شحيحاً دنياً ، وليس بتام .

بل ليس بالحقيقة إنساناً من لم يكن له بر يعرف ، ولم تنتشر له أفعال توصف .

هذا إن كان من أوساط الناس .

فأما الملوك والرؤساء ، فإنهم أحق بهذه السياسة ، ويجب أن يكونوا بذلك أشد عناية ، فيجبو الأموال من حقها وواجبها ، ويصرفوا منها في نفقاتهم ومؤناتهم ، وأرزاق جندهم ، وأصحابهم تدر الكفاية ، من غير سرف ولا تقتير ، ويعدوا منها شطراً لخوف عاقبة ، ويصرفوا الباقي في طريق الكرم والجود ، ووجوه الخير والبر ، فيعطوا أهل العلم على طبقاتهم ، ويجعلوا لهم رواتب من خواص أموالهم ، ويدفعوا لمن هو مثابر على العلم والأدب ، ويبرو الضعفاء والمساكين ، ويتفقدوا الغرباء ، ويهتموا بالزهاد وأهل النسك ، ويخصوهم بقسط من صالهم وإنعامهم ، ويعتنوا بالصغير والكبير ، وينفقوا في مصالحهم شطراً من أموالهم ، فإن الملوك أولى بالكرم من الرعية ، وأحق بالجود من العامة .

وقد يستحسن أيضاً من الملقين[١] والمقترين : المواساة بالمال

(١) بفتح الميم وكسر اللام والقاف .

والإيثار به ، وإن كانوا محتاجين إليه ، وكلما كانت حاجتهم أشد ، كان ذلك الفعل حسناً ، وهذه الحال مستحسنة ، إذا رأى الرجل أخاً من إخوانه ، أو صديقاً يختص به ، وقد دعته الحاجة إلى ما لا يقدر عليه لإصلاح شيء من شأنه ، أو لدفع محنة نزلت به ، وكان هو قادراً على ذلك القدر من المال ، فيبتدي بإسعافه : عفواً من غير مسألة .

وإن فعل هذا الفعل مع الغريب الذي لا يعرفه ، ولم تسبق له حرمة ولا مودة ، كان جميلاً مستحسناً .

وينبغي لمحب الكمال : أن يشعر نفسه أن الغضبان بمنزلة البهائم والسباع : يفعل ما يفعله من غير علم ، ولا روية .

فإذا جرى بينه وبين غيره محاورة : أدت إلى أن يغضب خصمه ويتسفه عليه : اعتقد فيه أنه في تلك الحالة بمنزلة البهائم والسباع ، فيمسك عن مقابلته ، ويحجم عن الاقتصاص منه ، ألا يعلم أن الكلب لو نبح عليه ، لم يكن يستحسن مقابلته على نبحه ؟ وكذلك البهيمة لو رمحته ، لم يستحسن عقوبتها ، ؟ لأنها غير عالمة بما تصنعه ، إلّا أن يكون جاهلاً ، فإن من السفهاء من يغضب على البهيمة إذا رمحته ، ويوجعها ضرباً إذا آذته ، وربما عثر السفيه فشتم موضع عثرته ، ورفسه برجله .

فأما الحليم الوقور ، فلا يستحسن شيئاً من ذلك ، وإذا استشعر في خصمه أنه بمنزلة البهائم : صار هذا الاستشعار منه طريقاً إلى ضبط النفس الغضبية ، وزمها[1] وأن أذاه مؤذ بغير سفه . فيؤدي ذلك الأذى إلى حال يغضبه ، أنف أيضاً من الغضب ، مع استشعاره أن الغضبان والبهيمة سواء ، فيعدل حينئذ إلى مقابلة مؤذية بما يقتضيه الرأي ، من حيث لا يظهر فيه غضب ولا سفه .

---

(١) الزم : بالزاي ، هو شد الزمام (المفقود) مأخوذ من زم البعير : إذا خطمه .

وينبغي لمحب الكمال أيضاً أن يعود نفسه محبة الناس اجمع ، والتودد إليهم ، والتحنن عليهم ، والرأفة والرحمة بهم ، فإن الناس قبيل واحد ، متناسبون ، تجمعهم الإنسانية ، وحلية القوة الإلهية هي في جميعهم ، وفي كل واحد منهم ، وهي النفس العاقلة ، وبهذه النفس صار الإنسان إنساناً ، وهي أشرف جزئي الإنسان : الذين هما : النفس والجسد ، والإنسان بالحقيقة هو[1] : النفس العاقلة ، وهي جوهر واحد في جميع الناس ، وكلهم بالحقيقة شيء واحد ، والأشخاص كثيرون .

وإذا كانت نفوسهم واحدة ، والمودة إنما تكون بالنفس ، فواجب أن يكونوا كلهم متحابين متوادين ، وذلك في الناس طبيعة ، لو لم تقدهم النفس الغضبية ، فإن هذه النفس تحبب لصاحبها الترأس ، فتقود صاحبها إلى الكبر والإعجاب والتسلط على المتضعف ، واستحقار الصغير ، وحسد الغني وذي الفضل ، فتنشأ من أهل هذه الأسباب : العداوات ، وتتأكد البغضاء بينهم ، فإذا ضبط الإنسان نفسه الغضبية ، وإنقاد لنفسه العاقلة صار الناس كلهم له أحباباً ، وإخواناً .

وإذا أعمل الإنسان فكره : رأى ذلك واجباً ، لأن الناس إما أن يكونوا فضلاء ، أو نقصاء .

فالفضلاء تجب عليه محبتهم لموضع فضلهم ، والنقصاء تجب عليه رحمتهم لموضع نقصهم .

فيحق لمحب الكمال : أن يكون محباً لجميع الناس ، متحنناً عليهم رؤوفاً بهم ، وخاصة الملك والرئيس ، فإن الملك ليس يكون ملكاً ما لم يكن محباً لرعيته ، رؤوفاً بهم ، وذلك أن الملك ورعيته بمنزلة رب الدار ، وأهل داره ، وما أقبح رب الدار أن يبغض أهل داره ، ولا يتحنن عليهم ويحب مصالحهم .

---

(١) في الأصل : «هي» .

وينبغي لمحب الكمال أن يجعل همته فعل الخير مع جميع الناس، وإنفاق ما يفضل من ماله فيما يبقى له الذكر الجميل بعد موته، ويتحرز من فعل الشر ، فإنه إذا حاسب نفسه : علم أن من فعل الشر فإنه يفعله لخير لا يعتقد[1] أنه يصل إليه ، وربما كان غالطاً .

وإذا علم أن الأمر على هذه الصفة كان واجباً عليه أن يطلب الخير الذي يرومه من طريق غير طريق التشرر ، إذا كان هو الغرض المطلوب : لا فعل الشر .

فأما إن كان تشرره يلحقه أسفاً وغيظاً ، فليعلم أنه إذا سكن غيظه ، وجد ذلك المقصود بالشر : غير مستحق لذلك الفعل ، ففعل الشر قبيح ، وخاصة بمن قد جمع الفضائل .

إلَّا أن يكون ذلك الشر تأديباً على جرم ، واقتصاصاً من جان ، فإن هذه الحال مستحبة محمودة ، بل لا يعد شراً ، لأن ذلك الشر إنما يصل إلى الجاني فقط ، ويكون منه نفع عام لجميع الناس ، بأن يرتدع أمثاله من الجناة ، وتكون المنفعة فيه أكثر ، من أجل ذلك لا يعد شراً .

وإذا اعتمد الإنسان فعل الخير ، وألفه ، وتجنب الشر ، واستوحش منه : لانف من الأخلاق المكروهة ، التي تعد شراً كالحسد ، والحقد ، والخبث ، والخديعة ، والنميمة والعيبة . والواقعية ، وأمثال هذه العادات .

وإذا فكر العاقل المحصل فيها : علم أنها غير مجدية عليه نفعاً ، وهي مع ذلك تشينه وتقبح صورته .

وإذا كان محباً للتمام ، مستشرفاً للكمال ، كان واجباً عليه تجنب هذه الأخلاق .

---

(١) في الأصل المطبوع «ليعتقد» .

وينبغي لمحب الكمال : أن يعتقد أنه ليس شيء من العيوب والقبائح خافياً عن الناس ، وإن اجتهد صاحبها في سترها ، فلا يطمع نفسه في ارتكاب فعل قبيح يظن أنه ينكتم عن الناس ، حتى لا يقف عليه أحد(١) .

ويجب أن يعلم أن الناس بالطبع موكلون بتتبع عيوب الناس : وتعييرهم بها ، وذلك في الناس غريزة ، والسبب فيه أن الإنسان ما لم يبلغ التمام ، فليس يخلو من تقصير يعاب به ، ويسوؤه أن يكون غيره أفضل منه ، فهو يسر أن يكون الناس كلهم نقصاء ، ليساووه في النقص ، ويخلوا دونه ، فهو أبداً يتتبع معايب الناس ، ويعيرهم بها ، ليرى الناس أنه أفضل ممن فيه ذلك العيب ، ويشعر نفسه أيضاً ذلك ، لتطيب بما فيها من العيوب .

فليس شيء من العيوب بخاف عن الناس ، وإن اعتمد ستره .

وقد يظن كثير من الملوك والرؤساء : أن عيوبهم مستورة عن الناس ، غير بادية ، وذلك لموضع هيبتهم ، وعظم سطوتهم ، يستشعرون أن حاشيتهم وخواصهم لا يجسرون على إظهار أسرارهم إن وقفوا على شيء منها ، وهذا نهاية الغلط ، لأن خواص الملك وحاشيته ، كما أنهم عنده ثقاة أمناء ، كذلك لكل واحد منهم خاص وثقة يخرج إليه بأسراره ، والذي لا يستر أسرار نفسه ، فمحال أن يستر أسراره غيره (٢) .

---

(١) مصداق قول رسول الله (ص) : «ولو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ، ليس لها باب ولا كوة ، لأخرج عمله للناس كائناً من كان» رواه الإمام أحمد ، وأبو يعلى ، وابن حبان ، والحاكم .

(٢) إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه
فصدر الذي يستودع السر أضيق

وهـذا الحال : طـريقة إلى إنتشـار معايب الملوك ، الـذين يظنـون أنها مستورة .

والعلة في ظنهم أنهـا مستـورة هـو : أنهم لا يسـمعـون أحـداً يذكرها ، ولا أحداً يتنصح إليهم بها ، فيظنون أنها خفية .

فـإذا أحب الإنسـان أن يعلم أن عيـوبـه غير خـافيـة ، فليعـد إلى نفسـه ، ولينظر : هـل يعرف لأحـد عيباً كـان يستره ويخفيـه ، فإنـه يجد للنـاس عنـده عيـوبـاً كثيـرة قـد اجتهـدوا في سـترهـا ، وحـرصـوا على صونها .

ومنهم من يظن أنها خفية .

ومنهم من يعلم : أنها قد انتشرت بعد الستر .

فإذا علم أنه عـارف بأسـرار كثير من النـاس كانت مستـورة ، فمن الـواجب أن يعتقد أن عيبـه غير خـاف ، ولا منكتم ، وأن الناس يعـرفون من عيوبه أكثر مما يعرف من عيوبهم .

فينبغي لمحب الكمال : أن يعتقد أن عيـوبه ظـاهرة ، وإن اجتهـد في إخفـائها ، وليس بتـام من عرف لـه عيب ، ولا طريق إلى التمـام إلاّ باجتناب العيوب بالكلية ، والتمسك بالفضائل في سائر الأمور .

وهـذه الرتبـة غايـة تمام الإنسـانيـة ، ونهـايـة الفضيلة البشـريـة ، وواجب على كـل إنسان : الاجتهـاد في بلوغها ، واستفـراغ الـوسـع في الوصول إليها ، لأن التمام مطلوب لذاته ، والنقص مكروه لعينه .

وأحق النـاس بطلب هـذه الرتبـة ، وأولاهـم بـالتحمـل لبلوغ هـذه المنزلة : الملوك والرؤساء ، وأشراف الناس ، وأعظمهم قدراً .

وما أقبح بالشريف العظيم أن يكون ناقصاً .

فـالملوك إذا ينبغي أن يكـون أشـد النـاس حـرصـاً على بلوغ

الكمال ، لأن الكامل من الناس ، الجامع للفضائل : مترتب بالطبع على الناقص من الناس .

فالإنسان التام : رئيس بالطبع .

وإذا كان الملك تاماً جامعاً لمحاسن الأخلاق ، محيطاً بجميع المناقب ، كان ملكاً بالطبع .

وإذا كان ناقصاً كان ملكاً بالقهر .

وما أولى بالملك : أن يرغب في الرئاسة الحقيقية التي لا تكون بالقهر والشرف الذاتي ، لا ما هو بالوضع .

فالواجب : أن يصرف الملك همته إلى إكتساب الفضائل ، واقتناء المحاسن ، ويطلب الغاية في المكارم ، ويستصغر الكبير منها ، حتى يحوز جميعها ، ولا يرضى بالنهاية ، حتى يزيد عليها .

فإنه إن رضي برتبة فوقها رتبة لم يصل أبداً إلى التمام .

وإن أبعد الناس من التمام : من رضي لنفسه بالنقصان .

فإذا طلب الملك الكمال ، فأول ما يجب أن يعتاد : عظم الهمة ، فإن عظم الهمة يصغر في عينه كل رذيلة ، ويحسن له كل فضيلة .

وإذا عظمت همة الملك سلم من الأعجاب بملكه ، ورأى نفسه وهمته : أعظم قدراً من أن يستكبر ذلك الملك .

وإذا احتقر الملك ملكه الذي به عزه وعظمته ، طلب لنفسه ما يعظمها بالحقيقة ، وليس يعظم النفس إلاّ الفضائل .

ثم : ينبغي له أن يكره الملق[1] . ويبغض المتملقين وينهاهم عن تلقيه به .

---

(1) بفتح الميم واللام : النفاق ، وإظهار غير ما يحفى .

وملاك أمره : أن يتعرف عيوبه حتى يمكنه توقيها والتحرز منها ، وهذا في الملوك صعب ، لأن الإنسان بالطبع يخفي عليه كثير من عيوبه .

فالذي يخفي على الملوك أكثر لإعجابهم بمحاسنهم ، وعظم مرتبتهم .

وأيضاً فإن الرعية والسوقة ، يبكتون بعيوبهم ، ويعيرون بها ، فهم يعرفونها .

والملوك : لا يجسر أحد على تبكيتهم ، فلا يقدم أحد على تبكيتهم على عيوبهم ، لأن الناس أجمع : يقصدون التقرب إلى الملوك بملقهم ، فلا يقولون لهم إلاَّ ما يحبون ، لينالوا الحظوة عندهم .

فعيوب الملوك أبداً خفية عنهم .

وينبغي للملك إذا أحب أن يتنزه من العيوب ، ويتطهر من دنسها : أن يتقدم إلى خواصه وثقاته ، ومن كان يسكن إلى عقله وفطنته من خدمه وحاشيته ، فيأمرهم أن يتفقدوا عيوبه ، ونقائصه ، ويطلعوه عليها، ويعلموه بها .

وينبغي له أيضاً : أن يتلقى من يهدي إليه شيئاً من عيوبه بالبشر والقبول ، ويظهر له الفرح والسرور بما أطلعه عليه .

بل المستحسن منه : أن يجيز[1] الذي يوافقه على عيوبه أكثر مما يجيز المادح له على نقصه ، ويتحمل لومته على فعله ، فإنه إذا لزم هذه الطريقة ، وعرف بها : أسرع أصحابه وخواصه إلى تنبيهه على عيوبه ، وإذا نبه على ما فيه من النقص : أنف منه ، واستشعر أولاً أن

---

(١) يجيز : يعني يعطيه جائزة .

سيعيرونه به ، ويصغرونه من أجله ، ويلزمه حينئذ أن يأخذ نفسه بالتنزه من العيوب ، ويقهرها على التخلص من دنسها ، فإذا فعل ذلك ، وتوفر على إقتناء الفضائل ، وألزم نفسه التخلق بالمحاسن ، ولم يرض من منقبة[1] إلاَّ بغايتها[2] ، ولم يقف واجتهد فيما يحسن سياسة نفسه عاجلاً ويبقى له الذكر الجميل آجلاً ، لم يلبث أن يبلغ الغاية من التمام ، ويرتقي إلى النهاية من الكمال ، فيحوز السعادة والإنسانية والرئاسة الحقيقية ، ويبقى له حسن الثناء مؤبداً[3] وجميل الذكر مخلداً .

* * *

فقد أتينا على صفة الإنسان التام الجامع لمحاسن الأخلاق والطريق التي تؤديه إلى هذه الرتبة ، وتحفظ عليه هذه المنزلة .

وقدمنا : ما يجب تقديمه من «سياسة الأخلاق وتهذيب النفوس» : فما أولى من نظر في هذا القول وتصفحه ، وفهم مضمونه وتدبره : أن يأخذ نفسه باستعمال ما بين فصوله ، ويسوس أخلاقه مما يتطرق إلى الذي قنن[4] في تضاعيفه ، ويجتهد كل الاجتهاد في تكميل نفسه ، ويستغرق غاية الوسع في طلب تمامه ، فما أقبح النقص بالقادر على التمام ، والعجز من المستعد لنيل الكمال .

وهذا حين نختم القول بـ «تهذيب الأخلاق» .

والحمد لله .

وصلّى اللّه على سيّدنا محمد وآله وصحبه .

* * *

---

(١) أي فضيلة من الفضائل .

(٢) الغاية : نهاية المقصود .

(٣) أي مدة حياته وبعد مماته .

(٤) قنن : أي وضع قوانين يعمل بها الناس .

(٢)
الموعظـة الحسنـة

هـذه الرسـالة نقلتهـا من نسخة مخـطوطة بمكتبـة الأزهر الشـريف كتبت عام ١٠٠٦ ست وألف من الهجرة الشريفة .

وهي تحت رقم ٢٠ خاص ١٣٨٤ عام ـ تصوف .

وجاء في آخر الرسالة ما يلي :

«كتبـه أقل عبـاد الله ، وأفقـرهـم ، خـادم الفقـراء ، وتـراب أقـدام العلمـاء : (درويش مصلح الدين أحمـد) : الخلوتي طريقـاً ، البلغرادي بلداً ، ثم الدمشقي ، غفر الله له ولوالديه .

في شهر صفر سنة ست وألف من الهجرة ـ عام ١٠٠٦» ا هـ .

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين . .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وسصحبه أجمعين .

قال الشيخ الأكبر : محي الدين بن العربي الحاتمي الطائي الأندلسي (قدس سره العزيز): هذا جزء سميته :

الموعظة الحسنة :

قيدت فيه طرفاً من مواعظ الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام ، والفضلاء العاملين من عباده : طلباً للمثوبة من الواهب سبحانه وتعالى :

فمن ذلك ما روى أن الله تعالى قال :

«يا بن آدم : خيري إليك نازل ، وشرك إلي صاعد ، وأنا أتحبب إليك بالنعم ، وأنت تتبغض إلي بالمعاصي .

في كل يوم يأتيني ملك كريم بقبيح فعلك .

يا بن آدم : ما تراقبني ، أما تعلم أنك بعيني .

يا بن آدم : في خلواتك وعند شهواتك اذكرني وسلني أن أنزعها من قلبك ، وأعصمك عن معصيتي ، وأبغضها إليك ، وأيسر لك طاعتي ، وأحببها إليك ، واذكي ذلك في عينيك .

يا بن آدم : أمرتك ونهيتك لتستعين بي وتعتصم بحبلي ، لئلا تعصيني وتنبو[1] عني غأعرض عنك .

أنا الغني ، وأنت الفقير إلي .

إنما خلقت الدنيا وسخرتها لك[2] ، لتستعد للقائي ، وتتزود منها لئلا تعرض عني ، وتخلد إلى الأرض .

أعلم بأن الدار الآخرة خير لك من الدنيا ، فلا تختر غير ما أخترت لك ، ولا تكره لقائي ، فإن من كره لقائي كرهت لقاءه ، ومن أحب لقائي أحببت لقاءه»[3] .

وقال بعض العلماء :

تزود من الدنيا للآخرة ، وطريقها[4] ـ فإن خير الزاد التقوى ـ .

وسارع إلى الخيرات ، ونافس في الدرجات قبل فناء العمر وتقارب الأجل .

وقال بعضهم :

«إيّاكم ومجالسة أقوام يتكلفون بينهم زخرف القول غروراً ، أو يتملقون في الكلام : خداعاً ، وقلوبهم مملوءة غشاً ، وغلاً ، وحسداً ،

---

(١) في المخطوطة «وتنوتي عني» ولا معنى لها .

(٢) لقوله تعالى : ﴿خلق لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً﴾ .

(٣) للحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم ، والإمام أحمد ، والترمذي ، والنسائي عن السيدة عائشة ، وعن سيدنا عبادة بن الصامت (رضي الله عنهما وأرضاهما) : «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» .

(٤) يعني : وطريق الآخرة في هذه الآية .

وكبراً ، وحرصاً ، وطمعاً ، وبغضاً ، وعداوة ، ومكـراً ، وخيلاء : دينهم التعصب ، واعتقـادهم النفاق ، وأعمـالهم الريـاء ، واختبـارهم شهـوات الـدنيـا ، يتمنـون الخلود فيهـا ، مـع علمهم بـأنهم لا سبيـل لهم إلى ذلك ، و «يجمعون مـا لا يأكلون ، ويبنـون ما لا يسكنـون ، ويؤملون ما لا يـدركـون» ويكسبـون الحـرام وينفقـون في المعـاصي ، ويمنعـون المعروف ، ويركبون المنكر .

قـال عيسى : «يـا بني إسـرائيـل : أعلمـوا أن مثـل دنيـاكم مـع آخـرتكم كمثل مشـرقكم مع مغـربكم ، كلما أقبلتم إلى المشـرق بعدتم من المغرب ، وكلما أقبلتم إلى المغرب بعدتم من المشرق» .

وقـال بعضهم لقوم يتـردون ، في طغيانهم يعمهـون ، ولا يسمعون النـداء ولا يجيبون الـدعاء ، مـولعين[1] مدبـرين عن الآخرة معـرضين ، وعلى الأعقـاب ناكسين ، وعلى الـدنيا مقبلين متكـالبين تكالب الكـلاب على الجيـف ، منهـمكين فـي الشهـوات ، تـاركيـن للصـلوات ، لا يسمعـون المـوعـظة ، ولا تنفعهم التـذكـرة ، فـلا جـرم إنهم مهملون قليلاً ، ويتمتعون يسيراً ، ثم تجيئهم سكرة الموت بالحق .

ذلك ما كـانوا منـه يحبدون ـ شـاءوا أو أبو ، فيفـارقون محبـوباتهم على رغم منهم ، ويتركون مـا جمعوا لغيـرهم ، يتمتعون إلى أخـذهم : حليل زوجته[2] ، وامرأة ابنه .

وبعـل إبنتـه .

وصاحب (مبراته)[3] . . .

---

(١) مولعين بعدم إجابة الدعاء إلى طاعة الله تعالى .

(٢) هكـذا هي في المخطوطـة ، ولعله يقصد أن امـرأتـه ستتـزوج بعـده ، ويتمتـع بمـالـه زوجها ، وابنه سيرثه كذلك ، وتتمتع بميراثه امرأته وأولاده ، وزوج ابنته كذلك سيتمتع بهذا المال ، وهكذا .

(٣) هي هكذا في المخطوطة وهو القائم على أمور صدقاته إن كان غنياً .

لهم المهنا ، وعليه الوبال . مثقل ظهره بأوزاره ، معذب بما كسبت يداه : يا حسرة عليه إذا قامت عليه وعلى أهله القيامة[1]» .

ومنها : قال تعالى لبني إسرائيل :

«رغبناكم في الآخرة فلم ترغبوا ، وزهدناكم في الدنيا فلم تزهدوا ، وخوفناكم النار فلم تخافوا ، وشوقناكم إلى الجنة فلم تشتاقوا ، وانحينا[2] ؟ عليكم فلم تبكوا : بشر القتالين إن الله تعالى له ساق[3] لا ينام ، وهو نار جهنم» .

وقال عيسىٰ (ع) :

«صم عن الدنيا ، واجعل فطرك الموت ، وكن كالمداوي جرحه بالدواء خشية أن ينقض عليه ، وعليك بكثرة ذكر الموت ، فإن الموت يأتي إلى المؤمن بخير لا شر بعده ، وإلى الشرير بشر لا خير بعده» .

وقال علي (كرم الله وجهه) :

«الفضلاء صحبوا الدنيا بأجساد أرواحها معلقة بالمحل الأعلىٰ» .

ومما وجد في بعض كتب بني إسرائيل في صفة خلق آدم ، وتكوين جسده حين أبدعه الله عزّ وجلّ ، وأخرجه ، قال تعالىٰ :

«إني خلقت [آدم][4] وركبت بدنه من أربعة أشياء ، ثم جعلتها وراثة في ولده وذريته ، تنشأ في أجسادهم ، وتموت عليها إلى يوم القيامة ، وذلك : إني ركبت جسده من رطب ويابس ، وسخن

---

(١) في المخطوطة «إذا قامت عليه قيامته وعلى أهله القيامة» .

(٢) في المخطوطة : «ونحنا» ولا شك إنها من خطأ النسخ ، وفي القاموس المحيط «وانحى له السلاح : ضربه» وهي أقرب إلى الصواب ، والله تعالى أعلم .

(٣) هكذا هي في المخطوطة . ولعلها من قوله تعالى : ﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾ فإن السقي دائم لا ينقطع في جهنم .

(٤) ليست في المخطوطة ، ولا بد منها .

وبارد ، وذلك إني خلقته من تراب وماء ، ثم نفخت فيه نفساً وروحاً ، فيبوسة جسده من قبل التراب ، ورطوبته من الماء ، وحرارته من النفس ، وبرودته من الروح» .

ثم جعلت في الجسد بعد هذا : أربعة أنواع أُخر ، هن ملاك الجسد ، لا قوام للجسد إلاّ بهن ، ولا تقوم واحدة منهن إلاّ بالأخرىٰ وهن : المرة السوداء ، والمرة الصفراء ، والدم ، والبلغم .

ثم اسكنت بعضهم في بعض ، فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السوداء ، ومسكن الحرارة في المرة الصفراء ، والرطوبة في الدم ، والبرودة في البلغم .

فأي جسد أعتدلت فيه هذه الأخلاط الأربعة التي جعلتها (ملاكة)[1] وقوامه ، وكانت كل واحدة منهن ربعاً ، لا يزيد ولا ينقص : كملت صحته واعتدلت بنيته .

فإن زادت واحدة منهن على أخواتها ، وقهرتهن ومالت بهن : دخل السقم على الجسد من نواحيهن بقدر قلتها عنهن ، وضعفت طاقتها عن مقاومتهن .

ثم علمته الطب والدواء : كيف يزيد في الناقص ، وينقص في الزوائد حتى يعتدل ويستقيم أمر الجسد .

فالطبيب الفاره[2] ، العالم بالدواء والداء : هو الذي يعلم من أين دخل السقم على الجسد ؟ أم من أين الزيادة ؟ أم من أين النقصان ؟ ويعلم الدواء الذي يعالج به ، فيزيد في ناقصها ، وينقص من زائدها ، حتى يستقيم أمر الجسد على فطرته ، ويعدل الشيء بأقرانه[3] .

(١) في المخطوطة «ملائكة» .

(٢) في المصباح «الفاره : الحاذق بالشيء» .

(٣) فتعود قوة الجسم كما كانت مستقيمة سليمة .

ثم صيرت هذه الأخلاط التي ركب عليها الجسد ، فطرة ، وأصولها عليه تبنى أخلاق بني آدم ، وبها يوصفون .

فمن التراب العزم ، ومن الماء اللين ، ومن الحرارة الحدة ، ومن البرودة : الأنانية .

فإن مالت به اليبوسة وأفرطت : كان عزم قساوة وفظاظة .

وإن مالت به الرطوبة : كان لينه : توانياً ومهانة .

وإن مالت به الحرارة : كان حدته طيشاً وسفاهة .

وإن مالت به البرودة : كانت أنانيته . . . وبلادة[1] .

فإذا اعتدلت أخلاقه ، واستقام أمره ، وكان عازماً في إنابته ليناً في عزمه «متهادياً»[2] في لينه ، متأنياً في حدته ، لا يغلبه خلق من أخلاقه ، ولا يميل به طبيعة «من طبائع أخلاقه»[3] عن المقدار المعتدل ، من أيها شاء استكثر ، ومن أيها شاء قلّل ، وكيف شاء عدل .

ثم نفخت فيه من روحي ، وقرنت الجسد : نفساً وروحاً .

فبالنفس يسمع ابن آدم ، ويبصر ، ويشم ، ويذوق ، ويلمس ، ويحس ، ويأكل ، ويشرب ، وينام ، وينتبه ، ويضحك ، ويبكي ، ويحزن .

وبالروح : يعقل ، ويفهم ، ويدري ، ويعلم ، ويستحيي ، ويحلم ، ويحذر ، ويتقدم ، ويمتع ، ويتكرم ، ويقف ، ويهيج .

فمن النفس يكون : حدته ، وخفته ، وشهوته ، ولعبه ، ولهوه ،

---

(١) بدل الأصفار كلمة لم نستطيع قراءتها قبل «وبلادة» .

(٢) في المخطوطة «تهادياً» .

(٣) في المخطوطة «من طبائع من أخلاقه»

وضحكه ، وسفهه ، ومكره ، وخداعه ، وعنفه ، وخرقه .

ومن الروح : علمه ، ووقاره ، وعفافه ، وحياؤه ، ووفاؤه ، ويكون صدقه ، ورفعته ، وصبره .

فإذا خاف ذو اللب : أن يغلب عليه خلق من أخلاق النفس ، قابله بضده من أخلاق الروح ، وألزمه إياه ليعدله ويقومه ، فيقابل الحدة بالحلم ، والخفة بالوقار ، والشهوة بالعفاف ، واللعب بالحياء ، واللهو بالنهي ، والضحك بالعزم ، والفظاظة بالكرم ، والخداع بالصدق ، والعنف بالرفق ، والخرق بالصبر .

ومن التراب يكون : قساوته ، وبخله ، وفظاظته ، وشحه ، وإياسه وقنوطه ، وعزم إصراره .

ومن الماء يكون : سهولته ، ولينه ، واسترساله ، وتكرمه ، وسماحته ، وقربه ، وقبوله ، ورجاؤه ، واستبشاره .

فإذا خاف ذو اللب أن يغلب عليه خلق من أخلاقه الترابية ، قابله بضده من الأخلاق المائية ، وألزمه إيّاه : ليعدله ، ويقومه فيقابل القسوة باللين ، والبخل بالعطاء ، والفظاظة بالكرم ، والشح بالسماحة ، واليأس بالرجاء ، والقنوط بالاستبشار ، والعزم بالقبول ، والإصرار بالتوبة .

وذكر أن بعض العارفين بالله تعالى اجتاز مرة في بعض سياحته براهب في صومعة على رأس جبل ، فوقف بإزائه ، فناداه : يا راهب :

فأخرج الراهب رأسه من صومعته ، وقال : من ذا ؟

قال : رجل من أبناء جنسك الآدميين .

قال : فماذا تريد ؟

قال : كيف الطريق إلى الله تعالى ؟

قال الراهب : في خلاف الهوى .

قال : فما خير الزاد ؟

قال : التقــوى .

قال : تباعدت عن الناس ، وتحصنت في هذه الصومعة[١] ؟

قـال : مخـافـة على قلبي من «معـاشـرتهم» وحـذراً على عقلي : أجيره من سوء عشرتهم ، وطلبت راحة نفسي عن مقاساة مـداراتهم[٢] ، وقبيح فعالهم ، وجعلت معاملتي مع ربي ، فاسترحت منهم .

قال : فخبرني يـا أحد أتبـاع المسيح[٣] ، كيف وجـدتم معاملتكم مـع ربكم ، وأصدق القـول لي ، ودع عنـك تـزويق الكـلام ، وزخـرف القول .

فسكت الراهب طويلاً ، ثم قال :

شر معاملة تكون .

قال له : كيف ؟

قـال : لأنه أمـرنـا بـالكــد لـلأبـدان ، وجهـد النفـوس ، وصيـام النهـار ، وقيام الليـل ، وترك الشهـوات المركـوزة في الجبلة ، ومخالفـة الهـوى الغالب ، ومجـاهدة العـدو المسلط ، والرضي ، والخشـونـة في العيش ، والصبر على الشدائد والبلوى .

---

(١) هكذا هي المخطوطة ، وهي استفهام بالأسلوب .

(٢) المـدارة نوع من الممـارسة في الشيء ، وهي تحتـاج إلى عقل رصين يحسن صـاحبه كيف يتفادى الناس ولا يجاريهم في سفههم .

ومـن لـم يـمـارس فـي أمـور كـثـيـرة
يـضـرس بـأنـيـاب ويـوطء بـمـنـسـم

(٣) من كان بهذه الصفة التي ذكرها ذلك الراهب : كان من أتباع المسيح (ع) حقـاً ، وليس من الشياطين والأبالسة الذين نراهم اليوم .

وسترى فيما بعد أنه أسلم بمجرد الدعوة ، لأنه العقيدة واحدة .

ومع ذلك كله : جعل الأجر بالنسبة [في الآخرة بعد الموت][1] مع بعد الطريق ، وكثرت الشكوك والحيرة ، والخوف من الناس .

فهذه حالنا في معاملتنا مع ربنا ، فخبرني عنكم يا معشر أتباع أحمد ، كيف وجدتم معاملتكم مع ربكم ؟

قال له المجتاز : [خير معاملة تكون][2] وأحسنها .

قال له : صف لي ما هي ؟ وكيف هي ؟

قال له المجتاز : ربنا أعطانا سلفاً كثيراً قبل العمل ، ومواهب جزيلة لا تحصىٰ فنون أنواعها من النعم ، والافضال قبل المعاملة .

فنحن لينا ونهارنا في أنواع نعمة ، وفنون من آلائه ـ ما بين سالف معتاد ، وآنف مستفاد ـ .

قال له الراهب : فكيف خصصتم بهذه المعاملة دون غيركم ، والرب واحد ؟

قال : أما النعمة والافضال والإحسان ، فعموم للجميع ، قد غمرتنا كلنا .

ولكنا خصصنا بحسن الاعتماد ، وصحة الرأي ، والإقرار بالحق ، والإيمان ، والتسليم له ، وصدق المعاملة : من محاسبة النفس ، وملازمة الطريق ، وتفقد تصاريف الأحوال الطارئة من الغيب ، ومراعاة القلب بما يرد عليه من الخواطر والوحي[3] والإلهام ساعة فساعة .

---

(١) هكذا في المخطوطة ، وقوله : بالنسبة : أي بالقدر والقيمة .

(٢) في المخطوطة «ربنا خير معاملة تكون» وهي إن صحت في الأصل الذي نقل عنه فعلى تقدير «عاملنا ربنا» . . . الخ .

(٣) الإرشاد الإلهي عن طريق القلب ، ومنه قوله تعالى : ﴿وأوحينا إلى أم موسىٰ أن أرضعيه﴾ والله تعالى أعلم .

قال الراهب : زدني في البيان ؟

قال المجتاز : أزيدك ، اسمع ما أقول ، وأفهم ما تسمع ، واعقل ما تفهم .

«إن الله جل بقاؤه : لما خلق الإنسان من طين ، ولم يكن قبل شيئاً مذكوراً ، ثم جعل نسله من ماء مهين - نطفة في قرار مكين - ثم قلبه حالاً بعد حال : تسعة أشهر ، إلى أن أخرجه هناك خلقاً سوياً ، بنية صحيحة ، وصورة تامة ، وقامة منتصبة ، وحواس سالمة ، ثم زود من هنا[١] لبناً خالصاً لذيذاً سائغاً للشاربين : حولين كاملين[٢] ثم رباه وأنشأه وأنماه بفنون لطفه ، وغرائب حكمته ، إلى أن بلغه أشده واستوى ، ثم آتاه حكماً[٣] وعلماً ، وأعطاه : قلباً ذكياً ، وسمعاً وعياً ، وبصراً حاداً ، وذوقاً لذيذاً ، وفماً طيباً ، ولمساً ليناً ، ولساناً ناطقاً ، وعقلاً صحيحاً ، وفهماً جيداً ، وذهناً صافياً ، وتمييزاً وفكرة ، ورؤية وإرادة مشيئة ، واختياراً وجوارح طائعة ، ويدين صانعتين ، ورجلين ساعيتين ، ثم علمه الفصاحة والبيان ، والصنائع والحرف ، والحرث والزراعة ، والبيع والشراء ، والتصرف في المعاش ، وطلب وجوه المنافع ، واتخاذ البنيان ، وطلب العزة والسلطان ، والأمر والنهي ، والرئاسة ، والتدبير والسياسة ، وسخر له ما في الأرض جميعاً[٤] : من الحيوان والنبات وجواهر المعادن ، فغدا متحكماً عليها : تحكم الأرباب[٥] متصرفاً فيها تصرف الملاك ، متمتعاً بها إلى حين .

---

(١) لعله أشار المجتاز إلى «ثندوته» ، وهي مكان «الثدي» من المرأة .

(٢) من قوله تعالى : ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ الآية ٢٣٣ من سورة البقرة .

(٣) بمعنى : حكمة .

(٤) من قوله تعالى : ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ الآية : ٢٩ من سورة البقرة ، وقوله تعالى : ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ الآية : ١٣ من سورة الجاثية .

(٥) أرباب الشيء : المالكون له ، فرب الدار : مالكها ، ومنه قوله تعالى في سورة يوسف =

ثم إن الله جلّ ثناؤه : أراد أن يزيد في فضله وإحسانه ، وجوده وأنعامه فناً آخر ، هو أشرف وأجل من هذه التي تقدم ذكرها ، وهو ما أكرم من ملائكته وخالص عباده وأهل وداده في النعيم الأبدي ، الذي لا يشوبه شيء من النقص ، ولا من التنغيص[1] ، إذ كان نعيم الدنيا مشوباً بالبؤس ، ولذاتها بالآلام ، وسرورها بالحزن ، وفرحها بالغم ، وراحتها بالتعب ، وعزها بالذل ، وصفوها بالكدر ، وغناها بالفقر ، وصحتها بالسقم .

وأهلها فيها : معذبون في صورة المنعمين ، مغرورون في صورة الواثقين ، مهانون في صورة المكرمين ، وجلون في صور المطمئنين ، خائفون مترددون بين المتضادين : نور وظلمة ، وليل ونهار ، وصيف وشتاء ، وحر وبرد ، ورطب ويابس ، وعطش وري ، وجوع وشبع ، ونوم ويقظة ، وراحة وتعب ، وشباب وهرم ، وقوة وضعف ، وحياة وموت ، وما يشاكل هذه الأمور التي أهل الدنيا وأبناؤها فيها مترددون ، مدفوعون إليها ، متحيرون .

فأراد ربي ـ أيها الراهب ـ أن يخلصهم من هذه الأمور ، والآلام المشوبة باللذات ، وينقلهم منها إلى : نعيم لا بؤس فيه ، ولذة لا ألم فيها ، وسرور بلا حزن ، وفرح بلا غم ، وعز بلا ذل ، وكرامة بلا هوان ، وراحة بلا تعب ، وصفو بلا كدر ، وأمن بلا خوف ، وغنى بلا فقر ، وصحة بلا سقم ، وحياة بلا موت ، وشباب بلا هرم ، ومودة بين أهلها ، وزينة .

فهم في نور لا يشوبه ظلمة ، ويقظة بلا نوم ، وذكر بلا

(ع) : ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ عزيز مصر ، الذي هو في داره ، ومنها قوله تعالى : ﴿اذكرني عند ربك﴾ وهو الملك .

(١) المقصود : إنه لا هو ناقص ، ولا منغص أحد .

غفلة[1] ، وعلم بلا جهالة ، وصداقة بين أهلها بلا عداوة ، ولا حسد ، ولا غيبة - أخواناً على سرر متقابلين - آمنين مطمئنين ، أبد الأبدين .

ولما لم يمكن الإنسان أن يكون بهذا الجسد الحسي ، والجسم الطويل العريض العميق المظلم ، المركب من أجزاء الأركان المتضادة ، المؤلف من الأخلاط الأربعة ، إذ كان هذا لا يليق بتلك الأوصاف الصافية ، والأحوال الباقية ، فاقتضت العناية بواجب حكمة الباري جل ثناؤه : أن ينشيء خلقاً نشأ آخر ، كما ذكر في قوله تعالى : ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون﴾ النشأة الأخرة ، ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ فبعث الله جل ثناؤه لهذا السبب أنبياء إلى عباده ، يبشرونهم بها ويدعونهم إليها ، ويرغبونهم فيها ، ويدلونهم على طريقها : يطلبونها : مستعدين قبل الورود إليها .

ولكيما يسهل عليهم مفارقة مألوفات الدنيا من شهواتها ولذاتها ، ويخفف عليهم أيضاً شدائد الدنيا ومصائبها ، إذ كانوا يرجون بعدها ما يعمرها : ويمحو ما قبلها من نعيم الدنيا وبؤسها ، ويحذرون فوت نعيمها[2] ، فإنه من فاتته فقد خسر خسراناً مبيناً .

فهذا هو دِيننا واعتقادنا - يا راهب - في معاملتنا مع ربنا وبهذا الاعتقاد طاب عيشنا في الدنيا ، وسهل علينا الزهد فيها وترك

---

(١) كما قال رسول الله (ص) :

«ان أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، ولا يتفلون ولا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يمتخطون .

قالوا : فما بال الطعام :

قال : جشاء ، [أو رشح] كرشح المسك ، يلهمون التسبيح والتحميد - وفي رواية : «التكبير» - كما تلهمون النفس رواه مسلم ، ورواه الإمام أحمد ، وأبو داوود ، وغيرهم .

(٢) «يحذرون فوت نعيمها» الضمير فيها راجع إلى الجنة .

شهواتها ، واشتدت رغبتنا في الآخرة ، وزاد حرصنا في طلبها ، وخف علينا كد العبادة ، فلا نحس بها ، بل نرى ذلك نعمة وكرامة ، وعزاً وشرفاً ، حين جعلنا أهلاً أن نذكره ، إذ هدى قلوبنا وشرح صدورنا ، ونور أبصارنا ، لما تعرف إلينا بكثرة أعمالنا[1] وفنون إحسانه» .

فقال الراهب : جزاك الله خيراً من واعظ ما أبلغه ، ومن ذاكر أحسانه ما أرفعه ، ومن هاد رشيد : ما أبصره ، وخطيب رفيق : ما أحزمه ، ومن أخ ناصح : ما أشفقه[2] .

وقال لقمان لابنه : «يا بني جالس العلماء ، وزاحمهم بركبتيك ، فإن الله جل ثناؤه يحيي القلوب الميتة بنور العلم ، كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء ، وإيّاك ومنازعة العلماء ، فإن الحكمة نزلت من السماء صافية ، فلما تعلمها الرجال : صرفوها إلى هوى نفوسهم» .

وقال بعضهم : «مثل العالم الراغب في الدنيا ، الحريص في طلب شهواتها ، كمثل الطبيب المداوي غيره المرض نفسه ، فلا يرجى منه الصلاح ، فكيف يشفي غيره ؟»[3] .

---

(١) بكسر الهمزة لا بفتحها : يعني استعملنا في الخير ، وجعلنا من أهله ، فالحمد لله على فضله وجوده ، قال تعالى : ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ الآية : ٥٨ من سورة يونس (ص) وقال رسول الله (ص) :
«إنكم تدخلون الجنة بفضل الله ، وتقتسمونها بأعمالكم» .

(٢) ومعنى هذا : إن الراهب اهتدى وأسلم ، والحمد لله رب العالمين .

(٣) وقال بعض أفاضل العلماء العاملين (رضي الله عنهم) :
«إذا اشتغل العلماء بجمع المال الحلال : صارت العوام تأكل الشبهة ، وإذا صارت العلماء تأكل الشبهة : صارت العامة تأكل الحرام ، وإذا صارت العلماء تأكل الحرام : صارت العوام كفاراً ، لأن العلماء إذا جمعوا الحلال فالعوام يقتدون بهم في الجمع ، ولا يحسنون العلم ، فيقعون في الشبهة .
وأما إذا أخذ العلماء من الشبهة ، وتحرزوا عن الحرام ، فيقتدي بهم الجهال ، ولا يميزون بين الشبهة والحرام ، فيقعون في الحرام .
فإذا أخذ العلماء من الحرام : اقتدى الجهال بهم ، وظنوا أنه حلال ، فيكفرون إذا استحلوا الحرام» أ . هـ والله تعالى أعلم .

وقال عيسى (ع) ، وفي بعض مواعظه لبني إسرائيل :

«أيها العلماء ، وأيها الفقهاء : قعدتم على طريق الآخرة ، فلا أنتم تسيرون إليها فتدخلون الجنة ، ولا تتركون أحداً يجوزكم ويصل إليها» .

وإن الجاهل أعذر من العالم ، وليس لواحد منهما عذر[1] .

وقال بعضهم : «من ترك الشغل بفضول الدنيا ، فهو : زاهد .

ومن أنصف في المودة : وقام بحقوق الناس ، فهو : متواضع .

ومن كظم الغيظ ، واحتمل الضيم ، والتزم الصبر فهو : حكيم .

ومن تمسك بالعدل ، وترك فضول الكلام ، وأوجز في النطق ، وترك ما لا يعنيه ، واقتصر في اموره ، فهو : عابد» .

وقيل : إن ولياً من أولياء الله تعالى لما تفكر في أمر التكليف ، والبلوى ، ولم يتجه ، وجه الحكم فيها ، قال في مناجاته : ونادى ربه :

«يا رب خلقتني ولم تستأمرني ، وتميتني ولا تستشيرني ، وأمرتني ونهيتني ولم تخبرني ، وسلطت على هوي مردياً ، وشيطاناً مغوياً ، وركبت في نفسي شهوات مركوزة ، وجعلت بين عيني دنيا مزينة ، ثم خوفتني ، وزجرتني بوعيد وتهديد ، فقلت ـ استقم كما أمرت ـ ـ أو ـ لا تتبع الهوى فيضلك عن سبيلي ـ واحذر الشيطان أن يغويك ، والدنيا أن تغرك ، وتجنب شهواتك لا ترديك ، وآمالك وأمانيك لا تلهيك ، وأوصيك بأبناء جنسك فدارهم ، ومعيشة الدنيا فاطلبها من حلال ، والآخرة فلا تنسها ، ولا تعرض عنها فتخسر الدنيا والآخرة ﴿**ذلك هو**

---

(١) لا يعذر الجاهل بجهله ، لأنه سيقال له : لم لم تتعلم ، أما العالم فمصيبته أشد المصائب ، لأن مصيبة الجاهل على نفسه ، وأما العالم فمصائب الناس على رأسه ، ونعوذ بالله من علم نهايته إلى النار

الخسران المبين﴾ فقد فصلت يا رب بين أمور متضادة ، وقوى متجاذبة ، وأحوال متباينة ، فلا أدري كيف أعمل ولا أهتدي .

أي شيء أصنع وقد تحيرت في أموري وضللت في حيرتي ، فأدركني يا رب ، وخذ بيدي ، ودلني على سبيل نجاتي ، وإلاّ هلكت» .

فأوحى الله إليه ، وأنقى في سره وألهمه إياه ، فقال له : «عبدي ، إنما أمرتك(١) لتعلم أن لك رباً هو خالقك ورازقك ، ومصورك ومنشئك ، وحافظك وهاديك ، وناصرك ومغنيك .

ولتعلم أيضاً بأنك محتاج - في جميع ما نهيتك عنه - إلى عصمتي وحفظي ورعايتي ، وإنك لي محتاج في جميع تصرفاتك وأحوالك : في جميع أوقاتك ، ومن أمور دنياك وآخرتك ، ليلاً ونهاراً ، فإنه لا يخفي على من أمورك صغير ولا كبير ، ولا سر ولا علانية ، وليتبين لك ، وتعرف أنك مفتقر ومحتاج إلي ، فلا بد لك مني ، فعند ذلك : لا تعرض عني ، ولا تتشاغل عني ، ولا تنسني ، ولا تتشاغل بغيري ، بل تكون في دائم الأوقات في ذكري ، وجميع حوائجك تسألني ، وفي جميع متصرفاتك تخاطبني ، وفي جميع خلواتك تناجيني وتشاهدني وتراقبني ، وتكون منقطعاً إلى من جميع خلقي ، ومتصلاً بي دونهم ، وتعلم بأني معك : حيث ما تكون قدامك(٢) . وإن لم ترني ، فإذا أردت هذه كلها ، وتنقلب ، وبان لك حقيقة ما قلته ، وصحة ما وصفت : تركت كل شيء وراءك ، وأقبلت إلي وحدك .

---

(١) في المخطوطة : «عبدي فعلته لمن إنما أمرتك» وواضح أنه خطأ من الناسخ ، أو فيه كلام منطوط ، والله تعالى أعلم .

(٢) كما تقول لرجل آخر : أنني قدامك في هذا الأمر كناية عن الإعانة والعناية به .

فعند ذلك : أقربك مني ، وأوصلك إلي ، وأرفعك عندي ، وتكون من أوليائي وأصفيائي وأهل جنتي ، في جواري ، مع ملائكتي ، مكرماً مفضلاً مسروراً ، فرحاناً منعماً ، ملذذاً ، آمناً ، تبقى سرمداً أبداً دائماً .

فلا تظن بي يا عبدي سوءاً ، ولا تتوهم على غير الحق ، واذكر سالف أنعامي ، وقديم إحساني إليك ، وجميل آلائي لديك ، إذ خلقتك ﴿ولم تك شيئاً مذكوراً﴾ خلقاً سوياً ، وجعلنا لك سمعاً لطيفاً ، ونظراً حاداً ، وحواس دراكة ، وقلباً ذكياً ، وفهماً ثاقباً ، وذهناً صافياً ، وفكراً لطيفاً ، ولساناً فصيحاً ، وعقلاً رصيناً وبنية تامة ، وصورة حسنة ، وحساً دراكاً ، وأعضاء صحيحة ، وأدوات كاملة ، وجوارح طائعة .

ثم ألهمتك الكلام والمقال ، وعرفتك المنافع والمضار ، وكيفية التصرف في الأموال والصنائع والأعمال ، وكشفت الحجب عن بصرك ، وفتحت عينيك للنظر إلى ملوكتي ، وترى مجاري الليل والنهار ، والأفلاك الدوارة ، والكواكب السيارة ، وعلمتك حساب الأوقات والأزمان ، والشهور والأعوام ، والسنين والأيام ، وسخرت لك ما في البر والبحر من المعادن والنبات والحيوان ، تتصرف فيها تصرف الملاك ، وتتحكم عليها تحكم الأرباب .

فلما رأيتك متعدياً جائراً ، باغياً خائناً ، ظالماً طاغياً ، متجاوزاً الحد والمقدار ، والعدل والانصاف ، والحق والصواب ، والخير والمعروف ، والسيرة العادلة : ليدوم لك الفضل والنعيم ، وينصرف عنك الأذى والنقم ، وعرضتك لما هو خير لك وأفضل وأشرف ، وأعز وأكرم ، وألذ وأنعم .

ثم أنت تظن في ظنون السوء ، وتتوهم على غير الحق .

يا عبدي : إذا تعذر عليك فعل شيء مما أمرتك به فقل : لا

حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم ، كما قالت حملة العرش لما ثقل عليهم حمله .

فإذا أصابتك مصيبة فقل ـ ﴿انا لله وإنا إليه راجعون﴾ كما يقول أهل صفوتي ومودتي .

وإذا زلت بك القدمان في معصيتي ، فقل كما قال صفيي آدم وزوجته ـ (ع) ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ .

وإذا أشكل عليك أمر ، وأهمك رأي ، أو أردت رشداً وقولاً صواباً ، فقل كما قال خليلي إبراهيم (ع) ﴿الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذي يميتني ثم يحيين * والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين * رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين * واجعل لي لسان صدق في الأخرين * واجعلني من ورثة جنة النعيم * واغفر لأبي إنه كان من الضالين * ولا تخزني يوم يبعثون * يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلاَّ من أتى الله بقلب سليم﴾(١) .

وإذا أصابتك مصيبة غم ، فقل كما قال يعقوب : ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ .

وإذا جرت خطيئة ، فقل كما قال كليمي موسى (ع) ﴿هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين﴾ .

وإذا صرفت عنك معصيتي ، فقل كما قال يوسف (ع) ﴿ما

(١) الآيات من ٧٨ ـ ٨٩ من سورة الشعراء ، وليست هذه الآيات كلها في المخطوطة ، وإنما فيها[﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ إلى قوله : ﴿إلاَّ من أتى الله بقلب سليم﴾] : فأوردت الآيات كاملة إتماماً للفائدة .

أبـريء نفسي إن النفس لأمارة بـالسوء إلاّ مـا رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾[١] .

وإذا أبتليت بفتنة ، فافعـل كما فعـل داوود خليفتي ﴿فاستغفـر ربه وخر راكعاً وأناب﴾ .

وإذا رأيت العصـاة من خلقي ، والخاطئين من عبـادي ، ولـم تـدر مـا حكمي فيهم ، فقـل كمـا قـال المسيـح (ع) : ﴿إن تعـذبهم فـإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ .

وإذا استغفـرتني وطلبت عفـوي ، فقــل كمـا قــال حبيبي محمـد (صلوات الله عليه وعلى أنصاره) ﴿ربنـا لا تؤاخذنـا إن نسينا أو أخـطأنا ربنـا ولا تحمل علينـا اصراً كمـا حملته على الـذين من قبلنا ربنـا ولا تحملنا ما لا طاقة لنـا بـــه وأعـفـعنـا واغفر لنـا وارحـمنــا أنت مـولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ .

وإذا خفت عـواقب الأمور ، ولم تـدر بمـاذا يختم لـك فقـل كمـا يقول أصفيائي : ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هـديتنا وهب لنـا من لدنـك رحمة أنك أنت الوهاب * ربنا إنك جامع النـاس ليوم لاريـــب فيـــه إن الله لا يخلف الميعاد﴾ .

---

(١) في الواقع أن هذا الكلام من كلام امرأة العزيز ، لأن سيـاق الكلام يقتضي هـذا ، وأما الذي قاله ذلك الولي : فله فيه سلف منهم مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وابن أبي الهذيـل، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والسدي وغيرهم .

قال ابن كثير(رحمه الله تعالى)ـ وكان قد ذكر أن هذا الكلام : كلام المـرأة ، لا كلام يوسف (ص) ـ ، قال : «والقـول الأول أقوى وأظهـر ، لأن سياق الكـلام كله من كلام امـرأة العزيـز بحضرة الملك ، ولم يكن يـوسف (ع) عندهم ، بـل بعد ذلـك أحضـره الملك» . اهـ .

(٣)

رسالة روح القدس

- استهـــلال .
- تقــديم .
- المقــدمـــة .
- رسالة روح القدس .
- وبـه ثقتي .

استهلال

كان لهذه الرسالة النادرة «روح القدس» قصة غريبة عجيبة ، فمنذ عشر سنوات ماضية قابلني أحد الأصدقاء وكان وثيق الصلة بالمرحوم الشيخ (الشعيبني) الذي كانت إقامته دائماً بالجامع المسمى بمسجد «الجمالي يوسف» بالحمزاوي الكبير ، واسم الشارع التاريخي :

«**السلطان الصاحب**» :

وأخبرني هذا الصديق أنه زار الشيخ ، فأخبره أن عينيه قد أصابهما ضعف حتى أصبح لا يقوى على القراءة ، وطلب أن أقرأ عليه مخطوطات ثلاثاً ، وهي لثلاثة من الرجال أتوا بهم إليه في أزمان مختلفة ، وليس بينهم معرفة ببعض ، وطلب من كل واحد منهم على حدة أن يمهله حتى يستعين بمن يجد فيه الأهلية في استعانته به .

وخلاصة الأمر أنه قد ردّ لكل صاحب مخطوطة مخطوطته ، بعد قراءتي لها عليه .

ثم قال لي : في إحدى زياراتي له : اكتب ما أمليه عليك فكتبت :

«**الأولى** : بها من أكلة الأرض ما يخل بتمامها .

الثانية : بها أسطر ساقطة يجعلها غير صالحة للنشر .

الثالثة : ليس بها من العيوب ما في الأثنتين ، وإنما فيها ما هو أقبح ، حيث أضرب الناسخ صفحاً عن أجزاء كثيرة من الرسالة ، فأصبحت بهذا لا تتفق مع سلامة السرد في السياق» أ . هـ .

ثم قال لي هذا الصديق : فلا أدري هل أخذت منه هذه الورقة ؟ أم احتفظ بها لنفسه ! . وناشدني أن أحاول العمل على نشرها ببحثي في دار الكتب ، أو مكتبة الأزهر الشريف ، أو مكتبة الجامعة العربية ، فيما سيأتي من الأيام .

إلاَّ أن الله سبحانه وتعالى أراد ألا يكون فيما مضى من الزمن أن تظهر هذه الرسالة الغالية لعوائق كثيرة شتىٰ .

ومن الغريب الذي يستدعي مني السجود شكراً لله ، إنه سبحانه وتعالى قد ساقها إلي هدية خالصة من رجل طيب ، ألح في قبولي لها منه ، فأخذتها شاكراً ممتناً .

وهي تقع في مائة وأربع صفحات ، وكان تمام طبع هذه الرسالة المباركة المنيفة بمطبعة الحجر بمصر المحروسة ، وذلك في أوائل شهر القعدة الحرام سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف من هجرة خاتم الأنبياء والرسل الكرام (ص) .

تقـديم

لقد خلف الإمام ابن عربي فيما خلف من مصنفـات تراثـه الروحي الضخم الرائع مـا قال صـاحب «لسان الميـزان» : «وصنف كتباً كثيـرة ، منهـا ما هـو كراسـة واحـدة ، ومنهـا مـا هـو مـائـة مجلد ، ومـا بينهمـا» ا . هـ .

ومؤلفـاتـه على كثـرتهـا ، تـدلنـا على أن الأصـل في التصـوف الحقيقي : العكـوف على العبـادة والانقـطاع إلى الله ، والإعـراض عن زخرف الدنيا وزينتها قـدر الإستطاعة، والـزهد فيمـا يقبل عليـه الجمهور من لذة ومال وجاه .

وبهـذا نـرى أن التصـوف حين كـان في أول مـراحله استجـاب الصوفية لتعاليم الله خـوفـاً من عـذابـه وطمعـاً في نعيمـه ، لأن الآداب ثلاثة : آداب الشريعة ، وآداب الطريقة ، وآداب الحقيقة .

فآداب الشريعة : امتثال الأوامر واجتناب المناهي .

وآداب الطريقة : شهود المنـة .

وآداب الحقيقة : معرفة مالك وما لله سبحـانه وتعـالى ، فلك الفقر والعجز والضعف والذلة .

والله الغني والقوة والعزة .

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي (رضي الله عنه) : من عرف نفسه بالفقر عرف ربه بالغني ، ومن عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة ، ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة ، ومن عرف نفسه بالذلة ، عرف ربه بالعزة .

والحاصل : أن العبودية لها أوصاف أربعة ، والربوبية لها أوصاف أربعة ، فأوصاف العبودية الفقر والضعف والعجز والذلة ، وأوصاف الربوبية الغنى والقوة والقدرة والعزة . فكلما تحقق السالك بوصف العبودية ، أمره الرب بوصف من أوصاف الربوبية .

قال في «الحكم»[1] كن بأوصاف ربوبيته متعلقاً وبأوصاف عبوديتك متخلقاً .

وما أحسن ما قيل في هذا المعنى .

أنا لا أعرف إلاَّ أنتم فأجبروني بعطاء منكم
كل شخص لعزيز ينتمي وعزيزي ليس إلاَّ أنتم

وقد حدا بهم هذا إلى حب الله حباً عبروا عنه بفنائهم عن أنفسهم وبقائهم بالله وحده ، وجعلوا هذا الحب غاية حياتهم ومنتهى آمالهم .

---

(١) هي حكم مولانا «ابن عطاء الله» .

المقـدمة

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

بعد ما أحمد الله تعالى وأصلّي وأسلّم على نبيه الأكرم .

أقـول : إن من المعلوم بالبـداهة أن الإنسـان لا يكون كـامـلاً في نـظر العقلاء الأولى لا يـألون جهـداً في تحصيل المعـرفة والفهم عن الله ومحبـة دينه إلاّ إذا كـان مثلهم ، آخذاً بنفسـه نحو تعضيـد دينه بـالبحث عن حقـائقـه والتنقيب عن فضـائله ، لتتجلى لـه الحقـائق الـدينيـة التي عليها مدار الحياتين ، وتنجلي الفضائل الروحيـة التي تجعله محباً لـوطنه مشفقـاً على أهله وعشيرتـه وكـل ذي كبـد رطب ، ممـا يجعله فـرحـاً مسـروراً لأن هذه الفضـائل التي يتحلى بهـا كـل مؤمن ، هي التي تـدور على قطبها رحى السعادتين .

لـذلـك أراني ولـوعـاً في بيـان حقيقـة ديننـا الأقـوم ، دين العلوم والمعـارف ، ومـا يـطلبـه منـا من معـرفـة العقـائـد السليمـة من الكتـاب والسنـة ، وشرح أوامـره ونواهيـه ، وغير ذلـك من إنضمام التصـديق إلى العمل . . فوجـدت بغيتي بفضل الله في هـذه الرسـالة المسمـاة ـ «روح القدس» لمؤلفها سيدي :

«محي الدين بن عربي» التي يقول في أولها عن نفسه :

«إنها من العبد الضعيف الناصح الشفيق المأمور بالنصح لإخوانه والمشدد عليه في ذلك دون أهل زمانه» .

وقد آثر أن يوجه هذا النصح والتذكير بالأمر والنهي ، إلى ولي وأخ له في الله ، ذلك لأنه بمثابة الركن الوثيق ، فهو من المحبين للذي سيلقى إليه من المعارف والحقائق - وقليل ما هم - في كثير من العصور .

وهذا الأخ الولي هو «محمد بن عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي» نزيل «تونس» .

رسالة روح القدس

ميزة هذه الرسالة النفيسة . إنها من العبد الضعيف الناصح الشفيق ، المأمور بالنصح لإخوانه والمشدد عليه في ذلك دون أهل زمانه .

وهو(رضي الله عنه) موجهاً الحديث فيها إلى وليه[1] في الله «محمد بن عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي» نزيل تونس ، (أبقاه الله تعالى) محفوظاً. وبعون الصون والرعاية ملحوظاً . . إلى أن يقول : أما بعد يا أخي[2] فإن النصح[3] أولى ما تعامل به رفيقان . وتسامر به صديقان . وقلما دامت اليوم صحبة إلّا على مداهنة[4] وقد

(١) الأولياء : جمع ولي والولي هو من تولى طاعة الله لا يفتر عنها طرفة عين ، لأن ملازمة ذكر الله تعالى وإكثاره من علامة الولاية ومن جهة التفضل أن الله تعالى يتولى أمره بحيث لا يكله إلى غيره .

(٢) تستعمل كلمة «أخ» في الدين . ﴿إنما المؤمنون أخوة . .﴾ والأخوة في أخ الولادة .

(٣) النصح من الناصح : وصف من أوصاف الكمال لكل من اتصف بالنصيحة لكافة المسلمين التي هي الدين كله كما في الحديث . . ناصحاً لعباد الله تعالى لا سيما من استشاره في أموره فينصحه بما يعرف أنه الأصلح في دينه ودنياه . قال (عليه الصلاة والسلام): «الدين النصيحة لله ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم» ومنها أن يكون مشفقاً ، أي خائفاً عليهم .

(٤) مداهناً : أي مخفياً للحق . قال القرطبي : المداهنة : المصانعة ، وقيل داهنت بمعنى =

ثبت أن النبي (ص) قال : «ما ترك الحق لعمر من صديق» .

وخلاصة ما قاله (رضي الله عنه وأرضاه) : أتهام النفس الأمارة بالسوء المتبعة للشهوات المائلة إلى الهوى المجانبة للحق والهدى فيما تأمر به وتنهى عنه ، وعداوتها أكيدة قال (عليه الصلاة والسلام) «أعدى الأعداء نفسك التي بين جنبيك» .

وأكثرية النفوس أمارة بالقبائح والمعاصي لاستلذاذها بها ، ومن هنا وجب القول بأن كل من كان أوفر عقلاً وأجل قدراً عنده تعالى كان أبصر بعيوب نفسه ، ومن كان أبصر بها كان أعظم إتهاماً لنفسه ، وأقل إعجاباً ـ إلاّ ما رحم ربي ـ من النفوس التي عصمها .

* * *

وبالجملة فالشيخ (رضي الله عنه) ما سرد في هذه الرسالة من معارف وحقائق إلاّ والشرع زمامه فينقل لنا ما يستشهد به من التأصيل النقلية عن رسول الله (ص) وكتاب الله الكريم .

ولقد سئل المشايخ الصوفية عن الإسلام فقالوا : هو ذبح النفس بسيوف المخالفة . أي لأنها إذا اعتادت اللذات لا تنصرف إلى الطاعات إلاّ بالمجاهدات والتوبيخات الشديدة ، ولذا سميت هذه الأمور سيوفاً ، وذبحها قهرها ونقلها عن هواها . وقد قال بعض الكتاب إن هذا القول منسوب إلى «ذو النون[1] المصري» والحقيقة أنها ليست له .

ومما قاله عن هموم الداعية قوله : وقل يا وليي أن تجد اليوم للناصح من صديق .

= واريت ، وادهنت بمعنى غششت . .

(١) هو أبو الفضل ثوبان بن إبراهيم ذو النون المصري ولد باخميم من أعمال صعيد مصر حوالي سنة ١٨٠ بعد الهجرة .

ولقد قلت في ذلك شعراً :

لما لزمت البحث والتحقيقا ... لم يتركا لي في الأنام صديقا
ولعمري والله ما كذبت ... ولا قلت إلاّ ما وجدت

* * *

والشيخ(رضي الله عنه)لا يعتريه الملل أو الفتور في الدعوة إلى الله بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ، والنصيحة الدائمة ، لأنه يخشى على إخوانه في الدين هؤلاء الأربعة :

إني أبتليت بأربع ما ساطوا ... إلاّ لشدة شقوتي وعنائي
أبليس والدنيا ونفسي والهوى ... كيف الخلاص وكلهم أعدائي

* * *

وما أظن أن هناك في تراث الشيخ «محي الدين بن عربي» ما هو أجمع لحياته الروحية باختصار جامع إلاّ هذه الرسالة العصماء ، إذا ما استثنينا كتابه الكبير الرائع «الفتوحات المكية» لأنه الموسوعة الكبرى في كل العلوم الشرعية ، وهذا الاستثناء من أجل التركيز على دراسة هذه الرسالة الفريدة لطلاوتها وتأريخها لكل مناسبة في رحلات الشيخ وانتقالاته ، وذكر أسماء من التقي بهم ، و التقوا هم به ، مع ذكر مناقبهم وخصوصيات كل فرد على حدة ، وذكر أسماء هذه البلاد التي شاهدهم بها وعلى الأخص مصر (القاهرة) وهو في كل ذلك لا يطلب بغير كتاب الله وسنة نبيه ورسوله الأكرم بديلاً ، حتى نراه يهون من شأن العقل أمام حكم الشرع إذ يقول :

لا تعتقد غير الذي تتلوه في النـ ... ـص الذي نطق الكتاب المحكم
وعليه فاعتمدوا وقولوا مثلما ... قد قاله عن نفسه واستلزموا
واعبد إله الشرع لا تعبد إلـ ... ـه العقل من هادوا إليه وسلموا
فالناس مختلفون في معبودهم ... فمنزه معبوده ومجسم

وهـو يتحدث إلينـا في كل كتبـه أو رسائله عن التمسـك بالشـريعة والعمل بنصوصها ، فمن ذلك مـا قالـه عن كتابـه «الفتوحـات» اعلم أني لم أقـرر بحمد الله تعـالى في كتابي هـذا أمراً غيـر مشروع . وذلـك في بـاب الكـلام عن الأذان . . وبقـولـه في البـاب الخـامس والستـين وثلاثمائة : واعلم أن جميع ما أتكلم به في مجـالسي وتصانيفي إنمـا هو من حضـرة القرآن وخـزائنه ، فـإني أعطيت مفـاتيـح الفهم فيـه والإمـداد منـه ، كـل ذلـك حتى لا أخـرج عن مجـالسـة الحق تعـالى ومنـاجـاتـه بكلامه . ا . هـ .

* * *

ومن الصـدق البين أن الشيخ محيي الـدين (رضي الله عنه) ما مـال عن جادة الطريق حتى في صغره ، أو حاد مـدة حياتـه عن محور الآداب الشـرعية ، لـذلك كـان القطب الـذي تدور عليـه رحى السعادة والقـدوة المتبعة في العلوم والأخلاق يـأخذهمـا من كتاب الله وسنـة حبيبه رسـول الله (ص) ، وقـد وقفت في طـريقـه الأعـداء ، وكم مهـدت لـه أعــداؤه عقبــات التـأخـر ، وجعلت فيمـا بينــه وبين مبتغاه الحجب الحــالكـة والسحب المظلمة ، ولكنه بفكره الثـاقب ورأيه الصـائب بتوفيق من الله ، محي ديـاجير السحب بنـور الشريعـة الغراء فـطلعت شموسهـا في سمـاء القلوب حتى أشـرقت بسناهـا أرجاء الأنحـاء وأضاءت بشعـاعها الصـدور والوجوه .

تنبئــك عن ذلــك كله تلك الغــزوات المســطرة وقـائعهــا على صفحات تواريخها في هذه الـرسالـة التي تجري فيهـا النصح والنصيحـة لكافة المسلمين ، إذ النصح هو الخلوص والتصفيـة وكلما إزداد الإيمـان قوة وكمالاً وتوفرت دواعيـه زادت النصيحة بحب الـرحمة والشفقـة . وقد حقق بـذلك ، فـإنـه(رضي الله عنـه)لم يكن مصـانعـاً بـالـدين لتسلم لـه الدنيا ، كما هي حقيقة المداهنة .

* * *

وقــد خلف ابن عـربي (رضي الله عنه) فيمـا خلف من مصنفـات وتـآليف مـا تحـدث فيهـا عن مـوضـوع في الـروحيـات أو في نصــوص الشريعة ، إلاَّ وهو يرجو ويحاول بشتى الكلمات الموحية بنصرة الإنسـان المسلم وكل من يطلب الهداية ، بإقامتـه في حياتـه على السعادة ، وهي كل ما ينفعه في الآخرة .

ومن هذه المصنفات التي في المنتوى أن تقوم بنشـرها مكتبـة عالم الفكر إن شاء الله :

١ ـ كتـاب «البغية» وهـو عن صوفيـة الصوف الـذين هم بأغـراض الدنيـا مـوشحون واتخـذوا ظاهـر الدين شـركـاً المحـطام . ثم يعقب بـأهـل الحظوة من الصوفية العاملين الذين ذكروا الله بقلوبهم تعـظيماً لـربهم لمعـرفتهم بجلالـه ، فهم حجج الله تعـالى على خلقـه ، ألبسهم الله النــور الســاطــع في محبتــه ، ورفــع لهم أعــلام الهــدايــة إلى مواصلته . . . الخ .

٢ ـ كتاب «عنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب» .

وسبب تـأليف هذا الكتـاب أن الشيخ (رضي الله عنـه) كان يجلس معه الشيخ أبـو يحيى بن أبي بكر الصنهـاجي وهو من أهـل المعارف والإشـارات والتمكين وقل أن تلقى مثله «هكـذا يقـول سيـدي محـي الـدين» وكان بيني وبينـه مسائـل من الحقائق كثيـرة يضيق الوقت عن ذكرها ، ألف من أجله كتاب «عنقاء مغرب» .

٣ ـ كتاب «الدرة الفاخرة في ذكر من انتفعت به في طريق الآخرة» .

* * *

والشيخ (رضي الله عنه) كان يعلم وينتقد من يـراه يحدث خللاً في عقيدته الإسـلامية . ولـذا يخاطب من كتب لـه هذه الـرسالـة : فإيـاك يا أخي ـ عـافـاك الله من الـظن السـوء ـ أن تـظن في أني أذم الفقهـاء من

أجل أنهم فقهاء أو لنقلهم الفقه ، لا ينبغي أن يظن هذا بمسلم ، وأن شرف الفقه وعلم الشرع لا خفاء به . ولكن أذم من الفقهاء : الصنف الذي تكالب على الدنيا وطلب الفقه للرياء والسمعة وابتغى به نظر الناس . . ص ١١٤ .

كما أني ذممت الصوفية في كتابي هذا ولم أرد به الصادقين وإنما أعني الصنف الذي تزيا بزيهم عند الناس وباطنه بخلاف ذلك .

إلى أن يقول : وكذلك ذمي للصوفية ، أذم هذا الصنف الذي ذكرت فإن الحلولية[1] والإباحية وغيرهم .

من هذا الطريق ظهروا وتظاهروا واتصفوا فهم قرناء الشيطان وحلفاء الخسراء ١١٥ و ١١٦ .

وسأسرد عليك أيها القارىء الكريم بعض مشاهد قليلة من رحلات سلطان العارفين «محي الدين» لأن هذه العجالة تضيق عن ذكرها جميعاً .

يقول الشيخ عن سكان الخانقاهات :

يدخل بينهم الصادق والصديق فيجهل ، والعارف المتمكن فيترك ويهمل ، فإنه يحمل على ما هم عليه لاشتراكهم في المسكن ، وما بينه وبينهم معاملة في شيء .

ولقد وقع بيدي منهم بمصر في الخانقاه بالقاهرة ، كهل يقرب أن يكون رجيلاً لا بأس به ، ففرحت به لما لم أجد غيره . . . ص ٣٩ .

* * *

---

(١) حلول : تستعمل هذه الكلمة للدلالة على حلول اللاهوت في الناسوت وهي عقيدة النصارى .

هذا اللفظ من الأدلة الواضحة على أنه لا يقول بالحلول .

وعن الصالحين من المشايخ والإخوان والنساء يقول(رضي الله عنه)لوليه الذي كتب من أجله الرسالة : لو دونت لك أحوالهم وسطرت كما سطرت أحوال من تقدم لرأيت الحال الحال والعين العين في الأعمال والجد والإشارات وصحة القصد فياوليي تعال نقم مأتماً للفراق وننذب إخواننا الظاعنين وأنا أنشر لك من بعض أحوال من لقيت .
فمنهم وهو أول من لقيته في طريق الله «أبو جعفر العريني»(رضي الله عنه) وصل إلينا ـ إلى إشبيلية في أول دخولي إلى معرفة هذهالطريقةالشريفة ـ فكنت أول من سارع إليه ، فدخلت عليه فوجدت شخصاً مشتهراً بالذكر فتسميت لـه وعـرّف حـاجتي . فقـال لي : عـزمت على طـريق الله تعالى ؟؟ فقلت له : أما العبد فعازم ، والمثبت الله . فقال لي : سد الباب واقطع الأسباب وجالس الرهاب (أي الذين يرهبون عذابه ويطلبون رضاه) ـ يكلمك الله من دون حجاب فعملت عليها حتى فتح لي . . ص ٨٨ .

ومنهم شيخنا وإمامنا «أبو يعقوب يوسف بن يخلف الكوهي العبسي» (رضي الله عنه) ، صحب أبا مدين (رضي الله عنه) ولقي رجالاً بهذه البلاد ، سكن ديار مصر مدة وتأهل بمدينة الإسكندرية ، مناقبه وكراماته وإشاراته أكثر من أن تحصىٰ .

ومن شعري فيه حين فارقته وأنا متوجه إلى مراكش وهو بـ «سيلي قاطن» . . ص ٩١ .

إذا قيل من في الوجود أشرف   يوسف بن يخلف
رب المعالي ، قلب المعاني   أرق شخص : قلباً وألطف

والقصيدة طويلة أودعتها كتاب «إنزال الغيوب على مراتب القلوب» ص ٩٤ وهي فيما له(رضي الله عنه) في هذه الطريقة من نظم ونثر وخاصة فيما أفاده في مسألة «الوصال» وحديث «أنا سيد ولد آدم»

و «آدم ومن دونه تحت لوائي» .

و «التدبير نصف العيش» . «وإذا أحب الله عبداً ابتلاه» . «وقلب القرآن يس» .

ولم يسبقه أحد إلى هذه المسألة في بلادنا وغير ذلك مما لا أتذكره : (كل ذلك قاله الشيخ) .

ومنهم(رضي الله عنهم)«أبو عمران موسى بن عمران المارتلي» أنشدني لنفسه في شعر مجلس يخاطب نفسه ص ١٠٢ :

فأنت ابن عمران موسى المسيء　　　ولست ابن عمران موسى الكليما

ولهذا الشيخ شأن كبير ومعرفة تامة وأدب عظيم مقبوض في عموم أحواله ، حسن البشاشة لزُواره . لنا معه مواطن عجيبة كانت همته متعلقة بالله في حفظنا وعصمتنا من الفتن والرجوع ، فقضي حاجته في ذلك وشهد لي وبشرني . وقال لي منه إلي بمحضر صاحبي (عبد الله بدر الحبشي) . كنت أتخوف عليك جداً لصغر سنك ، وعدم المعنى وفساد الزمان ، وما ظهر لي في أهل هذه الطريقة من الفساد ، وهم الذين ألزموني العزلة لما عاينت من فساد الأحوال ، فالحمد لله الذي أقر عيني بك .

ومنهم(رضي الله عنهم)«أبو محمد عبد الله بن محمد بن العربي الطائي» وهو عمي شقيق والدي ، دخل هذه الطريق في آخر عمره وهو في عمر الثمانين ، فلازم المجاهدة ص ١١٠ .

ومنهم(رضي الله عنهم). الإخوان الشقيقان أبو عبد الله محمد الخياط ، وأبو العباس أحمد الإشبيليني(رضي الله عنهما) .

صاحبتهما زماناً بإشبيلية إلى عام تسعين وخمسمائة خرجا يريدان الحج ، وهو العام الذي رحلت فيه إليك «يقصد أبو العباس أحمد» . ووصلا مكة . فأما أحمد فجاور بها سنة ، وخرج إلى مصر ودخل

طريق الملامتية . وأما محمد فجاور بها خمسة أعوام ولحق بأخيه بمصر ، فأقمت معهما . وبأبي عبد الله زمانة (أي مرض) .

ولذا ظل معهما ـ أي الشقيقان ـ وقال (رضي الله عنه) فصمت معهما رمضان وخرجت إلى القدس الشريف ومشيت إلى مكة (شرفها الله تعالىٰ) وأقمت بها ، وظل «أحمد» في خدمة أخيه . لقي شيخنا العريني وأبا عبد الله بن جنيد وجماعة من أصحابنا أراد صحبتنا ألى مكة لولا مرض أخيه ولو كان صحيحاً رحلنا بجملتنا ، حلت بمصر المسغبة والوباء الذي هلك فيه أهلها .

في ختام هذه الوريقات أحمد الله الذي جعل نظام الأنام منوطاً بالأحكام والشرائع ، ونصب أئمة الدين وعلماء اليقين لسد المفاسد والذرائع (أحمده) حمد من سقاه الله من خمر محبته شراب اليقين ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له شهادة تخرج الفؤاد من ضيق الاحتجاب إلى النور المبين ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله موضح طريق المقربين .(صلّى الله عليه وعلى آله و صحبه)الذين مشوا على طريقته وتحققوا بحقائق الدين .

(وبعد) فيقول الفقير إليه تعالى (بدوي طه علام)(غفر الله ذنوبه) وستر في الدارين عيوبه هو ووالديه وأحبائه وجميع المسلمين آمين :

هذه رسالة «روح القدس» تأليف الشيخ الإمام العارف بالله تعالى أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الأندلسي (رضي الله عنهم) ونفعنا بهم آمين أقدمها للقارىء المنصف الذي يخاف الله ربّ العالمين ، ويتقي الله في أعراض علماء المسلمين ، وليستبين الحق الواضح من الضلال المبين .

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم
وبـه ثقتي

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله .

من العبد الضعيف الناصح الشفيق المأمور بالنصح لإخوانه . والمشدد عليه في ذلك دون أهل زمانه :

محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي (وفقه الله تعالى) : إلى وليه في الله تعالى وأخيه الركن الوثيق أبي محمد بن عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي نزيل تونس(أبقاه الله تعالى). محفوظاً . وبعون الصون والرعاية ملحوظاً .

سلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أما بعد : فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو .

وأصلّي على سيّدنا محمد على آله وسلّم تسليماً .

أما بعد يا أخي فإن النصح أولى ما تعامل به رفيقان وتسامر به صديقان .

وقلما دامت اليوم صحبة إلاّ على مداهنة ، وقد ثبت أن النبي (ص) قال : «ما ترك الحق لعمر من صديق» وقال أويس القرني (رضي الله عنه) لرجل من مراد : يا أخا مراد إن الموت وذكره لم يترك لمؤمن

فرحاً وإن علم المؤمن بحقوق الله تعالى لم يترك في ماله فضة ولا ذهباً وإن قيامه لله بالحق لم يترك له صديقاً .

روينا عن أويس(رضي الله عنه) من طريق مخلد بن جعفر عن محمد بن حريز عن محمد بن حميد عن زافر بن سليمان عن شريك بن جابر عن الشعبي عن رجل من مراد عن أويس(رضي الله عنه) وكل إنسان يقبل النصح من غيره لا من نفسه إلاّ من وفقه الله فحينئذ يلتذ بسماع معايب النفس لا سيما إذا أرسلتها يا أخي في مجلسك مطلقة من غير تعيين . نقر لك بأن هذا هو الحق فإذا قلت لها إياك عنيت بهذا الكلام والمؤمن مرآة أخيه وقد رأيت فيك ما أوجب على أن أقول لك فيه شمخت النفس وقالت سبحان الله إنما أنا مرآة نفسك رأيت في ، ومثلي من يُقال له هذا ؟ ! لأن النفس عمياء عن عيوبها بصيرة بعيوب غيرها ، فأدى نصحك لها في أمر واحد إلى ارتكاب محظورات كثيرة من الكذب والنفاق وقل يا وليي أن تجد اليوم للناصح من صديق ، ولقد قلت في ذلك شعراً :

لما لزمت البحث والتحقيقا   لم يتركا في الأنام صديقا
ولعمري والله ما كذبت   ولا قلت إلاّ ما وجدت

ويعلم ولي الله (أبقاه الله تعالى) إني ما عاشرته أيام إقامتي عنده إلاّ بالمناصحة حتى ذكر لي يوماً على العشاء وقال لي مواجهة إنك كثير الانتقاد واحتج علي بمسألة إبراهيم بن أدهم ثم استشهد بقول القائل .

وعين الرضا عن كل عيب كليلة   كما أن عين السخط تبدي المساويا

فاعربت له (وفقه الله)أن ذلك النصيب مقام من أحبك لنفسه وأما من أحبك لك فلا سبيل ولما كان حب الله إيانا لنا لا لنفسه نبهنا على معايبنا وأظهر لنا نقائصنا ودلنا على مكارم الأخلاق ومحامد الأفعال وأوضح لنا مناهجها ورفع لنا معارجها ولما أحببناه لأنفسنا ولم نتمكن في الحقيقة أن نحبه له تعالى عن ذلك رضينا بما يصدر منه مما لا

يوافق أغراضنا وتمجه أنفسنا وتكرهه طباعنا والسعيد هو الذي رضى بذلك منه تعالى ، ومن سواه يضجر ويسخط فنسأل الله تعالى العافية في ذلك لنا وللمسلمين وقد فزت يا أخي جعلني الله وإياك من الفائزين في زمانك هذا بخلال لم يقدر أن أراها من غيرك ، منها معرفتك بمرتبة العلم وأهله وعدم تعريجك على الكرامات والأحوال ومنها انقيادك للحق وتواضعك له ونزولك إليه عند من وجدته سواء كان ممن تلحظه العيون أم لا يؤبه له ولم تلحظ منزلتك الدنيوية من تعظيم الناس لك وتقبيلهم يدك وإتيان السلاطين إلى بابك وهذا غاية الإنصاف ثبتك الله ومنها قولك فيما لا تعلم لا أعلم وفيما تعلم أحب أن أسمعه من غيري فقد حزت والله يا وليي هذه الخصال التي تتطاير دونها رقاب الرجال والمقام الذي لا تغيره الأحوال ولا تزيده حسناً ووضاءة رواتب الأعمال ثم بحثك الذي لم أره من غيرك في معرفة الأنام والزمان واعتقادك أنه من فروض الأعيان من أعجب ما سمعته الأذان وتسامرت به الخلان وسارت به الركبان ثم ما وهبك الله من الصولة والقوة على الفقهاء بدلائل المكارم والفتوة الجارية مع براهيم النبوة وأما أهل زمانك اليوم يا وليي فكما قال الحكيم أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي (رحمه الله) : ضعف ظاهر ودعوى عريضة . فأول ما وصلت إلى هذه البلاد سألت عن أهل هذه الطريقة المثلى عسى أن أجد منهم نفحة الرفيق الأعلى فحملت إلى جماعة جمعتهم خانقاه عالية البناء واسعة الفناء فنظرت إلى مغزاهم المطلوب ومنحاهم المرغوب تنظيف مرقعاتهم بل مشهراتهم وترجيل لحاهم غير أنهم يدعون أن أهل المغرب أهل حقيقة لا طريقة وهم أهل طريقة لا حقيقة وكفى بهذا الكلام فساداً إذ لا وصول إلى حقيقة إلاّ بعد تحصيل الطريقة وقد قال الإمام المقدم والصدر المبرز أبو سليمان الداراني (رحمة الله عليه) وإنما حرموا الوصول إلى الحقيقة بتضييعهم الأصول وهي الطريقة وقد شهدوا على أنفسهم بفراغهم من الحقيقة فهي شهادتهم بعينها أنهم على غير

الطريقة وهاتان جهالتان منهم وهم لا يشعرون فالزمان يا وليي اليوم شديد شيطانه مريد وجباره عنيد علماء سوء يطلبون ما يأكلون وأمراء جور يحكمون بما لا يعلمون وصوفية صوف بأغراض الدنيا موشحون عظمت الدنيا في قلوبهم فلا يرون فوقها مطلباً وصغر الحق في أنفسهم فاعجلوا عنه هرباً حافظوا على السجادات والمرقعات والمشهرات والعكاكز وأظهروا السبحات المزينة كالعجائز طغام أطفال صبيان الأحلام لا علم عن الحرام يردهم ولا زهد عن الرغبة في الدنيا يصدهم اتخذوا ظاهر الدين شركاً للحطام ولازموا الخوانق والرباطات رغبة فيما يأتي إليها من حلال وحرام وسعوا أردانهم وسمنوا أبوانهم فوالله ما أراهم إلا كما حدثني غير واحد عن القاضي أبي بكر بن العربي المعافري قال حدثني المطهر سعد بن عبد الله الأصبهاني قال حدثنا أحمد بن عبد الله قال حدثنا محمد بن أحمد بن علي قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا مسلم بن إبراهيم قال حدثنا بشر بن مطر بن حكيم بن دينار القطيعي، قال : سمعت عمرو بن دينار وكيل آل الزبير يحدث مالك بن دينار قال حدثني شيخ من الأنصار بحديث عن سالم مولى أبي حذيفة قال قال رسول الله (ص) ليجائن بأقوام يوم القيامة معهم من الحسنات مثل جبال تهامة حتى إذا جيء بهم جعل الله أعمالهم هباء، ثم قذفهم في النار فقال سالم : يا رسول الله بأبي أنت وأمي جل لنا هؤلاء القوم حتى نعرفهم فوالذي بعثك بالحق إني أتخوف أن أكون منهم قال يا سالم «إما أنهم كانوا يصومون ويصلون» .

وفي حديث آخر : وكانوا يأخذون وهنا من الليل ولكنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام وفي رواية من طريق آخر : شيء من الدنيا وثبوا عليه فأدحض الله عز وجل أعمالهم فقال مالك بن دينار هذا والله النفاق فأخذ المعلي بن الزياد بلحيته فقال صدقت يا أبا الخير والله يا وليي لو رأيتهم في صلاتهم ينقرونها وفي صفوفهم لا يقيمونها يجعل أحدهم بينه وبين صاحبه في الصف قدر ما يدخل فيه ألف شيطان ثم

إذا جئت أن تسد ذلك الخلل تراهم قد قطبوا وجوههم فإن غفلت ووطئت سجادة أحدهم لكمك لكمة حيث جاءت منك قد يكون فيها حتفك وهذه واشباهها هي الطريقة التي أهل زمانك عليها ويرحم الله أبا القاسم القشيري حيث أدرك من تحلى بحلية القوم في ظاهره وتعرى عنهم في باطنه فأنشد فيه :

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها

وهذا الذي قد اشترك معهم في الزي الظاهر وأما اليوم فلا خيام ولا نساء بإجماع من القوم وإن الموت الأخضر عندهم طرح الرقاع بعضها على بعض وذلك شعارهم (رضي الله عنهم) فقام هؤلاء فقالوا إنما لنا لبس مرقعة خاصة ولم يلحظوا ما أريد بها فتأنقوا في الثياب المطرحة والأعلام المشهرة وخاطوها على وزن معلوم وترتيب منظوم تساوي مالاً عظيماً وانسدوا عليها ثياباً وسموها مرقعة فرحم الله سيد هذه الطريقة أبا القاسم الجنيد حيث أنشد لما رأى فساد الحال :

أهل التصوف قد مضوا ... صار التصوف مخرقة
صار التصوف ركوة ... وسجادة ومذلقة
صار التصوف صيحة ... وتواجداً ومطبقة
كذبتك نفسك ، ليس ذي ... سنن الطريق الملحقة

والله ما أعلم أهل الطريق كذا وما كان الطريق إلاَّ بالقعود في مرابض الكلاب مجاهدة وتحمل الأذى وكفه رياضه ، والرحمة والشفقة والعطف على الفقراء والمسلمين كافة تحقيقاً ومعرفة أين هم من صفة أهل الله كما نعتهم الطائفة العالية (رضى الله عنهم) على ما حدثنا أبو محمد بن يحيى قال حدثنا أبو بكر بن أبي منصور وحدثنا أبو الفضل أحمد قال حدثنا أحمد بن عبد الله قال حدثنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن مقسم قال حدثنا عباس بن يوسف قال حدثني محمد بن عبد الملك قال قال عبد الباري قلت لذي النون المصري (رحمه الله) صف لي الأبدال قال

إنك تسألني عن دياجي الظلم لأكشف لك عنها يا عبد الباري هم قوم ذكروا الله بقلوبهم تعظيماً لربهم لمعرفتهم بجلاله فهم حجج الله تعالى على خلقه ألبسهم الله النور الساطع من محبته ورفع لهم أعلام الهداية إلى مواصلته وأقامهم مقام الأبطال لإرادته وأفرغ عليهم الصبر عن مخالفته وطهر أبدانهم بمراقبته وطيبهم بطيب أهل معاملته وكساهم حللاً من نسج مودته ووضع على رؤوسهم تيجان مسرته ثم أودع القلوب من ذخائر الغيوب فهي معلقة بمواصلته فهممهم إليه سائرة وأعينهم بالغيب إليه ناظرة أقدامهم على باب النظر من قربته وأجلسهم على كراسي أطباء أهل معرفته ثم قال عزّ وجلّ لهم إن أتاكم عليل من فقدي فداووه أو مريض من فرقي فعالجوه أو خائف مني فأمنوه أو آمن مني فحذروه أو راغب في مواصلتي فمنوه أو راحل نحوي فزودوه أو جبان في متاجرتي فشجعوه أو آيس من فضلي فعدوه أو راج لاحساني فبشروه أو حسن الظن بي فباسطوه أو محب فواطئوه أو معظم لقدري فعظموه أو مسيء بعد إحسان فعاتبوه أو مسترشد نحوي فأرشدوه إلى آخر القصة على ما ذكرناه في كتاب البغية لنا مستوفاة فهذه أحوال العارفين يا وليي وهكذا تكون عمارة القلوب . وأما أهل زمانك فوالله لو أطلعت عليهم لرأيت إن نظرت إلى وجوههم عيوناً جامدة ، متحركة غير هامدة وإن نظرت إلى نفوسهم رأيت نفوساً سامدة وإن نظرت إلى قلوبهم رأيت قلوباً لاهية من العمارة العلوية والقدسية خالية على عروشها خاوية آجاماً لأسود ضارية ومرابض لذئاب عاوية نسأل من الله تعالى عند رويتهم العافية أين هم يا وليي من قوم وصفهم أبو الفيض حيث قال إن لله لصفوة من خلقه وإن لله لخيرة قيل يا أبا الفيض ما علامتهم قال إذا خلع العبد الراحة وأعطى المجهود في الطاعة وأحب سقوط المنزلة . ثم قال :

منع القرآن بوعده ووعيده ... مقل العيون بليلها أن تهجع
فهموا عن الملك الكريم كلامه ... فهما تذل له القلوب وتخضع

فقال له بعض من كان في مجلسه من هولاء القوم يا أبا الفضل (رحمك الله) ؟ .

قال ويحك هؤلاء قوم جعلوا الركب لجباههم وساداً والتراب لوجوههم مهاداً هؤلاء قوم خالط القرآن لحومهم ودماءهم فعزلهم عن الأزواج وحركهم بالأدلاج فوضعوه على أفئدتهم فانسرحت وضموه إلى صدورهم فانشرحت وتصدعت هممهم به فكدحت فجعلوه لظلمتهم سراجاً ولسبيلهم منهاجاً ولحجتهم إيلاجاً أفلاجاً يفرح الناس وهم يحزنون وينام الناس ويسهرون ويفطر الناس ويصومون ويأمن الناس ويخافون فهم خائفون حذرون وجلون مشفقون يشمرون يبادرون من الفوت ويستعدون للموت إلى آخر القصة كما حدثنا أبو الحسن علي بن موسى سنة أربع وتسعين وخمسمائة قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنا سعد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن أحمد قال حدثنا أحمد بن عبد الله قال حدثنا أبي قال حدثنا أحمد بن محمد بن مصقلة قال حدثنا أبو عثمان الخياط عن أبي الفيض ذي النون بن إبراهيم المصري وهو كما علمت يا وليي من ساداتنا فهذا وصفه لأولياء الله وبهذا حلاهم وهكذا شاهدهم ورآهم ولقد لقيت بهذه البلاد من يلبس سراويل الفتيان ولا يستحيي في ذلك من الرحمن لا يعرف شروط السنة والفرائض ولا يصلح أن يكون خديماً في المراحض . ومع هذا يا وليي فهم والله الصدف الذي يخفي الدرر والسياج على الروضة ذات الزهر يدخل بينهم الصادق والصديق فيجهل والعارف المتمكن فيترك ويهمل فإنه يحمل على ما هم عليه لاشتراكهم في المسكن وما بينه وبينهم معاملة في شيء ولقد وقع بيدي منهم بمصر في الخانقاه بالقاهرة كهل يقرب أن يكون رجيلاً لا بأس به ففرحت به لما لم أجد غيره واجتمعت مع شيخ يدعى فيهم شيخ الشيوخ بازبيل (هكذا قال لي بنفسه) ورأيته يعطي النصف من نفسه للمتكلم معه (رضي الله عنه) فزعم أن ليس لله في المغرب من يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرفه فأراد وليك أن لا

يشافهه بخطاب ولا يتعرض إليه ثم رأيت ذلك قاصمة الظهر وقارعة الدهر فابدينا له يسيراً مما وهبك الله من الأسرار ثم اعقبناه ببعض أحوال سيدنا أبي مدين خلاصة الأبرار فبقي مبهوتاً بما سمع وقال ما تخيلت أن يكون مثل هذا في بلاد المغرب ثم ألقى عليه بعض أصحابنا مسألة من الحقائق الإلهية المتوجهة على إيجاد جهنم فوالله ما زاد على أن قال لا أدري شيئاً وانصف من نفسه واعترف بنقصه وهدأت شقاشقه وطفئت بوارقه فقلت له هذا حالك معي وأنا انقص حظاً وأحقر قدراً من أن أذكر فيهم أو أنسب إليهم فكيف بك لو لاحظت الكبراء والسادة النبلاء الكائنين بالمغرب الغرباء فسلم واستسلم وحمدت الله على ما ألهم وعلم وأما أهل السماع والوجد في هذه البلاد فقد اتخذوا دينهم لعباً ولهواً لا تسمع إلاَّ من يقول لك رأيت الحق وقال لي وفعل وصنع ثم تطالبه بحقيقة منها أو سر استفادة في شطحه فلا تجد إلاَّ لذة نفسانية وشهوة شيطانية يصرخ على لسانه الشيطان فيصعق ما دام المغرور والآخر بشعره ينهق فلا أشبههم إلاَّ براعي غنم ينعق بغنمه فتقبل وتدبر بنعيقه ولا تدري ماذا ولا لماذا فواجب على كل محقق في هذا الزمان فمن ينظر ويقتدي به المريد الضعيف أن لا يقول بالسماع أصلاً ويقطعه قولاً فصلاً وقد أوضحنا مقامه لأهل هذه البلاد وما يتطرق إليه من الفساد واحتجوا علينا بأحوال من سمع من الشيوخ في الرسالة وغيرها فأوضحنا مبهمها واعربنا معجمها فأقروا بنقصه في مراتب الوجود فمنهم من عدل عنه ومنهم من قام فيه على معرفته بنقصه وليعلم وليي (وفقه الله تعالى) أني لما قررت بالحرم الشريف المكي ما ذكرته لك في حق المنتسبين للصوفية وفي أحوالهم ثقل ذلك على شخص فقال ما دعاه إلى هذا والإعراض عن هذا كان أحسن وما أشبه هذا الكلام فزاد عندي اعتراضه تقوية أن هذا هو الحق لكونه ثقل عليه ولقد عمي هذا القائل عن الأصول التي استندت إليها في فعل هذا وهو يسلمها وقد قرعت سمعه غير مرة ولم يعتب عليهم بل

استحسن ذلك فلما وقع ذلك الذم في أهل زمانه رأى أن ذلك فضولاً لكونه في ذلك الزمان فخاف أن يتطرق إلبه الذم في نفسه فحزن ولو أنصف لبحث عن نفسه .

وأما الأصول التي استندت إليه في ذلك فكثيرة جداً :

روينا عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) أنه قال يوم فتح مكة في القرن الفاضل لما فقد عقد من عنق بعض أهله تأوه وقال ارتفعت الأمانة اليوم من بين الناس وحكم بتلك النازلة الواحدة على الزمان (ذكره في السير في غزوة فتح مكة) والأصل الآخر بنته عائشة (رضي الله عنها) لما نظرت لزمانها وأهله وما هم فيه من البخل والحرام تأوهت وقالت يرحم الله لبيداً حيث يقول :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم   وبقيت في خلف كجلد الأجرب

ثم قالت كيف به لو أدرك زماننا قدمت زمانها وأهله وقد روينا عن غير واحد عن ابن القشيري وعن ابن أنمي كلاهما عن القشيري (رحمه الله) أنه قال في رسالته ندم أهل زمانه وقد سمعها هذا المعترض علي واستحسن ذلك منه ثم قال لم يبق في زماننا من أهل الطريقة إلا أثرهم :

أما الخيام فإنها كخيامهم   وأرى نساء الحي غير نسائها

حصلت الفترة في الطريقة لا بل أندرست الطريقة وذمهم بأشد الذم في أول الرسالة ولتداولها بين أيدي الناس أضربنا عن حكاية قوله . وروينا عن أبي حامد وغيره عن أبي المغيث في كتابه المنقطعين له من حديث أبي المهلب قال مررت بالساحل فرأيت شاباً قد احتفر لنفسه حفرة في الرمل فسألته فتأوه وقال يذم أهل زمانه توعرت السبل وقل السالكون لها قد افترشوا الرخص ومهدوا الزلل واعتلوا بزلل الماضين . (إلى مثل هذا الكلام) ثم قام فمشى على الماء حتى غاب عني أرأيت قط هذا يتفق لمن تكلم فيما لا يعنيه . وروينا عن غير

واحـد من حديث عبـد الـرحمن بن الحسن عن هـارون عن أبي معـاويـة عن الأعمش عن أبي صـالـح قـال لمـا قـدم أهـل اليمن زمـان أبي بكـر وسمعـوا القرآن جعلوا يبكـون فقال أبـو بكر (رضي الله عنـه) هكذا كنـا ثم قست القلوب .

وثبت أيضاً تقـريـع النبي (ص) لأصحـابـه المعـذبين بمكـة على إسـلامهم ، ومنهم خباب (رضي الله عنه) وقاسى بـلاء شـديـداً من أجـل إسـلامه قـال (رضي الله عنه) شكـونـا إلى النبي (ص) مـا نلقـاه من البـلاء وقلنـا ألا تدعـو الله لنا ألا تستنصـر لنا فجلس محمـراً وجهه ثم قال : «والله من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيوضع المنشـار على رأسه فيشق بـاثنتين ما يصـرفه عن دينـه شيء ويمشط بأمشـاط الحديـد ما بين عصب ولحم مـا يصـرفه عن دينـه شيء» . يا أيهـا المعترض هـذه الأصـول التي استنـدت إليهـا في ذم أهـل وقتي لا حشـرني الله معهم ولا أمـاتني على حـالتهم هلا كنت ناصري في قولي هـذا وتعرف أنـه الحق وإن اليوم الحـال على مـا وصفناه وكنت تـأتيني باكيـاً على نفسك وأنـا أيضـاً كـذلـك عسى الله يرحمنا ألا رضيت لنفسك أن تكون منافقاً مـداهناً وللمـداهنين إمامـاً والله لا أرضى بهذه الحالـة فتب إلى الله وارجع إليـه فإنـه يرجـع إليك وتعـال نقم مـأتمـاً ومنـاحـة على التقصيـر في العمـر اليسيـر وعلى الاشتغـال بالترهات والفرح بالخزعبلات بل أضل أهل الأباطيل ونقـول والله إنه كـل من ثقل عليه هذا الكلام فهـو بتلك الصفة التي وصفنـا . ولهذا قلق ولـو كان بريئاً منها سكن كما سكن عند ذكـرنا ذم السـراق والقطاع وأشبـاههم ولما كان لـه في هؤلاء مدخـل فر إلى الاعتـراض ليزداد من الله بعـداً في رده الحق وليس اعتراضه علينـا في هذا بـأول دفع جـرى على طلل فإنـه لم يـزل أبداً كـل من تكلم في معايب النفس وأحـوالها ويبـدي نقائصهـا ويـذم شأنهـا على التعيين وعلى غير التعيين في كـل زمـان مـذمـومـاً في زمـانه لعـدم موافقـة أغراض النفـوس فإذا انقـرض زمانـه ومـات ونشـأت طائفة أخرى بعده عند ذلك يعرف قدر مـا جاء بـه ويُقال قـال فلان (رضي

الله عنه) هكذا كـان الناس ثم اعـرف ولـي (أبقاه الله تعالى) فيما طـرأ بيني وبين نفسي رأيت في هـذه البلاد مسجـونة مقهـورة فإني كمـا يعلمه ولـي ممن يقـول بوجـوبها ولا يصـح عندي أبـداً موتهـا عن صفاتهـا لمعـرفتي بحقـائقها ومكـانها ولمـا رأيت الله تعالى قـد فتح إلى قلبي بـاب الحكمة وأجـرى فيه بحـارها وسبـح سـري في سبحهـا حتى إني والله لأنـظر إلى معظم البحر إذا اشتدت عليه الرياح الزعازع فعلا موجـه وارتفع دربـه ثم انـظر إلى تموج بحـر المعارف والأسـرار في صدري فـأجد معـظم ذلـك البحر بما وصفناه من تلاطم الأمـواج واشتداد الـرياح سـاكناً لا حـراك به عند تموج بحر الحلم في صدري واصـطفاقـه لا سيما في مكـة المشرفـة فداخلني من ذلك رعب شـديد وجـزع عظيم وخـوف متلف فعزمت على قطع الميعاد وأن لا أقعـد للناس فـأمرت بـالقعود والنصيحـة للخلق قسراً وحتمـاً واجباً فقعـدت رفيع الكـلام مصلت الحسام ثم أخلو بنفسي حيث مسكني فآذن المواهب بالحال التي أنا عليها وفيهـا فلا أجـد بينهما نسب يـربط ولا سبب يضبط فخفت والله يا ولـي مكـر الله بي واستدراجـه إياي فخلوت بنفسي وقـد داخلني من ذلك مـا لا يعلمه إلاّ الله تعـالى ولا أجد طـريقاً أدخـل منـه لتمحيص نفسي وقـد انسـدت على المسـالـك بفنـون الحقـائق الأول والمعارف إلى أن لـطف الله بي برؤيـا رأيتها وجـدت بها الظفر على نفسي وإقـامة الـوزن عليها وذلـك أني رأيت في منامي كـأني أدخلت الجنـة فلمـا حصلت فيهـا ولـم أكن رأيت نـاراً ولا حشـراً ولا حسـاباً ولا شيئـاً من أهـوال القيامـة وجدت في نفسي راحـة عـظيمـة لا يقدر قدرهـا وسرورهـا وحمدت الله تعـالى فلما استيقـظت علمت أن في حـالي بعض اختلال وأن نفسي أدعت فـوق حالهـا من جهة مـا أعـطاهـا الله من العلم ولو كانت متحققة بالحق تحققـاً عقلياً مقـدساً إلاهيـاً يغنيها عنهـا لم تلتذ بـدخول الجنـة ولا عقلت الراحـة وأشغلها التنزه في جلال الله عن النظر إلى راحتها والتفاتها إلى نجـاتها من أهـوال الوعيـد فأرادت تقيم على الحجـة القاطعـة من جهة تقسيم الحقـائق الإنسانيـة ومـراتبهـا

فلم أسمع لها وقامت حجتي عليها وآذنتها بقصورها وعظيم دعواها في شيء هي دونه وحمدت الله الذي أظفرني بها فقلت لها يا نفس وعزة من جبلك على المخالفة وجعلك محلاً لكل وصف مذموم لا أتركنك على دعواك حتى أعرض أحوالك كلها على كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) فإن وافقت ذلك ولم أجد منك خللاً سلمت لك فيما أردت أن تقيمي عليّ من سلطانك والله تعالى يقول : ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾ وقال ابن مسعود (رضي الله عنه): كن أنت المحدث إذا سمعته يقول : ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ إن وجدتك دون ذلك فأنا ألطف بك وأرحمك بأن أمشي بك على أحوال أهل الصفة الذين تنتسبين إليهم وعلى أحوال الصفوة من الصحابة الأعلام فيهم فإن خرجت مع واحد منهم في حال ما فأنا أنزل معك وأرضى عنك وإن لم أجد مشيت بك على تابعيهم على نحو ما فعلت بك مع الصحابة فإن قصرت عن أحوالهم مشيت بك على تابعي تابعيهم وتابعي تابعي تابعيهم فإما أن تقفي مع واحد منهم وإما أن تقصري عن شأوهم فالنار أولى بك واجعل حكمتك ومعرفتك كدرهم زائف عند صيرفي ناقد فقالت لي (وقالت بعض حق) أما النبي (ص) فلا أعرض حالي مع حاله أدباً معه فإن فلك النبوة ليس لنا فيه قدم ولا تقوم لك به على حجة فإنه البحر الذي يغترف منه الخاص والعام فإن شددت علي به رخصت أنا على نفسي به وتتعارض الحجج وكل سنة وأنا أسقط لك الدعوى من أول وهلة وأهجم على الرخص واتخذها سنة كما وردت واقنع بالنجاة من النار خاصة واحرمك التنزل في المنازل العلا فيما بقي من عمرك وكذلك القرآن فإنه البحر الأعظم الذي لا يدرك قعره إذ ليس له قعر فيدرك ولا ساحل فيبلغ فيه هلك الهالكون ونجا المفلحون قال الله تعالى : ﴿**يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً**﴾ تالله لو عرضت الملائكة والنبيون والمرسلون أجمعون أحوالهم على آية من القرآن على حد ما يعلمه الله من أسرار ما أودع فيها من

الغيوب لبقي الكل إلى جانبها كـلا شيء عندهـا لقـد في أول آيـة منه : وهي قوله تعالى : ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ يتيـه العالم أسفله وأعـلاه لا يعـرف طريقـه أبداً ولا يفي أحـد بحقيقتها فـإن في الغيب أموراً لـو بـدا منها لمحة بارق لأعلى عالم مشاهدة من العالم وأقواه إيمـاناً لترددوا فيها واتهمـوا إيمـانهم فهم جهلوا الأسمـاء فمـا ظنـك بمـا تنـطوي عليـه المسميات من المعاني وذلك لعلو الأمر عن مـراتب العقول وانفـرد الحق بـالخلق والإيجـاد دون الخلق ولهـذا قـال الله تعـالى : ﴿ألا يعلم من خلق﴾ ولما لم يكن لنا علم فما أعطانا فمنة منـه وعلمه لا يتنـاهى فليس بـانصـاف منـك أن تعـرض حـالي على كتـاب الله الأقـوى الأقهـر ولكن حسبك من دون القرآن والنبوة من المؤمنين فخذ معي في مـراتب الولايـة وأنـا المنقادة السميعـة السهلة المطيعـة أرجـع معـك علي بـالـلائمـة إن قصـدت وأنصفـك من نفسي أن أحصـرت ولا تبقي في محـل الغبن والخسران فإنـك أنا ، كمـا أنـا أنت ، فلست غيري ولست غيـرك ، وما لك على حجة وقـد أعطيت يـد الانقياد في التمحيض والاختيار فتعجبت والله من نفس تنقاد لهذا المقدار فتلوت كلامهـا وما جـاءت به فـوجدتهـا قـد انطوت على مكـر وخداع وأمـر هائـل لا يستـطاع وقـد شـابت الأمـر بالشرك وأبطنت الحرب في السلم فتعاميت عنها في ذلك .

وحررت نفسي معها في المناظرة ولم انتق لهـا من أحوالهم إلاّ مـا لم يخـطر لها على بـال ولا اتصفت بـه في حـال وعدلت عن كـل حـال رأيت لهـا فيـه بعض اشتـراك ولـو علمت أني أجـد وليـاً من أوليـاء الله تعـالى لم يمتز عنهـا بحال ألبتـة لم أناظـرهـا بـأحـوالهم ولا أخـذت من مناقضتها ابتـداء في سهولـة إنقيادهـا وإظهار نصيحتهـا وتركتهـا بتعرضهـا لمعرفتي بنقصها وانها تعجز عن ذلـك فقلت لها هـاتي اخرجي أسنى مـا تدعينه وأعلي مـا تحفظينـه وأنا أعـرض أولاً حال أهـل الصفة ومـا كانـوا عليـه مجملاً من غيـر تفصيلهم بأسمـائهم رغبـة في التخلص في أسـرع حال قالت قل قلت لها حدثنا محمد بن عيسون قال حدثنا أبو بكر بن عبد الله

قال حدثنا سعيد قال حدثنا أبو الفضل قال حدثنا أحمد بن عبد الله قال حدثنا أبو بكر بن مالك قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال حدثنا وكيع قال حدثنا فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب فمنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم أسفل من ذلك فإذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته والله ما اجتمع لهم ثوبان ولا حضر لهم من الأطعمة لونان ناشدتك الله يا نفس هل كنت قط افقر منك الآن في حرم الله تعالى فقالت لا فقلت لها الحمد لله ترى لك قميصاً وأزاراً وسراويل وجبة وعمامة ونعلاً وبردة وخبزاً نقياً ولحماً طرياً وحلواء ويخدمك الرؤساء ويمتثل أمرك تقولي أفعل فيفعل تقولي لا تفعل فلا يفعل أين أنت منهم ، و ـ أي أهل الصفة ـ ماتوا والله بحوائجهم في صدورهم على ما رويناه من حديث سليمان بن أحمد عن هارون بن ملول عن أبي عبد الرحمن المقبري عن سعيد بن أبي أيوب عن معروف بن سويد الحزامي عن أبي عسانة المعافري عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي (ص) يقول فيهم فقراء المهاجرين الذين تتقي بهم المكاره يموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطاع لها قضاء أخبر بهذا عن الله عنهم ، بالله يا نفس حصلت في هذا المقام قالت لا والله قلت لها فلست منهم ، استحيي من الله وارجعي على عقبك ولا تطاولي لقوم لست منهم في شيء فقالت علي بغيرهم فليس لي هنا قدم قلت لها فهذا عمّار بن ياسر روينا من حديث أحمد بن جعفر بسنده عن عمّار (رضي الله عنه) أنه قال وهو يسير على شط الفرات اللهم لو أعلم أن أرضى لك عني أن أتردى فأسقط فعلت ولو علمت أن أرضى لك عني أن ألقي في هذا فأغرق فيه فعلت ناشدتك الله يا نفس هل خطر لك هذا قط في رضى الله لاتبغي به بدلاً قالت لا والله فانتقل بي عن هذا قلت لها نعم هذا عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) روينا بالسند المتصل إليه أنه قال ألا حبذا المكروهان الموت والفقر وأيم الله

إن هـو إلاَّ الغنى والفقر وما أبـالي بـأيهمـا أبتليت إن كـان الغنى إن فيـه للعطف وإن كان الفقـر إن فيه للصبـر ناشـدتك الله يـا نفس هـل عاملت الله قط من عمـرك بمعاملة أثمـرت لـك أن تقـطعي على الله بمثـل هـذا وتأمني من الفتنة في الغنى والكفر في الفقر قـالت النصف أما القـطع فلا انتقـل بي عن هذا فقـد أربى عليّ قلت لها نعم هـذا عمـر بن الخـطاب (رضي الله عنه) روينا بـالسنـد المتصـل إليـه أنـه لمـا أسلم قـال لـه النبي (ص) يا عمر استره قال (رضي الله عنه) قلت والذي بعثـك بالحق لأعلننـه كمـا أعلنت الشرك نـاشدتـك الله يـا نفس هـل قمت لي قط في دين الله تعالى حاميـة عنه بـأمر بمعـروف تعين عليك أو نهي عن منكـر في موطن دونه النفوس الحداد وعدم النـاصر يغلب فيـه على ظنك أنـك تقتلين فيه قـالت لا والله وإنما قـاربت هذا المقـام ولكن بسياسـة وطنت بها نفـوس الأعـداء بحيث إن غلب على ظني الأمن والعـافيـة في دمي قلت لهـا فارجعي قالت نعم هات غيره قلت هذا أبو عبد الله ثوبان مولى رسول الله (ص) روينا عنه بـالسند الصحيـح أنه سمـع النبي (ص) يقول: «من يتقبل لي واحدة تقبلت له الجنة» . قال أنا يا رسول الله قال لا تسـأل أحداً شيئاً فكان (رضي الله عنه) ربما سقط الصوط من بده وهو على بعيـره فلا يسـأل أحـداً أن يناولـه إياه حتى ينـزل إليه ويـأخذه نـاشدتـك الله يـا نفس هـل قدمت في مخاطباتك هـذا الإقدام على أمـر مجهول ثم لـو أقدمت عليـه هـل كنت تفي به هـذا الوفـاء ولا تجنحي إلى تأويـل فيه لحصـولـك في مقـام أنت فيه بحكم التخيـر قالت كـل ذلـك لم يكن مني قلت لهـا فـلا مـع الأحرار ولا مـع المـوالي فصغـرت وقـالت انتقـل بي عن هـذا قلت نعم هذا عثمان بن عفـان (رضي الله عنه) روينـا عنه بـالسند الصحيـح عن شـرحبيل بن مسلم أن عثمـان بن عفان (رضي الله عنه) كان يـطعم النـاس طعـام الامارة ويـدخل في بيتـه فيأكـل الخبز والـزيت ناشـدتـك الله هـل فعلت هـذا مـع أصحـابـك قط آثـريتهم بـاللطيف واستـأثـرت بـالخشن فقالت لا والله بل كنت على أحـد وجهين معهم إن لم يكن عندي طعـام

غير ما جعلت بين أيديهم شاركتهم فيه وأن كان عندي أرق منه أكلت وحدي ذلك مثل الحلو أو الخشكنان وغير ذلك وأقول هذا غداء لين لي وألبس على نفسي بهذه الترهات حتى لا أتنغص به عند أكله وأقول هذه الإخوان في مقام التربية فينبغي أن لا أزرع حب الشهوات في قلوبهم بإطعامي لهم مثل هذا ومقامي لا يؤثر فيه هذا الطعام فلا بأس بتناولي إياه فآكله على هذا الحال وقد عميت عن مطالبة الحق في موازنة المعاشرة وأدناها أن أشاركهم في خشونتهم لما أعرفه من تأثير الحقائق ولا شك أن عثمان(رضي الله عنه)ما فعل هذا في بدايته فتجد عنه مندوحة وإنما فعل هذا بعد التمليك قلت لها بارك الله فيك يا نفس إذ أنصفتيني قالت الحق أحق أن يتبع هات غيره قلت لها نعم هذا علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) باب مدينة العلم النبوي وصاحب الأسرار وإمامها روينا بالسند الصحيح عن ضرار بن ضمرة الكندي قال أشهد بالله لقد رأيت علياً في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه يتمثل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين فكأني أسمعه الآن وهو يقول: «يا ربنا - يتضرع إليه - ثم يقول للدنيا إلى تفررت إلى تشوقت هيهات هيهات غري غيري قد بتتك ثلاثاً فعمرك قصير ومجلسك حقير وخطرك كثير أواه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق» رويناه من حديث نوف البكالي قال رأيت علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) خرج فنظر إلى النجوم فقال يا نوف أراقد أنت أم رامق قلت بلى بل رامق يا أمير المؤمنين فقال: « يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً وترابها فراشاً وماءها طيباً والدعاء والقرآن دثاراً وشعاراً فرضوا الدنيا على منهاج عيسى (ع)» . يا بحوراً تحتوي عليها هذه الألفاظ الرائقة البليغة ليس لها سواحل ناشدتك الله يا نفس هذا علي (رضي الله عنه) على تمكنه فيما تدعينه من المقام والحال قد علم المقام وعمله وأحكمه ووفى الحقائق حقها على أتم

الوجوه ولم يجنح إلى تلويحات الأحوال كما فعلت أنت وأكثر العارفين في زمانك الذين أنبسطوا بعد قبضهم وأنسوا بعد هيبتهم وجمعوا المال بعد ما كانوا رموا به فرجعوا فرجع عنهم فتخيلوا أنهم في الحال وهم في الفائت أنظري يا نفس تمكنه في المعارف وتبرزه في صدور المواقف وضربه بيده إلى صدره فيقول إن ههنا لعلوماً جمة لو وجدت لها حملة . وهذا عمله في خلوته يخاطب دنياه بلسان مولاه توحيداً مكملاً وتمييزاً محققاً لم يخلط بين الحقائق ولا داخل الرقائق بعضها على بعض أحكم الحال والمقال والمقام وعلم أنها ليست بدار مقام فعاملها معاملة الراحل فعل الحكيم الحازم لم تحجبه مخاطبته لدنياه بلسان الهجر والقلا وتحسر على قلّة الزاد وبعد الطريق وذكر الوحشة بعد تحصيل الأنس وتغليطه الدارجين على منهاج من وجد شيئاً من غير شهوة فلم يعلق بقلبه كون ولم يحجبه ذلك كله عن تحققه في المشاهدة بل ذلك تمكين على تمكين حيث اعطى الموطن حقه وأنصف ربه ونفسه ودنياه وآخرته فبقي حراً في وقته آتي كل ذي حق حقه في نفسه أنشدك الله يا نفس على معرفتك القاصية ومشاهدك الدانية هل صاحبت هذا الحال استصحاب هذا الإمام ؟

قالت لا والله إنما هي بوارق تلمع وأهلة تطلع في أوقات دون أوقات والغالب الشتات بل ندعي ومن رأيت من المشيخة التصرف فيها والأخذ من طيباتها من جهة حقائق الإيجاد السلبي والاستخلاف الذي صح لي وهو نقص في الحكمة حيث لم أكن مثل علي (رضي الله عنه) بحكم الموطن والله مالي شبه إلاّ بمن غاط في المسجد وصلّى في المرحاض وهكذا كل من وسع على نفسه في الدنيا من عال ودون فالكل والله تافه وفي العماية تائه ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ لولا أنّي أريد أن أقف على أحوال هذه السادة لطويت معك بساط المناظرة وعد لنا عن هذه المحاضرة فقد رماني والله هذا الإمام بداهية ما أريد لها ناهية وقاصمة ما أرى لها عاصمة وقد أسلمت لبرهان العلم واستسلمت

لسلطان الحكم ومن مثل علي وهذا مقامه ومن يعادله وهذا كلامه لو لم ينبه لغفلتنا عن شرف منزلته إلاّ بسكوت الحصى في كفه لكان ذلك تنبيهاً لكل قلب نبيه ، فياسوء ماكنت فيه . قالت : جزاك الله عني خيراً زدني زادك الله حكمة وإيماناً وحفاظاً وبياناً قلت لها نعم هذا الذي بشرت غير ما مرة أنك في مقامه : أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) روينا بالسند الصحيح عن ابن عباس(رضي الله عنهما)أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) خرج حين توفي رسول الله (ص) وعمر يكلم الناس فقال أجلس يا عمر فأبىٰ عمر أن يجلس فقال أجلس يا عمر فتشهد أبو بكر ثم قال أما بعد فمن كان يعبد محمداً (ص) فإن محمداً قد مات ومن كان منكم يعبد الله عزّ وجلّ فإن الله حيّ لا يموت ثم تلا قوله تعالى : ﴿**وما محمد إلاَّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**﴾ الآية فسكن جاسهم بالقرآن وهو لم يزل ساكن القلب مع الرحمن ناشدتك الله يا نفس هل حصلت بالسر الذي تدعينه : إنه قد حصل لك من الحق حالاً ومقاماً من تعظيم الله ما علمت به ، تعظيم من عظمة الله من جهة تعظيم الله إياه ثم وفيته حقه في ذلك بـ ـ كل شيء هالك إلاّ وجهه ـ من أن يسقط باستيلاء سلطان عظمة الله من قبلك عظمة خير العالمين إلى من دونه من أهل التعظيم مقاماً مستصحباً قالت لا والله يا وليي إنما أنا بين فناء وبقاء وتلاش وانتعاش وإقبال وإدبار ووصول ورجوع وما كنت فهمت قط هذا من هذا الكلام والذي خرج من فم الصديق حتى نبهتني عليه ولا سمعته من أحد من أشياخنا ولا رأيته ، على أن لنا بحثاً وأسراراً في الصحابة وتعظيمهم ومكانتهم ما سبقت إليها ولا رأيت أحداً ممن لقيته من أصحابنا عثر على ذلك ، إلاّ أنهم يجمحون عليه ويحومون حوله ولم يجدوا لتحصيله منفذاً وإنما هو وهب المغني لا يوصل إليه بعمل وهم يطلبونه بالإستعداد والمجاهدة . ثم قالت انتقل بي عن هذا المقام فقد قصم ظهري قلت لها نعم هذا سلمان الفارسي(رضي الله عنه) دونك في

النسب الطيني وإمامك في النسب الديني روينا بالسند المتصل عن رجل من أشجع قال سمع الناس بالمدائن أن سلمان كان في المسجد فأتوه فجعلوا يثوبون إليه حتى اجتمع إليه نحو من الألف قال فقام فجعل يقول أجلسوا أجلسوا فلما جلسوا افتتح سورة يوسف يقرؤها قال فجعلوا يتصدعون ويذهبون حتى بقي نحو من مائة فغضب وقال : الزخرف من القول أردتم قرأت عليكم كتاب الله فذهبتم . ناشدتك الله يا نفس فهذا مجلس حق فاصدقيني هل سمعت قط كتاب الله يتلىٰ فلم تهتدي فلما أنشد شعراً اهتززت وجننت وأخذك الحال فقالت والله ذلك ديني ودأبي أبداً وأزيدك والله ما هو انحس من هذا مما أنا عليه إني أقرأ القرآن ويدركني العياء وأقول لك والله لا أقدر على شيء وقد ضعفت وكل خاطري فتجيبني إلى ذلك وتترك المصحف من يدك أو التلاوة من لسانك فما تليت أن نبهتك على مقطوعة من كلامك أو كلام غيرك في أي فن كانت فتفتح فاك بها وتنشدها وتترنم فيها وترتلها مترسلاً على طريقة تستحسنها نشيطاً طيب النفس ما بك من كسل ولا عياء فلو كان ذلك الكسل والعياء حقيقة مني لاستصحبك وإنما ثقل على القرآن وكنت اجعلك في تلاوته تحدر ولا ترتل عسى تستريح وكذلك في أوراد العبادات التي يستحب التثبت فيها وذلك كله خديعة مني بك ترى هكذا حالة المؤمن لا والله بل كلام الله للمؤمن ألذ وأشوق إلى سماعه من الظمآن للماء الزلال﴿**فإنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ على نقص الإيمان بل والله على ذهابه يا شؤم نفسي ويا حسرتي ويا أسفي كم مرة والله سمعت آية من كلام الله فثقلت علي ومججتها وكم والله رنة شعر سمعتها فاستعذبتها أخاف الله يا وليي على نفسي وعلى من هو مثلي أن ينقل اسمه من ديوان المؤمنين إلى ديوان من قال فيهم الحق جلّ وعلا ﴿**وإذا ذكر الله وحده أشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون**﴾ وقد اتصفت بهذا يقول القول زخرف القول وغروره فأهتز وأقوم وأقول لك شاباش هذا والله حسن فأقسم بالله كاذباً ولا يزال الملعون من شيطان يرقصني كما

يفعل صاحب القرد بقرده فإذا أخذ حاجته مني صفعني صفعة فاضجعني فيقوم من قل فلاحه فيغطيني برداء حتى يخلي سبيلي وأقوم واهنى وقد عزاني الملأ الأعلىٰ في ديني وفيما مضى من عقلي فإذا كان آخر الليل أنام والجماعة السوء مثلي وقد تعبنا من كثرة ما رقصنا فلا نلحق ننام إلاَّ والصبح قد قام فنقوم نتوضأ أقلِ ما ينطلق عليه اسم الوضوء ثم نجيء إلى المسجد هذا إذا وفقت وإلاّ فالأغلب على من هذه حالته أن يصلي في داره بأنا أعطيناك الكوثر وسورة الفاتحة كيف ما كانت والقنوت ليس بواجب فاتركه وانقرها مخففة جداً ثم اضطجع لاستريح هيهات والله ما كانت طريق الله هكذا ، وإن كنت موفقاً أكثر من غيري توضأت وخرجت إلى المسجد وإذا دخلت فيقال لي قد صلّى الناس فلا أجد لذلك حزناً ولا أكترث بل أقيم الصلاة وأُصلّي وكأنه ما فاتني شيء إلاَّ لا هي القلب مسروراً وأقول بلسان الحال قد حصل لي أجر الجماعة بقصدي وأراحني الله من تطويل الإمام وإن أدركت الصلاة مع الإمام فإنا في تلك الصلاة على أحد وجهين إذا كنت مستريح القلب من كل شيء أما حاضر في ليلتي البارحة وحسنها ما كان أحسن ذلك القوال وشعره واقضي صلاتي كلها في هذا حتى لا أدري ما صلّى الإمام ولا بما صلّى وإنما رأيت الناس يفعلون شيئاً ففعلت مثلهم ركعوا فركعت وسجدوا فسجدت ووقفوا فوقفت وجلسوا فجلست أو يكون النوم قد أخذ مني وهي الحالة الثانية فأترقب عند ذلك فراغ الإمام وتثقل على القراءة وأغتاب الإمام في نفسي وأمقته وأقول ما أثقله قد أفتتح سورة الحشر أو الواقعة هلا كان قنع بالانفطار والفجر والنبي (ص) قد أمرنا بالتخفيف هذا خلاف السنة ونحو قل وتهلل كل ذلك لغير الله أما تستحيي يا نفس من الله وقد وقعت البارحة مسخرة للشيطان وملعبة له ورقبتك مصفعة له وناصيتك بيده وأنت في هذا كله تلتذين ثم الداهية العظمىٰ والطامة الكبرى والداء العضال والمصيبة الآزفة التي ليس لها من دون الله كاشفة إنّي أقول في تلك الحالة كلها إنّي كنت مع الله وفي الله وبالله قمت وفي الله شطحت وإلى الله

وصلت وقلت لله وقال لي الله ويعتب أولائك الغمر الجهال مثله فيقول لم لم تسألني إذا رجعت من حالي ، ولو سئل لافتضح ولو فرضت أنه أجاب فقد يجيب الكاذب عما يسأل عنه مثل هذا ويؤيده الشيطان بخيالات ينصبها له ويبديها في سره فيعبر عنها قال الله تعالى : ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ فهذا ولي الشيطان ينطق بلسانه وهو مطيع له فانتظم في أهل الشرك فناهيك من مجلس يحوي أو يضم المشركين وأولياء الشياطين . أخبرني شيخي ـ وكان من أهل الكشف والوجود ـ عن رجل أعمى البصر من الصالحين حضر مبيتاً في سماع فقال الأعمى هذا إبليس قد دخل على صورة معزى يشم واحداً واحداً .

قال الشيخ وقعد الأعمى ينعت الجماعة الأول فالأول على التتابع كما هم عليه من اللباس والصورة وهو يقول ترى الملعون يمشي عليهم ناظراً إليهم حتى قال تراه قد ثبت عند واحد عليه عباءة حمراء وعمامة واحرام التفتوا عليه قال فالتفتنا فرأيناه يستجلب الحال فقال الأعمى أرى الملعون قد وقف عند هذا الرجل ثم قال تراه يريد أن ينطحه بقرنه فإذا ذلك الرجل قد صاح صيحة وغلب عليه لحال وقام يشطح فقام أهل المجلس لقيامه وهو بهذه المثابة . ما أحسن قول الله عزّ وجلّ إذ يقول : ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾ فناهيك من خصلة لم يرضها لنبيه وقال : ﴿إن هو إلاّ ذكر وقرآن مبين﴾ بارك الله فيك يا نفس أقررت بالحق وخضعت له فقالت الحق أحق أن يتبع . صدق والله سلمان الفارسي (رضي الله عنه) ورضي الله عن أبي مدين حيث قال لا يكون المريد مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد . هذا مقام المريد فما ظنك بالعارف هل يعرج على كلام غير كلام سيده وكل من سمع من الشيوخ فهو على أحد أمرين إما قبل أن تحصل له مرتبة التمكين فالسماع عندنا حرام في ذلك الوقت أو سمع بعد التمكين بشروطه المعروفة التي ذكرناها في غير هذا الموضع ويعلم من هذا أنه قد نزل

بعض من لقيناه من المشايخ وكان يولع بالسماع وكان قبل ذلك لا يقول به فسألنا عنه فقلنا الشيخ متمكن ومقام السماع نازل وحظه النفس فما هو الشيخ والله أعلم إلاّ نزل إلى السماع رحمة بنفسه دنيوية وجاد على السماع بذلك ليشرف به السماع فإن السماع يشرف بالعارفين ولا يشرف به العارفون فصار نزوله إليه كنزول الحق لعباده هل من تائب فيغفر له فيشرفنا نزوله إلينا ولم يشرف هو بنا هذا إذا كان الشيخ عالياً ولكن يقع منه هذا نادراً إلاّ إن أراد الحق أن يبقيه فيه زماناً طويلاً فيعلم الشيخ إن كان عارفاً متمكناً أنه مطرود وأن رجوعه إلى السماع مستصحباً عقوبة من الله عزّ وجلّ له لذنب أتاه ولذلك عقبه بالسماع فلا يجد حاله إلاّ فيه ويفقدها إذا أفقده مكراً من الله واستدراجاً فيبكي على نفسه ويبحث على ما جنته نفسه فيجد ذنباً ضرورة لا بد من ذلك والله يلبسنا وإياكم رداء العافية ويحلنا وإيّاكم المراتب السامية العالية ولا يجعلنا وإيّاكم ممن له إلى سماع السماع أذن واعية فيكون من أهل القلوب اللاهية . يا نفس أعرض عليك غير هذا ؟ قالت نعم أحوال مثل هؤلاء هي الشفاء والدواء إذ ليس لنا سبيل إلى الله تعالى إلاّ على مدارجهم ولا إرتقاء إلاّ على معارجهم فبأحوالهم يتحقق وهي الوصلة إلى الحق .

قلت لها : نعم هذا أبو الدرداء (رضي الله عنه) روينا من حديث أحمد بن جعفر بن حمدان قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه حدثنا أيوب السختياني عن أبي قلابة قال أبو الدرداء (رضي الله عنه) إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً وإنك لا تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في جنب الله ثم ترجع إلى نفسك فتكون لها أشد مقتاً منك للناس . وكان أبو الدرداء (رضي الله عنه) من الذين أوتوا العلم ناشدتك الله يا نفس هل كنت قط على ما أشار إليه أبو الدرداء قالت كنت على بعضه لا كله قلت لها فقد نقصك من الفقه على قدر ما

نقصك منه فقد ثبت جهلك قالت صدقت ولكن أشرح لي قوله قلت لها نعم سمعاً وطاعة أما قوله إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً تحت هذا الكلام بحور طامية وأسرار عالية عمادها الذي يرجع إليه معرفة القرآن ومنزله وتنزله ، وليس هذا المكتوب بجملته لما بني عليه من الاختصار فأما الوجوه يا نفس التي يكون بها فقيهاً من رآها فهي كثيرة نذكر منها وجهين أو ثلاثة فمنها المسألة التي كنا فيها في سماع الشعر وذلك أن الإنسان له أحوال كثيرة يجمعها حالتان مسميتان بالقبض والبسط وإن شئت الخوف والرجاء وإن شئت الوحشة والأنس وإن شئت الهيبة والتأنس وغير ذلك فمتى أتصف الإنسان عارف كان أو مريدا متمكناً أو متلوناً بحال من هذه الأحوال فإنه من المحال أن يتصف بها عبد من غير باعث ولا داع إليه إلاّ في وقت ما وهو مقام ومفزع نص عليه الشيوخ وهو أن تجد قبضاً أو بسطاً وتجهل سببه فالمحققون يخافون من ذلك أن يمكر الله بهم فيه فمتى تصف الإنسان بشيء من هذه الأحوال فلينظر من داعية إلى ذلك ومن سلطانه فإن كانت آية من كتاب الله فإن حاله انبنى على أصل صحيح وبيان ذلك إن النفس ليست بمحل للقرآن الكريم فإنه يثقل عليها بطبعها وحقيقتها وهنا تفصيل فإن القرآن يعم الحقائق كلها ولنفس من جملتها فلا بد أن يكون لها فيه نصيب وما بقي إلاّ تعيين ذلك النصيب من غيره وكنا نذكره لولا المدعي يأخذه فتركناه لهذا السبب والشيطان أبعد من أن يكون له حال فيك فإن الشيطان ليس له منك من يأخذ منه إلاّ نفسك وهي قد أبت عن حمل القرآن لضعفها عنه فمن المحال أن ينبعث عن القرآن حال من الأحوال من الشيطان أو النفس ألبتة وتعرف عند ذلك أن الحال في العقل والعقل في الروح لا في النفس وأن الروح صاحب الملك وأن الملك صاحب العلم والفراسة والإلهام واليمنى والآخرة والذكر والحق واليقين ، فلا بد أن تكون في حالك الذي قام بك من القرآن صاحب علم أو شيء مما ذكرناه لك فلهذا أشار الجنيد(رضي الله عنه) علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ولهذا قال الله تعالى إن في

ذلك لآيات لأولي الألباب ولأولي النهى ولقوم يعقلون كما إنه إذا أنبنى الحال من الشعر والسماع والصفق والألحان إنما يتلقاه من الهوى والهوى في النفس والنفس صاحبة الشيطان الذي الشعر نفثه على ما أخبرنا به رسول الله (ص) إلاَّ ما تعلق منه بتوحيد الله عزَّ وجلَّ فهو محمود من محامد النفس خاصة ما زال انبعاثه من أصله وأن الشيطان للنفس بمنزلة الملك للروح فكما كان أميناً على الأوصاف التي ذكرنا بعضها كذلك الشيطان في مقابلة صاحب الجهل والملك في مقابلة صاحب العلم والظن في مقابلة الفراسة والوسوسة في مقابلة الإلهام والشمال في مقابلة اليمين والدنيا في مقابلة الآخرة والغفلة في مقابلة الذكر والباطل في مقابلة الحق والشك في مقابلة اليقين والمعصية في مقابلة الطاعة والتشبيه في مقابلة التنزيه والشرك على مراتبه في مقابلة التوحيد وغير ذلك مما تضيق هذه العجالة عنه فإنه باب واسع هذا انموذجه وكل حال ينبعث عن القرآن فلا بد أن يعلو بصاحبه إلى أحد هذه المنازل على قدر السماع ومعنى ينبعث عن القرآن لا يزول سامعه عن المعنى الذي نزله له القرآن لا لخيال قام به عند تلاوة القرآن في معشوقه أو المرأة التي اتخذها أختاً على دعواه ولكل هذا شروط وكل حال ينبعث عن الشعر والسماع فلا بد أن ينزل بصاحبه إلى أحد هذه الدركات وسر ذلك أن أصل إنبعاث القرآن كلام الله المقدس الذي ما اعتراه قط نقص نفس ولا تدنيس ولا جاز عليه ذلك فمن المحال أن يعطي إلاَّ بحسب طهارته . وأصل إنبعاث الشعر كلام المخلوق والناقص الدنس الذي ما صح له كمال طهارة لامتزاجه فالغاية في الشعر أن يكون ممتزجاً لا تكمل طهارته أبداً فمن ثم إلى الآن لم يزل في النقص والتدنيس فمن المحال أن يعطي حالاً ناقصاً دنساً . هذا حالة العارفين المكملين فيهم ومعهم أتكلم من السادة الكبار يعرفون هذا من نفوسهم وأما من نزل عنهم من المدعين والمريدين فلا كلام لنا معهم ولهذا قال أبو يزيد البسطامي (رضي الله عنه) في سماع

العارفين مطلقاً يحكم على مقام أهل السماع أنهم أهل الكدية واستعاذ بالله منه كما استعاذ من طي الأرض والمشي على الماء وفي الهوى وسأل أن يهيئه الله لشيء من أشيائه أي سر من أسراره ، فلو تبدلت هذه الأسرار في السماع لما استفاد منه مثل أبي يزيد وقال في حق المريد إذا رأيت المريد يميل إلى السماع فاعلم أن فيه بقية البطالة فجعل محله للمريدين البطالة وللرجال الكدية ، وإنما سقت كلام أبي يزيد (رضي الله عنه) لما وصلني عن بعض الناس من المقلدين في بعض الطريقة أنه قال لما سمع مني الإنكار في السماع وقد أوضحت له حقيقته حتى اعترف بها فقال تقليد بتقليد والأولى أن أقلد الشيوخ المتقدمين الذين قالوا بالسماع ، ولهذا سقنا كلام أبي يزيد لكونه من المتقدمين وأن كلامنا موافق له ولقد بلغني من ثقة عن رجل من المتمشيخين لا من الشيوخ كان يلازم مجلسنا فسمعنا نتكلم في السماع واجازته وأنه مباح وبينا نقصه في المقامات واين ينتهي بصاحبه فغضب وانقطع فسألت عنه وما شأنه فقيل إنه قال قد كان الشيوخ يسمعون مثل ابن الدقاق وغيره فلم أدر قبل ثم أتعجب من جهله في حكمه على الحق بالرجال والرجال لا يعرفون إلاّ بالحق لا الحق يعرف بهم فهذا جهل محض وتقليد صرف ومن هذه حالته في العلم كيف يرجى فلاحه في نفسه أو كيف يتصور أن يفلح به غيره أو أتعجب أيضاً من عدم تحصيله لما أوردناه في السماع فإنا لم نحرمه بل أبحنا الشعر والغناء على القدر الذي جاءت به الشريعة ثم تكلمنا في نقصه من المقامات وأين منزلته والفرق بينه وبين غيره كما نفرق بين التوكل والزهد أي الذي ينبني على معرفة التوكل ما هو والزهد ومقامه وأن المتصف بصفة ما يكون بحيث مقامها ويتميز في أهلها وقد سمعت من أبي محمد عبد العزيز المكتوب له هذه الرسالة(رضي الله عنه) إشارة عجيبة لا يعرفها إلاّ متمكن متحقق جداً في قوله تعالى : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً﴾ فقال

(رضي الله عنه) سر هذه الآية في قوله لبشر ولا يكون بشراً إلاّ من غلبت عليه البشرية ، وفي الآية عندي تفصيل عجيب في نساء يوسف (ع) ما يؤيد إشارته ما هذا بشراً إن هذا إلاّ ملك كريم وعندنا من الدلائل عليه ما لا يحصى فهذا من بعض وجوه القرآن الذي نبه عليها أبو الدرداء (رضي الله عنه) ومنها أن يردك إلى الحق ويصرفك عن الخلق في معاشك وما ضمن لك وغير ذلك مما تحذر وترجو فإن القرآن يحرضك على هذا وكذا فعل أبي الدرداء بآية قرأها قال فأردت أن أجمع بين العبادة والتجارة فلم يجتمعا فأخذت في العبادة وتركت التجارة يؤيده قول الله تعالى لموسى (ع) أطلب مني كل شيء حتى الملح تلقيه في عجينك وهذا المقام هو الذي أخذه سالم عن النبي (ص) وقد تقدم ذكره ، وهذا يعني ما في كلامه .

قالت النفس قلت الحق . وفي هذا غنية لي إن كنت عاقلة فالويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقد بقي من كلام أبي الدرداء الكلمتان مقت الناس في جنب الله ومقته لنفسه ، ومقت الناس مشكل . فقلت لها يا نفس ليس الأمر كما ظننت أما قوله ولا تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في جنب الله فاعلمي أن للإنسان حالتين : لا يخلو إما أن يغلب عليه ربه أو نفسه فإن غلب عليه ربه لم يعرف الناس ولا ما هم عليه وأداه ذلك إلى تركهم في جنب ما حصل في نفسه من الأنس بالله ويمقت هنا بمعنى يترك فإن من مقت شيئاً تركه فكني بالأصل عن الفرع وأما من غلبت عليه نفسه فالمقت هنا على بابه وصورته ، ومقته للناس أن الغالب على الناس المخالفة والبطالة ، فلا يزال يمقت منهم تلك الأفعال وينبههم عليها ويقرع أسماعهم بها وينصحهم في دين الله وجنبه فيثقل ذلك عليهم ويستخفونه ويبردوه ويجتنبوه ويسدون الأبواب في وجهه حتى يتركوه فرداً وحيداً لا صديق له ولا معاشر كما قال (ع) ما ترك الحق لعمر من صديق فإذا رجع الناس أعداء له لا يكلموه رجع بالضرورة إلى نفسه فمقتها بأنواع من

التـوبيخ من قلّة الصـدق في العمل وعـدم الإخـلاص ودخـول العلل في المخاطبات والخواطر والنضيحـة والإرشادات فصـار مقته لنفسـه أشد من مقته للناس ولا يقدر ينفصل عن نفسه ولا تنفصل عنـه مثل النـاس فيفتح لـه في ذلك من الفقـه الإلهي والعلم اللدني مالا يعـرفه إلاّ من شـاهد ، وحسبـك يا نفس فقـد أطلت على سؤالك فـقنعي بهذا القـدر فـإن هـذه المسألة أعـظم وأقوى من أن أبسط شـرحها في المجلدات فقـالت قنعت وبـالله استغنيت فهات غيـره فقد عـرفت وتحققت أني لا شيء ولا أصلح لشيء وأنّي في وجـودي وفي عيني كمـا كنت قبـل وجـودي و ﴿قـد خلقتـك من قبـل ولم تـك شيئـاً﴾و ﴿هـل أتى على الإنسـان حين من الـدهر لم يكن شيئـاً مذكـورا﴾ وفي الحقيقـة لم يـزل كـذلـك ولا يـزال قلت لهـا نعم هذا عثمـان بن مـظعـون صـاحب رسـول الله (ص) الـذي أوذي في الله فـرضي وتعرض لـذلك : لمـا مات دخـل عليـه رسـول الله (ص) حين مات فاكب عليـه ثم رفع رأسـه ثم حنى الثانيـة ثم رفع رأسـه ثم حنى الثـالثة ثم رفـع رأسه ولـه شهيق فعـرفـوا أنـه يبكي فبكى القـوم فقـال : أذهب عنهـا أبـا السـائب فقـد خـرجت منهـا ولم تـدنس منهـا بشيء . روينا هذا من حـديث أبي حامد بن جبلة بسنده إلى ابن عبـاس (رضي الله عنهما) ورويناه أيضـاً من حديث أبي بكـر بن مالـك بسنده عن عبـد ربه بن سعيـد المـدائني أن رسـول الله (ص) دخـل على عثمـان بن مظعون وهـو في الموت فـأكب عليه يقبله فقـال رحمك الله يـا عثمان مـا أصبت من الـدنيا ولا أثـابت منك . نـاشدتـك الله يا نفس فنعمت النفس عهدتك في الإنصـاف من نفسك خبـريني لو كنت في زمـان النبي (ص) على هـذه الحالـة التي أنت عليهـا اليـوم وتمـوتين هـل كـان رسـول الله (ص) يفعـل بك مثـل هذا قـالت أما لـو جازاني على مـا أنـا فيـه وعليـه لخفت أن يقول لأصحابـه صلّوا على صاحبكم بـل أعتقد والله في شـأني أني أقـرب إلى قولـه تعالى : ﴿ولا تصـل على أحد منهم مـات أبـداً ولا تقم على قبره﴾ مني إلى قوله تعالى : ﴿وصـل عليهم إن صلاتـك سكن

لهم﴾ هيهات كيف أن يكب عليّ أو يقبلني بل كان يبكي عليّ شفقة لما يراه من سوء حالي وشر ما انقلبت إليه فياليته يؤذن له (ص) في الصلاة على غير أن قوله (ص) في معرض الثناء عليه ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك أنه ما سعى لها ولا أصابت من قلبه تشوقاً إليها ولكنه أتته من غير سعي إليها فقبلها وتصرف فيها فلبس منها الرقاق وأكل منها الرقاق وعلا مسكنه مع فراغ القلب من ذلك وهذا في القدرة جائز مع القدرة عليه ولقد رأيت في زماني هذا قوماً من أهل التمكين والتحقيق والمعارف قد فعلوا مثل ذلك أكلوا الشهي من الطعام الغالي ثمنه وشربوا اللذيذ من الشراب ولبسوا الرفيع من الثياب وربما شيدوا البناء وأحكموا ورفعوا سقوف بيوتهم إلى حيث لا يحتاجونه وذلك عن أمرهم بذلك وعن استحسانهم لذلك وسكوتهم عليه ولم يعدلوا بعد المعرفة والتحصيل لمقام التمكين إلى ما كانوا عليه في بدايتهم من ترك الأسباب وطرح الرقاع بعضها على بعض فأخاف أن لا يكون هذا كذلك وقد قيل عنه ما أصابت الدنيا منك شيئاً ولا أصبت منها شيئاً من باب السعي والكد فأوضح لي شأنه وكيف كان حاله وهذه الحالة التي رجع إليها العارفون هل هي خير مما كانوا عليه أو كانوا في حال فقرهم وتقشفهم أحسن وأثبت قلت لها نعم أما حال عثمان بن مظعون فروينا هذا عنه رضى الله وأما حالة العارفين الّذين ذكرتهم من بسط الدنيا فروينا من حديث عبد الله بن أحمد بن إسحاق قال حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسين قال أخبرنا الربيع الرشدني قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس بن زيد عن ابن شهاب أن عثمان بن مظعون(رضي الله عنه) دخل يوماً المسجد وعليه نمرة قد نخلت فرقعها بقطعة من فروة فرق له رسول الله (ص) ورق أصحابه لرقته فقال مه كيف أنتم يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى وتوضع بين يديه قصعة وترفع أخرى وسترتم البيوت كما تستر الكعبة قالوا وددنا أن ذلك قد كان يا رسول الله فأصبنا الرخاء والعيش قال فإن ذلك كائن وأنتم اليوم

خير من أولئك وهذا الحديث يا نفس قد انبا عن الفريقين اللذين سألتيني عنهما هذا حال عثمان على ظاهره فقير من الدنيا وهذا حال من توسع في الدنيا من العارفين قد جعل الله حالة الضيق والشدة خيراً للإنسان من الرخاء والسعة وكأني والله يا نفس بك تقولين : أرى أهل هذا المجلس وهم الصحابة الأخيار وهم العارفون بالله المحققون حقائق الوجود لما ذكرهم النبي (ص) صورة الترفه والتنعم اهتزوا وسألوا متى ذلك وفرحوا بهذا القدر فكذلك أنا أيضاً أرضى بهذه المنزلة وكذلك العارفون الذين وسعوا على أنفسهم دنياهم فقلت لها ما أعماك عن نور مشكاة النبوة الساطعة أنوارها فقالت لا تنظر إلى كلامها ظاهراً هذا لتعلم أن النعيم لا يحجب عن الله ولا الشقاء والبؤس يحجب عن الله إذا كان الحق غالباً على قلب العبد فإنه لا نعيم أشد ولا أعظم من نعيم النبيين والأولياء في الجنة في ملابسهم ومآكلهم ومشاربهم ومناكحهم ومراكبهم ومفاكهتهم ولا يحجبهم ذلك عن الله البتة لسرين قلت لها فأنا مسلم أن ذلك لا يحجب عن أنه ولكن قال الرسول (ص) لتلك الجماعة الذين قالوا وددنا أن ذلك قد كان فأصبحنا الرخاء لتحققهم بالله تعالى وعلمهم أن الأحوال لا تحجب عن الله تعالى فإن ذلك كائن يعني بسط الدنيا عليهم مبشراً بفتح ملك كسرى وقيصر ثم قال لهم أنتم اليوم خير من أولئك فأشار بقوله وأنتم لعصمتهم من الدنيا وأن فتحت في حيانهم كأبي عبيدة بن الجراح وغيره وفي ذلك ترجيح الفقر وشظف العيش على النعيم فبين لهم هذا المقام ونبههم على نقص ذلك المقام ونقص من اتصف به وإن بقيت عليه مشاهدته ومعرفته فإنه نعيم استعجله في غير موطنه وطرفه استعمله في غير موضعه فوضع الحكمة في غير موضعها فعادت معرفته جهلاً وكشفه حجاباً وحقيقته خيالاً ألم ترى إلى الذي قال لو كشف الحجاب ما أزددت يقيناً لعظيم الكشف وهذا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كيف أجتنب طيب الطعام وفهم من كلام الله تعالى : ﴿أذهبتم طيباتكم

في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ إنه ينسحب على كل إنسان من مؤمن وكافر أترى يا نفس هذا العارف الذي وسع عليه في الدنيا يكون أفقه من عمر بن الخطاب الذي وافق رأيه في الأحكام وقد شهد له الرسول (عليه الصلاة والسلام) أنه ليس من الباطل في شيء اجيبيني يا نفس فإنك لا تعدوا قدرك لا أنت ولا العارف الذي وسع عليه إذ لا بد من التأسي فحالة النبي (ص) أولى فهو الذي عاش في البؤس وضنك العيش حتى رق له عمر (رضي الله عنه) لما أثر شريط[١] السرير في جنبه (ص) فقال تذكرت كسرى وقيصر فقال (ص) أما ترضي أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة أين أنت يا نفس من قول سلمان الفارسي (رضى الله عنه) على ما رويناه من حديث أبي أحمد محمد بن أحمد الغطريفي ومحمد بن عاصم قالا حدثنا أبو القسم البغوي قال حدثنا علي بن الجعد قال حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت أبا البحتري يحدث عن رجل من بني عبس قال صحبت سلمان الفارسي (رضي الله عنه) فذكر ما فتح الله على المسلمين من كنوز كسرى فقال إن الذي أعطاكموه وفتحه عليكم وخولكم لممسك خزائنه ومحمد (ص) حي ولقد كان يصبح وما عنده دينار ولا مد من الطعام ، بم ذاك يا أخا بني عبس ؟ فانظري يا نفس كلام هذا الصاحب وشرحه لحالة النبي (ص) وتعريفه وتقريره في قوله بم ذاك ثم إنه لو كانت الدنيا تنال على حسب المراتب عند الله من الرفعة لكانت كلها لرسول الله (ص) فلا أرفع منه منزلة عند الله ولا أرفع منه درجة ولا نعيماً في الجنة وهذه حالته في دنياه ولم يرض لقرة عينه بنته فاطمة (رضي الله عنها) أن تنال فيها راحة ولا توسعاً ، هذا وقد رأى أثر حبل القربة في عنقها من حمل الماء وأثر الرحى من الطحين في يديها وجاءه السبي فلم ير أن يعطيها خادماً يحول بينها وبين ذلك الشقاء الذي نزل بها وأعطاها بدل ذلك تسبيحاً وتحميداً وتكبيراً وقال هو خير لكم فأين أنت يا نفس وهذا العارف فلا الحق رضيها لنبيه ولا

---

(١) في الهامش : «الشريط : حبل يفتل من الخوص» مختار الصحاح .

النبي (ص) رضيها لابنته ووصيه وإذا لم تقتد بهذا النبي ولا عرفت تنزيل الحق للمواطن فقد خرجت عن حد المعرفة بالله وحب حالة رسول الله (ص) واتباعه ولا فائدة ولا تمييز للعارف عن غيره من العوام إلّا بإستصحابه في حالته حالة النبي (ص) وأما العامة فانهمكت في المباحات فبم تميزت عنهم في ظاهرك كما تدعيه في باطنك . ألست تدري يا نفس ليلة كنا عند أبي محمد عبد العزيز المكتوب له هذه الرسالة ونحن على العشاء فتكلمنا في حالة الدنيا إذا أقبلت على العارف وتصرف فيها مع تعري قلبه عن التعلق بها فقال(رضي الله عنه) والله ما يستوي فراغ قلب عارف عنده درهمان وفراغ قلب عارف عنده درهم فصاحب الدرهم أفرغ من صاحب الدرهمين هذا حكم الشيخ أبي محمد عبد العزيز في هذا الحال ، فكيف لو دخل معك في باب المقام والأسرار لكان يرميهم خارجاً عن المعرفة فإن الحقائق ترميه والموطن يمجه .

حكاية جاء رجل إلى سيدنا أبي مدين (رضي الله عنه) فقال يا سيدنا إن الشيطان يؤذيني فعسى أن تدفعه عني فقال له الشيخ قد شكى إلى إبليس منك قبلك ، فقال وما قال لك قال قال لي يا شيخ تعلم أن الدنيا خلقها ربي وجعلها (حبالي) وشركي وملكيتها فجاء فلان فتعدى علي وأخذ مالي منها فعدوت وراءه أطلب حقي منه ووالله ما قصدت منهم إنساناً ولا طلبت منهم أحداً ولا برحت من مكاني احفظ علي بستاني ومالي فمن أخذ منه شيئاً تبعته أطلب حقي وقد عرفت أن فلاناً يشكوني إليك فسبقته وقد أخبرتك بالقصة وأنا لا أترك منه حقي واسلبه مما أقدر عليه من دينه أو أرد إلى متاعي كما فعل الزهاد والموفقون ولهذا قال تعالى : ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان فمالي عليهم حجة ولا حق فإنهم تركوا مالي وهذا تعدي ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم من الظالم ؟**﴾ فقال الرجل أنا فقال له الشيخ ردّ إليه دنياه يرد إليك آخرتك . هل قنعت يا نفس قالت نعم

قلت هـذه عشرة شهـود كمـا شـرطت لـك قـد وفيت بـذكـرهم من خيـر القـرون من صحابـة رسول الله (ص) ولم أجـد لـك قـدمـاً مـع أحـدهم فلمن اتبعت أو بمن تـأسيت فقالت اتبعت هـواي فتأسيت بشيـطان مـدع في المعـرفـة مكب على الـدنيـا مثلي فـائتمـر لي الـدعـوى وعـراني من مـلابس التقوى فقـالت وأنا أتـوب إلى الله الآن وأتضرع إليـه في الـوفـاء والعـدل والميزان وكمـا وفيت أنت بشهـودك العشـرة ومننت علي بـذلـك فقـد وفت لك بـالإنصاف والإقـرار بالحق ولم أمـر ولا دافعت الحق بـل كنت سـلسلـة القيـاد وذلـك بتـوفيق الله وعصمني الله ممن قـال فيهم : **﴿فلمـا جـاءتهم آيـاتنـا مبصـرة قـالـوا هـذا سحـر مبين وجحـدوا بهـا واستيقنتهـا أنفسهم ظلماً وعلواً﴾** ولـو عانـدت وجحدت لمـا جنيت على أحـد إلاّ على نفسي رزقني الله وإيّـاك من تـوحيـده والعلم بـه سبحـانـه وتعـالى المراتب العليـة والمنازل القـدسية حيث لا تـدنيس ولا جهل ولا تلبيس إنه عليم حكيم .

فاشرع في النمط الثاني فلقد لقيت سـامعاً مـطيعاً . فقلت **﴿الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾** فقالت **﴿الحمد لله الذي هدانـا لهذا وما كنا لنهتدي لـولا أن هدانـا الله﴾** لقد جـاءت رسل ربنـا بالحق : حمـدي يا سيـدي أسلم من حمـدك فـإنـك في معـرض الفتنـة من جهـة التسخيـر وحمـدي على تحصيـل الهـدايـة والتيسيـر. فقلت لهـا صـدقت أرعـوي بسمعك هـذا خير التـابعين بشهـادة سيـد المـرسلين (ص) أعني أويس بن عـامر القـرني(رضي الله عنه) الذي أوصىٰ به النبي (ص) عمـر وغيـره وذكره لهم روينـا من حـديث أبي بكـر محمـد بن أحمد قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثنا عبيد الله بن عبد الكريم قال حدثنا سعيد بن أسيـد بن موسى قال حدثنا ضمرة بن ربيعة عن أصبـغ بن زيـد قـال كـان أويس القرني إذا مشىٰ يقول هـذه ليلة الركـوع فيركـع حتى يصبح وكـان إذا أمسى تصـدق بمـا في بيتـه من الـطعـام والثيـاب ثم يقـول اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به ومن مـات عريـاناً فـلا تؤاخذني بـه ناشـدتك

الله يا نفس هل اتصفت بهذه الحالة قطعت الليل بسجدة واحدة ثم لم ترفعي حتى الفجر واستصحبت أن لا تبيتي إلاَّ مثل هذا المبيت كما استصحبه أويس وقلت لله مثل ما قاله ؟ قالت لا والله كل ذلك لم يكن ولكني يلوح لي من وراء هذا الكلام بوارق من الحقائق عسى أن تنبهني عليها قلت لها نعم أويس هذا كان متمكناً في مقامه على بينة من ربه وعلامة عارفاً بحركاته المستأنفة على يقين من تحصيل أحواله السالفة وكانت ليلة السجود عنده معروفة وليلة الركوع عنده كذلك وغير ذلك من الأفعال ومن هنا يعرف تمكنه فإن أبا يزيد وهو من الأقطاب ومن كبار الأئمة لم يحصل له هذا التمييز فإنه كان يقول إني أستقبل الليلة أطلب قطعها راكعاً وساجداً فأقف في صلاتي فلا أركع أو أركع فلا أسجد أو أسجد فلا أرفع فكم بين من يأتي قصداً وبين من يمشي فيفتح له فهذه حالة صلاة أويس وأما كونه يتصدق بطعامه وشرابه وثيابه ثم يقول اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به ينبه على مقامه الأعلى وقطبيته المثلى وهذه حالة إمام وصاحبها على الغاية في المقام فيعطي ما ملك ويتضرع لمن استخلفه على عبيده بالرحمة لهم والشفقة عليهم قال الله تعالى لرسوله (ص) ﴿وما أرسلناك إلاَّ رحمة للعالمين﴾ وقال له لما دعا على رعل وذكوان وعصية إن الله لم يبعثك سباباً ولا لعاناً وإنما بعثك رحمة للعالمين ولم يبعثك عذاباً والمكمل من سبقت رحمته غضبه قالت النفس يا سيدي أرفق علي ولا تعجل فقد ظهر لي في مسألة أويس هذا أمر خرج الحلاج فيه فوقه وذلك أن الحلاج (رضي الله عنه) قال مخبراً عن حالته إذا قعد الرجل عشرين يوماً دون غذاء ثم جاءه طعام فعرف أن في البلد من هو أحوج منه لذلك الطعام فأكله ولم يؤثر ذلك المحتاج فقد سقط وهذا مقام عال كما رأيته وهذا أويس(رضي الله عنه) ما كان يتصدق إلاَّ بفضل طعامه وثيابه فيأخذ حاجته أولاً ثم يعطي ما يفضل كل ليلة عن قوته وهو يعلم أن ثم جائع ولم يعطه وهذا كما رأيته قلت

لهـا يا نفس مـا أنت إلاَّ اعترضت اعتـراض من لا يفري الحقـائق ولكنك جهلت المقـام فاسمعي الجـواب واعلمي أو أويسـاً هـو الإمـام الـذي لا يلحق لتعلمي أيتها النفس أن العارف إذا كان صاحب حـال مثل الحـلاج فـرق بين نفسه وبين غيـره فعامـل نفسه بـالشدة والقهـر والعذاب وعـامل نفس غيـره بالإيثـار والرحمـة والشفقـة وإذا كـان العـارف صـاحب مقـام وتمكين وقـوة صارت نفسـه عنه أجنبيـة لا فـرق عنـده بينهـا وبين نفـوس العالـم فما يلزمه في حق نفوس الغيـر من الرحمـة والشفقة يلزمـه في حق نفسـه لكونهـا صارت عنـه أجنبية وارتفـع هو علويـاً وبقيت هي مع أبنـاء جنسهـا سفلية فلزمـه العطف عليهـا كما لـزمه العـطف على غيـرهـا فـإن صاحب الصدقـة العارف إذا خـرج بصدقتـه ولقي أول مسكين يدفـع إليه الصـدقة فـإن تـركـه ومضي إلى مسكين آخـر ولـم يـدفـع فقـد انتقـل من رضى ربـه إلى هوى نفسـه وخرج من ديـوانهم فـإنهـا مثـل الـرسـالـة لا يخص بهـا شخصاً أول من يلقـاه يقول لـه قل لا إلـه إلاَّ الله ولا شك أن هذا العارف إذا وهبـه الباري رزقـاً يعرف أنـه مرسـول إلى عالم النفـوس الحيـوانيـة فينـزل من حضـرة عقله إلى أرض النفـوس ليؤدي إليهم ذلـك القدر الذي وجه به فـأول نفس تلقاه نفسـه لا نفس غيره وسبب ذلـك أن نفوس الغير غير ملازمة له ولا متعلقـة به لأنهـا لا تعرفـه ونفسه متعلقـة به ملازمة لبابه فلا يفتحه إلاَّ عليها فتطلب أمـانتها منـه فيقدمهـا على غيرهـا لأنها أول سائل وإلى هذا السـر أشار الشـارع بقولـه أبدأ بنفسـك ثم بمن تعـول والأقربـون أولى بالمعـروف لتعلقهم بك ولـزومهم بابـك والغير لا يتعلق بـك ولا يلازمـك مـلازمـة نفسـك وأهلك فلمـا تـأخـروا كمـا هي الأسـرار سواء تخـرج من عند الحق على بـاب الـرحمـة فـأي قلب وجـه متعرضاً سائلاً عند الباب دفـع إليه حـظه من الأسرار والحكم وحـظه منها على قدر ما يرى فيه من التعـطش والجوع والـذلة والافتقـار وهم خاصـة الله وإلى هـذا المقام أشـار المشايـخ وعليـه حـرضت الشـريعـة بقـولهـا تعـرضوا لنفحـات الله ومن تأخـر ومن نسي نسي فأنـظركم بين المنـزلتين

منزلة الحلاج ومنزلة أويس وأنظر هذا المقام على علوه وسموه كيف اشترك في الظاهر صاحبه مع أحوال العامة فإن العامة أول ما تجود على نفسها ، ولا يتعدى جودها إلى غيرها وإنما يتصرفون تحت حكم هذه الحقيقة وهم لا يشعرون ولما أعموا عن هذا السر وصاروا مثل البهائم لا يعرفون مواقع أسرار العالم مع الله حرصوا على الإيثار ومدحوا به وهو مقام الحلاج الذي ذكرت عنه ورأيت أنه غاية فهكذا فلتغزل الحقائق وتحاك حلل الرقائق فقالت النفس هذا شيء والله ما قرع قط سمعي من غيرك وإن هذا لهو الحق المبين ولمثل هذا فليعمل العاملون وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون ولقد شرحت صدراً ورفعت في المعارف قدراً ولكن بقيت عليك في المسألة تمشية أيضاح حقيقة وهي لعمري دقيقة وهي قولك إن الله بعث النبي وقد استسقى فاستسقى فسقى ثم استسقى في المقام الآخر فأبى وقال أغيث كغيث الكفار فاختار لهم الشدة على الرخاء وهو من باب بسط العذاب وقبض الآلاء قلت صدقت يا نفس قد أثبت ذلك في الحجة البيضاء قالت فاودعني إيّاه في هذه العجالة الغراء قلت لها نعم خرج مالك في موطأه عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أنه قال جاء رجل إلى النبي (ص) فقال يا رسول الله هلكت المواشي وتقطعت السبل فادع الله لنا فدعا رسول الله (ص) فمطرنا إلى الجمعة قال فجاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله تهدمت البيوت وانقطعت السبل وهلكت المواشي فقال رسول الله (ص) اللّهم ظهور الجبال والأكام وبطون الأودية ومنابت الشجر قال فانجابت عن المدينة انجياب الثوب يا أهل القلوب المحجوبة عن الإطلاع على ما أودع في هذه الألفاظ من الغيوب .

شعر :

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

أعطى هذا سيد العالم (ص) مفتاح المنع والعطاء والشدة والرخاء

فاستسقى واستصحا وأثبت ومحى ثم لازم الأدب بعد هذا فقال أغيث كغيث الكفار فرد السائل بسؤاله حكمة أجراها مرسلة ومرتبة أبداها مكملة فأجاب الأول على غاية الإستسقاء حتى يكون في المنع كما كان في العطاء ثم إذا نظرت حقيقة هذا المنع وجدته عطاءان لله في قلوب مانت في صدورها وخزاً فلا أحس منهم من أحد ولا أسمع لهم ركزاً هذا نبي مكرم ورسول ممجد معظم قام خطيباً في شأن أداء فرضه وجاء إليه رسول من أهل أرضه فرغب إليه في نقض إبرامه لما تحقق من مرتبته عند علامة فألقي ظهر الكف إلى السماء وصفا في الحالة العماء لما كان الكف محل العطاء لم يفعل ذلك في الاستصحاء فأسبل رداء الجو وتموج من حينه الدو فكان نكاحاً معنوياً وكان السيد شاهداً ولياً فلما صح الانتظام ووقع الإلتحام درت الضروع واخضرت الزروع هيهات والله بعد تقطب وبسالة وستور مسدولة دون عين الغزالة وأغبرار واقتار وخشوع وافتقار كما قال المهيمن الجبار ـ ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة﴾ فأشفقت لها السماء فابدت مقلتها من خشوعها دامعة فلاحت بين الخشوع والدموع الروضات اليانعة أين أهل الفرح والدعة وأرباب الثروة والسعة والله والله لو أن شمة من روائح الموجود ولا اسماً من أسماء المعبود إلاّ ببذل المجهود وصحة المقصود وتفطير الكبود وخشوع الجوارح وتقصف الجوانح وإقامة المآتم والمنائح والهمهمة في المحاريب بالقرآن والتعرض بتوفير الهمة وصدق التوجه للرحمن في ري الظمآن ناداني الحق في سري عبدي وابن أمتي وعزتي وجلالي ومجدي وعظيم سلطاني وعلو مجدي لا نال معرفتي أحد ولا نيل من جزيل وعدي إلاّ حتى يتصف في هذه الدار الدنيا بما أتصف به أهل الشقاء في الدار الأخرة من الخشوع ذلة وافتقاراً والبكاء دمعاً مدراراً والزفرات المتصاعدة وبنضيج الجلود وتضيق الكبود وتنغص العيش النكيد بهذا حليت أوليائي وأنبيائي لما سبق لهم عندي من السعادة بعد جهد ومكابدة وجوع وشد الحجارة على البطن قاساه

الرسول السيد المطيع حتى فتح لـه مع أصحـابه في لبن وتمـر دون لحم ولا خبز بر قال لأصحابـه أنكم لتسألن عن نعيم هذا اليـوم فنغص عليهم عيشهم على قلتـه وأخـذهم لـه على فـاقـة فـأحـوال الـدارين معكـوسـة وصفـاتها منكـوسة حفت الجنـة بـالمكـاره وهي مـا يقـاسيهـا المؤمن في الـدنيـا والكـافـر في العقبى فـانـظر في أي حـزب تكـون خلقت الـدنيـا وخلقت لهـا أهلاً وخلقت النـار لهم مـوطنـاً وخلقت الآخـرة وخلقت لهـا أهلاً وجعلت الجنة لهم مقيلاً ومحل رؤيتي مستقراً ومسكناً ملكت الـدنيا من سبقت عليه كلمتي بغضبي القاصم ولعنتي فـطردته السـابقة من بـاب رحمتي وملكت الأخـرة كل كـل خاشـع أواه جد في مسـراه وضمر بـطنه للسبـاق وخاف من حسـرة الاستباق فـإنه طلق : أنـا غايتـه ورؤيـة كـريم وجهي والتنزه فيه نهايته ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾ تسابقوا على نجب الأعمـال وتحققوا بحقـائق المقـامـات والأحـوال فـوصلوا إلى مشاهدة الجلال والجمال إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يـرفعه فهو براقه الذي أخـرجه من عنـده فإلى مـرجعهم لأن قولهم بـلا عمل من الأعمـال وعنـدي يجـدوتـه إذا رجعـوا من غيـر نقص ولا اختــلال نكتـة بـإشاراتهـا من خلف ستاراتهـا وخلق الإنسـان ضعيفـاً أقـام السيـد (ص) على أعـواده ساعـة إشهاده فقيـل لـه لمـا طلب منـه الإستصحـاء أنعمت فـأبليت وبالغت في التكحيـل لإزالة الـرمد فـأعميت فاهتـز قضيب البـان عـبــداً لله (ص) وإن شئت قـلت عبـد الـرحـمن وجــال فـي مـيــدان الاستخـلاف وأراد الجنـوح إلى فئـة الإئتـلاف من فئـة الاختـلاف ووقف في بـرزخ الاعتـدال بين وزيـري الجـلال والجمـال فغيض المـاء وقضي الأمــر واستـوت السفينــة على الجــودي الخــاشــع حين وصف غيــره بالمتطاول لهـا وهو بـالمتواضـع حكمة أبـداها وسـريرة أخفـاها وكيف لا ينال ما عنده إلاّ بتطاول الهمم وأبـرار المقسـم من أجل المقسم فـانجابت حتى صاروا منها في مثـل الإكليل وهي هـالة لمـا كانـوا أهل وجـه واحد في أصل السلالـة فلو رأو من وراء ظهورهم وعن إيمـانهم وعن شمائلهم

مثله لرأوها كالهالة أو كالكلة وقد ورد إنجياب الثوب لاظهار ما في الغيب إنجياب الشوق وارتفاع الشك والريب﴿إن مع العسر يسراً﴾ أواه ثم أواه على أسرار تظهر وأقمار تزهر ولا عيون تبصر ولا ألباب تشعر غار (ص) أن نتخذ من دون الله نداً وأن نصمد إليه في الحوائج صمداً لما كان الحق إلى جميع العبيد أقرب من حبل الوريد ثم أسدل بيننا وبينه حجاب الرسالة وجعل بيدها مفاتيح الكفالة وكتب لهم بها مرسوم الوكالة فنظرت القلوب إلى أيديهم وما برحوا وبسط ناديهم فإذا انقضت الحوائج أسرعوا في الإدلاج يا لها من حسرة ويا شؤمها من فترة حيث لم يقدروا قدره الواحد ضمن له همه ومع تصحيحه لذلك فاته يومه فعاش على النصف من عمره وبهذا زاد على غمره والآخر أشرك في تحصيل الأبناء تعمير الوعاء حتى كأن الجميع ليس لهم خالق وأن هذا الرسول هو الواحد الرازق رضي الله عن الصديق الأكبر صاحب السر العلم الأزهر في قيامه على منبر الطرفاء يوم الداهية الدهياء بموت سيد الأنبياء أمين الأمناء وعلم الاهتداء وقد ذهل من كان عندنا أقوى الأقوياء فما ظنك بالضعفاء وصار الرفيق الأسيف على مذهب السيدة الحميراء لما كان يظهر عليه من شدة التلهف والبكاء فكاء أضعفهم عيناً وأقواهم في صميم السويداء فقال من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فا لله حيّ لا يموت ثم تلى استشهاداً على مقالته الزاهراء ﴿وما محمد إلاَّ رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ إلى آخر الآية الغراء ثم تلاها بقوله جلّ ثناؤه﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ ثم خاطب جميع الخصماء فهذه القوة الإلهية من زهده في القوت وسوقه جميع ما ملكته يده لله ورسوله فملكه مفاتيح التابوت فمن غيرته عليه وأمانته إخفاؤه إيّاه إلى يوم فقد صاحب رسالته ففتح تابوت صدره وأبدى مكنون سره ونبه بعلمه على مكانته من الله وقدره وأقر له الفاروق بالشرح لما بدت لعينه أعلام الفتح ولم يزل الصديق مفتوحاً له قبل ذلك من حين ملك المفتاح ورسم ديوان الممالك وإنما كان ينتظر رحلة السيد (ص) إلى

حضرة المحبوب الرفيق الأعلى المالك فحلاه بزينته لما شاركه في نوره وطينته ثم سلك في الهين واللين على مندرجته لما دعى له أن يكون معه وفي درجته ثم أبان له برهان الموافقة بما ذكره عن نفسه (ص) وعنه إلى المقام من المسابقة فسبق النبي (ص) الصديق ولذلك قيل له هناك قف إن ربك يصلّي بصوت عتيق فاستأنس وحن من جهة إحساس البدن وقد اتضحت أسرار ولمعت في علية هذا الوجه بوارق الأنوار فنرجع إلى قيامه (ص) بين وزيري جمال وجلال فأشار إلى وزيره الموهوب والعبوس القطوب أن قد ظهرت سطوتك على الأعداء الغمر بالهلاك والدمار بين صباح رعود ومرهفات بروق وسهام أمطار فأمر العسكر الجرار الجنح فقال لم يهلك سلطاني ولكن سمح فتبسم الجمال وقال صدق يا رسول الله وصدقت وبالحق نطق صاحبي وبه نطقت فإنا تألفنا من غير شتات وحيينا بلا تقدم ممات أنا أظهر لك صدق صاحبي فيما ادعاه وأبدي متنزهاً عجيباً إلى مقلتك النجلاء مما حواه غصنه ووعاه فأرسلهما خديمين في لعالم أمينين خليلين نديمين وانصرف السيد إلى حضرة العين وغاب بلا كيف حيث لا أين فلذلك لم يروا منه (ص) إلاّ صورته المشهودة والحركة المعروفة بيننا المعهودة فقلنا ما شهد به علينا من الأوراق وسارت به الركبان والرفاق وتلى في المكاتيب والمنابر والمحارب في جميع الآفاق .

﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ عثرة لا تطاق وصيحة ما لها من فواق يعاينها قائلها عند السياق إذا بلغت النفس التراق وقيل هل من راق **﴿والتفت الساق بالساق﴾** وأيقن بالفراق .

ولكل واحد من هذه العشرة حظ يراه إذا كان إلى ربه المساق فعليكم بالإيمان الصرف على غاية الجلاء وإلاّ والله فقد نشر الميثاق وأخذتم بضيق الخناق . خرج أبو داوود في مراسيله في هذا الباب عن شريك يعني ابن نمر عن عطاء بن يسار أن رجلاً من نجد أتى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله أجدبنا وهلكنا إن لم يدركنا الله منه برحمة

فادع الله يغيثنا فدعا رسـول الله (ص) فرجـع الرجـل وقد مـطروا فأحيـوا عامهم ذلك ثم رجع من عام قابل فقـال يا رسـول الله دعوت الله فـأحيينا عام الأول فادع الله لنـا فقال رسـول الله (ص) غيث كغيث الكفار ، لا : ارجع .

مـا أعظم مـا تحويـه هـذه اللفـظة من الأسـرار لمـا علم (ص) أن نـزول الأمطار عنـد الله بمقدار وأن ذلـك لم تجدر بنـزوله الأقـدار ردعـة بقـولـه أغيث كغيث الكفـار فـادرج لـه العلم في مـوعـظة زاجـر وألصق استمـرار الرخـاء والسعة بـالأمة الكـافر وإن المؤمن يتقلب في نفسـه بين شدة ورخاء وفي قلبه بين خوف ورجـاء ليهرب إلى التقليـل والزهـادة من دام عليـه في الدنيـا في مـأكله ومشـربـه نعيمـه فليتحقق أن ذلـك النعيم عـذابه وجحيمـه فيفرح المقـل بفاقتـه ويستعمل نفسـه في الشكـر عليهـا جهـد طاقتـه ويتنغص لـه عيش الغني فيؤجـر في تنغصـه ويحـرضـه على التـروح بتبديـد المال في ذات الله أو تنقصـه فيـالهـا كلمـة واحـدة عمت القبضتين وانسحبت على الـطائفتين لقـد أوتي جـوامـع الكلم وفصـل الخطاب والحلم استشهادي له في توقفه عن الإجابة ﴿وأنزلنـا من السماء ماء بقدر﴾ ﴿وما ننزله إلاّ بقدر معلوم﴾ ﴿ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾ فتأمل يا وليي سـدد الله نظرك مـا تنـطوي عليـه هـذه الإشـارات ومـا تتضمنـه من المعارف والأسرار والمقامات هذه العبارات ولمـا سمعت النفوس إيـرادي لهـذه الشذور وإبـرازي هذه الأسـرار المخـدرات من خلف هـذه السـتـور تيقنت أنها في تبان وأن عليين إنمـا هو الأولى الألبـاب فالقت يـد السمع والطاعة على ملازمة السنـة والجماعـة والإقرار بـالفضل والسبق للمتقـدم فإن ذلك هو الإمام المعلم وأيقنت بـإقتراب السـاعة ونفـاد أيامهـا لظهـور شـرائطهـا وأعلامهـا يقول من كـرم هذه الأمـة وفضلهـا : إن من شـرائط الساعة أن يلعن آخـر هذه الأمـة أولها وقـد رأينا في هـذه البلاد من هـذه الشـرائط كثيراً وليتهم وقفـوا مـع سب أولهم من جنسهم ولا يتعـدون من ذلـك إلى ما هـو أعظم منـه فوالله يـا وليي لقـد قـرع سمـع أخيـك سب

عيسى (ع) وسب بعض الصحابة الكرام وسب الله ذي الجلال الإكرام ، وأما المدعون في هذه الطريقة فقد قاربوا الخروج من الجماعة بل خرجوا فطائفة بلغني عنهم أنهم استغنوا عن شفاعة الرسول (عليه الصلاة والسلام) لما تحققوا به مع الحق من حقائق الوصال ولو رأيت أحوالهم لرأيت نقيصه الكون وما تسخن به العين وقال من تبرز فيهم إماماً وهو لا يعرف ما خلق له ويدعي الكشف الأتم مع الحق فقال إن الجنة لم تخلق هكذا أعطاه كشفه المكشوف وعقله السخيف المتلوف وأما وليك فسمع واحداً وقد عاب عليه بعض أصحاب السماع لمثلي يقال هذا إن جبريل لا يحسن يسمع مثلي ولا الملائكة فقمت عليه في ذلك فتاب واستغفر الله وأناب ، فهذه قلوبهم الحاضرة ووجوههم الناظرة إلى ربها الناضرة ! ؟ بل والله وجوه باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة ثم أعرف وليي (أبقاه الله تعالى) أن نفسي الخبيثة بطانة السوء لما قرع سمعها أخبار هؤلاء السادة ،الأئمة القادة كان لها من صغرها تعشق بحديث أويس القرني (رضي الله عنه) قالت لي عسى تنص لي من شأنه بعض ما وصل إليك فإنني ألهج بذكره وأطو معي بساط المناظرة وسد باب التمثيل والمحاضرة وألق ما شئت من أنواع المجاهدة فإني الموافقة المساعدة فشكرت الله على طلبها الاختصار وتركها التطويل وعلمت أنها تريد سلوك سواء السبيل قلت لها نعم حدثني أبو محمد بن يحيى قال حدثني أبو بكر بن أبي منصور قال حدثنا أبو الفضل بن أحمد حدثنا أبو أحمد بن عبد الله عن أبيه قال حدثنا حامد بن محمود قال حدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا أبو الوليد بن إسماعيل الحراني قال حدثنا محمد بن إبراهيم بن عبيد قال حدثني محمد بن يزيد عن نوفل بن عبد الله عن الضحاك بن مزاحم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال بينما رسول الله (ص) في حلقة من أصحابه إذ قال ليصلّين معكم غداً رجل من أهل الجنة قال أبو هريرة فطمعت أن أكن أنا ذلك الرجل فغذوت فصلّيت خلف النبي (ص) وأقمت في المسجد حتى

أنصرف الناس وبقيت أنا وهو فبينما نحن كذلك إذا قبل رجل أسود متزر بخرقة مرتد برقعة فجاء حتى وضع يده في يد النبي (ص) ثم قال يا نبي الله أدع الله لي فدعا له النبي (ص) بالشهادة وإنا لنجد منه ريح المسك الأذفر فقلت يا رسول الله أهو هو قال نعم إنه لمملوك لبني فلان قلت أفلا تشتريه تعتقه يا نبي الله قال وأني لي بذلك إن كان الله تعالى يريد أن يجعله من ملوك الجنة يا أبا هريرة إن لأهل الجنة ملوكاً وسادة وإن هذا الأسود أصبح من ملوك الجنة وساداتهم يا أبا هريرة إن الله عزّ وجلّ يحب من خلقه الأتقياء الأخفياء الأبرياء الشعثة رؤوسهم المغبرة وجوههم الخمصة بطونهم من كسب الحلال الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإن خطبوا المتنعمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفقدوا، وإن حضروا لم يدعوا، وإن طلعوا لم يفرح بطلعتهم وإن مرضوا لم يعادوا وإن ماتوا لم يشهدوا قالوا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم قال ذلك أويس القرني قالوا ومن أويس القرني قال أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة آدم شديد الأدمة ضارب بذقنه إلى صدره رام ببصره إلى موضع سجوده واضع يده اليمنى على شماله يتلو القرآن يبلي على نفسه ذو طمرين لا يؤبه له متزر بإزار صوف مجهول في الأرض معروف في السماء، لو أقسم على الله لأبر قسمه ألا وإن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء ألا وإنه إذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة ويُقال لأويس قف فاشفع فيشفعه الله في عدد مثل ربيعة ومضر يا عمر ويا علي إذا أنتما لقيتماه فاطلبا منه أن يستغفر لكما يغفر لكما الله تعالى قال فمكثا يطلبانه عشر سنين لا يقدران عليه فلما كان في آخر السنة التي هلك فيها عمر (رضي الله عنه) قام في ذلك العام على أبي قبيس فنادى بأعلى صوته يا أهل الحجيج من أهل اليمن أفيكم أويس من مراد فقام شيخ كبير اللحية وقال إنا لا ندري ما أويس ولكن ابن أخ لي يُقال له أويس وهو أخمل ذكراً وأقل حالاً وأهون أمراً

من أن نـرفعه إليـك وإنه ليـرعى إبلنا حقيـر بين أظهرنـا فعمي عليه عمـر كـأنه مـا يريـده فـأين ابن أخيـك هـذا نحـو مني هـو قـال نعم قـال وأين يُصاب قال بأراك عرفات قال فـركب عمر وعلي سـراعاً إلى عـرفات فـإذا هو قائم يصلّي إلى شجرة والإبل حـوله تـرعى فشدا حمـاريهما ثم أقبـلا إليه فقالا (السلام عليك ورحمة الله وبركاته) فخفف أويس الصـلاة ثم قال و (عليكما السلام ورحمة الله وبركاته) قالا من الرجـل قال راعي إبـل وأجير قوم قالا لسنا نسألك عن الرعاية ولا عن الإجـارة ما أسمـك قال عبـد الله قـالا قد علمنـا أن أهـل السمـوات والأرض كلهم عبيـد الله فمـا اسمـك الـذي سمتك أمـك قال يـا هذان مـا تريـدان بي قـالا وصف لنـا محمـد (ص) أويسـاً القـرني فقـد عرفنـا الشهـولـة والصهـوبـة وأخبـرنـا أن تحت منكبك الأيسر لمعة بيضاء فأوضحها لنـا فإن كـان بك فـأنت هو فـأوضح منكبـه فإذا اللمعـة فابتـدراه يقبلانـه ويقـولان نشهـد أنـك أويس القـرني فاستغفر لنـا يغفر الله لـك قال مـا أخص باستغفـاري نفسي ولا أحداً من ولـد آدم ولكن من في البـر والبحـر من المؤمنين والمؤمنـات والمسلمين والمسلمات يا هذان قد أشهر الله لكما حـالي وعرفكمـا أمري فمن أنتمـا قـال علي أمـا هـذا فعمـر أميـر المؤمنين وأمـا أنـا فعلي بن أبي طـالـب فـاستوى أويس قـائماً وقـال السلام عليـك يـا أميـر المؤمنين ورحمـة الله وبـركاتـه وأنت يا ابن أبي طـالـب فجزاكمـا الله عن هذه الأمـة خيراً قـالا وأنت فجزاك عن نفسك خيراً فقال عمر مكانـك يرحمـك الله حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة من عـطائي وفضل كسـوة من ثيابي هـذا المكان وميعـاد بيني وبينـك قال يـا أمير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك لا أراك بعـد اليوم تعرفني ما أصنع بالنفقـة ما أصنـع بالكسـوة أما ترى على إزاراً ورداء من صوف متى تراني أخلقهما أما تـرى نعالي مخصـوفتين متى تراني أبليهمـا قـد أخذت من رعـائي أربعة دراهـم متى تـراني آكلها يـا أمير المؤمنين إن بين يـدي ويدك عقبـة كؤوداً لا يجاوزها إلاّ ضـامر مخف مهـزول فاخف يـرحمك الله فلمـا سمع ذلـك من كـلامـه ضـر بـدرتـه الأرض ثم نـادى

بأعلى صوته ألا ليت أمّ عمر لم تلد عمراً يا ليتها كانت عاقراً لم تعالج حملها إلاَّ من يأخذها بما فيها ولها ثم قال أويس بأعلى صوته يا أمير المؤمنين خذ أنت ههنا حتى آخذ أنا ههنا فولى عمر وأخذ أويس إبله فوافى القوم إبلهم وخلى عن الرعاية وأقبل على العبادة حتى لحق بالله عزّ وجلّ .

قال المغيرة كان أويس القرني يتصدق بثيابه حتى يجلس عرياناً لا يجد ما يروح فيه إلى الجمعة ومما يؤيد هذا ما رويناه من حديث ابن دينار قال قال رسول الله (ص) إن من أمتي من لا يستطيع أن يأتي مسجده أو مصلاه من العري يحجزه إيمانه أن يسأل الناس منهم أويس القرني وقال عبد الله بن سلمة غزونا أذربيجان وكان أويس معنا فلما رجعنا مرض علينا فحملناه فلم يستمسك فمات فنزلنا فإذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه فقال بعضنا لبعض لو نزلنا فعرفنا قبره فإذا لا قبر ولا أثر وقال هرم بن حيان قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلاَّ أويساً أسأل عنه فدفعت إليه وهو بشاطىء الفرات يتوضأ ويغسل ثوبه فعرفته بالنعت فإذا رجل آدم محلوق الرأس كث اللحية مهيب المنظر فسلمت عليه ومددت إليه يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني فخنقتني العبرة لما رأيت من حاله فقلت السلام عليك يا أويس كيف أنت يا أخي فقال وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان من دلك علي قلت الله عزّ وجلّ قال قل له : ﴿**سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا**﴾ قلت يرحمك الله من أين عرفت اسمي واسم أبي فوالله ما رأيتك قط ولا رأيتني قال عرف روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك لأن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد وأن المؤمنين يتعارفون بروح الله عز وجل وإن نأت بهم الديار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني عن رسول الله (ص) لأحفظ منك قال إني لم أدرك النبي (ص) ولم يكن لي معه صحبة وقد رأيت رجالاً رواة وقد بلغني من حديثه كبعض ما بلغكم ولست أحب أن أفتح هذا الباب

على لا أحب أن أكـون قاضيـاً أو مفتياً في نفسي شغـل قـال قلت فـاتـل علي آيـات من القرآن أسمعهن منـك وادع لي بدعـوات وأوصني بوصيـة قـال فأخـذ بيدي وجعـل يمشي على شـاطيء الفرات ثم قـال قـال ربي وأحق القول قول ربي عـزّ وجلّ وأصـدق الحديث حـديث ربي عزّ وجـلّ وأحسن الكـلام كـلام ربي عـزّ وجـلّ أعـوذ بـالله السميـع العليم من الشيطان الرجيم : إن يوم الفصل ميقـاتهم أجمعين . ثم شهق شهقة فـأنا أحسبه قد غشي عليـه ثم قرأ حتى بلغ يـوم لا يغني مولى عن مـولى شيئاً ولا هم ينصرون إلاّ من رحم الله إنه العـزيز الـرحيم . ثم نظر إلي فقال يا هرم بن حيان مات أبـوك ويوشـك أن تموت ومـات أبو حيـان فإمـا إلى جنـة وإما إلى نـار ومات آدم ومـاتت حـواء يـا بن حيـان ومـات إبـراهيم خليل الرحمن يا بن حيان ومـات موسى نجي الله الـرحمن يا بن حيـان ومـات محمد رسـول الله (ص) وعليهم أجمعين يـا بن حيـان مـات أبـو بكر خليفة المسلمين ومات أخي وصديقي وصفيي عمر ، واعمراه ـ قـال وذلـك في آخر خـلافة (عمر رضي الله عنـه) ـ قـال قلت يـرحمـك الله إن عمر لم يمت قال بلى إن ربي عـزّ وجلّ نعـاه لي وقد علمت مـا قلت أنا وأنت غداً في الموتى ثم دعى بـدعوات خفـاف تم قال هـذه وصيتي لك يـا بن حيـان كتـاب الله عـزّ وجـلّ ونعى الصـالحين من المؤمنين ونعي الصـالحين من المسلمين ونعيت لـك نفسي فعليـك بـذكـر المـوت فـإن استـطعت أن لا يفارق قلبـك طرفـة عين فافعـل وأنذر قـومك إذا رجعت إليهم وأكـدح لنفسك وإيـاك أن تفارق الجمـاعـة فتفـارق دينـك وأنت لا تشعـر فتموت فتـدخل النـار يوم القيـامة ثم قـال اللهم إن هذا يـزعم أنـه يحبني فيــك وزارني من أجلك فـادخله على زائــراً في الجنـة دارك دار السلام ورضه من الدنيـا باليسير وما أعـطيته من شيء في الـدنيا فـاجعله في يسر وعافية وأجعله لما تعطيه من العمل من الشاكـرين استودعـك الله يا هرم بن حيان والسلام عليـك لا أراك بعد اليـوم تطلبني ولا تسـأل عني أذكـرني أذكرك وادع لي أدعـو لك إن شـاء الله تعـالى انطلق ههنـا حتى

أنطلق أنا هٰهنا فطلبت أن أمشي معه ساعة فأبى علي وفارقني يبكي وأبكي ثم دخل بعض السكك فكم طلبته وسألت عنه فما وجدت أحداً يخبرني عنه بشيء . حدثنا بهذه الحكاية أحمد الشاهد عن محمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر عن محمد بن العباس بن أيوب عن يحيى بن محمد بن السكن عن يحيى بن كثير عن الهيثم بن حرموز عن حمران عن سلمان التيمي عن أسلم العجلي عن أبي الضحاك الجرمي عن هرم بن حيان . فهذا يا نفس من بعض أخبار أويس الذي أحببتيه لله وفي الله ولولا التطويل لاشبعناك من أخباره وأخبار أمثاله من سادات التابعين (رضي الله عنهم أجمعين) ولكنك قنعت بهذا القدر فالتزمي طاعة الله وطاعة رسوله فأسلمت إسلاماً جديداً الله يثبتها عليه وأخذت منها العهود التي أخذ النبي (ص) على نساء المؤمنات فالتزمت ذلك كله عارفة قدر ذلك وما لها في الوفاء به وغدره فهذا يا ولي أبقاك الله ما أتفق بيني وبين نفسي بمكة المشرفة (حرسها الله تعالى) ثم أرجع مع ولي وصفيي وأخي في الله تعالى أبي محمد (وفقنا الله وإياه) وأقول أما بعد يا أخي فإن أكثر الناس خافوا الله على سيئات الناس وذنوبهم وأوزارهم وآمنوا على ذنوبهم وليس هذا فعل الرجل الحازم والله تعالى يقول : ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ وأقرب عدو لك وأعداه عليك نفسك التي بين جنبيك فيها شغل شاغل للعاقل وهذا الزمان الذي أنت فيه زمان شر قلت فيه لقمة الحلال وكثر الشره والكلب في قلوب الناس فلا بطن تشبع ولا نفس تقنع ولا عين تدمع ولا دعاء يسمع فلما قل الحلال لو وقع التعفف من المريد وأخذ الغذاء عند الاضطرار لكان بعض شيء يكفيه وأبشرك يا وليي (رضي الله عنه) إني جربت إخواني في هذا الطعام من باب المغرب إلى باب مكة فما دخل في بطني أخلص من طعامك كنت أجد له ما لا يمكن وصفه وذلك لطيب النفوس وعدم تعلق خاطرك به إلاَّ في وقت ما تعرفه أنت وابن المرابط وتعرف سببه وهذا أعجب ما تسمع في هذا الباب وله أصل

يستنـد إليه في اللحم الـذي تصدق بـه على بريـرة وهو حـرام على النبي (ص) فلمـا أهدت منـه للنبي (ص) أكله حلالاً محضـاً وقـال هـو عليهـا صدقة ولنا هدية فألق بالك يا وليي وأحضر ذهنك في هذه المسـألة فـإنها لطيفة وقد قصدتك بها متحفاً فإنهـا من أعظم التحف لأنهـا تعطيـك من أسـرار وضع الشـرع من عنـد الله في عبيـده علمـاً كثيـراً ولقـد لقينـا من المشـايخ والإخـوان والنساء مـا لو دونت أحـوالهم وسطرت كمـا سطرت أحـوال من تقدم لـرأيت الحال الحـال والعين العين في الأعمـال والجـد والإشـارات وصحـة القصـد فيـا ولـيي تعـال نقم مـأتمـاً للفـراق ونـنـدب إخـواننا الـظاعنين وأنا أنشـد لك من بعض أحـوال من لقيت فمنهم وهـو أول من لقيته في طريق الله أبـو جعفر العـريني (رضي الله عنه) وصل إلينا إلى أشبيلية في أول دخولي إلى معرفة هـذه الطريقـة الشريفـة فكنت أول من سارع إليه فدخلت عليه فوجدت شخصـاً مشتهراً بـالذكـر فتسميت له وعـرف حاجتي منـه فقال لي عـزمت على طريق الله تعـالى فقلت له أمـا العبـد فعازم والمثبت الله فقـال لي سد البـاب واقـطع الأسبـاب وجـالس الـوهاب يكلمـك الله من دون حجاب فعملت عليهـا حتى فتح لي وكـان بدوياً أمياً لا يكتب ولا يحسب وكان إذا تكلم في علم التـوحيد فحسبـك أن تسمـع . كان يقيـد الخواطـر بهمته ويصـدع الجـود بكلمتـه لا تجـده أبداً إلاّ ذاكراً على طهارة مستقبل القبلة أكثر دهره صـائماً أسـرته الفـرنج وكان قد أعلم بذلك وقال لأهل القفـل غداً يؤخـذ الكل أسـرى فصبحهم العدو فأخـذهم عن آخرهم فـأكرم مثـواه ونظفت لـه دار حسنة وخـدم بها ثم تقـاطع مـع العلج الذي كـان عنده على خمسمـائة دينـار فجاء عنـدنا فقيـل لـه نجمـع لـك من شخصين أو ثـلاثـة فقـال لا إنمـا أريـدهـا من أشخـاص كثيرة لـو قدرت أن آخـذها من كـل إنسـان ذرة فعلت فـإن الله تعـالى أخبرني أن كـل نسمـة وزنت فيهـا شيئاً عتقت من النـار فـاستغنم الخير لأمة محمد (ص) . ومن أخباره أنه قيل لـه وهو بـإشبيلية عنـدنا إن أهـل قصر كتـامة يحتـاجون إلى المـطر فسر إليهم فـاستسق لهم لعل الله

أن يسقيهم فخرج لذلك وخرج معه خادمه محمد وبيننا وبينهم البحر ومسيرة ثمانية أيام فقال له بعض أصحابه أدع الله لهم من هنا قال أمرت بالخروج إليهم ، فخرج من عندنا فلما وصل قصر كتامة وأشرف عليه منع من دخوله فاستسقى لهم وهم لا يشعرون فسقاهم الله في الحين فرجع من ذلك الموضع ولم يدخل البلد حتى وصل إلينا فقال لنا محمد خادمه الذي مشى معه لما سقاهم الله ونزلت الأمطار كان الغيث ينزل عن يميننا ويسارنا وأمامنا وخلفنا ونحن نمشي لا يصيبنا منه شيء فقلت للشيخ عز علي حيث لم تصبك رحمة الله عزّ وجلّ فصاح وقال فزت بها يا محمد يا حسرة لو تذكرتها هناك . ودخل عليه رجل ومعه ابنه وأنا إلى جانبه جالس فسلم عليه وقال لابنه سلم عليه وكان الشيخ قد ذهب بصره فقال له الرجل يا سيدي إن ابني هذا من حملة القرآن يحفظه فتغير الشيخ وصار وطرأ عليه حال وقال القديم يحمل المحدث القرآن يحمل ابنك ويحملنا ويحفظ ابنك ويحفظنا فهذا كان من حضوره (رضي الله عنه) وكان قوياً في دين الله لا تأخذه في الله لومة لأئم كنت إذا دخلت عليه يقول مرحباً بالابن البار كل ولدي نافق علي وجحد نعمتي إلاَّ أنت فإنك مقربها معترف لا أنساها الله لك سألته ما اتفق له مع الله تعالى في أول بدايته فقال كان قوت أهلي في السنة ثمانية أعدال تينا والعدل مائة رطل فلما جلست مع الله في الخلوة صاحت علي المرأة وسبتني وقالت لي قم وأخدم وسق ما يقوم بأولادك لعامهم فشوشت علي خاطري فقلت يا رب هذه تحول بيني وبينك ولا تزال تتعبني فإن كنت تريد لي مجالستك فأرحني من همها وأن كنت لا تريدني فعرفني قال فناداني: الحق في سري يا أحمد أجلس معنا ولا تبرح فما يذهب النهار حتى نأتيك بعشرين عدلاً تيناً قوت عامين فلم تكن إلاَّ ساعة وإذا بصارخ وعلى عنقه عدل من تين هدية فقال لي الحق هذا واحد من عشرين فما غربت الشمس حتى أكمل عندي عشرين عدلاً فسرت المرأة والأطفال وشكرتني المرأة ورضيت عني .

وكـان(رضي الله عنه)كثيـر التفكر مبسـوطاً مـع الحق في عموم أحـواله . دخلت عليه آخر زورة رأيته فيها (رحمه الله تعالى) ومعي جمـاعة فـوجدنـاه قاعداً فسلمنـا عليه وقـد أراد بعض الجماعـة أن يسألـه فإذا بـه(رضي الله عنه) قد رفع رأسه وقال خذوا مسألة وقد رأيتك بهـا يا أبـا بكر وأشـار إلي لم أزل أتعجب من قـول أبي العباس بن العـريف حتى يفني من لم يكن ويبقي من لم يـزل ونحن نعلم أن من لم يكن فـانيـاً ومن لم يـزل بـاقيـاً فـإيش قـال أجيبـوا ؟ فلم يكن في الجمـاعـة من أجـابـه فعـرض علي الجـواب فحضـرتني نفسي بعثـوري على وجـه المسألة دونهم فلم أتكلم فـإني كنت شديـد القهر لنفسي في الكـلام وعرف مني الشيـخ ذلـك فلم يعـد علي . وكـان (رضي الله عنه)لا يتجـرد لنـوم في ثـوب ولا يهتـز في سمـاع فإذا سمـع القرآن تقصف وتصـدعت أركانـه وصليت معه الصبـح في دار ولـيي وصفيي أبي عبد الله الخياط المعـروف بالعصـاد وأخيه أبي العباس أحمد الحـريري فقـرأ الإمام عم يتسـاءلون فلمـا وصل إلى قـوله تعـالى : ﴿ألم نجعـل الأرض مهـاداً والجبـال أوتـاداً﴾ غبت عن قـراءة الإمـام وما سمعت شيئـاً ورأيت شيخنـا أبـا جعفـر المـذكـور وهـو يقـول المهـاد العـالم والأوتـاد المؤمنـون المهـاد المؤمنـون والأوتـاد العـارفـون والمهاد العارفون والأوتاد النبيـون ، والمهاد النبيـون ، والأوتاد المـرسلون فـرددت إلي والإمام يقـرأ وقال صـواباً ذلـك اليوم الحق فلمـا فـرغنـا من الصـلاة سألتـه فوجـدته قـد خطر لـه في تلك الأية مـا شهدتـه واضجعـه إنسـان ليذبحـه والسكين في يده والشيـخ يمد لـه عنقه وهم بـه أصحابـه ليأخذوه فقال أتركـوه يفعل مـا يؤمر بـه فكان يـأخذ السكين ليمـر به على حلقـومه فيحـوله الله في يـده حتى رمي به وتـرامى بين يديـه تائبـاً ولـولا التطويل لأظهـرنا من أمـره وأمر غيـره ممن لم نذكـره عجائب من إشاراته ومـا وقع بيننـا وبينه من المسـائل الإلهيـة في المواقف وغيـرهـا ولنـا فيـه أبيـات لا نـذكـرهـا الآن . ومنهم (رضي الله عنهم) شيخنـا وإمـامنـا أبـو يعقوب يوسف بن يخلف الكومي العبسي (رضي الله عنه) صحب أبا مـدين

(رضي الله عنه)ولقي رجالاً بهذه البلاد سكن ديار مصر مدة وتأهل بمدينة إسكندرية رغب في مصاهرة أبي طاهر السلفي عرضت عليه ولاية فاس فأبى . له في الطريق قدم راسخة كان أبو مدين(رضي الله عنه) لسان هذه الطريقة ومحييها ببلاد المغرب يقول في هذا أبو يعقوب هو مثل موسى القوي للسفينة كان كثير الأوراد يخفي صدقته يكرم الفقير ويذل الغني ويسارع في قضاء حاجة الفقير بنفسه دخلت تحت أمره فربى وأدب فنعم المؤدب ونعم المربي رواه صاحبنا بدر الحبشي وبات عنده . سمعته يقول إذا شاء الشيخ أخذ بيد المريد من أسفل سافلين وألقاه في عليين في لحظة واحدة كان كبير الهمة الغالب عليه طريق الملامتية . قط ما تلقاه إلاّ مقطب الوجه وإذا أبصر فقيراً تبرق أسارير وجهه رأيته يدني الفقير من نفسه حتى يجلسه على فخذه يخدم أصحابه بنفسه رأيته في النوم وقد انشق صدره وفيه مصباح يضيء كأنه الشمس يقول يا محمد هات فأتيته بحقين أبيضين كبيرين فتقيأ فيهما لبناً حتى ملأهما ثم قال أشرب فشربت . جل ما أنا فيه من بركته وبركة أبي محمد المروزي وسآتي ذكره إن شاء الله تعالى أول مسألة ألقاها علي في أول ساعة رأيته فيها وقد أقبل علي بكليته أن قال ما الذنب الذي يأتيه المار بين يدي المصلّي حتى يود أن يقف أربعين خريفاً فأجبته على ذلك على حد ما وقع لي فسر بذلك فكنت إذا قعدت بين يديه وبين يدي غيره من شيوخنا أرعد مثل الورقة في يوم الريح الشديد ويتغير نطقي وتتخدر جوارحي حتى يعرف ذلك في حالي فيؤنسني ويطمع أن يباسطني فلا يزيدني ذلك إلاّ مهابة وإجلالاً كان (رضي الله عنه) يحبني ولا يظهر ذلك لي ويقرب غيري ويطردني ويصوب كلام غيري ويوبخني في المحافل والمجالس ويشتمني حتى كان أصحابي الذين معي ينسبوني إلى قلة الهمة وهم معي تحت نظره وخدمته فما برع من تلك الجماعة غيري ولله الحمد . وكان الشيخ (رضي الله عنه)يقول ذلك . ومما شاهدته منه (رضي الله عنه) ولم أكن

قط رأيت رسالة القشيري ولا غيرها ولا كنت أدري لفظة التصوف على ماذا تنطلق فركب يوماً فرسه وأمرني وآخر من أصحابه أن نخرج إلى المنتيار - وهو جبل عال على فرسخ من إشبيلية - فخرجت أنا وصاحبي عند فتح باب المدينة وفي يد صاحبي رسالة القشيري وأنا لا أعرف ما القشيري ولا رسالته ، فصعدنا الجبل فوجدناه سبقنا وغلامه ممسك فرسه فدخلنا مسجداً في أعلى ذلك الجبل فصلينا واستدبر القبلة وأعطاني الرسالة وقال لي إقرأ فلم أقدر أن أضم كلمة إلى أخرى والكتاب يسقط من يدي من الهيبة فقال لصاحبي إقرأ فأخذه صاحبي وقرأه وتكلم عليه الشيخ فلم نزل كذلك حتى صلّينا العصر فقال الشيخ ننزل إلى المدينة فركب فرسه وألزمت يدي ركابه فجعل يحدثني بفضائل الشيخ أبي مدين وكراماته (رضي الله عنه) وأنا قد فنيت في كلامه فلا أحس بنفسي وأرفع إليه وجهي في أكثر الأوقات فأراه ينظر إلي ويبتسم ويهمز فرسه فيسرع وأسرع معه ثم وقف وقال لي أنظر ما تركت خلفك فنظرت فرأيت الطريق الذي مشيت كله شوكاً يصل إلى معقد الأزار وشوكاً آخر منبسطاً في الأرض قال أنظر إلى قدميك فنظرت إلى قدمي فلم أر بهما أثراً قال أنظر إلى ثوبك فلم أر أثراً قال هذا من بركة ذكرنا أبا مدين (رضي الله عنه) ألزم الطريق يا بني تفلح وهمز فرسه وتركني .

أخذت منه مسائل كثيرة ورأيت عنده ما لم أر من غيره إذا أعطى المجاهدة للمريد يعملها معه وكذلك للاثنين والثلاثة يعمل مع هذا ومع هذا فتراه لا يفتر . قعدت معه بعد العصر فرآني أتعلق للخروج فقال لي ما شأنك فقلت له علي أربع حوائج أريد أن أقضيها ولي أيام أروم قضاءها وأتعمل فيها ولا أجد الأشخاص الذين الحوائج بأيديهم فتبسم وقال إن تركتني ومشيت ما تنقضي لك منها حاجة فاقعد معي أذكر لك من أحوال أبي مدين (رضي الله عنه) وأنا أضمن قضاءها فقعدت فلما حان وقت المغرب قال لي أخرج الساعة إلى منزلك فإنك لا تصلّي

المغرب حتى تنقضي الحوائج كلها فخرجت والشمس قد غربت فوصلت إلى منزلي ومؤذن المغرب يؤذن فوالله ما أحرمت بالصلاة للمغرب حتى انقضت حوائجي . وكان من صدقي في صحبته أني اتمناه في بيتي لمسألة تخطر فأراه أمامي فاسأله ويجيبني ثم ينصرف فأخبره بذلك بكرة ويتفق لي معه هذا بالنهار في منزلي إن اشتهيته . ومناقبه وكراماته وإشاراته أكثر من أن تحصى ، فلنضرب عنها في الرسالة صفحاً .

ومن شعري فيه حين فارقته وأنا متوجه إلى مراكش وهو بـ «سيلي قاطن» .

إذا قيل من في الوجود أشرف	يوسف بن يخلف
ربّ المعالي قلب المعاني	أرق شخص قلباً والطف
أكرم من في الوجود كفا	أعظمهم رأفة وأعطف
أثبتهم في النزال جأشاً	أشدهم سطوة واعنف
أكبرهم همة وحالاً	أشدهم للعلا واكشف
أوسعهم في العلوم باعاً	أشرحهم باطناً واعرف
أكملهم نسبة ونعتاً	أرفعهم نصبة وأشرف
أولهم في العلا ذراعاً	أعلاهم غاية واوقف
الطفهم في القلوب معنى	أوصلهم حكمة وأوصف
قد يكسف البدر في علاه	وبدر مولاي ليس يكسف

والقصيدة طويلة أودعتها كتاب «إنزال العيوب على مراتب القلوب» فيما لنا في هذه الطريقة من نظم ونثر خاصة أفادني شيخنا هذا مسألة الوصال وأنا سيد ولد آدم وآدم ومن دونه تحت لوائي والتدبير نصف العيش وإذا أحب الله عبداً ابتلاه وقلب القرآن يس ولم يسبقه أحد إلى هذه المسألة في بلادنا وغير ذلك مما لا أتذكره الآن (فرضي الله عنه وأرضاه) . ومنهم (رضي الله عنهم) صالح العدوي (رضي الله عنه) كان بالله

عـارفاً ومـع الله في كل حـالة واقعـاً تاليـاً لكتاب الله العـزيـز آنـاء الليـل وأطراف النهار ولم يتخذ مسكناً قط ولا تـداوي قط كان يعمـل على مقام السبعين ألفـاً الـذين يـدخلون الجنـة بغيـر حسـاب كـان لا يكلم أحـداً يجـالسه يـأتي عليه أوقـات يدخـل في صلاة الضحى فـلا يزال واقفـاً في الـركعة الأولى حتى يُقـال له قـد زالت الشمس كان إذا قـام للصـلاة في اليوم الشديـد البرد يلقي عنه ثيابـه حتى يبقى في قميص واحد وسـروال وهـو يتصبب عرقـاً كأنمـا هو في ديمـاس له في صـلاته زئيـر وهمهمة لا يفقه ما يقول لا يدخر شيئاً لغد ألبتة ولا يقبـل ما لا يحتـاج إليه لا لنفسـه ولا لغيره كان يأوي ليلة إلى مسجد أبي عـامر المقـدي صاحبتـه سنين لا أكـاد أعد كـلامه معي من قلتـه كـان في بعض السنين يفقـد من البلد إذا قـرب عيد الأضحى فـأخبـرني فقيـه شـاهـد من شهـود البلد أنـه يحضـر المـوسم بعرفـات أخبره بـذلك من شـاهده كـان له بنـا تعلق وإلى جهتنا تـأمل انتفعنـا به ، أخبـرني بـأمـور في حقي ممـا يتفق لي في المستقبـل فرأيتها كلها ما غادرت منها كلمة خدمة أبو علي الشكـاز لم يزل بـإشبيلية على هذه الحالة أربعين سنة حتى مات فغسلناه ليـلاً وحملناه على رقـابنا إلى مقبـرته وتـركناه وانفصلنـا عنـه حتى صلّى عليـه ودفنـه النـاس لم أر بعـده على حالـه مثله كانت حـالته تشبـه حالـة أويس ، وله أخبـار كثيـرة يطول ذكرها .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو عبد الله محمد الشرقي (رضي الله عنه) كان يلازم الصلوات الخمس بجامع العـديس بإشبيليـة تورمت قـدماه من طول القيام كـان إذا وقف في الصلوات تنحدر دمـوعه على بيـاض لحيته كـأنها اللؤلؤ سكن مـوضعـاً نحـو أربعين سنة مـا أوقد فيـه سراجـاً ولا ناراً بالغ في العبـادة جهده لقيني يـوماً وأنـا واقف على معتوه عنـدنا من جملة الناس فلم أشعر بـه حتى أخذ بـإذني وأخرجني من الحلقـة وقال لي أنت تفعل هذا فخجلت ودخلت معه الجامـع كان يخبـرني بالشيء قبـل كونـه فيكـون كما يخبـرني لم يتخذ قط في المسجـد مـوضعـاً معينـاً ولا صلّى

قط في موضع واحد من المسجد صلاتين لا يتجرأ أحد عليه أن يقول له أدع لي فالذي يريد أن ينتفع بدعائه يراقبه إذا دخل المسجد أن يصلّي فيه فيحرم بالصلاة إلى جانبه فإذا جلس يدعو صاحب الحاجة بما يريده ويعلن فيقول الشيخ آمين خاصة هكذا كانت دعوته وسألته أنا في الدعاء فدعا لي وقد بدأني بالدعاء الحمد لله وكلمني قبل أن أكلمه فإني كنت أهابه وأنتفع به وعاينت من بركاته أنه لما اقترب موتي أخلى مسكنه وقال أريد سفراً فخرج إلى القرية التي كان منها في الشرق على فرسخين كلما وصل إليها مات بها (رحمه الله تعالى) ونظر يوماً إلى غلام صغير على رأسه مكتل فيه رازيانج ورآه متحيراً فأشفق عليه واستدعاه والناس يرونه فقال ما شأنك يا ولدي قال يا عم مات أبي وترك أولاداً صغاراً وليس لنا شيء فاصبحنا يومنا هذا وليس عندنا ما نأكل وكان عند والدتي هذا الرازيانج فقالت يا ولدي خذه وبعه وسق لنا به قوت اليوم إن كفى فبكى الشيخ وأدخل يده في المكتل وأخذ منه حبات وقال هذا شيء طيب يا صبي قل لأمك عمي الشرقي أخذ منه قليلاً تجعلني منه في حل فأخذ بعض التجار المكتل وقال شيء أخذ منه هذا الشيخ حلت فيه البركة فمشى إلى أم الصبي ودفع لها في المكتل سبعين ديناراً مؤمنية ، وإنما قصد الشيخ هذا رحمة بهم (رضي الله عنه) .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو يحيى الصنهاجي (رضي الله عنه) كان قد عمي وقد أسن عاشرته فرأيته مجتهداً في العبادة وله قدم راسخة في الرياضات والإشارات كبير الشأن ما رأيته قط يقعد إلاّ على كرسي صغير مات عندنا بإشبيلية (رحمه الله) وظهرت له كرامات بعد موته فإن الجبل الذي دفناه فيه عال لا يخلو من الريح أبداً فسكن الله الريح في ذلك اليوم واستبشر الناس وباتوا على قبره يقرءون القرآن فلما نزل الناس هبت الريح على عادتها . كانت صحبتي إياه شهوراً قبل موته كان من أهل السياحات ملازماً للسواحل مؤثراً للخلق (رضي الله عنه) .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو الحجاج يوسف السبريلي - قرية

بالشرق على فرسخين من إشبيلية ـ كان أكثر إقامته بالبادية صحب أبا عبد الله بن المجاهد كان يعيش من عمل يده ، دخل الطريق قبل الحلم ولم يزل عليها حتى مات ، كان ابن المجاهد إمام هذه الطريقة ببلادنا يقول التمسوا الدعاء من أبي الحجاج السبريلي وكان يكبره إذا زاره أخبرني أبو الحجاج هذا بنفسه قال كانت زيارتي لابن المجاهد شيخنا كل يوم جمعة فزرته في يوم جمعة على عادتي فوجدته واقفاً على البنائين بحائط داره التي يسكن بها وكان قد تهدم فبناه ليستر عياله فسلمت عليه فقال خالفت عادتك يا أبا الحجاج فقلت له بل هو يوم الجمعة فضرب يداً على يد وصاح أواه هذا ما فعل الضروري الذي لا بد منه فكيف لو زدنا وناح وبكى على نفسه وتحسر على وقته وكان أبو الحجاج متى ذكر لي هذه الحكاية يبكي ويقول هكذا تكون الرجال يبكون على فوات حظوظهم من الحضور مع الله ، كان شيخنا هذا أبو الحجاج كبير الشأن لم يزل يأكل من عمل يده حتى ضعف عن العمل فصار يأكل من الفتح وكان لما اسن وثقل عن الحركة يبكي ويقول يا بني فتح الله على باب قصد الناس إلي وزيارتهم وعرض بي للفتن ومن أنا ويا ليتني سلمت ووددت أن أجد قوة حتى أزور الناس في ديارهم ولا يجيئون إلي وكان رحمة للعالم وكان إذا دخل عليه عمال سلطان يقول لي يا بني هؤلاء هم أعوان الحق المشتغلون بأسباب العالم ينبغي للناس أن يتفرغوا للدعاء له أن يجري الله الحق على أيديهم ويعينهم وكان يقبل من السلطان ، ما دخل عليه أحد قط وفي بيته مأكول إلاّ جعله أمام الداخلين كثروا أو قلوا وكثر الطعام أو قل لا يترك شيئاً يكون له ألبتة ودخل عليه جماعة فقال لي يا بني أنزل لهم المكتل فأنزلته فلم أجد فيه غير ملء الكف حمصاً فجعلته بين أيديهم . رأيت له بركات كثيرة كان ممن يمشي على الماء وكان له بداره بالقرية بئر يستقي منها لوضوئه فرأينا بجانب البئر شجرة زيتون قد علت وأورقت وحملت جسمها غليظ فقال له صاحبي يا سيدنا لم غرست هذه الزيتونة في هذا

الموضع وضيقت بها على البئر فالتفت إلينا ونظر وكان قد انحنى ظهره من الكبر فقال في هذه الدار ربيت من صغري ووالله ما رأيت قط هذه الزيتونة إلاّ الآن فكان بهذه المثابة من الاشتغال بقلبه ما دخلت قط عليه ولا غيري إلاّ وجدته قارئاً في المصحف لم يمسك كتاباً غير المصحف حتى مات وكان له هرة سوداء لا يستطيع أحد أن يمسكها ولا يلقي يده عليها وكانت ترقد في حجره وكان يقول لي لهذه الهرة تمييز لأولياء الله فهذا العذار الذي ترى فيها ما هو سدى قد جعلها الله تأنس بالأولياء فشاهدتها مراراً عنده فيدخل إنسان فتحك خدها في رجله وتتعلق به ويدخل آخراً فتفر منه ولقد دخل عليه شيخنا أول مرة دخل عليه - يعني أبا جعفر العريني (رحمه الله تعالى) الذي ذكرته أولاً - وكانت الهرة في البيت الآخر فخرجت من البيت ونظرت إلى شيخنا أبي جعفر وفتحت يديها على عنقه فعانقته ومرغت وجهها على لحيته فقام إليه أبو الحجاج حتى أجلسه ولم يقل شيئاً فأخبرني أبو الحجاج أن ذلك الفعل ما رأيته قط فعلته مع غيره ولم تزل عنده حتى خرج من عنده وجاءه رجل وأنا عنده في جماعة وفي عينيه وجع شديد يصيح منه مثل النفساء فدخل عليه وقد شق على الناس صياحه فاصفر وجه الشيخ وقعد وقلع يده المباركة ووضعها على عينيه فسكن الوجع من جبينه واضطجع الشخص كأنه الميت ثم قام وخرج مع الجماعة وما به من بأس وكان له صاحب من صالح مؤمني الجن أبداً لا يبرح من عنده دخلت عليه مع شيخنا أبي محمد (رضي الله عنهما) فقلت يا سيدنا هذا من أصحاب أبي مدين فتبسم الشيخ وقال عجب أمس كان عندنا أبو مدين (رضي الله عنه) نعم الشيخ وأبو مدين إذ ذاك ببجاية وبينه وبينهما مسيرة خمسة وأربعين يوماً فكان كشفاً بينهما وكانت هذه الحالة كثيراً تتفق لي مع أبي يعقوب فإن أبا مدين كان قد سكن عن الحركة واحفظ من أخباره ما شاهدته كثيراً تضيق هذه العجالة عنه ، وهكذا كل من أذكره وإنما أذكره ليعلم أن الزمان لا يخلو من الرجال .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو عبد الله محمد بن قسوم (رضي الله عنه) صحب ابن المجاهد وقرأ عليه حتى مات واستخلفه في موضعه فجرى على حالته وزاد فجمع بين العلم والعمل مالكي المذهب قائلاً بشرف العلم ومرتبته صحبته وقرأت عليه ما يصلح لي في طهارة وصلاة وسمعت عليه كان دعاؤه في خاتمة أبداً اللّهم اسمعنا خيراً واطلعنا خيراً ورزقنا الله العافية وأدامها لنا وجمع الله قلوبنا على التقوى ووفقنا لما يحبه ويرضاه وخواتم البقرة وهو الدعاء الذي ألتزمنا في مجلسنا ورأيت النبي (ص) في المنام في الحرم وقارىء يقرأ عليه صحيح البخاري فلما فرغ دعا بهذا الدعاء فزدت عليه غبطة كان (رضي الله عنه) من الجد والاجتهاد غاية وكان معتدل العبادة ألتزم وظائف عمر بها أوقاته لم يزل محافظاً عليها حتى الآن كان كل ليلة يحاسب نفسه فإذا وجد خيراً يحمد الله وإذا وجد غير ذلك يقابله بما يجب له من الاستغفار والتوبة وما جرى مجرى ذلك ، وكان يعيش من خياطة القلنسيات فقعد يوماً وقد فرغت نفقته فأخذ المقص وأسباب شغله فسمع الباب قد فتح ثم أغلق فخرج فلم يجد أحداً وقد رمي له بستة دنانير فأخذها ودخل ورمى بالمقص في البئر وقال الله يدبر عيشي وأنا أدبره واتعني فيما ضمن لي الرزق يطلبك لا أنت تطلبه ، فلازم باب الفتح وترك الحرفة إلى الآن قسم ليله ونهاره على ما أقول لك إذا صلّى الصبح ذكر الله حتى تطلع الشمس فيركع ركعتين ويدخل منزله فيأخذ كتبه ويخرج إلى الطلبة فيقرءون العلم إلى ارتفاع النهار ويدخل منزله فإذا لم يكن صائماً أخذ شيئاً من الغذاء وصلّي ضحاه ونام يسيراً ثم يقوم فيسبغ الوضوء فإن كان له تقييد قيده وإلاّ ذكر الله فإذا جاء الظهر فتح المسجد وأذن ودخل مسجده يتنفل ويذكر الله إلى وقت دخول الصلاة متمكناً يخرج إلى المسجد يقيم الصلاة لا يتنفل يتمايل في محرابه تمايل النشوان مما يجد في باطنه من الوجد بكلام الله فإذا سلم خرج وتنفل راتبة الظهر وأخذ المصحف ففتحه على ركبته ومشى

بيديه على حروفه وعيناه في المصحف يرتل القرآن بحنان وتدبر حتى يتم خمسة أجزاء وقد حان العصر فأذن ودخل مسجده يتنفل حتى تجتمع الجماعة فيصلّي بهم ثم يدخل منزله يذكر الله حتى تجيء المغرب فيخرج يؤذن ويصلّي ويدخل فيجيء بين العشاءين حتى يجيء وقت العشاء أو قربها اسرج القنديل في المسجد وأذن ودخل منزله يتنفل حتى يجتمع الجماعة يخرج يصلّي بهم ثم يغلق باب المسجد ويدخل منزله ويحاسب نفسه في حركاته وألفاظه وجميع ما يعلم أن الملك يقيده عليه فتكون حالته على حسب ما يجده في صحيفته ثم يقوم إلى سريره فينام فإذا مضى من الليل جزء فإن كان أصاب أهله أغتسل ودخل مصلاه يترنم بالقرآن ويتلذذ به تارة في حضرة التوحيد وتارة في الجنة وتارة في الاعتبار وتارة في الأحكام بحسب ما تعطيه الآية حتى يصبح فيخرج من صلاته وقد أطلع على علوم كثيرة في تلاوته من الله تعالى لم تكن عنده فهمه الله إيّاها من القرآن قال الله تعالى : ﴿واتقوا الله﴾ ويعلمكم الله فإذا طلع الفجر فتح المسجد وأذن ودخل منزله فركع الفجر وقعد في منزله يذكر الله فإذا اسفر خرج فصلى بالناس هكذا ديدنه ودأبه لا يتأدم في الجمعة إلاّ مرتين في ليلة الاثنين وليلة الجمعة سني الحال والمقام كثير المعرفة قل أن يرى مثله جمعت بينه وبين صاحبي عبد الله وبدر الحبشي وصلّى خلفه .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو عمران موسى بن عمران المارتلي ، أنشدني لنفسه في شعر مجنس يخاطب نفسه :

فأنت ابن عمران موسى المسيء ولست ابن عمران موسى الكليما

هو (رضي الله عنه) قد أخذ نفسه بالشدائد لزم بيته منذ ستين سنة لا يخرج جرى على طريق الحارث بن أسد المحاسبي لا يقبل من أحد شيئاً ولا يطلب حاجة لنفسه ولا لغيره رأيت له رؤياً تدل على انتقاله من مقامه إلى ما هو أعلى منه فقال لي بشرتني بشرك الله بالجنة فلم يكن

إلّا يسيراً ونال المقام الذي رأيت له فدخلت عليه اليوم الذي حصل فيه والسرور باد على وجهه فقام إلي وعانقني فقلت له هذا تأويل رؤياي من قبل وبقيت دعوتك أن يبشرني الله بالجنة فقال يكون إن شاء الله تعالى فما تم الشهر حتى بشرني الله بالجنة بإيجاد آية منه ظهرت لي مصدقة لدعوى المبشر عن الله تحدى بها على صدق بشراه لي بالجنة فأنا أقطع بها ولا أشك ألبتة في أني من أهل الجنة كما أنه لا شك في نبوة محمد (ص) غير أنه لا أدري أتمسني النار أم لا عافانا الله وإياكم وأرجو من كرمه أن لا يفعل . ولهذا الشيخ شأن كبير ومعرفة تامة وأدب عظيم مقبوض في عموم أحواله حسن البشاشة لزواره لنا معه مواطن عجيبة كانت همته متعلقة بالله في حفظنا وعصمتنا من الفتن والرجوع فقضي حاجته في ذلك وشهد لي بها وبشرني وقال لي منه إلي بمحضر صاحبي عبد الله بدر الحبشي كنت أتخوف عليك جداً لصغر سنك وعدم المعنى وفساد الزمان وما ظهر لي في أهل الطريقة من الفساد وهم الذين ألزموني العزلة لما عاينت من فساد الأحوال ، فالحمد لله الذي أقر عيني بك . . . أنشدني من شعره كثيراً وطلب مني أن أقيد له من شعري ففعلت وقرأته عليه فسر به .

فمما كتبت له أبياتاً أستحسنها جداً ووقعت منه بموقع ، فكان منها :

تركت هواي في هواه فلا هوى ... وكل محب لم يكنه فقد هوى
واجريت طرف الأنس في حلبة الفنا ... وجزت بحار الشوق في مركب الهوى
وألقيت موسى الوصل في ساحل الرضا ... وناداني الحق المبين من الهوى
إلّا فأكتبوا عبدي من العارفين بي ... وهذا ندا الحق في موضع السوى
فراجعته لما سمعت نداءه ... بان ليس لي هم ولا بغية سوى
وصالك يا مولى الوذ بقربه ... فإني أخاف من سطوة البين والنوى
فأمنني من كل شيء وقال لي ... ظنونك حسني : إن للمرء مانوى

ولا أذكر من القصيدة اليوم إلاَّ هذا وخرجت عني منها أبيات ذكرتها في كتاب «إنزال الغيوب» ومن ذلك أيضاً :

مذ حل كاتب حب اللّه في خلدي ... وخط سطراً من الأشواق في كبدي
ذبت اشتياقاً ووجداً في محبته ... فآه من طول وجدي آه من كمدي
يا غاية السؤل والمأمول يا سندي ... شوقي إليك شديد لا إلى أحدِ
يدي وضعت على قلبي مخافة أن ... يشق صدري لما خانني جلدي
ما زال يرفعها طوراً ويخفضها ... حتى جعلت يدي الأخرى تشد يدي
مر الفؤاد عن الجثمان مرتحلاً ... إلى الحبيب الذي يغني وليس يدي
ما زلت أطلبه وجداً وأند به ... بعبرة حيزتها زفرة الخلدِ
حتى سمعت نداء الحق من قبلي ... من كان عندي لا ينظر إلى أحدِ
فمت بوجدك أو مت إن تشأ طرباً ... فإن قلبك لا يلوي على الجسدِ
فقلت والحب يطويني وينشرني ... وصحت من شدة الأشواق : واكبدي
لما شاهدتك يا من لا شبيه له ... لا فرق عندي بين الفرد والعددِ

إلى آخر الأبيات ، فإني لا أذكرها الآن . دخلت على هذا الشيخ فقال يا بني عليك بنفسك فقلت له إن شيخنا أحمد دخلت عليه فقال لي يا بني عليك بالله ، فمن أسمع ؟ فقال يا بني أنا مع نفسي وأحمد مع ربه وكل واحد منا دلك على ما يقتضيه حاله فبارك الله لأبي العباس وأوصلني إليه فهذا ما عاينت من إنصافه . كان يباسطني غاية البسط فلا يزيدني ذلك إلاَّ مهابة وتعظيماً وكان يتعجب من حفظي الأدب معه في حين بسطه فيرجع من المباسطة إلى باب العبودية فحين أباسطه لسر عجيب أن تأملته يا ولي وقفت عليه .

ومنهم (رضي الله عنهم) الأخوان الشقيقان أبو عبد الله محمد الخياط وأبو العباس أحمد الاشبيليني (رضي الله عنهما) صاحبتهما زماناً بإشبيلية إلى عام تسعين وخمسمائة خرجا يريدان الحج وهو العام الذي رحلت فيه إليك ووصلا مكة فأما أحمد فجاور بها سنة وخرج إلى مصر

ودخل طريق الملامتية وأما محمد فجاور بها خمسة أعوام ولحق بأخيه بمصر فأقمت معهما وتأبى عبد الله زمانة فصمت معهما رمضان وخرجت إلى القدس الشريف ومشيت إلى مكة (شرفها الله تعالى) وأقمت بها إلى الآن وفي قلبي من فراقهما لهيب أما أبو عبد الله فإنه رجع إلى الطريق قبل أخيه بزمن طويل وكانت له والدة وكان باراً بها (رضي الله عنه) لزم خدمتها حتى ماتت غلب عليه الخوف حتى إذا صلّى يسمع لقلبه دوي على بعد سريع الدمعة غزيرها طويل الصمت دائم الحزن كثير الفكرة شديد التأوه ما رأيت قط أخشع منه لا تراه أبداً إلاَّ مطرقاً ضارباً بعينه الأرض لا يمازح أحداً ولا يعاشره بريء من المداهنة قوي في المناصحة لا يستحيي في الحق من أحد ولا تأخذه في الله لومة لائم لا يداري ولا يمار ، ابتلي بالفقر والضراء فصبر له شأن عجيب وهمة رفيعة كنت أتعشق به وأنا صغير وكان إذا دخل المسجد هابه كل من رآه ما عاينته قط يكلم أحداً مبتدئاً ولا يجيب إذ تكلم إلاَّ في ضرورة يحفظ دينه حفظاً ما تمنيت من كل من رئيت أن أكون مثله إلاَّ هو ، وآخيته لما رجعت إلى هذه الطريقة وفرح بي ولازمته وانتفعت بآدابه وأخذت من خلقه ، كان يحتمل الأذى ويكف جفاه صدوق الرؤيا كثير النجوى ليله قائم ونهاره صائم لا تجده فارغاً قط يحب العلم وأهله كنا قد اجتمعنا أربعة أنا وهو وأخوه ورابع لنا على السواء في كل ما يفتح به علينا ، فلم أر أياماً قط في عمري أحسن من تلك الأيام رأيت من همته (رضي الله عنه) إن كان بين منزلي ومنزلهم بعد كثير فأذن بالعتمة وقد وجدت في خاطري الإنزعاج إلى الوصول إليه والرجوع إلى منزلي : الأمران معاً ، فحرت كيف أجمع بين الخاطرين وكنت أعمل على أول الخاطر فاشتددت إليه عدواً إلى أن دخلت عليه فوجدته واقفاً في وسط الدار وهو مستقبل القبلة وأخوه أحمد يتنفل فسلمت عليه فتبسم وقال لي ما الذي أبطأ بك قلبي متعلق بك عندك شيء وكان في جيبي خمسة دراهم فدفعتها له فقال جاءنا فقير يُقال له علي السلاوي

وما عندنا شيء ورجعت اشتددت إلى موضعي . كان يخدم الفقراء بنفسه ويؤثرهم بالطعام واللباس وكان رحيماً عطوفاً رؤوفاً شفيقاً يرحم الصغير ويعرف شرف الكبير يعطي كل أحد حقه له الحق على الناس وليس لأحد عليه حق إلاّ الله ، على هذا فارقته وعلى هذا وجدته الآن وعليه تركته فالله يجمع بيني وبينه في عافية .

وأما أخوه أبو العباس أحمد وما أدراك ما أحمد فجمع الفضائل واجتنب الرذائل عرف الحق فلزمه وكشف له عن السر فكتمه هو ممن ينادي من وراء حجاب قوي المجاهدة كثير المساعدة وطيء الأخلاق حسن المعاشرة سمح الخليقة موافق فيما يرضي الله مخالف لما لم يرض الله لزم الاسم فسما وعمر ذكره كل أرض وسما ، تراه كأنه ذاهل سريع الحركة كأنه مطلوب بثار يخضع تحت وارد الأسرار كثير المكاشفة كنا إذا أخذنا في مسألة يغيب عنا ثم يرجع فيخبرنا بوجه من وجوه ما نحن فيه ، هذا الحال له مستمر إلى الآن لزم خدمة أخيه لم يخدم غيره فكل ما هو فيه من بركة أخيه لقي شيخنا العريني وأبا عبد الله بن جنيد وجماعة من أصحابنا أراد صحبتنا إلى مكة لولا مرض أخيه ، ولو كان صحيحاً رحلنا بجملتنا حلت بمصر المسغبة والوباء الذي هلك فيه أهلها فمشي يوماً فرأى الأطفال الصغار الرضع يموتون جوعاً فقال يا رب ما هذا فنودي يا عبدي هل ضيعتك قط قلت لا قال فلا تعترض هؤلاء الأطفال الذين رأيتهم أولاد الزنا، وهؤلاء هم قوم عطلوا حدودي فأقمت عليهم حدودي فلا يكن في نفسك من ذلك . ثم سري عنه فبقي راضياً بتلك الحالة للخلق وعنده من هذه المخاطبات كثير وأما الإيثار وتوسيعهما على الخلق وتضييقهما على أنفسهما فلا أحد فوقهما في ذلك ، جمع الله بيني وبينهما في عافية ولا فرق بيني وبينهما بعد ذلك .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو عبد الله محمد بن جمهور (رضي الله عنه) كان من أقران أبي علي الشكاز وأبي عبد الله الخياط الذي ذكرناه

في السن والحال وكان مجتهداً في العبادة وكان يقرأ القرآن والعربية لم يقرأ شعراً قط أخبرني أبو الحسن العثماني قال كنت وأنا صغير أقرأ القرآن عليه فسمع دفاً يضرب فجعل أصابعه في أذنيه فسكت فقعد ساعة ثم قال لي هدأ هدأ الدف أم لا فقلت لا فلما استمر ذلك قام وأصابعه قد سد بها أذنيه وانصرف إلى داره وأرسل إلي فجئت إليه ودخلت عليه وأتممت عليه جزئي . كان (رحمه الله تعالى) إذا سمع من يقرأ عشراً في المسجد ليسأل به أو يسمع سائلاً في المسجد يسد أذنيه كان من الراكعين الساجدين حتى قبضه الله وكان قوي القلب ضعيف البدن مصفر اللون شديداً على نفسه فيقال له أرفق عليها فيقول للرفق أجهد وكان يقوم إلى حزبه من الليل فيقوم حتى يسقط من قامته ويضع خده لينام فيقول يا خد إنك أن توسد ليناً وسدت بعد الموت صم الجندل ، ثم يثب كأن أفعى قد لدغته إلى مصلاه فلا يزال هكذا حتى يصبح فلقد مات وأنا في خدمة أبي يعقوب الكوفي فأخذه الذي أنزله في القبر وجعل الجندل تحت خده فعلمت أن الله صدقه في قوله يا خد إنك أن توسد ليناً وكان (رحمه الله) كثير النفور من الخلق يحب الخلوة والعزلة ورعاً زاهداً عارفاً بالله واقفاً مع الله شديد المعاملة طلباً للمواصلة يحب أهل الله أهل القرآن توفاه الله صغير السن في عنفوان شبابه ونار اجتهاده يقول لنفسه لا زال دأبي ودأبك هذا حتى أموت ، ما فاقه أحد في العبادة .

ومنهم أبو علي الشكاز (رضي الله عنه) كان عندنا بإشبيلية وبها مات وهو الذي خدم صالحاً العدوي شيخنا حتى مات كان كثير الدمعة لا تزال عينه تهطل أبداً كان لي عم أخو والدي وكان من أهل الله وخاصته وكان أبو علي يلازمه فكنت أبيت معه فألقي الحصير الجديد له يصلّي عليها فتجري دموعه قد تعفن كله وانتشر عاشرته من وقت دخولي في هذه الطريقة حتى مات كان مولعاً بالنكاح جداً لا يستغني عنه فأراد شيخنا السبريلي يأخذه لإبنة أخيه فمشت إليه أم الزهراء

فقالت يا أبا علي إن أبا الحجاج يحب أن يعطيك بنت أخيه وكان هذا يوم الأحد ، فقال أنا كنت من أحب الناس في مصاهرته ولكن قد تزوجت وبعد خمسة أيام من يومنا هذا أدخل بزوجتي عروساً فقالت له بنت من تزوجت قال لها ستري ذلك الوقت ، وانصرف إلى منزله ولازم فراشه حتى أنقضت خمسة أيام فمات (رحمه الله تعالى) . كان يمد يده إلى ما وجد من نبات الأرض من أعظمه مرارة فيطعمك إياه كأنه حلواً رأيت له بركات كثيرة انتفعت بصحبته كان قد عمل على الأربعين السهلية وكان شجاعاً يعيش من عمل يده رآه أخوه بعد موته فقال ما فعل الله بك فقال يعطيني كل يوم عمل ثمانية أيام كان دائم الصيام والمواصلة كثير القيام منقبضاً عن الناس غير مجالس لهم يحن إلى جنسه كان مليح الدعابة يمزح ولا يقول إلاّ حقاً وكان يعجبه المزح بالحق ويكره الكذب وأهله ولا يحتمله خرج يوماً إلى دور بني صالح بجلود له لينقعها في النهر ويبسطها في الشمس فمرت به امرأة من أهل إشبيلية وفيهم وفي نسائهم حلاوة وظرافة فقالت لصاحبتها تعالي يا أختي نمازح هذا الرجل فإنه شكاز ـ والشكاز عندنا المشتغل بهذه الجلود الرقاق على نوع ما ويبيضها ويلينها كثيراً بعد شدتها فاتخذ أهل البلدة هذه اللفظة لفظة الشكاز لقباً للرجل ـ لا يقوم بالنساء أي لين العضو مثل الجلد الذي يعمله فوقعت عليه وهو يذكر الله تعالى وكان هو كثير الذكر لا يفتر فقالت السلام عليك يا أخي فقال عليك السلام ورجع إلى ذكره فقالت له ما صنعتك وما حرفتك فقال لها خل عنك هذا وعلم ما تريد فقالت له لا بد من هذا فتبسم وقال لها أنا رجل أبل اليابس وألين الشديد وانتف الشعر فولت وهي تضحك وقالت أردنا أن نرميه فرمانا ، وكان جليل الشأن سليم الصدر ما أضمر شيخنا لأحد قط لا يعلم ما الناس فيه وما يتخيل أن في الوجود من يعصي الله .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو محمد : عبد الله بن محمد بن العربي الطائي وهو عمي شقيق والدي دخل هذه الطريق في آخر عمره على يد

صبي صغير لم يدر ما هذا الطريق دخله وهو في عمر الثمانين فلازم المجاهدة والسواحل حتى برع فيه كانت له في كل يوم ختمة لا زمة يهب نصفها لذلك الصبي الذي رجع على يديه ، بصره ذلك الصبي بالطريق وكان (رحمه الله) يجلس في البيت فيقول طلع الفجر فسألته من أين تعرف ذلك فقال يا بني أن الله يوجه ريحاً من تحت العرش تهب في الجنة فتخرج بريحها عند طلوع الفجر يشتمها كل مؤمن في كل يوم . أصابته أدرة كبيرة فكان يجعلها أمامه مثل المخدة الكبيرة وكان له ولد خلف قد أفرح قلبه فدعا عليه فمرض وكان يسأل الله أن يقدمه أمامه وحينئذ يموت فمات ابنه قبله فدفنه وقال الحمد لله إني أعيش بعده أربعة وأربعين يوماً وأموت . فعاش كما قال ومات ولما كانت ليلة وفاته قعدنا عنده بعد صلاة العشاء وهو مستقبل القبلة فوجد بعض راحة وأدرته قد عظمت فقال لنا استريحوا وارقدوا فأخذنا مضاجعنا فقمت إليه في وقت السحر فوجدته قد فاضت نفسه (رحمه الله تعالى) وما شاهد أحد موته وطلبنا تلك الأدرة فلم نجد منها شيئاً ، فقلنا لعل كانت رياحاً وبقي الجلد فإذا به مثل جميع الناس ما عنده شيء فعجبت أن ستره الله وأخفاه . كان يخبرنا بعجائب . كان عمره من وقت رجوعه إلى هذه الطريق إلى أن مات ثلاثة أعوام خاصة . مات قبل أن أدخل هذه الطريق .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو محمد عبد الله بن الأستاذ المروزي خدم الشيخ أبا مدين وكان الشيخ يسميه الحاج المبرور وحج صحبة عبد الرزاق ، صاحب بمكة أبا عبد الله بن حسان طلب ابن حسان أن يعطيه ابنته رغبة فيه فأبى أن يأخذها مخافة أن لا يقوم بحقها وكان الشيخ أبو مدين يحبه جداً قال له يوماً يا أبا عبد الله كبر على دعائي الناس إلى الله ولا يجيب أحد وأريد أن أصطفيك لنفسي وتخرج معي إلى بعض هذه الجبال فالزم مغارة تصحبني فيها إلى أن أموت قال ففرحت بذلك وعلمت أن لي عند الله مكاناً فلما كان الليل قال عبد

الله نمت فرأيت الشيخ في النوم إذا تكلم مع الناس صار شمساً وإذا سكت صار قمراً فقصصتها عليه بكرة فتبسم وقال الحمد لله يا ولدي أريد أن أكون شمساً فإن الشمس تنفي كل ظلمة وتكشف كل كربة .
كان هذا عبد الله له همة فعالة وصدق عجيب . سافر من عند الشيخ أبي مدين إلى الأندلس بسبب والدته فأودعه الشيخ أبو مدين سلامه إلى أبي عبد الله الشيخ المسن بمدينة «المرية» المعروف بالغزال من أصحاب ابن العريف من أقران أبي مدين وأبي الربيع الكفيف الذي كان بمصر وعبد الرحيم الذي كان بقنا وأبي النجا الذي كان بجزيرة الذهب(رحمهم الله تعالى)فلما وصل إلى المرية قصد إلى الشيخ أبي عبد الله فوجد أصحابه قعوداً فقال لهم استأذنوا لي على الشيخ فقالوا الشيخ نائم في هذه الساعة ولم يقبلوا عليه فعز عليه ما هم فيه من كثافة الحجاب حيث لم يعرفوه فقال لهم أن كنت جئت إليه في الله فالله يوقظه الساعة فإذا الباب فتح والشيخ قد خرج يمسح النوم عن عينه فقال أين هذا الذي جاء ، فسلم عليه وأكرم نزله . وكان الغالب على أبي محمد البسط وكان أصحاب الشيخ مقبوضين فعندما ودعهم وانصرف قال له أصحاب الشيخ لو انقبضت يا أبا محمد من هذا البسط الذي أنت فيه فقال لهم البسط ما هو؟ فقالوا رحمة قال والقبض ما هو قالوا عذاب فقال اللهم لا تنقلني من رحمتك إلى عذابك فخجلوا وانصرف عنهم . ومن أخباره (رضي الله عنه) أنه لما وصل إلى غرناطة نزل عند الشيخ أبي مروان وكان قد عرفه عند أبي مدين وقد رأى أبو مروان عند الشيخ أبي مدين في حق رجل مرض منهم فأخذوا عنه مرضه وحملوه فاستراح من حينه فأخبر أصحابه بغرناطه فلما وصل شيخنا عبد الله المروزي إليها قال أبو مروان والناس قد اجتمعوا من أجله في الدار وقد جعلت بين أيديهم مائدة وعليها مجبنات بعسل وكان ابن صاحب الدار قد مشى في السحر إلى قرية له قريبة من البلد فتأسف أهل المجلس لما لم يحضر معهم الطعام ابن صاحب الدار

فقال لهم أبو محمد المروزي بعدما أكل وشبع وأكل الناس إن شئتم أكلت عنه هنا ويشبع هو في قريته من هذا الطعام بعينه فارتابوا من كلامه في باطنهم وظاهرهم تخيل ذلك جملة فقال له أبو مروان بالله يا أبا محمد أفعل ذلك فقال بسم الله وابتدأ يأكل كأنه ما أكل شيئاً حتى وقف وقال قد شبع وأن زدت عليه أكثر من ذلك يهلك فبهت أهل المجلس وعزموا أن لا يبرح أحد منهم حتى يصل ذلك الرجل الذي أكل عنه فلما كان عشية ذلك اليوم دخل عليهم من القرية فقاموا إليه وأنزلوه وقالوا نراك جئت بزادك الذي حملته معك ما أكلت منه شيئاً فقال لهم يا إخوتي اتفق لي اليوم شيء عجيب أنا عندما وصلت إلى القرية وقعدت فإذا أنا أحس بمجبنات بعسل تنزل في حلقي فتستقر في معدتي حتى شبعت ولو زادت علي أهلكتني وأنا حتى الآن شابع منها اتجشأها فتعجب القوم وفرحوا أن رأوا رجلاً أخبرنا بالمسألة كيف وجدت ، أخبرني بها بدار عبد الله الشكاز الباعي الشخص الذي أكل عنه فشبع ومعي صاحبي عبد الله بدر الحبشي ونحن في جماعة ونأسف وقال من مثل عبد الله المروزي ما رأينا مثله ولقد أطلعني الله عز وجل ليلة على المقامات ومشي بي عليها حتى وصلت مقام التوكل فرأيت شيخنا عبد الله المروزي في وسط ذلك المقام والمقام يدور عليه كدوران الرحا على قطبها وهو ثابت لا يتزلزل فكتبت له بذلك . عاشرته معاشرة انتفعت به . وله امرأة في غاية الجمال صغيرة السن أحسن منه وأقوى وكان سيدنا هذا عند شمس (أم الفقراء) بـ «مرشانة الزيتون» في يوم أربعاء فقالت العجوز تمنيت أن يأتينا غداً أبو الحسن بن قيطون فاكتبوا إليه عسى يصل غداً وكان في بلد «قرمونة» بينهما سبعة فراسخ وكان أبو الحسن هذا يعلم الصبيان القرآن بـ «قرمونة» ويعطل الخميس والجمعة فقال أبو محمد سيدنا (رضي الله عنه) هكذا تعمل العامة فقالت له العجوز فما تفعل قال أسوقه بهمتي فقالت أفعل فقال قد حركت الساعة خاطره بالوصول إلينا غداً إن شاء

الله تعالى فلما أصبحت قالت له تراه ما جاء قال غفلت عنه ولكني أخرجه لكم الساعة فارسل همته إليه فلما كان قبيل الظهر دخل عليهم على غفلة أبو الحسن المذكور ، فتعجبوا ، فقال المروزي : سلوه ما الذي أمسكك عنا إلى هذا الوقت وكيف خطر لك ومتى نويت الوصول إلينا فقال أمس العصر وجدت في باطني قائلاً يقول مر غداً إلى العجوز بـ «مرشانة» فقلت لصبيان المكتب لا يجيء أحد منكم غداً فلما أصبحت فترعني ذلك ـ وهو الذي غفل سيدنا أبو محمد عنه ـ قيل له إيه قال فوجهت إلى الصبيان ووصلوا وأخذوا ألواحهم ليكتبوا فأنا كذلك إذ وجدت قلبي قد انقبض وشد عليه وقيل لي أخرج الساعة إلى «مرشانة» إلى زيارة العجوز فقلت للصبيان سيروا إلى منازلكم وهو كان خروجي إليكم فهذا الذي أبطأني فقالوا له اتفق من الأمر كذا وكذا ووصفوا له الحال فتعجب وقال هذا والله العظيم كان فكان بعد ذلك ينظره بعين التعظيم واهتز وأخذ في الرحلة أبو الحسن المذكور إلى «المرية» إلى شيخ كان بها يُقال له أبو عبد الله الغزال(رحمه الله تعالى) من أصحاب ابن العريف من أقران أبي الربيع الكفيف وأبي النجا وعبد الرحيم وهذه الطبقة ورآه وانتفع به ثم عاد إلى «قرمونة» فلم يزل يخدم الفقراء ويضيفهم ويتواضع وكنت استحسن منه ذلك فاشهد لقد رأيته وصل إلى «إشبيلية» فصاحب الفقهاء وجالس الطلبة المكبين على الدنيا وقرأ الفقه وأُصوله وعلم الكلام وسكن «إشبيلية» يعلم بها القرآن فأداه صحبة أولئك إلى تجهيل الفقراء الصادقين في أحوالهم ونبذهم .

فإياك يا أخي عافاك الله من الظن السوء : أن تظن في أني أذم الفقهاء من أجل أنهم فقهاء أو لنقلهم الفقه لا ينبغي أن يظن هذا بمسلم ، وإن شرف الفقه وعلم الشرع لاخفاء به ولكن أذم من الفقهاء الصنف الذي تكالب على الدنيا وطلب الفقه للرياء والسمعة وابتغى به نظر الناس ليقال ، ولازم المراء والجدال وأخذ يرد على أبنا الآخرة الذين اتقوا الله فعلمهم من لدنه علماً فأخذت الفقهاء ـ أعني هذا الصنف

منهم - في الرد عليهم في علم لا يعلمونه ولا عرفوا أصوله ولو سئل عن شرح لفظة مما اصطلح عليه علماء الآخرة ما عرفها وكفى به جهلا ولو نظر في قول الله تعالى : **﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم﴾** الآية لاعتبر وتاب وقد ذم (ع) العلماء لكونهم طلبوه لغير الله وتصرفوا به في غير مرضات الله لا لكونهم علموا ، كما مدح الصنف الآخر من العلماء بالخشية وغير ذلك كما أني قد ذممت الصوفية في كتابي هذا ولم أرد به الصادقين وإنما أعني الصنف الذي تزيا بزيهم عند الناس وباطنه مع الله بخلاف ذلك ، قال الله تعالى : **﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه﴾** فلا أنكر مرتبة الفقه وقد سمعت النبي (ص) يقول من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ولما كان هذا الصنف من الفقهاء غلبت عليهم نفوسهم وشهواتهم واستولى عليهم الشيطان وعلى أيديهم جرى الضرر على أولياء الله وبشهادتهم هلكوا كما سيأتي في آخر الكتاب هذا عن النبي (ص) . وأما العلماء العاملون المنصفون الراسخون في العلم فهم السادة الذين هداهم الله فهم مصابيح الهدى وأعلام التقى وارثوا رسول الله (ص) في العلم والعمل والوصف الذين صح لهم نسب التقوى فإذا سمعتني أذم الفقهاء في هذا الكتاب فإنما أعني به هذا الصنف المدبر الذي اتبع شهوته وغرض نفسه الأمارة بالسوء وكذلك ذمي للصوفية فإنما أذم هذا الصنف الذي ذكرت فإن الحلولية والإباحية وغيرهم من هذا الطريق ظهروا وتظاهروا واتصفوا فهم قرناء الشيطان وحلفاء الخسران : نور الله بصائرنا وبصائرهم وأصلح سرائرنا وسرائرهم وأوقفهم على عيوبهم لعلهم يرجعون . وأشهد لقد وصل ألينا هذا السيد عبد الله المروزي الذي رآى له تلك البركة ليزوره في داره فقرع عليه الباب وأنا معه وصاحبي عبد الله بدر الحبشي فقال من بالباب فقال عبد الله المروزي جاء ليزورك فسكت ساعة ثم خرج إليه ابنه وقال له مشغول هو ثم قال له ما هو هنا ولم ير مكانته هذا انتهى بغضه في

الفقراء وهذا حصل له من شؤم الفقهاء حال الله بيننا وبين كل من يقطعنا عن الله وعن أهله وخاصته وكان إذا لقيني يعتبني على صحبتهم ويقول لي مثلك من يصحبهم فأقول له مثلي لا يصلح أن يخدمهم فإنهم السادة وإنما كان يحن إلى مشاركتي له في علمه الذي قرأه لا لكوني في طريق القوم ولا لمحبتي فيهم فتركته في ذات الله تعالى وتركت معاشرته وصار اليوم حكمه حكم الفقهاء في الولاية لأنها معقولة متوهمة لا يعرف صاحبها ثم إذا وصف الفقيه أفعال الأولياء أقيدها عليه ثم أريه تلك الأفعال في شخص فإذا رآه يقول إيه من قال إنه أخلص فيها لو كان مخلصاً ما أطلعت أنت ولا أنا عليه إنما نصب هذا لحيلة ما فلا تراه يحسن الظن بأحد قط ولم أزل أبداً والحمد لله أجاهد الفقهاء في حق الفقراء السادة حق الجهاد وأذب عنهم وأحمي وبهذا فتح لي ومن تعرض لذمهم والأخذ فيهم على التعيين وحمل من لم يعاشر على من عاشر فإنه لا خفاء بجهله ولا يفلح أبداً ولقد تكلم معي بحرم مكة رجل يُقال له القاضي عبد الوهاب الأزدي من أهل اسكندرية فقيه قد استحوذ عليه الشيطان بحيث صيره أن يعتقد أن الزمان فارغ من جميع المراتب في كل فن وإنما هي تلفيقات وخرافات فسألت كم بلد في معمور الأرض للمسلمين فقال كثير ، فقلت له كم دخلت منها ؟ فذكر ستة بلاد أو سبعة ، فقلت له : كم الخلق فيها ؟ قال كثير ، فقلت له : من أكثر الذى رأيت أم الذي لم تره ؟ قال الذي لم أره فضحكت وقلت له حد المعتوه الأحمق الذي يرى الكثير ويبقى له القليل فيقيس القليل على الكثير ويحمله عليه في الحكم وأما المؤمن الناصح نفسه فإنه يقول : ولعل في ذلك القليل ولو كان واحداً لم أره لعله ذلك السعيد ؟ كيف ومن يقول ما رأيت إلاّ القليل ولا من البلاد ولا من الناس ثم يعتقد ذلك فلا خفاء بجهله ثم إنه لا يطلع الله مثل هذا إلاّ على نقائص العالم لا على فضائله حتى يحكم على الغائب بما يراه فيشقي بذلك عند الله وأين هو من قول الله تعالى وإن تطع

أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله فكثرهم وقال **﴿إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾** وقليل ما هم فقللهم ثم إن في المسألة ما هو أعجب من ذلك إني سمعته يقول ما يناقض أصله من جهة علمه فقال الناس على قسمين دني وغير دني : ذكي وغير ذكي فغير الذكي لا كلام معه لنقصه والذكي لا يسلم من الغلط فما ثم شيء فانظر نظره إلى باب العيب والنقص لشقاوته وتركه النظر في أحوالهم إلى باب الفضل هلا قال عند هذا التقسيم فغير الذكي يأتي إلى العالم فيأخذ منه العلم تقليداً لعدم فطنته فيوفق ويرجى أن يعلمه الله والثاني الغالب عليه الإصابة في عموم أحواله وهذا لا يقنع في الأشياء إلاّ بالبراهين من نفسه لذكائه فمنهما غلط إن استمر في غلطه بعد اجتهاده فمعفو عنه أو قد يرجع عن ذلك وأما نقض أصله فيها فقول النبي (ص) في الحاكم إذا اجتهد فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر وكل مجتهد مصيب فتراه مأجوراً في الحالتين لا وزر عليه البتة ، فرأيت هذا الفقيه أجهل الجاهلين والحمد لله رب العالمين .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو محمد عبد الله الباغي الشكاز (رضي الله عنه) من «حصن باغة» سكن «غرناطة» وهو بها حتى الآن اجتمعت به في منزله مع صاحبي عبد الله بدر الحبشي وكانت عادتي إذا دخلت على من دخلت عليه من شيخ أو فقير ادفع إليه كل درهم يكون عندي لا أمسك شيئاً فلم يكن عندي سوى درهم واحد في اليوم فدفعته إليه . كان (رضي الله عنه) من أهل الجد والاجتهاد الغالب عليه الحزن والبكاء يكره المعصية كما يكره الكفر ويكره الصغيرة كما يكره الكبيرة ويحقق في مقام المحافظة يكاد يكون معصوماً كما قال أبو عقال قال صحبت شيخي هارون فلم أر له كبير عمل ينام الليل كله فوقع في نفسي من قلة اجتهاده فهتف بي هاتف **﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾** قال فأتيته فقلت يا سيدنا هل أتيت كبيرة قط

قال ولا صغيرة عن تعمد . كان (رضي الله عنه) ليله قائم ونهاره صائم لم يقدر مريد قط على صحبته لأنه كان يطلبه باجتهاده فيفر منه . عاش وحيداً فريداً ليس عنده ، ولا له على النفس رحمة يُقال له عن رحمة الصحابة بأنفسهم فيقول لو لم يكن لهم إلاّ الصحبة متى نلحق بهم . لم أر له شبيهاً إلاّ أبا مسلم الخولاني التابعي كان قد أخذ في الجد والاجتهاد ويقطع القضبان فإذا كسل عن الوقوف في الصلاة ضرب بالقضيب ساقيه ويقول أنت أحق بالضرب من دابتي حتى تنكسر القضبان كلها ثم يقول : «أيظن أصحاب محمد (ص) أن يفوزوا بمحمد (ص) دوننا والله لأزاحمنهم عليه حتى يعلموا أن خلفوا بعدهم رجالاً» . كان هذا الشكاز مليح المقابلة حسن المعاشرة كثير التلهف يحن إلى الإشارات سمعته يقول انظروا في هذه الأربعة : ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ لا تلهيهم تجارة ـ وعلى الأعراف رجال ـ يأتوك رجالاً ـ (رضي الله عنهم) .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو محمد عبد الله القطان المفتوح عليه في القرآن كان يصدع بالأمر لا تأخذه في الله لومة لائم يرد كلام السلاطين في وجوههم أقبح الرد ، له صولة يرمي من شاء بالحق ولا يبالي عرض بنفسه للقتل من كثرة سبه لأفعال السلاطين وما هم عليه من مخالفة الشريعة . له مجالس معهم يضيق الوقت عن ذكرها لا يتكلم إلاّ بالقرآن ولا يرى غيره لم يكتسب كتاباً . سمعته يقول بمدينة قرطبة في جماعة مساكين «أصحاب المصنفات والتآليف ما أطول حسابهم» في كتاب الله مقنع وفي حديث رسول الله (ص) كان يحافظ على صاحبه لم يتنعم قط ولا جمع بين درهمين وجه السلطان فيه ليقتله فأخذه الأعوان دخلوا به على الوزير فأقعد بين يديه فقال يا ظالم يا عدو الله وعدو نفسه فيما وجهت فقال قد أمكن الله منك ما تعيش بعد هذا أبداً فقال له الشيخ لا تقرب أجلاً ولا تدفع مقدوراً كل ذلك لا يكون ، أنا والله أشهد جنازتك فقال الوزير لو زعته اسجنوه حتى أشاور

السلطان في قتله فسجن تلك الليلة فانصرف، وهو يقول عجباً لم يزل المؤمن في سجن وإنما هذا بيت من بيوت السجن فلما كان في اليوم الثاني جلس السلطان وأخبره الوزير بقصة الشيخ وكلامه فأمر به فحضر بين يديه فرأى رجلاً دميم الخلقة لا يؤبه له وما أحد من أهل الدنيا يريد له خيراً وهذا كله لقوله الحق وإظهار معايبهم وما هم عليه من الجور والفساد فقال له السلطان بعد ما سأله عن اسمه ونسبه أتحفظ توحيدك فتلا عليه من القرآن بتقاسيمه فتعجب الملك وانبسط له إلى أن دخل معه في المملكة وشأنها فقال له السلطان ما تقول في ملكي هذا فضحك فقال له مم تضحك فقال منك تسمي الزمان الذي أنت فيه ملكاً وتسمي نفسك ملكاً أنت كمن قال الله تعالى فيه : ﴿وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً﴾ إنما كان الملك اليوم الذي يصلى اليوم بنارها ويجزي بها وأما أنت فرجل عجنت لك خبزة وقيل لك كلها ثم أغلظ عليه في القول بكل ما يكرهه ويغيظه وفي المجلس الوزراء والفقهاء فسكت السلطان وخجل وقال هذا رجل موفق يا عبد الله أجلس مجلسنا قال لا فإن مجلسك مغضوب ودارك التي تسكنها أخذتموها بغير حق ولولا أني مجبور ما دخلت هنا حال الله بيني وبينك وبين أمثالك ، فأمر له بأعطية وعفاه في نفسه فرد له الأعطية وقبل العفو وخرج فأمر السلطان أن تدفع إلى أهله ، وما مضى زمن قليل إلّا والوزير قد مات وخرج أبو محمد وحضر جنازته وقال بررت في قسمي . وكان يصيح ويرفع صوته أمام أرباب الدولة ويقول هؤلاء الفجار بغوا في الأرض (عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) ﴿خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ . صاحبت هذا الرجل وكان يحبني كثيراً استدعيته ليلة ليبيت عندي فلما أخذ مجلسه جاء والدي (رحمه الله) وكان من أصحاب السلطان فلما دخل سلم عليه وكان والدي قد أنقا فلما صلينا العشاء قدمت له الطعام وقعدت آكل وانضم والدي يغتنم بركته فرد إليه وجهه (رضي الله عنه) وقال يا شيبة

منحوسة أما آن لك أن تستحيي من الله إلى متى تصحب هؤلاء الظلمة ما أقل حياءك أأمنت من الموت أن يأتيك وأنت على شر حالة أمالك في ابنك هذا ـ وأشار إلي ـ موعظة شاب صغير في شهوته قمع هواه وطرد شيطانه وعدل إلى الله تعالى يصاحب أهل الله وأنت شيخ سوء على شفا حفرة من النار فبكا والدي واعترف وأنا في ذلك كله أتعجب . وله أخبار كثيرة وشأنه عجيب جمعت بينه وبين صاحبي عبد الله بدر الحبشي بقرطبة ومشينا معه إلى منزله (رضي الله عنه). سمعته يوماً يقول عجبت لمن يطلب ما يركب وهو لم يشرع في شكر ما أكل وما لبس . كان لا يزيد على الحاجة شيئاً في مأكله وملبسه ، كان قاصماً للجبارين ما تفوته غزوة قط في الروم راحلاً بغير زاد .

ومنهم (رضي الله عنه) ابن جعدون الحناوي مات بفاس سنة سبع وتسعين وخمسمائة جمعت بينه وبين صاحبي عبد الله الحبشي كان (رضي الله عنه) واحداً من الأربعة الأوتاد يمسك الله العوالم بهم سأل الله تعالى أن يسقط حرمته من قلوب العالم فكان إذا غاب لم يفتقد وإذا حضر لم يستشر وإذا جاء لا يوسع له وإذا تكلم بين قوم ضرب وسخف كان سبب اجتماعي به ما أذكره الآن وذلك أني لما وصلت مدينة فاس فكان ذكرى قد بلغ من بها فأحب من بلغه ذلك الاجتماع بي فكنت أفر من الدار إلى الجامع فلا أوجد في الدار فأطلب في الجامع وأنا أراهم فيأتوني فيسألوني عني فأقول لهم اطلبوه حتى تجدوه فبينما أنا قاعد وعلي ثياب رفيعة جداً وإذا بهذا الشيخ قد قعد بين يدي ولم أكن أعرفه قبل ذلك فقال لي السلام عليك ورحمة الله وبركاته فرددت عليه ففتح كتاب «شرح المعرفة» للمحاسبي فقرأ منه كلمات ثم قال لي أشرح وبين ما قال فخوطبت بأحواله ومن هو ومقامه وأنه من الأوتاد الأربعة وأن ابنه يرث مقامه فقلت له عرفتك فأنت فلان فأغلق كتابه وقام واقفاً وقال الستر الستر إني أحبك فأحببت أن أتعرف إليك فقد صح المقصود ثم انصرف فلم أكن أجالسه قط إلَّا إذا لم يكن معنا

أحد وكان معقود اللسان لا يتكلم إلاَّ عن مشقة فإذا تلى القرآن كان من أحسن الناس صوتاً وأبدعهم مساقاً ، كان كثير الاجتهاد وكان ينخل الحنا بالأجرة ، قل ما تراه إلاَّ مكحول العينين أشعث أغبر .

وإنما كان يكحل عينيه من أجل غبار الحنا .

ومنهم (رضي الله عنه) أبو عبد الله محمد بن أشرف الرندي من الأبدال شيخ الجبال والسواحل انقطع بالجبال والسواحل لا يأوي إلى معمور قريباً من ثلاثين سنة كان قوي الفراسة كثير البكا طويل القيام دائم الصمت كثيراً ما ينكت بأصبعه في الأرض مطرقاً متفكراً يرفع رأسه فيتنفس الصعداء لصدره أزيز شديد انوجد غزير الدمعة صاحبته وعاشرته زماناً كان إذا وقعت عينه علي فرح بي واستبشر خرج عن حال كثير وافر كان من أعين من في موضعه خرجت وقتاً من مدينة «شدونة» أريد الساحل في طلب الرجال فتبعني شاب لا نبات بعارضيه يريد صحبتي فأخذته معي فقام أمامي شخصان الواحد أسمر طويل يقال له عبد السلام السائح يجول في الأرض لا يقر به قرار ومعه آخر يُقال له محمد بن الحاج وكانا يمشيان مشياً سريعاً فلحقتهما وكان بيني وبينهما خمسة أميال فمررت عليهما مستعجلاً وكان يوم جمعة فأويت إلى قرية يُقال لها «روطة» من أجل صلاة الجمعة فدخلت مسجد الجماعة فركعت ركعتين وهو موضع يطرقه الصالحون رباط حسن له بركات مشهورة فاتفق لي بها قصة فلم ألبث أن جاء هذا - أبو عبد الله بن أشرف - فلما دخل قام إليه ذلك السائح وصاحبه فسلما عليه وعرفاه وأنا مضطجع في الجامع أضرب بيدي على صدري وأغني شعراً :

ضاحك عن جمان سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان وحواه صدري

فجاء إلي وأقامني وقال أتريد أن تستر نفسك ؟ فقلت له وكذلك تفعل أنت فكان كما قلته فأقبل إلي شيخ القرية ورغب أن أفطر عنده

أنا ومن شئت فقال لي ابن أشرف لا تأكل من هذا الطعام شيئاً واحمل جميع الفقراء فإذا أكلوا تأتي وتفطر معي فكان ذلك وأخبرني بأمور كثيرة ووعدني أن ألقاه بـ «إشبيلية» فأقمت معه ثلاثة أيام وانصرفت فأخبرني بكل ما يتفق لي من بعد مفارقته حرفاً حرفاً فكان كذلك فلما وصلت إلى «إشبيلية» أقام الله بخاطري الرحلة إليك لأراك وانتفع بك ، وكان ذلك يوم الثلاثاء فشاورت الوالدة في السفر فأذنت فلما كان في غد قرع إنسان على الباب فخرجت فوجدت إنساناً من البادية فقال أنت محمد بن العربي ؟ فقلت له نعم ، قال كنت أمشي بين «ملجانة» و «مرشانة» فلقيني رجل له هيبة وهمهمة فقال أنت تسير إلى «إشبيلية» قلت نعم قال سل عن دار ابن العربي واجتمع معه وقل له صاحبك الرندي يقرئك السلام وهذا كان طريقه إليك ولكن خطر لك الساعة أن ترحل إلى تونس فسر مسلماً عافاك الله واجتماعنا إن شاء الله إذا وصلت «إشبيلية» فكان كما قال فدخلت أنا في اليوم الثاني لزيارتكم وغبت عن موضعي ويوم وصولي أو ثانيه اجتمع بي وبت معه في دار أبي عبد الله القسطيلي . وكان سبب شهرته (رضي الله عنه) أنه كان كثيراً ما يقعد في جبل شامخ على «موزوز» فمشي بعض الناس فيه لحاجة فرأى عموداً من نور يتشعشع ولا يستطيع النظر إليه فقصده فوجد ذلك النور صاحبنا أبا عبد الله وهو قائم يصلي فأشهره . كان يحترف بجمع «البابينا» من الجبال ويأتي بها إلى المصر يبيعها وينصرف له غرائب وعجائب عاينتها . لقيه القطاع وهو على «عين قاعد» فقالوا له ألق ما عليك من الثياب أو تموت فبكى وقال والله لا أحسنت عونكم على معصية إن أمرتم بشيء فافعلوه ثم أخذته غيرة في دين الله فنظر إليهم نظرته المشهورة ففروا سألني يوماً بالساحل عن قوله تعالى : ﴿ما أريد منهم من رزق﴾ فلم أجبه وتركته واجتمعت به بعد ذلك بأربع سنين فقلت له يا أبا عبد الله قال نعم قلت خذ جوابك قال هات بعد أربع سنين وصل الوقت فأجبته فيها وتعجب من حضوره فيها وكنت أتمنى

أبـداً أن يراه صـاحبي عبـد الله بـدر الحبشي فلمـا دخلت الأنـدلس معـه نـزلنـا بـ «رنـدة» فصلينـا على جنـازة فـإذا بـأبي عبـد الله أمـامي فقلت لصاحبي عبد الله هذا فلان فسر بعضنا ببعض ودخلت بـه الموضـع الذي نـزلت بـه فقـال عبـد الله وددت أن أرى من كـرامـاتـه شيمـاً فلمـا جـاء المغرب وصلينا أبطأ الذي نـزلنا عنـده بالمصبـاح فقال صـاحبي الحبشي أريد المصباح فقـال أبو عبـد الله نعم ثم أخذ بيـده قبضة من حشيش من البيت الذي كنا فيه ونحن ننظر ما يصنع فضـربها بـأصبعه المسبحـة وقال هذا نار فاشتعل الحشيش ناراً فأشعلنـا المصباح ، كـان يغترف النـار بيده من الكـانون لحـاجة مـا فيمسكـه مـا شاء الله ولا تعـدو عليـه وكـان من الآمنين سألته عن بكائه يـوماً فقـال آليت أن لا أدعو على أحـد فأغـاظني رجـل فدعـوت عليه فهلك فنـدمت على ذلـك إلى الآن فكـان (رضي الله عنه) رحمة للعالم وأخباره كثيرة يضيق وقتنا عن شرحها .

ومنهم (رضي الله عنهم) موسى أبو عمـران السيد ، رآني ، كـان من الأبـدال وكان مجهـولاً له عجـائب وغرائب كـان سبب اجتمـاعي بـه أني قعدت بعد صلاة المغرب بمنزلي بـ «إشبيلية» في حيـاة الشيخ أبي مـدين وتمنيت أن لـو اجتمعت به والشيـخ في ذلـك الـزمن بـ «بجـايـة» مسيـرة خمسـة وأربعين يومـاً فلما صليت المغـرب تنفلت ركعتين خفيفتين فلمـا سلمت دخل علي هذا - أبـو عمران - فسلم فـأجلسته إلى جـانبي وقلت من أين فقال من عند الشيـخ أبي مدين من «بجـاية» قلت متى عهـدك به قال صليت معه هـذا المغرب فـرد وجهه إلي وقـال إن محمد بن العـربي بـ «إشبيلية» خطر له كذا وكـذا فسر إليـه الساعـة وأخبره عني بكـذا وكذا وذكـر لي من رغبتي في لقاء الشيـخ وقـال لي يقـول لـك أمـا الاجتمـاع بـالأرواح فقد صـح بيني وبينك وثبت وأمـا الاجتماع بـالأجسام في هـذه الدار فقد أبى الله ذلك فسكن خاطرك والموعـد بيني وبينك عنـد الله في مستقر رحمته وذكر كلاماً خلاف هذا ورجع إليـه كان هـذا - موسى (رضي الله عنه) - من أهل السعة في الدنيـا فخرج عنـه ففتح الله عليـه في ثمانيـة

عشر يوماً إلتحق بالأبدال كان يتبوأ من الأرض حيث يشاء وشى به إلى السلطان فأمر بتقييده فقيد بالحديد وسير به إليه فلما قرب من فاس ألقي في بعض المنازل في بيت وأقفل عليه وبات عليه الحرس فلما أصبح فتح الباب فوجدوا الحديد الذي كان عليه مطروحاً وما وجدوا أحداً ، فدخل فاس وقصد دار أبي مدين شعيب فقرع عليه الباب فخرج الشيخ بنفسه وقال له من أنت قال أنا موسىٰ قال له الشيخ وأنا شعيب أدخل - لا تخف نجوت من القوم الظالمين - أخبرني شيخي أبو يعقوب الكوفي عنه أنه وصل جبل قاف المحيط بالأرض فصلّى الضحى بأسفله وصلّى العصر على ذروته سئل عن ارتفاعه في الهوى فقال مسيرة ثلاثمائة سنة وأخبر أن الله طوق هذا الجبل بحية اجتمع رأسها بذنبها فقال له صاحبه الذي كان معه سلم على هذه الحية ترد عليك قال موسى فسلمت عليها فقالت وعليك السلام يا أبا عمران كيف حال الشيخ أبي مدين فقلت لها وأني لك بمعرفة أبي مدين فقالت عجباً وهل على وجه الأرض من يجهل أبا مدين إن الله تعالى قد أنزل حبه إلى الأرض ونادى به فعرفته أنا وغيري فلا شيء من رطب ولا يابس إلاَّ يعرفه يحبه دخل هذا - موسى - أرضاً رأى النمل فيها على قدر المعز عجيبة الخلق ولقي عجوزاً خراسانية واقفة على البحر والأمواج تصطفق بين ساقيها وهي تسبح الله وتقدسه ، شأن عجيب وحديث طويل .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو محمد مخلوف القباني سكن قرطبة حتى مات عن أذن رسول الله (ص) حملت إليه والدي (رحمه الله تعالى) فدعا له ومسكناً عنده من غدوة حتى صلينا العصر وأكلنا من طعامه كنت إذا دخلت بيته أخذك الحال قبل أن تراه فإذا رأيته رأيت منظراً عظيماً عليه ثوب صوف كان ذاكراً على الدوام خلاف أوراده كان له كل يوم خلاف ذكره كذا ألف تسبيحة وكذلك التكبير والتحميد والتهليل كان يعم بدعائه أهل السموات وأهل الأرض حتى الحيات في البحر وكان

سريع العبـرة وأراد أن يحفر بئـراً في داره فسيق إليه علج مـأسور ليحفـره فقـال (رضي الله عنه) هذا العلج قد خـدمنا فنسـأل الله في إسلامـه فخـلا بنفسه ليلته يسـأل الله فيه فلمـا أصبح أقبـل العـلـج لشغله وهو قـد اسلم فسأل عن سبب ذلك فقـال رأيت النبي (ص) وأمرني أن أومن بـه فآمنت وقـال بشفاعـة أبي محمد مخلوف فيـك أو كلام هـذا معناه . تـركتـه في عافية وانصرفت إلى منزلي فلما جاء الليـل وأخذت مضجعي فـرأيت في المنـام كأني بـأرض واسعة وسحـاب يدنـو فيهـا صهيـل الخيـل وقعقعـة اللجم رأيت أشخـاصاً ركبـاناً وعلى أقـدامهم فينزلـون في ذلـك الفضـاء حتى امتـلأ بهم الفضاء مـا رأيت قط أحسن وجوهـاً منهم ولا أنقى ثيـابـاً ولا أحسن من خيلهم وكنت أرى رجـلاً طويـلاً عظيم اللحية أشيب يـده إلى خده واسع الوجه فكنت من بين الجمـاعة كلهـا أقول لـه أخبرني مـا هـذا الجم الغفير فيقـول لي هؤلاء جميع النبيين من آدم إلى محمد(عليهم الصـلاة والسلام) ما بقي أحـد منهم إلاّ نـزل فقلت من أنت منهم ؟ قـال أنا هود صـاحب عاد فكنت أقـول له فيم جئتم فيقـول جئنا عـواداً زائرين أبا محمد فاستيقظت فسـألت عن أبي محمد مخلوف فـوجدتـه قد مـرض تلك الليلة فلبث أياماً ومات (رحمه الله تعالى) .

ومنهم (رضي الله عنهم) صالح الخراز كان بـإشبيلية من أهـل الجد والاجتهـاد والورع في العبـادة أقبـل على العبـادة وهـو ابن سبـع سنين أو دونهـا كان مبهـوتاً أبـداً ما لعب قط مـع الغلمان ولا كلمهم يعمـل الخرز من أجـل ورعه حتى يـأكل من عمـل يده وكـان له والـدة وكـان بـاراً بهـا نسخ بيده ـ مع صغر سنه ـ كتاب ابـن العسال الكبير ـ ولازم العـزلة كـان طويل الصمت يقـول أصحابـه الذين كـانوا معـه ما كلمنـا قط إلاّ فيما لا بد منه عاشرته وأحببته وكـان إذا قال قـولاً لا يرجـع عنه لأنـه لا يقول إلاّ عن صدق ولا يقضي حاجة أبداً ولا يعمـل شغلاً قط لمن يعـرف منه أنـه يـراه بعين التعظيم وأكثر شغله إنمـا كـان مـع الغـربـاء الـذين يـطرقـون المـدينة لا يعـرفونـه ولا يعرفهم ، قصـد إليه بعض أصحـابنـا بنعله وقـد

قطعه عمداً ليجد سبيلاً إلى مكالمته فسلم عليه فرد عليه السلام فقال له هذا نعلي أخرزه فقال له إن هذا النعل بيدي أصلح شأنه لصاحبه وقد دفع لي أجره وأنا واقف بحيث لا يراني فقال له أمسكه عندك حتى تفرغ من هذا النعل وتصلحه فقال ولعلي أموت قبل ذلك ترى غيري دون شغل أدفعه له فقال ما أريد أن يصلحه أحد إلاّ أنت قال قد قلت ما سمعت واشتغل بذكره قال له تراني أقعد هنا ونعلي عندي حتى تتمه وتصلحه قال ذلك لك إن شئت ولكن حتى أعرفك بأجري عليه قال له قل قال أجري عليه ثمن درهم قال له الرجل أنا أدفع لك ربع درهم قال ما يساوي قال له الرجل ذلك مني مسامحة قال غيري أحوج إليه مني إن كنت تعطي لله فإني قد أخذت قوت اليوم قال لا بد من ذلك قال له قد صدعتني يا إنسان سرعني لا أعمل لك شغلاً وأقبل على ذكره وشغله فرجع الرجل إلي منكسر القلب فقلت له قد طولت عليه أرجع إليه مرة أخرى وقل له أخرزه لي ابتغاء ثواب الله لا أدفع لك عليه شيئاً فرجع إليه فقال له ذلك فنظر إليه ساعة وقال له أنت مرسول ثم إلتفت وأبصرني فقال له أترك نعلك وانصرف عني فإذا كان العصر فأتني فإن وجدتني حياً دفعته لك وإن وجدتني ميتاً فتراني أوصي لك هذا الجار ثم إلتفت وأشار إلي فأقبلت إليه فقال هكذا تفعل الأصحاب ! ؟ يقابلون إخوانهم بما يسوءهم لا تعد لمثلها ولولا ما جعل الله في قلبي من الألفة ما رأيتك ولن أستر علي ، فلم أعرف بعد ذلك أحداً بحاله (رضي الله عنه) .

انتقل إلى سكن البادية يبتغي الإنفراد والعزلة .

ومنهم (رضي الله عنهم) عبد الله الخياط اجتمعت به بجامع العديس وهو ابن عشر سنين أو أحد عشر سنة وهو ذو طمرين ممتقع اللون كثير الفكر شديد الوجد والتوله كنت قد فتح لي في هذا الطريق وما علم بي أحد فأردت الموازنة معه فنظرت إليه فتبسم ونظر إلي وأشرت إليه وأشار إلي ، فوالله ما رأيت نفسي بين يديه إلاّ كدرهم

زائف وقال لي الجد الجد فطوبى لمن عرف ما خلق له وصلى معي العصر وأخذ نعله وسلم علي وانصرف فذهبت أشيعه أعرف منزله فلم أجد له أثراً فسألت عنه فلم أجد أحداً يخبرني عنه فما بقيت في راحة دونه ولم أره بعد ذلك ولا سمعت به إلى الآن .

فمنهم صغير ومنهم كبير .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو العباس أحمد بن همام من أهل «إشبيلية» ألهمه الله رشد نفسه وأقبل على العبادة قبل أن يبلغ الحلم وكان ذا جد يبكي أبداً على نفسه ، كأنه الثكلى على وحيدها كان له والد يحول بينه وبين طريق الله كلما أشتد ذلك عليه قال لي يا أخي اشتد علي الأمر وقد طردني أبي وقال لي سر حيث شئت وأنا أريد الخروج إلى ثغور المسلمين لجهاد العدو وأرابط بموضع منها حتى أموت ، فمشى إلى ثغر منها يُقال له «جلمانية» ولم يزل بها حتى الآن وصل إلى «إشبيلية» بعد ذلك وأخذ أسباباً يحتاج إليها ورجع يرابط بها .

كان أبداً ملازماً في دار عبد الله الخياط الذي تقدم ذكره .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو أحمد السلاوي وصل إلينا إلى «إشبيلية» وأنا في تربية شيخنا أبي يعقوب كان هذا ـ أبو أحمد (رحمه الله) ـ قوي الحال صحب أبا مدين ثمانية عشر سنة وكان كثير الاجتهاد والعبادة شديد البكا بت معه شهراً كاملاً بمسجد ابن جراد فقمت ليلة أريد أن أصلّي فتوضأت وجئت إلى مسقف المسجد فرآيته نائماً عند باب المسقف والأنوار متصلة إلى السماء وبقيت واقفاً أنظر فلا أدري أمن السماء نزلت عليه تلك الأنوار حتى أتصلت به أو منه انبعثت حتى اتصلت بالسماء فلم أزل واقفاً عليه أتعجب من حاله حتى استيقظ وتوضأ وقام يصلّي كان إذا بكي آخذ الدموع إذا سقطت من عينيه على الأرض فأمسح بها وجهي فأجد فيها رائحة المسك فأتخذها طيباً يشمها

الناس علي فيقولون هذا المسك من أين اشتريته ؟

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو إسحاق إبراهيم بن طريف العبسي شيخ أبي عبد الله القرشي (رضي الله عنهما) كان بديار مصر وكان سمح الخلق لين الجانب قائلاً بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم من أهل الجد والاجتهاد كان يحن إلى العزلة ولا يقدر عليها من أجل الحرفة كان يبيع الفخار قيد كثيراً من كتب الطريق كانت المعاملة غالبة عليه يحب المعارف ويحن إليها وكان سبب موته أن رجلاً مر به فقال له يا سيدي مر عليك فلان ـ يسأله عن إنسان من أهل البلد وكان ذلك قد ابتلاه الله في عنقه بداء نسميه عندنا نفنفة ـ فلم يعرفه الشيخ جداً فألح عليه الرجل في السؤال فقال له أراك والله تسأل عن ذلك الرجل صاحب النفنفة في عنقه قال عنه أسأل قال الشيخ فناداني الحق في سري يا إبراهيم ما تعرف عبادنا إلّا بما نبتليهم ما كان له اسم تذكره به لأميتنك بها ، فأصبح وقد خرجت في عنقه فقاساها يسيراً ثم مات . أخبرني بهذه الحكاية ابنه محمد بالحرم وقال لي أبي ما غلطت في مثل هذا النوع منذ عشرين سنة ، قصدته في بلده مرتين وكان يحبني واجتمعت به مع صاحبي عبد الله الحبشي في «سبتة» وفي بلده (رضي الله عنه) ونفعه .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو محمد عبد الله بن إبراهيم المالقي عرف بالقلفاط صاحب أبا الربيع الكفيف وغيره كان صديقاً لإبراهيم بن طريف كان هذا ـ عبد الله ـ يعمل على طريق الفتيان ولعمري قد ظهر فيه وبدت عليه أعلامه ما تراه يمشي قط إلّا في حق غيره لا يلتفت لنفسه ولا لحقها يقصد إلى البلد الحكام في حوائج الناس داره للفقراء مباحة محافظاً للشريعة والآداب مشروح الصدر أكثر من إبراهيم بن طريف . كان ابن طريف عنده جمود اجتمعت به مراراً عديدة وكان يميل إلى جانبي كثيراً اتفق لي بمدينة «سبتة» وهو بها مع ابن طريف أن وجه السلطان «أبو العلاء» مرتين ولم أكن حاضراً فأخذهما الفقراء

الذين كانوا وصلوا إلى الموضع من أجلي وانقبض خواص أصحابي عنها فلما كان في الليلة الثانية وجه إلينا كذلك «مرتين» فلم أقبل ولم أزرهم وكانوا قد أتوا إلينا فقراء بالقصد لما سمعوا أن السلطان يبعث إلينا فأقمت صلاة العشاء فصليت فقال بعض الفقراء «لا صلاة بحضرة طعام» فسكت عنه فغضب حيث لم أجبه فقلت أنا لم أقبل ذلك الطعام ولا أرى أن آكله فإنه عندي حرام ولا يمكن لي أن آمركم بأكله فإني أحب لكم ما أحب لنفسي ثم بينت وجه الحرام فيه ثم قلت هذا طعام حاضر من استحله أكله ومن لم يستحله تركه ودخلت إلى البيت الذي كنت فيه وادخلت معي خواص أصحابي فلما أصبح مشي ذلك ووشى عند الوزراء بأني أقول فيهم أنهم أهل حرام وغير ذلك فاغتاظ الوزير وقال إن السيد والله هو الذي يتناول توجيه ذلك الطعام بنفسه وقام لذلك وقعد فوصلت المسألة إلى السلطان وكان عاقلاً فقال نحن ما قصدنا إلاّ الخير وهو أعرف بحاله لا ندخل عليه مضرة ولا ما يسؤوه وقبض ذلك عني فبلغ ذلك صاحبنا القلفاط فاجتمع بي وخاف علي وعلى أصحابي مما يعرف من البلاد وعتبني على ذلك وقال يا فلان هذا في حق نفسك حسن ، غير أن المضرة تنسحب فيه على الطائفة وهؤلاء القوم ما يحتملون مثل هذا وقد قال بعضهم «ذل من ليس له ظالم يعضده وضل من ليس له عالم يرشده» فلما رأيت أن الرحمة غلبت عليه في حق الناس وتشديد الأمور والأخذ بالأرجح في المصلحة الدنيوية قلت له بئس العبد لله يستند إلى عدو الله لا راعى الله العالم إذا لم يراعوا حق الله ، الله أحق ، ونفضت يدي وقمت فانصرف فلقيت ابن طريف والخبر عنده فقال لي السياسة أولى ، فقلت له ما دام رأس المال محفوظاً ، فسكت (رضي الله عنه) ولولا التطويل لذكرناهم عن آخرهم .

ولكن اقتصرت على هذا المقدار رغبة في الإيجاز والاختصار .

وقد أفردت لذكرهم كتاباً سميته «الدرة الفاخرة في ذكر من

انتفعت به في طريق الآخرة» ذكرت فيه مثل عبد الله بن تاحمست يعده أهل «إشبيلية» من الأبدال وآخر يُقال له «الشحان» كان من الأبدال فنزل وبقي حزيناً لا يكلم أحداً ، كنت إذا لقيته رحمته لما أراه فيه من الكرب .

ومنهم (رضي الله عنهم) الشيخ العارف السائح المتجرد المنقطع الصادق الصالح المسن أبو يحيى بن أبي بكر الصنهاجي من أهل المعارف والإشارات والتمكين قل أن تلقى مثله بيني وبينه مسائل من الحقائق كثيرة يضيق الوقت عن ذكرها ألفت من أجله كتاب «عنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب» .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو العباس بن تاجة ، من المجتهدين لم يزل المصحف بين عينيه حتى مات .

ومنهم (رضي الله عنهم) يوسف بـ «قرمونه» من التالين لكتاب الله لا يتركه القرآن أن يتحدث مع أحد صواماً قياماً .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو الحسن القنوني بمدينة «رندة» من أهل الفتوة والمعارف السنية .

ومنهم (رضي الله عنهم) «اللهم صلّ على محمد» الحداد بمدينة «إشبيلية» كان مشتهراً بالصلاة على النبي (ص) دائماً لا يفتر .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو إسحاق القرطبي بـ «بجاية» من أصحاب أبي مدين كان من الموحدين .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو عبد الله الهدوي بمدينة «فاس» بقي نيفاً وستين سنة ما استدبر القبلة حتى مات .

ومنهم (رضي الله عنهم) علي بن موسى بن البقران بمدينة «فاس» مجهولاً بهذه الطريقة كان غامضاً للناس فيها وكان لديه معرفة تامة كانت له فيها فراسة كان عند الناس مشهوراً بالقراءات والروايات (رحمه الله) .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو الحسين يحيى بن الصائغ بـ «سبتة» من المحدثين وهو صوفي وهذا من الإعجوبات محدث صوفي ، كبريت أحمر ، له بركات كثيرة عاشرته كثيراً ورويت عنه وقرأت عليه كان زاهداً متجرداً .

ومنهم (رضي الله عنهم) ابن العاص أبو عبد الله «الباجي» بـ «إشبيلية» (رحمه الله) كان فقيهاً زاهداً وهذا أيضاً غريب : فقيه زاهد ، لا يوجد .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو عبد الله بن زين بـ «إشبيلية» كان من أفضل الناس كثير الجد والاجتهاد والتقشف كان يقرأ القرآن والنحو بجامع العديس بـ «إشبيلية» لا يؤبه له غامضاً في الناس اعتكف على كتب أبي حامد ، قرأ ليلة تأليف أبي القاسم بن أحمد في الرد على أبي حامد فعمي ، فسجد لله من حينه وتضرع وأقسم أنه لا يقرأه أبداً ويذهبه فرد الله عليه بصره ، وكان من فضلاء الناس .

لقيت أيضاً أخاه مثله ، نودي به عند سوته جنتين اثنتين لبني زين .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو عبد الله الفران إمام أهل البلاء بقرطبة قل أن يلقى مثله سألته كيف يطيب عيشه معهم فقال لا أشم منهم إلا رائحة المسك أحفظ من أحواله : عجائب .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو زكريا يحيى بن حسن الحسني بمدينة «بجاية» من العلماء العاملين السادة صاحب زهد وورع ونصيحة خلوت به يوماً عن إذنه فسألته وسألني فرأيت رجلاً الغالب عليه الخوف له أخبار عجيبة في تقشفه وأكله لقيته مراراً وقرأت عليه من بعض تآليفه .

ومنهم (رضي الله عنهم) عبد السلام الأسود السائح لا أدخل قرية إلا قيل من هنا مر فلان لا يقر له قرار سألته عن عدم قراره ، فقال أجد حالة طيبة في الحركة .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو عبد الله القسطيلي بمدينة بـ «إشبيلية» من أهل الجد والاجتهاد والغيرة في دين الله تعالى إذا دخلت عليه في موضعه تنشط للعبادة .

ومنهم(رضي الله عنهم) أبو العباس أحمد بن منذر بمدينة «إشبيلية من أهل القرآن والعربية والفقه جيد في مذهب مالك (رضي الله عنه) من كراماته إذا اعتاصت عليه مسألة في المذهب يرى مالكاً يحلها له يتعرض إليه في داره الروحانيون والرجال يسلمون عليه يضيق عليه الحال فتلقى الدراهم بين يديه فيأبى أن يأخذها ويردها فترفع عنه غلب عليه الورع ، مباركاً صالحاً .

ومنهم موسى المعلم بمدينة فاس وهو من «قلعة بني سعيد» من نظراء «غرناطة» وابنه عبد الله نشأ صالحاً لا يعرف المعصية هو الشاب التائب لا يعرف له صبوة حافظاً لكتاب الله .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو العباس الخراز لقيته بمكة وانتفعت بدعائه ورأيت له بركة .

ومنهم (رضي الله عنهم) الحاج أبو محمد عبد الله البرجاني صاحبك وصديقك (رضي الله عنه)[1] يحب السنة وأهلها صالحاً جليل القدر كثير السكون سمعته يوماً يقول في قوله تعالى : ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته**﴾ لم تلوه هؤلاء حق تلاوته ؟ فقلت له : يا أبا محمد السؤال منك والجواب منك ! فتبسم وقال لأنه آتاهم فسبقت لهم العناية فلما أعطوا أعينوا . هذه إشارة بديعة تحتها بحور تزخر لمن نظر وتفكر ، يقول النبي (ص) في الإمارة «إن أعطيتها أعنت عليها وإن طلبتها لم تعن عليها» .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبو عبد الله محمد البابلي الساكن بـ «دار

---

(١) في الهامش «يخاطب الشيخ عبد العزيز المهدوي الموضوع له هذه الرسالة» ا . هـ .

القير» خديمك الذي فتح الله له على يديك بـركاتـك عليه كـانت ظاهـرة رأيت له أموراً عجيبة كنت أسر بها لا يتسع الوقت بذكرها .

ومنهم(رضي الله عنهم) أبو عبدالله المرابط من أهل القـرآن والليل ظهرت عليه أنوارك جيد الذهن سريع الفهم .

ومنهم (رضي الله عنهم) ميمون بن التـونسي كـان يجمـع القـرمـز يعيش منه مرض عندنا بإشبيلية فـأخذتـه الصالحـة زينب (امرأة من أطـاع الله) لتمرضه في دارها بنفسها فلمـا انتقل عنـدها مـات من ليلته كـان من رجال الله .

ومنهم (رضي الله عنهم) أبـو محمـد عبـد الله بن خميس الكتـابي جرائحي بمدينة تونس لقيته وزرته حافياً على قدمي في شدة الحـر تأسيـاً بشيخي أبي يعقوب وأبي محمد قـالا لي إنهما زاراه على هـذه الحالـة له بـركات وحسبي علمـك بحالـه ولقيت بمكة الأشخـاص السبعـة (نفع الله المسلمين بهم) جالستهم بين حطيم الحنابلة وصفة زمـزم وهـم خاصـة الله حقاً لا يطرقون ، عليهم السكينة والهيبـة لقيتهم وهم في حال المشـاهدة فلم يقـع بيني وبينهم مكالمـة في معـرفـة ولقـد رأيت من سكـونهم مـالاً يتصور أن يسكنه أحد .

ومنهم(رضي الله عنهم)«شمس» أم الفقـراء بـ «مرشـانـة الـزيتـون» اختلفت إليهـا مراراً مـا لقيت في الرجـال مثلهـا في الحمـل على نفسهـا كبيـرة الشأن في المعـاملات والمكـاشفات قـوية القلب لهـا همة شـريفة ولهـا التمييز تستـر حالهـا جداً كـانت تبدي منـه في السراء شيئـاً إلي لما حصل عندها مني من المكانة وكنت أفرح لها بذلك بركـات كثيرة ظـاهرة اختبرتها مراراً في باب الكشف فـوجدتهـا متمكنة الغـالب عليها الخـوف والرضى ، وتحصيل هـذين المقامين في وقت واحـد عندنـا عجيب يكاد لا يتصـور ، وكذلـك لقيت فاطمـة بنت أبي المتنبي بـ «إشبيلية» أدركتهـا في عشـر التسعين قد اسنت لا تـأكل إلاّ مـا يـطرح النـاس على أبـوابهم

من الأطعمة قليلة الأكل جداً كنت إذا قعدت معها استحيي أن أنظر إلى وجهها من عظيم تورد وجنتيها ونعمتها وهي في عشر التسعين سنة كانت سورتها من القرآن الفاتحة قالت لي أعطيت الفاتحة أصرفها في كل أمر شئته بنيت لها بيدي بيتاً من قصب تسكنه وكانت تقول لا يعجبني أحد ممن يدخل عليّ غير فلان ـ تعني إيّاي ـ فيقال لها بم ذاك فتقول ما منكم أحد يدخل علي إلاّ ببعضه ويترك بعضه في أغراضه من داره وأهله إلاّ محمد بن العربي ولدي وقرة عيني فإذا دخل علي دخل بكله وإذا قام قام بكله وإذا قعد قعد بكله لا يترك خلفه من نفسه شيئاً وهكذا ينبغي أن يكون الطريق . عرض الله عليها ملكه فلم تقف مع شيء منه إنما تقول أنت أنت ، كل شيء دونك مشؤوم علي ، كانت والهة في الله تعالى من رآها يقول عنها حمقاء فتقول الأحمق من لا يعرف ربه كانت رحمة للعالمين ضربها أبو عامر المؤذن بالدرة في الجامع ليلة العيد فنظرت إليه وأنصرفت متغيرة النفس عليه فبات تلك الليلة فلما كان السحر سمعت ذلك المؤذن يؤذن فقالت رب لا تؤاخذني تغيرت نفسي على رجل يذكرك في دياجي الليل والناس نيام هذا ذكر حبيبي يجري على لسانه اللهم لا تؤاخذه بتغيري عليه فلما أصبح دخل فقهاء البلد بعد صلاة العيد على السلطان ليسلموا عليه فدخل ذلك المؤذن في جملتهم رغبة في الدنيا فقال السلطان من يكون هذا قيل مؤذن الجامع فقال ومن أمره بالدخول مع الفقهاء أخرجوه فصفع وأخرج فشفع فيه عند السلطان فخلي سبيله بعدما أراد أن يعاقبه فقيل لها اتفق لفلان مع السلطان كذا وكذا فقالت علمت ولولا أني سألت التخفيف عنه لقتل . شأنها عجيب ماتت (رحمها الله تعالى) .

فهذا يا نفس قد قصصت عليك حالة من تقدم وحال بعض ممن لقيته من رجال ونساء وسكت عن كثير ممن لقيته وما جدت لك قدماً معهم ففي أي نمط تتميزين . ثم أرجع إليك يا وليي يا أبا محمد فإني إنما ذكرت لك هؤلاء فرحاً أن الزمان والحمد لله لم يخل من الرجال

الجارين على أسلوب المتقدمين باختلاف أحوالهم فقد ذكرنا منهم ما حصل به المقصود من الفائدة والاختصار ،وأما أنت فلا يتمكن لي أن أخاطبك بأحوالك . ومقصودي بهذه الرسالة إبراز معرفة نفسانية وربانية تحرض على الكلم الطيب والعمل الصالح فإنما الرجل عندنا هو العالم بالله الكادح فأخاطبك يا وليي وأريد والله نفسي أنبهك وأريد أبناء جنسي وعني أكني فلا تعتز النفس عن الذكر فإنها الذليلة ولا تعم عن حظها الإلهي بتصاممها عن هذه الفضيلة .

مسألة : فمن ذلك : ﴿فذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ ، ﴿وإن في ذلك لآيات للعالمين﴾ لتعلم أن الله تعالى خلق كل ما سوى الإنسان باليد الواحدة وقد جاء التنبيه عليها في مواضع من الشريعة في جنة عدن أنها خلقها بيده وهنا بحر طامس خلق الأسباب كلها بيده وخلق المسببات أيضاً بيده لكن الأسباب الأول ليست في المرتبة كالأسباب الثواني إلى آخر سبب وقال في خلقه الأسباب ومسببات الإلهي الخلق والأمر وقال في الأسباب وحدها : ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ ، ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردنا أن نقول له كن فيكون﴾ فذكر الأمر دون الخلق فألق بالك لكلامي هذا فإنه عويص وأنا غيور أحب أن أوضح واحب أن أستر فخلق الملك والجنة وما يتعلق بهذا الجنس من الشرف والرفعة بجانب الطور الأيمن فافهم ما أومئنا إليه من صفة الجمال وخلق إبليس والنار وما يتعلق بهذا الجنس من الوضاعة والسفل بالجانب الغربي من «كلتا يديه يمنى» فافهم ما أومئنا إليه من صفة الجلال وتمهدت المملكة باليدين وظهر وجودها في العين على التوحيد المطلق من حيث كل واحد منهم يرجع خلقه إلى يد واحدة فعبد ربه من حقيقته واشتغل بطريقته فلم تتصور معصية ولا مخالفة إلى أن خلق الإنسان بيديه وهداه نجديه وأوضح سبيله وأظهر به كلمتيه وبان به عن قبضتيه فنظر إلى العالم ونظر إليه العالم في مملكتيه الكبرى والصغرى فعرف كل واحد ما رأى منه لأنه رأى ما بقابله فالساكن من العالم في

الجانب الغربي رأوا أسفله فلم تقدم عندهم قيمته فظهرت في ذلك قبضتهم ليعلموا أنهم أشقى والساكن من العالم في جانب الطور الأيمن رأوا علوه فقامت عندهم عظمته وظهرت في ذلك قبضتهم ليعلموا أنهم سعداء ثم لما كانوا في نور التجريد لم يستطيعوا أن يعرفوا نور التمريج ولما كانت حقيقتهم صادرة عن اليد الواحدة شهدوا لأنفسهم بالتقديس والتحميد ولما رأوا توجه اليدين على الإنسان عرفوا أنه لا بد من المنازعة لإمضاء الحكم وإذا كانت المنازعة فلا بد من الفساد فنظروا حقاً وقالوا صدقاً (صلوات الله عليهم) فأعرض الله عن إجابتهم في نفس كلامهم إعراضاً صحيحاً من جهة جعلهم الكل جزءاً وحكموا عليه بصفة النقص فتركهم الحق وما عدلوا إليه وأراد أن يبين لهم حقيقة ما فطره عليه وأن الإنسان هو القبضة الجامعة للعاصية والطائعة وأن كل العالم على النصف منه فهو أيضاً على النصف من الحضرة الإلهية وأن الإنسان كل فهو على الكل من الحضرة الإلهية فجمع له بين يديه لتكمل صورته وتصح خلافته وتبين مرتبته ويعلم أنه أشرف موجود وأعلى مقصود ولهذا مدحه لمن نظره بعين النقص ـ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ـ في معرض الثناء فعرض في أدبه بغيره وهو الذي حكم عليه بالفساد وسفك الدماء فما أحسن أدبه عرض في آداب الملائكة بإبليس فطالبهم بعلم الأسماء وجعل الإنسان عالم العلماء وعرض في آداب إبليس بالملائكة بخلقه بيده المقدسة والبيضاء فاتعظ إبليس بأدبه وآداب الملائكة واتعظت الملائكة بآدبهم وأدب إبليس فهؤلاء اتعظوا بإمتثال الأمر ففازوا وهذا اتعظ بعد المخالفة فما نفعته موعظته وخسر فلا شيء أنكا على إبليس من ابن آدم في جميع أحواله في صلاته من سجوده لأنها خطيئة فكثرة السجود تحزن الشيطان وطوله وليس الإنسان بمعصوم في صلاته إلاّ في سجوده فإنه إذا سجد تذكر الشيطان معصيته فحزن فاشتغل عنك بنفسه ولهذا قال (عليه الصلاة والسلام) «إذا سجد ابن آدم اعتزل الشيطان يبرأ يبكي» فالعبد في

سجوده معصوم من الشيطان وليس بمعصوم من النفس فخواطر السجود كلها إما ربانية أو ملكية أو نفسية وليس للشيطان عليه من سبيل وإذا رفع من سجوده غابت تلك الصفة عن إبليس فزال حزنه واشتغل بك ولعل وليي (رضي الله عنه) يقول والنفس أيضاً تزول في السجود والملك يزول ولا يبقى إلاّ الحق فإنه يقول ﴿واسجد واقترب﴾ فقد صحت القربة بالسجود وفني الساجد بالموجد عن الموجود فأقول له نعم يا وليي ما نظرت وبحالك ومقامك قضيت ونحن إنما نتكلم بما تعطيه الحقائق وكيف ارتبطت الدقائق ولو كان الأمر على ما قاله وليي لكان كل إنسان في سجوده بالله عارفاً ومعه واقفاً فانياً عن الإحساس بعيداً عن الإلتماس ولم يصح منه دعاء ولا ثنء ولا تضرع ولا بكاء فإن التضرع والدعاء نداء على رأس البعد بالحجاب ، والمشاهدة للبهت غير اكتساب فإن وجد وليي مقام البهت في سجوده فتلك حالة لا تطرد حكماً فإن غيره في سجوده يقول رب اغفر لي مغفرة عذباً فهذا مع الملك حتماً وآخر في سجوده يتحدث مع شريكه في دكانه حرباً وسلماً فهذا مع نفسه إما وإما . . رجعنا إلى كلامنا فأضاف الإنسان إلى يديه ووكل أمره إليه وسخر له ما في السموات وما في الأرض وحجبه عن التوكل إليه فظهر الإنسان لنفسه في نفسه إماماً فالسعيد من لازم الباب لرفع الحجاب والشقي من نبذ ذلك الباب وراء ظهره فحسبه جهالة ما جهل من أمره لا ما جهل من غيره ولما قام الإنسان خليفة في الأرض دون السماء لحملها العالمين على السواء فقد جمعت جميع العالم وهي أقل الأجزاء فمن وليي الأرض وليي السماء والنار والماء والهوى ومن وليي السماء فما وليي الأرض وما له من الميزان سوى الرفع وليس له نصيب في الخفض . دليلي على ذلك أيها الولي المالك أن الأرض تحمل الملائكة الكرام وليس السماء يحمل للشياطين ولا لعوالم الأجسام ولهذا كانت الأرض حضرة الخلافة ومنزل الخليفة والسموات فردوس من فراديسه ومتنزه من متنزهاته سرح روحه القدس فإن السماء ـ

وأعني بـه العالم العلوي ـ مـوجود من الـرحمة الخـالصة ، وإن الأرض ـ وأعني به السفل ـ حيث أنـزل آدم (ع) بعد ـ أحسن تقـويم ـ إلى ـ أسفل سـافلين ـ موجـود من الغضب الخالص فـإن قلت فهذه الـرحمة الـظاهرة فيهـا فتلك رحمة الإنسـان ولهذا إذا لم يبق إنسـان عليهـا زالت الـرحمـة بزواله وتـوجه عليهـا فأعـدم عينها وهلكت في الهـالكين وانتقلت العمارة إلى الـدار الآخرة بـانتقـال الإنسـان فـإن قلت وقبـل الإنسـان قـد كـانت الأرض مـوجودة فـذلك لحقيقتين لأن ذلـك كان زمـان التمهيـد للخليفـة والحقيقة الأخرى لحقيقـة البرزخيـة فيها لأنهـا تشبه العـدم لكونهـا تؤول إلى الفناء وتشبه دار البقاء لأنها قد وجدت يـوماً فهـذه النفخة الـرحمانيـة في الـوجود هي التي أمسكهـا حتى ظهر الإنسـان فافهم ولا تقتصـر بهذا على آدم (ع) فحسب فكـل صالـح من المؤمنين وغيرهم في وجوده قطب ولم يبق إلاّ خليفة جائر وخليفة عادل فإما إلى عذاب غيـر زائل وإمـا إلى نعيم طـائـل ومن هنـا وقـع الخـوف على الخلفـاء وأنت وأنـا مـن جملتهم . . فنـرجع إلى نفـوسنـا في هـذه الحـالـة العميـاء ونقيم عليهـا ميـزان القضاء وأحكم على السـواء بمرتبتهـا التي وجـدت لهـا ومنـزلتهـا العالية السنـاء فأقـول : يا نفس يـا برزخـا بين الضراء والسـراء اصطفـاك الله دون أهل الأرض والسماء وجمع لك بين يديه إمـا للشرف الـذي لك عنده أو للإبتـلاء ومحال أن يكـون الشرف لقبضـة الأشقياء وإنمـا الشرف فيـه مـوطن في مقـابلة الخصمـاء فلم يبق أن يكـون ذلـك إلاّ لمجـرد الإبتلاء قال تعالى : ﴿خلق الموت والحياة ليبلوكم﴾ ولم يقل ليشـرفكم خـطاب يشمـل جميع المـأمـورين والأمـراء فمن نصب هـذا المنصب وذهب به هذا المذهب كيف يطيب له معاشـه أو يستقر بـه فراشـه وهو لا يـدري أي اليدين يحكم عليـه وبأي العين من العينين ينـظر إليه فـواجب عليك يا وليي محافظة السر والوقت مخـافة أن يفاجئـك نظرة المقت وأنت لا تشعـر بذلـك فتكـون عنـد النـاس السعيـد وعنـد الله الشقي الهـالـك وحكم الله أمضى وحاكمه أقضى فالويـل لمن اغتر ولـو بشر والـويل كـل

الويل لمن اغتر وهو لم يبشر . هذا عمر بن الخطاب(رضي الله عنه). الصلب القوي الذي ليس للشيطان عليه سبيل حسب الشيطان أن ينجو منه نزل القرآن موافقاً لحكمه وأداه أن يقول«لو كشف الغطاء ما أزددت يقيناً» ما يعرفه من إيمانه وعلمه قد جمع بين العلم والعيان وتبرز في صدر المشاهدة الأعيان ليس أحد من وقته إلى يوم القيامة يبرز أمامه ولا يكون في حالة من الأحوال أمامه قد اهتز لموعظة أويس القرني خير التابعين همة وقال ما أداه إليه كشفه وعلمه المعصوم : ليت عمر لم تلده أمه ، فكيف ينبغي أن أقول أنت وأنا إلى متى هذه القبيحة على الله تعالى أما آن لنا أن نرجع أما حان لنا أن نرعوي ونقلع وقد دعينا بالعارفين بالله ونحن في حزب إنا لله أترضى لنفسك أن تكون صاحب حال فيحكم عليك هواك وتغلب عليك دنياك ويلتبس أن ذلك من مولاك هلا أقمنا عليها ميزان العدل وطالبناها بصحة النقل فإنها لا تخلو في إتساعها في دنياها بعد ضيقها وراحتها بعد جهدها من أحد أمرين إما أن تكون في ذلك تستر مقامها عن الناظرين وتعمي مكانتها عن أبناء الدنيا المفتكين وتصول بذلك على المترفين وتسعى في الكسب حتى لا يكون عليها يد لأحد من المحجوبين فإن كان هذا فياجهل هذه النفس ويا حسرتها فلا حال لها ولا مقام عظمت الدنيا وأبناؤها في عينها فصادمتهم وقابلتهم وأين هي من جناح البعوضة ومن تشبيه النبوة لها بالمزبلة والجيفة إلى هذا بلغت منزلة هذه النفس الركيكة مع دعواها أنها السيدة الملكية إن كنت تقول الحق وعزمت على مصادمة الدنيا ومنازعة أبنائها فاستند إلى الحق في خرق العوائد فإن الناس كلهم ينفقون من الجيب وصاحب الحال إنما ينفق من الغيب فإذا رأيت نفسك تحيد عن ذلك فلا تغالط وكن لها المجاهد والمرابط ولا يغرنك حالة طرأت عليك في بدايتك وافقت وقت صدق منك فتخيل أنها أبقيت عليك والعادة طبيعة خامسة وما عسى الدنيا وأبناؤها حتى تشاركهم فيها وتقول أرى أن لا يأكلوا عندي ولا آكل عندهم ولا

يزوروني ولا أزورهم : كل ذلك حظ نفساني وتلبيس شيطاني فإن كنت عبدت الله لتعبك ، فقد حصل لك أجرك في الدنيا ، وساء منقلبك في العقبى ، وإن كنت عبدت الله لحظ نفسك في الأجل إما لكونها عبداً فتحشر مع النبيين وإما لكونها أجيزت الحسنة بعشر أمثالها فتحشر مع المؤمنين فأزور ، وأزار وأقصد وأقصد ، وهذا حال النبي (ص) كان يزور ويُزار ويحمل الكل ويعين الضعيف ويقري الضيف ولا يبيت على معلوم ولا يجزع من الفقر . ألا إن الفقير العارف من لا يبكي غده من أجل رزقه فكيف من أجل خلقه وبهذا تغالط النفس فتقول إنما أمسك هذا الشيء في حق الغير لا في حق نفسي قال الله تعالى يكذبها : ﴿ **ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق**﴾ ومحال أن الله يطعم فلم يبق إلاَّ أن يطعم من أجله ، فمنع من ذلك السادات الكبراء وأبقى في حالة العامة الضعفاء ونفسي تدعى الخروج عن العامة فقد لزمها أن تخرج من السعي والإدخار في حق الغير ، فإنه شرك محض ، وطعن في القدرة كما أن المتسبب إذا لم يقدر على الجلوس مع الله مطعون في إيمانه فهذا هو الأمر الواحد من الأمرين فقد بطل دعواها فيه في اتساعها في الدنيا بعد تضييقها وإن كان يريد الإنصاف من نفسه وهو عند الأكابر مقام نازل ولكن لهذا أن يفعله فإنه ليس من الأكابر حيث رأى للدنيا وأبنائها حظاً وقدراً فيصول عليهم ويتعزز هلا شغلته عبوديته مع عزة الله عن عزته مع ذلة الخلق ، ولقد فاته حظه من الله ـ نسأل الله جميل العاقبة ـ وأن يطعم الخلق ولا يأكل منه ألبته فإن أكلل فلنفسه سعي ولها أدخر . وأما الأمر الآخر الذي وسعت به النفس عليها بعد تضييقها فهو أن يتخيل أن ذلك لا يؤثر في مقامها ولا ينقص لها من مكانتها ولما كانت غير عاملة للثواب وإنما عملت للعبودية فلا تبال في أي واد مرّ بها إذا صح حالها مع الله ، وليس ثم أمر ثالث والحمد لله . فإن كانت فعلته لهذا فلا تشك أصلاً في جهلها وتغريها في نفسها لوجوه كثيرة تدل على جهالتها منها جهلها

بالموطن حيث عاملته بما لا يليق به فإن « لدنيا سجن المؤمن» وهي سجن المؤمنين وأنت تدعي أنك فوق الإيمان وأنا ما أسلمه ولكن صاحب السجن قد أرسلك اليه وأدخلك مع المؤمنين وسجنك معهم بما حجره عليك فلا تقرر أن تشرب خمراً ولا أن تكذب في حديث ولا أن تخلف وعداً ولا أن تحلف فاجراً ولا أن تنكح خمس حرائر وتوجه عليك ما توجه عليك مثل المؤمنين المسجونين فالحكيم يتنبه ويعرف أن ذلك موطن التكليف وقد لزمه ما لم يكن لزمه وهو خارج السجن فيقول هل هنا أحد من حضرة الملك من طوري وممن هو أرفع مني ، فيجد الأولياء والأنبياء والمرسلين فيقول لنا «بهم اقتداء وأنا منهم وهذا أكبر الدعاوي وأنا أسلمها وبهذا أمر الله نبيه أفضل الخلق فذكر الأنبياء وما أعطاهم ثم قال له : ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ فتنظر في حال الأنبياء فتجد سيدهم وإمامهم أختار الفقر على الغنى والذل على العز للمؤمنين وقد خيره حين نزل عليه إسرافيل فقال «إن الله خيرك إن شئت نبياً عبداً وإن شئت نبياً ملكاً فأشار إليه جبريل أن تواضع فقال نبياً عبداً» قال (عليه الصلاة والسلام) لو قلت نبياً ملكاً لسارت معي الجبال ذهباً وفضة فأعطته المعرفة والهمة حين أشار إليه شيخه بالأولى تمنى العبودية فلازم الفقر والذلة والخضوع حتى كان يشد الحجارة على بطنه من الجوع فهلا اقتدا بهم هذا الشخص ولا يذهب طيباته في حياته الدنيا ولو علم أن المراتب في الجنة على قدر المراتب عند الله لسعى لنفسه ولعقله وكان من الملوك في الجنة وعند الله تعالي ولا كان يتكل على معرفته ويقول بكمال عقله ويجنح إلى الراحات ويكب على الشهوات ويتنعم في لين الثياب ولذيذ الطعام والشراب وأخوه المؤمن لا يجد ما يأكل «يقال له واسه فيقول حتى يخطر لي ، ما ألقي الله عندي فيه شيئاً ، ما أجهله بخاطر من الحق إنما يفعل العارفون ذلك فيمن لم تبد منه حاجة ويظهر عليه الغنى وهو فقير فيخطر للعارف أنه فقير وهو كشف وإما من ظهر حاله وبانت فاقته فهي الخاطر الذي أعطاك الله فيه وأنت لا تشعر وهي أقوى

حجة عليك فلا تغتر يا من زاحم الأنبياء بجهله : ـ سليمان ويوسف (عليهما السلام) ـ ولا بقوله تعالى : **﴿هذا عطاؤنا فأمنن أو أمسك بغير حساب﴾** وأنا أقول مثل ذلك في العارف الذي يرى يده عارية في المنع والعطاء وأن الحساب عنه مرفوع ولكن المواطن تعطيه أنه إذا كسب الدنيا أنه يتأخر عن درجة الذي لم يكتسب ضرورة في الشفاعة وفي دخول الجنة وفي المنزلة عند الله وفي الدنيا فإن الغني يزور الزاهد والأمراء الصادقون يزورون الفقراء الصادقين وهنا سر عال أخاف من الفتنة في كشفه وإذاعته فسترته رحمة للعالم حكمت علينا به الحقائق يؤيده من الأخبار «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي» هذا باب فالفقير يدعوه إلى السكون كسر فقاره فابحث عن السر ولا تفشه ولا تعتمد ولا تجعل حقيقة تحكم عليك فالموطن لا يعطيه ولا تترك حقائق حكمة كثيرة يعطي استعمالها سعادة لحقيقة واحدة يعطي استعمالها إما شقاوة وأما نقصاً في المرتبة ، فالله عليها كن لها كتوماً إن وقفت عليها وقد نبهتك على طرف منها والله المستعان ، ويكفي هذا المقدار من الوجوه الذي يحتمله هذا الأمر الآخر فهذا الإبتلاء الذي ذكرناه يوجب علينا الجد والاجتهاد والتجرد عن الدنيا وأسبابها والتفرغ للعبادة كما كان الأولياء والسادة النجباء مثل أبي بكر وغيره وقد مشى طرف من أخبارهم في أول هذه الرسالة وأما إن لم تنظر في خلقه لك بيديه ابتداء ونظرته شرفاً ورفعة وهو نظر جهل كما حمل الأمانة لحقيقته ولم يحملها غيره ولكن قيل فيه ـ ظلوماً جهولاً ـ فلو حملها جبراً لما نسب إليه الظلم والجهل ولما حملها اختياراً نسب إليه ذلك فاعلم هذا وأنا أسلم لنفسي هذا الجهل وأقول لها إنما خلقك بيديه لشرفك على جميع الموجودات وجعلك إنساناً ولم يجعلك ملكاً ولا شيطاناً فاتصلت على النصف من المعرفة أنظري يا نفس إلى حال من خلقت نشأته على نصف المعرفة قال الله فيهم : **﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾**

﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾ هذا شكرهم على معرفتهم وهي نصف المعرفة وأنت قد أنشئت من مقام المعرفة بكمالها والصورة الإحاطية والاستخلاف الإلهي فكان ينبغي أن يكون شكرك أتم من شكرهم وزكاتك أعظم من زكاتهم لأن معرفتك كلية فكان الأولى بك أن تقوم الركعة الواحدة مقام عبادة أهل السموات والأرض فإياك أن تحجب نفسك بأن تقول يا أخي : كاتب هذه الرسالة ما عرف مقامي ولا من أنا فما قصدتك بالكلام وإنما تكلمت على ما تقتضيه الحقائق وحصرتها حصراً إحاطياً وكشفتها كشفاً اعتصامياً لم يبق ملك ولا رسول ولا نبي ولا ولي ولا أحد إلاَّ دخل في هذا الحصر ، فلا بد أن تكون يا قاريء هذه الرسالة واحدا من هؤلاء الأقوام والطبقات وأدعى فيمن شب فقد سلمت لك ولو أدعيت الملكية وحدها أو الرسالة أو النبوة أو ما أدعيته : الحقائق تحكم عليك قسراً وتردك إلى العبودية وإلى الموطن إن عصمت ، وإن خذلت عميت عن الحقائق واستعجلت الآجلة وأجلت العاجلة وجعلت غيرك المحجوب وأنت العاقل عن الله المصيب ، فإذا انقلبت وجدت عملك هباء منثوراً وطردتك الحقائق السعادية عن بابها وقالت لا أعرفك فإنك ما صاحبتني في الدنيا ولا تعرفت إلي ودعاك خيالك الفاسد القاصر فرمى بك في سواء الجحيم فكيفما نظرت في خلق الحق لك بيديه : إن كان إبتلاء فلا بد من الجذر والوزن مخافة النقص والتطفيف وإن كان شرفاً ورفعة فلا بد من الجد والاجتهاد في الشكر كما قال (عليه الصلاة والسلام) «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً» وكما قال بعض العارفين وقد رأو صوفياً يضحك ملأ فيه لا يخلو أن تكون بشرت بسعادتك أم لا فإن كنت لم تأمن فما هذه حالة الخائفين وإن كنت أمنت فما هذه حالة الشاكرين فقد ناط به الذم من الطرفين في ضحكه فكيف لو رآه متنعماً مترفاً ويجمع ويدخر ويمنى نفسه بالغرور وقد تقدم حديث سلمان الفارسي في وقت ذكره لما فتح الله به على بعض الصحابة والتابعين

من كنوز كسرى وقيصر وإن الله ما أختار لنبيه الدنيا بل اصطفاه فقيراً لا يبيت على معلوم في البيت حتى مات وأشباه ذلك ، فإياك يا وليي والمغالطة فإن الناقد بصير وإليه تصير الأمور وقد مضت العبارات وما بقيت إلاّ تسبيحات فلا يغتر العالم بعلمه ما لم يستعمله ولا يغتر بإستعماله ما لم يخلص ولا يغتر بإخلاصه ما لم يفن عنه . هذه مسألة من تحقق بها وبمعانيها لم يسكن له جأش ولا يطيب له عيش يشتغله شأنه عن كل شأن لما يؤول إليه حاله فإن قوارع القرآن تزعج العاقل اللبيب وتنغص حياة الفطن المصيب مثل قوله تعالى : **﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾** وقوله : **﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾** وقوله تعالى : **﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾** وأمثال هذه القوارع والزواجر المتلوة في المحاريب والمحاضرة تقرع أسماعنا آناء الليل وأطراف النهار ، فلا معرفة ثابتة في القلوب فيردعنا الحياء ولا خوف فيكفينا الوعيد والتقرير فلا ندري في أي نمط نتميز ولا بأي فرقة نلحق نسأل الله لنا ولكم وللمسلمين وفي جميع الأحوال هنا وعند الموت وفي المآل العافية . ومما يحض العقل السليم على الاجتهاد ويحول بين جفنه وبين الرقاد نظره في النعم المترادفة عليه إذا حققها وذلك يا وليي (أبقاك الله تعالى) إن أول نعمة عقلتها من ربك إخراجك من العدم إلى الوجود وقد عدد هذا المقام عليك من جملة نعمه فقال : **﴿أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾** ثم خاطب بهذا المقام الخاصة الرفيعة من عباده الذين نحن اتباع لهم فقال لنبيه زكريا (ع) في وقت تعجبه من قدرة الله تعالى على حكم العبادة في إيجاد ابنه يحيى (ع) : **﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾** فإياك أن تتوهم أن هذا الخطاب لزكريا في حق نفسه لابطال المعنى فيه فإن خلق ابن آدم أعجب من خلقه في حكم العادة لأن زكريا (ع) قد أظهر العلة فلو أحاله على خلق نفسه لما أتاه بأعجب مما تعجب منه وإنما أشار إليه بذلك أن ينظر في أول موجود وهي الحقيقة الإنسانية قبل كل شيء وهي أُم الأشياء كلها ، وليست من شيء وهي

سبب كل شيء ، وليست مسببة عن شيء، ولهذا قال له : **﴿ولم تك شيئاً﴾** فإن هذا الخلق الترابي الآدمي مسبب عن أشياء نبه عليها (عليه الصلاة والسلام) بقوله: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» ولا يكون العدم بين أمرين موجودين لانحصاره ، وأوصوف لا يوصف بالحصر في شيء وقال الله تعالى في خلق الجسد الادمي **﴿خلقكم من تراب﴾** ثم طين وهو خلط الماء بالتراب وقال **﴿من حمأ مسنون﴾** وهو المتغير الريح وهو جزء الهواء وقال **﴿من صلصال كالفخار﴾** وهو جزء النار فهذه أمهات الجسد الأدمي وهي كثيرة فلا يصح على هذا قوله : **﴿ولم تك شيئاً﴾** فإنه قد كان شيئاً وانتقل في أطوار العالم من شكل إلى شكل حتى صار على هذه الصفة ، وكذلك قال في جسد ابن آدم كما قال في الجسد الأدمي من توقفه على شيء وأن أصله ذلك الشيء ، والصورة في عرض فيه فقال : **﴿فلينظر الإنسان ممَّ خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾** وإياك أن تقول في وقت كذا كذا لم نكن كذا وقد نبه تعالى على أنك هو ذاك وأن أصل جسمانيتك من شيء فقال : **﴿ولقد خلقنا الإنسان من تراب﴾** وهو الأب إن شئت **﴿ثم من نطفة﴾** وهي الابن **﴿ثم من علقة﴾** تمييز في طور آخر **﴿ثم من مضغة﴾** تمييز آخر في طور آخر **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾** فجعلك من شيء وهذا طور **﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾** هذا طور آخر **﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾** هذا طور آخر وكله الإنسان **﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾** هذا طور آخر **﴿فخلقنا المضغة عظاماً﴾** هذا طور آخر **﴿فكسونا العظام لحماً﴾** هذا طور آخر **﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾** هذا طور آخر **﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾** أثنى على نفسه يعلمك صورة الثناء عليه لتشكره لا لتكفره وهذا كله إنما ذكره ليعدد نعمه التي أختصك بها وحباك وهذه كلها أشياء علق وجود بعضها على بعض فقوله على ما تعطيه الحقائق ويعظم التعجب عند زكريا (ع) : **﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾** إنما يشير إلى

البروز الأول من غير شيء لأن زكريا (ع) إنما تعجب من بشراه له تعالى بيحيى على كبره وامرأته عاقر ، فذكر له ما هو أعجب من ذلك وهو إخراج الشيء من العدم إلى الوجود فإن النقلة في مراتب الوجود من وجود إلى وجود باختلاف الأحوال أهون من إبراز المعدوم ، فلهذا كان أعجب مما تعجب منه زكريا ومن هذا تعجبت امرأة إبراهيم (ع) حين بشرت بإسحاق (ع) فقالت: **﴿يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب﴾** وهذا يا وليي إذا نظرته من الأسرار العجيبة فتنبه له وعسى أن تعثر على الفصل بينهما وذلك أن الله قد أخبرنا عن زكريا (ع) بما أخبرنا عن امرأة إبراهيم (ع) فبشرك بين المرأة والرجل في هذا التعجب وبشرك بينهما في العلم لأن التعجب على قدر العلم ومعلوم فضل الرجل على المرأة في الميراث والشهادة والصوم والصلاة **﴿وللرجال عليهن درجة﴾** وهذه المسألة مسألة مفرعة لتعلقها بباب المعرفة وقد أشترك فيها نبي الله زكريا (ع) وامرأة وليست بكاملة فحقق خاطرك يا وليي في هذه المسألة عسى تعثر عليها وكنت أذكر لك وجه الفصل بينهما وأبينه وأكني رأيتك تحب أن تأخذ العلم من ربك فناديت معك وأبقيتها مهملة قال الله تعالى جواباً لزكريا (ع) : **﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾** وقال تعالى جواباً لامرأة إبراهيم (ع) : **﴿أتعجبين من أمر الله﴾** ولوحنا لك وألقيناك على الطريق فادرج عليه فإن ما بينك وبين العلم إلاّ كلمة واحدة وهذا غاية ما قدرنا عليه في حقك من تقريب المسألة إلى هذا ، وسترناها خلف حجاب واحد رقيق والخطاب على قدر العقل فانظر يا وليي أول نعمة أنعم بها عليك لو كلفك الله شكر هذه النعمة وحدها وجعل معك أهل السموات والأرض بعبادتهم مؤيدين لك عمرك الآخروي الذي لا نهاية له ما قمت بشكرها ، كيف وقد انضاف إليها نعم كثيرة غيرها ثم طالبك في الشكر والعبادة على قدر استطاعتك خاصة ، فأبيت الإنصاف وتكاسلت وتخاذلت وتعاميت وتصاممت ما هذا ممن يدعي العقل والمعرفة

بحسن . إنما يقع الاعتراف بالتقصير بما ينبغي لجلال الحضرة من الاجتهاد بعد بذل المجهود ، وإياك وشطحة من شطح السكر غلب عليه فقال إني أغار على جمال القديم أن يراه المحدث من تدنيس رؤيته فهذه كلمة ليس لها مدخل في الرجولية وإنما هي شطحة من صورة وقف القائل معها تردها الحقائق أو تغتر أيضاً بقول القائل : «من ظن أنه بالجهد يصل فهو متعن» فقد قال هذ أيضاً «ومن ظن أنه يصل بغير الجهد فهو متمن» فقد أشار إلى ما ندبناك إليه ببذل المجهود وصحة القصد ولا وصول إلاّ برحمة الله قال الله تعالى في المتمني : ﴿وغرتكم الأماني﴾ فذمه وقال في المتعني : ﴿فنعم أجر العاملين * والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ فمدح المتعني فإن كان ولا بد فالتعني أولى وإن استطعت الدعوى مع وجود التعني وعدم الإلتفات إلى نتائجه إنما يكون خالياً من جميع أعماله وهو فيها متعرض لنفحة من اجتهاد نفحات الربوبية لأن العبادات بحكم التسخير إنما هي للفقهاء العامة الذين أعماهم الله عن الحقائق فقيل لهم قدموا لتجدوا وهؤلاء هم الجهال عندنا وعليهم توجه التكليف مطابقاً لاسمه فيدخل عليهم في أداء العبادة من الكلفة والمشقة ما لا يعلمه إلاّ الله وذلك لعدم معرفتهم بمعبودهم واشتغالهم بشهوات نفوسهم وحظوظها عاجلة وآجلة وأما هذه الصوفية المحققون فعبادتهم لا بحكم التسخير لكن من طريق الشكر بشهادة الغنى على ملاحظة العمل ونتائجه فلم يقدموا أعمالهم ليجدوها ويلحقوا بها وإنما عملوا لأن السيد قال لهم اعملوا ، فلهم العمل والطرح ، وللسيد إن شاء القبول وإن شاء الرد فهؤلاء توجه عليهم بالتكليف وارتفع عنهم معناه أي ما فيه من الكلفة والمشقة لقوة معرفتهم بمعبودهم واشتغالهم بحقوق معبودهم عن حقوق نفوسهم فلم يتصور لهم أن يطلبوا أجراً إنما هو في كل نفس معان فيما كلف في ذلك فهو يجني والباري تعالى يدخر له ، والفقيه الضعيف الجاهل صاحب علم الرسوم الذي قد ختم الله عى قلبه بشهواته فتراه يلتفت

يميناً وشمالاً في صلاته ويحرم الإمام ويبقى هو بعده بقدر ركعة في حضور نيته للصلاة لكثرة شغله عنها بهذيانه ودنياه وكثرة غفلاته ثم يكرر التكبير مرتين وثلاثاً وأربعاً في النية لعدم صفاء قلبه وترادف ظلماته فإذا سهل الله عليه وأدى ما كلفه الله تعالى فهذه حالة المجتهد الحازم وساق هذه الجناية المسودة الوجه بعدم الحضور فيها مع الله تعالى وسوء ظنه بربه كيف يكون له ذلك العمل مدخراً عند الله تعالى حتى يجده عنده لعدم تطلعه إلى فضل الله عليه فيه فيجنح إلى عمله وهذه كلها علالات فاسدة ولكن كما قال الله تعالى : ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ فلذلك أكثر الشريعة تجري عليهم رحمة بهم لضعفهم وهم في عماية عن ذلك بل من عظيم جهلهم أنهم ما عقلوا عن الله رحمة هذه بهم وتخيلوا أنهم إذا فعلوا هذا واقتصروا عليه أنه لا شيء أعلا منه والخلق دونه لحفظه الحديث والفقه ويقال له يا فقيه ما تقول في رجل حلف على كذا فيحكم فيها بحكم الله المشروع ويحجبه عن ذلك المنصب عن القلب المختوم عليه بحب الدنيا وتعظيمها ونظره الفقراء وأولياء الله تعالى بعين الازدراء والجهل لكونهم لا يعرفون مسائل العتق والطلاق والنكاح فهم الغمر الجهلاء ، فهذا وأشباههم حجبهم عن الله وطردهم عن بابه وما زالت الفقهاء في كل زمان مع المحققين بمنزلة الفراعنة مع النبيين .

ثم ننتقل يا وليي إلى الأم الثانية من هذه النعم الثانية وهي أن تنظر إلى كونه أوجدك متغذياً نامياً ولم يجعلك جماداً صلداً وإن كانت الحجارة والجمادات عندنا على خلاف ما يراها الناس كما قال الله تعالى : **﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾** فوصفها بالخشية وغيرها وقال تعالى : **﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾** وقال تعالى : **﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾** وقال تعالى

للسماوات والأرض : ﴿إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ وقال : ﴿يا جبال أوبي معه﴾ أي رجعي معه التسبيح وسيري معه وقال : ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره﴾ وقال (عليه الصلاة والسلام): «إني لأعرف حجراً كان يسلم علي» وقال في أحد : «هذا جبل يحبنا ونحبه» وقال موسى (ع) : «ثوبي حجر ثوبي حجر» يناديه وسبح الحصى في كفه وما أشبه ذلك فالجمادات عندنا عالمة بالله تعالى ناطقة به في عالمها وهي على حسب أفقها وفلكها ولها نذير من جنسها وهي عندنا أمة من الأمم قد فضل الله بعضها على بعض فكانت القدرة ممكنة لما أوجدتك ولم تك شيئاً أن تنزلك في أمة الجمادات ولكن مقام النبات أعلى وأمته أفضل فجعلك متغذياً نامياً ولم يجعلك جماداً وهذه نعمة كبيرة لا يؤدي شكرها ولا يقدر قدرها فاجتهد عافاك الله جهدك فإنك مسؤول على قدر معرفتك وتدقيقك فإن العوام ما تسئل عن هذه النعم التي ذكرناها ونسأل نحن عنها فسؤالنا أشد فينبغي أن يكون عملنا أتم ولا تكن يا وليي كقوم رأيتهم فأبنت لهم ما لله عليهم من النعم ليجتهدوا وأمرتهم بما أمرتك وأمرت به نفسي فأبوا قبول ذلك وقالوا ـ كل واحد منهم لما أراد الله خذلانه ـ : إن العبد لا يفي أبداً بشكر نعمة واحدة مما أنعم الله به عليه فكيف أن تستغرقها فالتعني لا فائدة له فقلت صدقتم في أن أحداً لا يفي بشكر الله تعالى فإن الشكر منه على النعمة نعمة ولنا في هذه المعرفة ذراع أطول من ذراعكم وأزيد مما عرفتموه ولو عرفتموه ما عبدتم الله أبداً مما ترون من الحقائق ، وأنتم قاصرون ، ولكن ينبغي للعبد أن يبذل الطاقة التي أعطاه الله تعالى في مرضاته على الاستبقاء فإذا لم يبق له اتساع حينئذ يقول إنه لا يفي وإن ذلك عقد في القلب والجوارح تنصرف بالأعمال فإياك والبطالة فقد تقدمك النبيون والمرسلون والملأ الأعلى من الملائكة ، والعارفون وصالحوا المؤمنين بالاجتهاد والكد مع صحة التوحيد والمعرفة والقصد وما قال بقولك هذا إلاَّ الإباحية والمنحلة عقائدهم الذين قالوا بإسقاط

الأعمال نسأل الله لنا ولكم وللمسلمين العصمة في الحال والمآل . ثم زادك الله نعمة على هذه النعمة بأن نقلك من أمة النبات والشجر الى أمة الحيوان فجعلت حساساً فوجب عليك من الشكر والعبادة ما وجب على الجماد والنبات والحيوان فإنك قد جمعت حقائقهم وزدت على كل واحد منهم فينبغي لك أن تعمل على كشف عبادة العالم سفله وعلوه وما هم فيه فتأخذ نفسك بعبادة كل طائفة منهم فإنك مشارك لهم في حقيقتهم ولهذا أنت الأم الجامعة لحقائقهم ، ثم إنه ما منها من أمة من الجماد والنبات والحيوان وغير ذلك إلاّ ولهم عبادتان عبادة تعم الأمة كلها وعبادة تخص آحاد الأمة كما قال تعالى : ﴿وما منا إلاّ له مقام معلوم﴾ فهذه عبادة الأشخاص على الإنفراد وأنا لا أطالبك بعبادة الأشخاص وإنما أطالبك بالعبادة التي يشترك فيها جنس تلك الأمة وإنما يتوجه عليك عبادة أشخاصها وإذا أوقفك الحق مع واحد منها فحينئذ وفي جملة أشياخنا الذين انتفعنا بهم في طريق الآخرة في هذه الأمم ميزاب رأيته في مدينة فاس في حائط ينزل منه ماء السطح مثل ميزاب الكعبة فوقفت على عبادته واجهدت نفسي عسى أجري معهم في ذلك ومنهم ظلي الممتد من شخصي أخذت منه عبادتين قد أخذ نفسه بها وأشباه ذلك وأما الحيوانات فلنا منهم شيوخ ومن جملة شيوخنا الذين اعتمدت عليهم الفرس فإن عبادته عجيبة والبازي والهرة والكلب والفهد والنحلة وغير ذلك فما قدرت قط أن أتصف بعبادتهم على حد ما هم عليها وغايتي أن أقدر على ذلك في وقت دون وقت وهم في كل لحظة مع اعتقادهم بسيادتي عليهم يوبخوني ويعتبوني ولقد ألقى منهم شدة لما يرونه من نقص حالي في عبادتهم وربما يغتاظ بعضهم علي حتى تحجبه غيرته في دين الله تعالى من أجل تقصيري فيهم ويغيب عن سيادتي عليه لمعصيتي وسوء معاملتي مع الله فتزول طاعتي من عليهم وأعذرهم في ذلك وأسلم لهم في إخلاصهم فإن أبا بكر (رضي الله عنه) قد قال لما ولي الخلافة «أطيعوني ما أطعت الله ورسوله

فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم» وقال الحق فينبغي لك يا وليي إذا آذاك حيوان من الحيوانات من كلب أو دابة أو حنش وغير ذلك من الأمة الحيوانية أو آذاك عود من شجرة أو ورقة من الأمة النباتية أو آذاك حجر بأن تعثر فيه أو يسقط عليك حائط أو يرميه صبي واحد على شيء فيترك الحجر المشي لما رمي له وينصرف إليك فلا تغضب وانصف وارجع مع نفسك على حالك وأقم عليها ميزان العدل فيما كلفك الله من مراقبته والحضور معه فلا بد ضرورة أن نجد قصوراً أو تفريطاً فيك في العبادة التي توجهت عليك مما تعبد به . ذلك الذي آذاك من حيوان أو نبات أو حجر فاستغفر الله وتب واخلص واعزم على أن لا تعود فإنه يذهب عنك ذلك الألم من حينه فإن تقويت خاطبك ذلك الذي آذاك فتسمى كرامة ، وليست الكرامة على الحقيقة إلاَّ لتنبيهك لهذا وتوبتك وهروبك إلى مواطن الموافقة فلا يغرنك يا وليي قوله تعالى : ﴿**وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه**﴾ لم يقل فعلت ذلك ليسعدكم ولا أيضاً ليشقيكم فبقيت على قدم الحذر والغرور واقفاً فتحفظ فإنها آية فتنة يضل بها من يشاء ويهدي من يشاء قال كليم الله موسى (ع) : ﴿**إن هي إلاَّ فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء**﴾ فلا يغرنك رفعتك على جميع الموجودات من جهة الحقائق التي أنشأت عليها علواً وسفلاً فإنها ليست برفعة إلهية وإنما هي رفعة تعطيها الحقائق لا تعصم من نار ولا تدخل نعيماً ولا يدخل بها أهل الجنة في جنتهم وأهل النار في نارهم فلا فائدة فيها ولا سلطان لها على السعادة وبها زلت أقدام أكثر أهل هذه الطريقة وهي التي أخرجتهم عن الشريعة وإنما يغتر الإنسان بالرفعة الإلهية الاختصاصية الصفاتية الزائدة على الإنسانية وهي قوله تعالى : ﴿**أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه**﴾ على ذلك عول أئمتنا وساداتنا من المعصومين الأنبياء والمحفوظين الأولياء وما ثم من يقتدي به إلاَّ هؤلاء ، قال الله تعالى : ﴿**فبهداهم اقتده**﴾ وقال تعالى : ﴿**ثم**

أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾ فهذه نعمة يجب عليك نظر قوي فيها ثم زادك الله تبارك وتعالى نعمة أخرى إلى هذه النعم فجعلك ناطقاً وفضلك على الحيوان الحساس خاصة فزدت معرفة بما يعرفه الحيوان فتزداد عبادة واجتهاداً على حسب الطور الذي انتقلت إليه وهنا عليك نعمتان كبيرتان النعمة الواحدة بأن أعطاك بنطقك حقيقة الملك وهو الاشتراك في العقل الإلهي فوجب عليك ما وجب على الملك من جهة روحك وقد سمعت بعبادة الملائكة التي أخبرنا الله بها على مراتبهم وقد دخلت أنت بعقلك معهم فتوجه عليك في روحك العقلي وسرك اللطيف الملكي ما توجه على الملك فأنت مطالب بالحضور الدائم وشاركت النازلين عنك من عالم الأجسام جمادهم ونباتهم وحيوانهم في حقائقهم التي لم يشاركهم فيها ملك فتوجهت عليك كما ذكرناه عبادتهم فكل عبد لله مطلوب في العبادة بما تقتضيه حقيقته فالملك مطلوب في عبادته بحقيقته ما عليه مزيد والحساس مطلوب بثلاث حقائق بحقيقة انفصاله من النبات والجماد وبحقيقتي اشتراكه مع عالم النبات والجماد ، وعالم النبات مطلوب بحقيقتين حقيقته التي أنفصل بها عن الجماد وحقيقة اشتراكه مع عالم الجماد ، وعالم الجماد مطلوب في عبادته بحقيقته ، فإنه لا شيء أرفع منه ، ولهذا أبداً يقابل العلو السفلي والأول الآخر والشيء نقيضه أبداً وأنت يا وليي الذي هو الإنسان مطلوب في عبادتك هذه بخمس حقائق حقيقة الملك فإنها فيك وحقيقة الحساس وحقيقة النبات وحقيقة الجماد وحقيقة الجمعية لهذه ، فإذا وفيت بشكر هذه الحقائق وتأيدت بها وعبدت الله على مقدار ما أعطاك من التمكين في الكشف من معرفتها إن كنت مريداً صادقاً بعد هذا تنتقل إلى أول قدم من ظاهر الشريعة ولا تقل إنك أرفع من الجماد ولا أشرف من الملك ولا أحط منه فإنك في طور آخر مفرد يخصك وذلك أن الله قد وهبك سر الجمعية العامة وهو الذي حجبك عن عبوديتك وبه ترأست حتى قيل في الملائكة ﴿بل عباد مكرمون﴾

فإنهم ما ترأسوا قط لعدم الجمعية العامة الكبريائية إلاَّ من حقائقهم فكانوا عبيداً وكذلك من نزل عنهم من طبقات العوالم إلاَّ أنت فإن سر الجمعية الكبريائية مثبوت فيك وبهذا صح لك مقام الخلافة على العوالم وبه طلبت التقدم والرئاسة واحتجبت عن الله تعالى وهو قوله «وأعوذ بك منك» فإن سر الجمعية العامة الكبريائية هو الذي حجبك عنه تعالى ولو أبقاك كما أبقى العالم معرى عنه لكنت عبداً فنبه نفسك ولما علم سبحانه أن سر الألوهية في الإنسان داء عضال كثر الأدوية فيه فما زال ينبهك في كتابه العزيز على أدويتك لهذا الداء لتستعملها فتبرأ منه فقال : **﴿أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾** فهذه حقيقتك الملكية وفي هذه الآية لم تزل الملائكة وقال الله : **﴿الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة﴾** فالضعف الأول بحكم التحقيق لا بحكم التفسير خلقه إيَّاك علي على فطرة العالم كله والقوة نفحة سر الجمعية العامة الكبريائية فيك بعد تسويتك ، والضعف الثاني والشيبة هو ما حصل لك من شرب دواء المعرفة الذي أعطاك فاستعملته وبهذا تقع الفائدة فليست من نمط العالم في شيء ولا تتميز معهم ألبتة فإنك انفصلت عنهم بسر الألوهية فإن استعملته ولم تشرب من هذه الأدوية شيئاً خرجت مع فرعون والنمرود وكل من ادعى الربوبية على قدره من كلمة فرعون إلى قول الإنسان لولا ما قلت له كذا لا تفق كذا لولا أنا لهلك العيال وهي أدنى المراتب في الألوهية حتى الشيخ في هذه الطريقة يقول لولا همتي في فلان ما أصحبته إياها وإلاَّ فقد كان هلك وهذه كلها علل وأمراض من سر الألوهية وكل واحد من هذه الأصناف معاقب على قدره إما بالعقوبة الكبرى وإما بنقص الحظ فلا بد من العقوبة ولهذا يعلو البقاء عندنا على الفناء وهذه حقيقة لم يشعر بها من تقدم من أصحابنا فاعرفها يا وليي فإذا لم يتميز الإنسان مع العالم لسر الجمعية الكبريائية فلا يُقال من أشرف الملك أو الإنسان فصار الإنسان يزاحم الألوهية لوقوفه على الأسماء كلها من جهة سر

الجمع العام الكبريائي المثبوت فيه وخلافته فعظم حجابه وسجد له العالم أجمع من أجل ذلك السر فالقوى من التمكين هو الذي يخرق حجاب سر الجمعية العامة الكبريائية بينه وبين ربه حتى يشاهد ألوهية ربه دون ألوهيته فيعرف عبوديته فحينئذ يكون أقوى العالم وأشد لرفعة ذلك الحجاب الأقوى فتكون منزلته أعلى لأن قوته أعظم وهناك يتميز ويتجاري مع العالم في الرفعة والإنحطاط وهناك رأيت مبلغ العالمين العارفين وأما المدرك الذي أومئنا إليه فبعيد أن تسمعه في غير هذه الرسالة على درج هذا التحقيق لكن تجده مبدداً في أشياء كثيرة نوميء إليها ولا نوضح مثل هذا الإيضاح وكما توجه إليك بمشاركتك أطوار العالم أن تقوم بالجامع الكبريائي معهم في عبادتهم كذلك توجه عليك بالسر المثبوت فيك أن نجريه على ما أجراه الله من نفسه في خلقه فهو اللطيف بعباده فكن كذلك وهو الرحيم الغفور فكن كذلك وبهذا وصف نبيه (ص) فقال : ﴿**بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾ فسر الألوهية أثمر لك ما أثمر للجبارين المتكبرين قال تعالى : ﴿**كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار**﴾ فمن أجل سر الألوهية ختم عليه بالشقاء ، فتحقق هذا الفصل وتحفظ منه واعلم أن التوبة والتوكل وما أشبه ذلك قد اختص الله بها هذا العبد الإنساني فإن الملك طاعة بلا معصية والشيطان معصية بلا طاعة فكلاهما فقد حلاوة التوبة ومقامها وسرها ومعرفتها وشرفها ومحبتها فإن الملك لا يعصي فيتوب فينالها والشيطان لا يجنح للطاعة ولا يحدث بها نفسه فيتوب من مخالفته فينالها وقد اختص بها هذا العبد المجتبى ولهذا كانت من كمال آدم (ع) حتى عم جميع المقامات فقال : ﴿**عصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**﴾ كذلك التطهير الذي اقترنت له محبة الله تعالى فإن الملك مطهر لا متطهر والشيطان مدنس لا يتطهر وعلق الله محبته الاختصاصية بالمتطهر فنالها الإنسان فما لنا يا وليي نغفل عن شكر هذه النعم ونحن منها في مزيد فهذه النعم كلها هي التي تعطيها حقيقة الإنسان بما خلق

عليه سواء كان سعيداً أو شقياً ثم ننتقل إلى نعم الاختصاص بالسعداء التي تميزك عن الأشقياء من جنسك فأولها أن جعلك موحداً ولم يجعلك مشركاً لا ليد تقدمت لك عليه ولكنه أيدك وقواك حتى خرقت حجاب الجمع العام الكبريائي الذي استودعه فيك منه فنفذت من ورائه إلى عبوديتك فعاينت ألوهية الحق المقدسة فوحدته ولم تشرك وهؤلاء هم أهل «لا إله إلاَّ الله» المقطوع لهم بسعادتهم المنبه عليهم في كتابه العزيز : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ وهنا بحور عظام هلك فيها عالم كثير من أهل طريقتنا لعدم التحقق ووقوفهم مع سر الجمعية العامة الكبريائية الذي فيهم فحجبتهم الرئاسة عن استيفاء الخدمة ، فهذا اختصاص إذ قد قسم جنسك إلى موحد وإلى مشرك وجعلك من حزب الموحدين وهنا تفصيل كثير نخاف من طول العجالة في إيراده فتركناه وهذا هو أول قدم في الشريعة فإن الشارع أول ما أُتي به «لا إله إلاَّ الله» فلم يجبه إلاَّ من خرق حجاب سر الجمعية الكبريائية منه وبهذا يقع الاشتراك وتتباين مراتب أهل «لا إله إلاَّ الله» على حسب رفع حجابهم فمنهم من يقولها ابتداء معه من غير نظر وهو الإمام ومنهم من يقول معه ذلك بعد رؤية برهان فهذا يـ جاهل بنفسه فإن «لا إله إلاَّ الله» من مدركات العقل بالنور الإلهي فتوقفه دليل على التقليد وفقد ذلك النور ولكن سعد بإجابته ولو ببرهان قال تعالى : ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى﴾ فاعبد الله يا وليي واجتهد على شكر نعمة التوحيد الأولية في الشرع لأهل التقليد ثم زادك إلى هذه النعمة نعمة أُخرى وهو إيمانك بالرسول (ص) ولم يجعلك مكذباً برسوله كما فعل بغيرك من أبناء جنسك حيث كفر برسوله مثل فرعون وآله بموسى (ع) والنمرود وآله بإبراهيم (ع) وأبي جهل وأصحابه بمحمد (عليه الصلاة والسلام) وعذاب كل فرعون على مقدار نعيم نبيه الذي كفر به وسفله على قدر علو نبيه ، وكذلك العارفون الصالحون مع المنكرين

عليهم من الفقهاء علماء الرسوم ينقص من حظ نعيمهم في الدار الآخرة على قدر مرتبة العارف الذي أنكروا عليه وعليهم نقص نعيم أتباعهم في ذلك المقلدين لهم فينقص للفقيه صاحب علم الرسم إذا أنكر على الولي العارف ما لا يبلغه علمه من نعيمه في الجنان إذا سعد على قدر مرتبة ذلك الولي في المعرفة بالله وقدر السر الذي أنكر عليه وعلى قدر من اتبعه في إنكاره من المقلدين ومن هذا كان يفزع شيخنا أبو عمران الماتلي وكان من أهل علم الرسوم وعلم هذه الطريقة وهو الذي ذكرناه في جملة أشياخنا من أهل الطريق في هذه الرسالة نحا منحاً المحاسبي دخل عليه أبو القاسم بن عفير خطيب إشبيلية فتكلم معه فيما يأتي به أهل هذه الطريقة من المعارف التي تقصر أفهام علماء الرسوم عنها لأنها علوم نبوية وهذه العلوم الخبرية لا يقوم دليل العقل عليها فلم يبق إلاّ مجرد الإيمان بها لأنها علوم أخبارية تحتمل الصدق والكذب وكذلك إذا أتى بها الرسول يتلقوها الفقهاء بالقبول فلو أحالها العقل لردت أبداً في كل حال وما يشعر الفقهاء بهذا القدر فقال أبو القاسم الفقيه لشيخنا أما أنا فأنكرها فقال له الشيخ أبو عمران أما أنا فأومن بها كلها وإياك يا أبا القاسم أن يجمع الله علينا فيها حرمانين لا نراها من أنفسنا ولا نصدق بها من غيرنا فيكون العامي أحسن حالاً في ذلك عند الله فتنبه الفقيه أبو القاسم الخطيب وقال نبهتني (رضي الله عنك) ولم أحضر هذا المجلس ولكنه أخبرني به أبو القاسم الفقيه المذكور المنكر ، ومن ذلك الوقت صار يحبني وينظرني بعين التعظيم فقد حبانا الله يا وليي بالإيمان بالنبي (ص) حين خذل غيرنا ففرض علينا شكر الله وعمل زائد بمزيد هذه النعمة ثم نعمة أخرى لما جعلك مؤمناً بنبي جعلك من أمة محمد (ص) ولم يجعلك من أمة غيره من الأنبياء وهنا نعم منها أن ألحق هذه الأمة بدرجة الأنبياء في أتباعهم محمد أ (ص) وعيسى (ع) من جملة أمة محمد (ص) وهو رسول الله وروحه وكلمته وقد دخل في عدادنا وهذا مقام والنعمة الأخرى أن

جعلك شهيداً على سائر الأمم وهي مرتبة النبوة فإنهم **الشهداء على** أممهم قال تعالى : **﴿يوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء﴾** فالأنبياء شهداء على أممهم وقيل فينا **﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾** فقد شوركنا معهم في هذه ، فهذه مواطن نحشر فيها غدا مع النبيين وقال تعالى : **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾** وقال : **﴿جعلناكم أمة وسطا﴾** فوصفنا بالعدالة **﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾** وإن شئت جعلته من الشيء بين الشيئين شهادتك على الناس وشهادة الرسول عليك أنت بينهما ونعمة أخرى لم يعطها أحداً قبلك من الأمم فإنك مؤمن بنبيك آخر الأنبياء وبمن تقدم إلى آدم وغير ذلك من النعم التي يتضمنها هذا المقام ولكل نعمة شكر يخصها وعمل يطابقها فلتجهد في تحصيله أو تحصيل ما أمكن منه ثم بعد هذا أن قسم أمة نبيه بين مبتدع ومحفوظ فحفظك من البدعة وميزك في ديوان السنة فهذا اختصاص ثم أهل السنة قسمهم قسمين عالم وجاهل فجعلك عالماً بما تعبدك به من شريعته ولم يجعلك جاهلاً بذلك فهذه نعمة يجب أيضاً شكرها ثم جعل العالمين على قسمين طائع وعاص فجعلك من الطائعين ولم يجعلك من العاصين فهذه نعمة عظيمة والطاعة على مقاماتها أن عصمك من الشيء تنقيصه وذكره يطول ثم جعل الطائعين على قسمين عارف وعابد فجعلك من العارفين العابدين فهذه نعمة يجب الشكر عليها ثم قسم العارفين وارث وغير وارث وجعلك من الوارثين على حسب مراتبهم «لقد غمرت النعم ولا يتسع الليل والنهار لأداء شكر واجبات هذه النعم وإنه إن اشتغلنا بواحدة منها فغايتنا أن نقطع ضياءنا وظلامنا ببعض ذرة من واحدة منها فعلى هذا يجب علينا الذي يمكننا أن نفعله أن لا يرانا الله وقتاً واحداً بطالين ولا متصرفين في مباح إلاَّ حاضرين بقلوبنا على الدوام مكفوفي الجوانح عن التصرف المحظور علينا مطلوقي الألسنة بالذكر وبإظهار العلم والشكر عليه والاعتراف بالتقصير وتوبيخ النفوس الذي أراده الحق منا

لا تعـديلها وتـزكيتها فـ : ﴿قـد أفلح من زكاهـا﴾ بـالأعمـال الصـالحـة ﴿وقـد خـاب من دسـاهـا﴾ مثلي فـأدخلهـا في الصـالحين وليست منهم فهـذه يـا أخي نصيحتي لي ولـك ولمـا رأيتـك مثلي واحببتـك في الله وأعجبني إنصافك وتعشقت معـاشرتـك وودت اليوم أن أكـون معك حيث كنت تنصحني وأنصحـك وتوبخني وأوبخـك ونكـون رفيقين محبين حتى نمـوت فما أحبني فيـك وأشفقني عليك (رضي الله عنك) ولقـد تمنيت أن أكـون معك كمـا حدثنـا أبو محمـد يحيى بن أبي الحسن (رضي الله عنه) قال حدثنا أبو الفتح عبدالباقي بن أحمـد بن سلمان حـدثنا أبـو الفضل بن الحسين بن خيـرون حـدثنـا أبـو علي الحسن بن أحمـد بن إبـراهيم بن شـاذان حدثنـا أبو الحسن بن عبـد العـزيـز الخـرزي حـدثنـا أبـو حفص التنسي حـدثنا أبـو معبد قـال سمعت بلال بن سعيـد يقـول : أخـوان في بني إسرائيل خرجا يتعبـدان فلما أرادا الـطريق تفرق بينهمـا قال أحـدهمـا لصـاحبه خـذ أنت في هذا الـطريق وآخذ أنـا في هذا الـطريق فـإذا كـان آخر السنة فهذا الموعـد بيني وبينك فخـرجا يتعبـدان فلما كـان في رأس السنـة اجتمعا في ذلـك الموضـع فقال أحـدهما لصـاحبـه أي ذنب فيمـا عملت أعظم قال بينما أنا أمشي على الـطريق إذ بسنبلة أخذتهـا فألقيتهـا في إحـدى الأرضين أرض عن يميني وأرض عن شمـالي ولا أدري هي لـلأرض التي ألقيتها فيهـا أم للأخـرى قال ثم قـال المسؤول للسائـل أي ذنب فيما عملت أعظم قـال لا أعلم ، إني كنت أقوم إلى الصـلاة فأميـل مرة على هذا الرجل ومرة على هذا الرجل فـلا أدري أكنت أعدل بينهمـا أم لا ، فسمعهمـا أبوهمـا من داخل الـدار فقال اللهم إن كـانـا صـادقين فأمتهما فخـرج فإذا همـا قد مـاتا فهكـذا يا وليي يكـون اجتماع أهـل الله ومخـاطبـاتهم على ذكـر المعـايب والإنصـاف لا على وجـه المـدحـة والإتصـاف هل يـذكر في السجن إلاّ مـا يليق بـه إذا تـرحلت ونـزلت في مستقـر الـرحمـة وجنيت ثمـرة عملك ، هنـالـك تـذكـر مـا يليق بمـوطن الحسنى من محـاسنـك وأمـا هنـا فـلا ، فـإنهـا دار البـلاء والاقتـراف

والاجتراح والإنسان فيها من نبي وغير نبي مسجون على دمه لا يخرج منها إلاّ بالقتل ولولا التطويل لتكلمنا على مراتب السجن والمسجون بما تعطيه الحقائق الثابتة والعادية ويكفي هذا القدر فيما بيني وبينك ويعلم الله لولا ودي فيك وحرمتك التي لك في نفسي ما خاطبتك بشيء من هذا كله ولا ذكرت اسمك ولتركتك مهملاً في جملة عباد الله تعالى ، لكن الله قد عرف بيني وبينك روحاً وجسماً ومعنى ورسماً فلم أتمكن أن أخاطبك إلاّ بما يقتضيه الود الصريح والدين الخالص الصحيح وأما فضلك وتقدمك في طريقك عندي فمشهور و ﴿**فوق كل ذي علم عليم**﴾ و ﴿**يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾ وقل اليوم من يصحبك لله فأكثر الصحبة معلولة في زمانك من أجل هذه الأعراض واستحكام سلطان الأغراض وعبد الله قليل ، ولنا في معنى هذا أبيات ، وهي :

أنظر إلى هذا الوجود المحكم	ووجودنا مثل الرداء المعلم
وانظر إلى خلفائه في ملكهم	من مفصح طلق اللسان وأعجم
ما منهم أحد يحب إلهه	إلاّ ويمزجه بحب الدرهم
فيقال هذا عبد معرفة	وذا عبد الجنان وذا عبيد جهنم
إلاّ القليل من القليل فإنهم	سكرى به من غير جنس توهم
فهم عبيد اللّه لا يدري بهم	أحد سواه لا عبيد المنعم

إلى آخر القصيدة فاجهد نفسك يا ولي في أن تتحلي بحلية قوم بكى رسول الله (ص) شوقاً إليهم لا يؤثر فيهم كلام المغرورين من الفقهاء علماء السوء الذين لبسوا رقاق الثياب وتناولوا لذيذ المطاعم ، فإذا قلت لهم في ذلك تلوا عليك ﴿**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق**﴾ فقد أخبر النبي (ص) أنهم سيقولون هذا قلت لهم في ذلك على ما كتب فيه إلينا شيخنا أبو محمد بن محمد بن سعيد الله بن محمد البجلي البغدادي الحنفي (رضي الله عنه) من حديث سعيد بن زيد بن نفيل قال سمعت النبي (ص) وأقبل على أسامة بن زيد

فقال : «يا أُسامة عليك بطريق الجنة وإياك أن تختلج دونها فقال يا رسول الله وما شيء أسرع ما يقطع به ذلك الطريق قال الظمأ في الهواجر وكسر النفس عن لذة الدنيا ، يا أُسامة وعليك عند ذلك بالصوم فإنه يقرب إلى الله عزّ وجلّ إنه ليس من شيء أحب إلى الله عزّ وجلّ من ريح فم الصائم وترك الطعام والشراب لله عزّ وجلّ وإن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فإنك تدرك شرف المنازل في الآخرة وتحل مع النبيين (صلوات الله عليهم أجمعين) تفرح بقدوم روحك عليهم ويصلّي عليك الجبار تبارك وتعالى وإيّاك يا أُسامة وكل كبد جائع يخاصمك إلى الله عزّ وجلّ يوم القيامة وإياك يا أُسامة ودعاء عباد قد أذابوا اللحوم وأحرقوا الجلود بالريح والسمائم وأظمئوا الأكباد حتى غشيت أبصارهم فإن الله عزّ وجلّ قد نظر إليهم وباهى بهم الملائكة (ع) بهم تصرف الزلازل والفتن» ثم بكى النبي (ص) حتى اشتد نحيبه وهاب الناس أن يكلموه حتى ظنوا أن أمراً قد حدث بهم من السماء ثم تكلم فقال : «ويح لهذه الأمة ما يلقى منهم من أطاع الله ربه عزّ وجلّ فيهم كيف يقتلونه ويكذبونه من أجل أنهم أطاعوا الله تعالى» فقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : «يا رسول الله والناس يومئذ على الإسلام قال نعم قال ففيم إذن يقتلون من أطاع الله وأمرهم بطاعة الله فقال يا عمر ترك الناس الطريق وركبوا الدواب ولبسوا لين الثياب وخدمتهم أبناء فارس يتزين الرجل منهم تزين المرأة لزوجها ويتبرج النساء زيهم زي الملوك الجبابرة ودينهم دين كسرى وهرمز يتسمنون بالجشاء فإذا تكلم أولياء الله عزّ وجلّ عليهم العباء منحنية أصلابهم قد ذبحوا أنفسهم من العطش فإذا تكلم منهم متكلم كذب وقيل له أنت قرين الشيطان ورأس الضلالة تحرم زينة الله والطيبات من الرزق ويتلون كتاب الله عزّ وجلّ على غير علم استذلوا أولياء الله عزّ وجلّ أعلم يا أُسامة أن أقرب الناس إلى الله عزّ وجلّ يوم القيامة من أطال حزنه وعطشه وجوعه في الدنيا الأخفياء الأبرار الذين إذا شهدوا

لم يقربوا وإذا غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الأرض يعرفون في أهل السماء ويخفون عن أهل الأرض وتحف بهم الملائكة تنعم الناس بالشهوات وتنعموا هم بالجوع والعطش لبس الناس لين الثياب ولبسوا هم خشن الثياب وافترش الناس الفراش وافترشوا الجباه والركب ضحك الناس وبكوا يا أسامة لا يجمع الله عزّ وجلّ عليهم الشدة في الدنيا والآخرة لهم الجنة فياليتني قد رأيتهم يا أسامة لهم الشرف في الآخرة ويا ليتني قد رأيتهم الأرض بهم رحبة والجار عنهم راض ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوا ، الراغب من رغب إلى الله مثل رغبتهم والخاسر من خالفهم تبكي الأرض إذا فقدتهم ويسخط الله على كل بلدة ليس فيها مثلهم يا أسامة إذا رأيتهم في قرية فاعلم أنهم أمان لأهل تلك القرية لا يعذب الله عزّ وجلّ قوماً هم فيهم اتخذهم لنفسك عسى أن تنجو بهم وإياك أن تدع ما هم عليه فتزل قدمك فتهوى في النار طلبوا الفضل في الآخرة تركوا الطعام والشراب على قدره لم يتكابوا على الدنيا إنكباب الكلاب على الجيفة شغل الناس بالدنيا وشغلوا أنفسهم بطاعة الله عزّ وجلّ ولبسوا الخلق وأكلوا الفلق تراهم شعثاً غبراً يظن الناس أن بهم داء وما ذاك بهم ويظن الناس أنهم خولطوا وما خولطوا ولكن خالط القوم حزن وتظن أنهم ذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظروا بقلوبهم إلى أمر ذهب بعقولهم عن الدنيا فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول ، يا أسامة عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة» فانظر يا وليي حب حبيب الله ورسوله لأولياء الله وكيف نعتهم فعلى هذا الوصف ينبغي أن نعتكف وبه نتصف حتى نتقلب إلى الله ونحن بهذا النعت منعوتون وبهذه الحيلة متحلون فاجتهد يا أخي في ذلك ولا تتأخر عنهم ومدني بالدعاء والهمة فإن المطلوب اليوم معدوم جداً ولما رأيت القرين الصالح معدوماً والطبيب المشفق الناصح غير موجود تأسفت لذلك وحظ كل إنسان السرور بما هو فيه ، لا يتنبه لعيب أخيه فينبه ذلك

لعيبه فيتصاحبا بالنصيحة وتحصل لهما المرتبة الصحيحة فعملنا في عدم القرين الناصح وفتنة الإنسان بحاله أبياتاً ، وهي :

ذكرت ذنبي فأبكاني وحيرني لما غدا من جوار اللّه يطردني
كيف الخلاص وما ضيعت من عمري به المهيمن يوم الحشر يطلبني
يا ليت أذني لم تسمع حديث هوى يا ليت عيني لم تنظر إلى حسن
يا ليت كفي لم تخلق ولا قدمي ولا لساني ، وليت القلب لم يكن
أو ليت إذ كان خلقي كان يسعدني توفيق ربي في سر وفي علن
ولا أهيم بشخص ليس ينفعني يوم النشور إذ الرحمن يسألني
ولا ندبت دياراً كنت آلفها ولا حننت إلى ربع ولا سكن
ولا تغزلت في ورقاء صادحة على الأراك تغني وهي تندبني
ولا شربت حمياً ضن حابسها بها على الشرب من عهد ابن ذي يزن
ولا تمنيت شيئاً لست مدركه ولا قطعت بأسباب الردى زمني
ولا تكلمت في علم ومعرفة حتى دعيت له العالم الفطن
وظل إبليس الملعون يلعب بي وحرقة الذنب في الأحشاء تحرقني
كم ذا أقيم على الإتيان مكتتماً وأنت سبحانك اللهم تحفظني
أمسي وأصبح في شيء يقربني إلى الشقاء ومن سعد يبعدني
كم ذا أبارزه بالذنب مستتراً عن العباد وعين الله تنظرني
ولا حياء من الرحمن يوقظني من نومة لعذاب اللّه تحملني
سوى خليل رآني في تعرية فحل مني محل الروح من بدني
فلا أزال إذا يلهو أبصره ولا أزال(1) إذا أسهو يذكرني
فليس خلي إلاّ من يرى زللي فلا يزال مع الأحيان ينصحني
فالصاحب الحق كالصابون يذهب ما في الثوب من دنس الأقذار والدرن
لما سمعت رقيبي وهو يطعنني من عن يميني وينهاني ويزجرني
يا سيدي ورعاك الله تسمعني كم مرة جئت والبواب يمنعني

(1) في الهامش : يزال .

وليس شخصاً فتؤذيه وتضربه — لكنه فعلك المرفوع في الكفن
فانظر إليه وحسن خلق صورته — فهو الأنيس إذا استوحشت في الحبن
وهو الذي يدفع الخصمين عنك إذا — ما افتناك وذا من أعظم الحنن
فعندما سمعت نفسي مواعظه — حنت وقالت ترى الرحمن يقبلني
فقلت يا نفس مهما كنت ساعية — إليه هرولي بالآلآء والمنن

فيا وليي أبقاك اللّه تعالى

لقد كنت أخشي أن تقول بحرقة — مقالة عبد خالف الحق في القصد
أنوح على نفسي وأبكي لغفلتي[1] — وأندب قلباً حاد عن سنن الرشد
إذا كان قربى من إلهي مقارناً — لقرب فؤادي من إلهي فيا بعدي
فإن هو جازاني على فعلتي فما — جزائي سوى الإقصاء بالعنف والطرد
ولكنني أرجوه سراً وجهرة — فإن كان هذا الوجد يجدي فيا جدي
وإن كنت بدراً أذهب الجهل نوره — فما قريب ينعم اللّه بالرد
ولم يقضني ذنبي ولا سوء فعلتي — فإتيان سوء الذنب أليق بالعبد
كما الجود والصفح الجميل مع الرضي — لأليق شيء في الوجود بذي المجد
وقد ثبت المجد الكريم لخالقي — وقد ثبت الإيمان عندي فيا سعدي

فهذا يا وليي ما أمر الله وليك وصفيك أن يخاطبك به ﴿والله لا يستحي من الحق﴾ وحق الله أحق . واعلم أن هذه الرسالة من أعظم منن الله عليك ومن أسنى تحفة إليك والسلام الطيب المبارك على النبي ورحمة الله وبركاته والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعليك رحمة الله وبركاته والسلام علينا وكذلك يخصكم بالسلام الأتم عبد الله بدر الحبشي وجميع إخواننا وسلامي يتردد على أبنائك وأصحابك وأوليائك الشيخ المبارك السعيد بخدمتك أبو عبد الله بن المرابط والشيخ الموفق أبو عتيق والجار الصالح الحاج معافا وأبو محمد الحافظ والذكي المجتهد أبو القاسم القابسي والفقير الصادق

---

(١) في الهامش : لعله لفعلتي .

عبد الجبار والخديم المبارك الناصح عبد العزيز البابلي ووليي وصفيي الذي آخيت بيني وبينه أبو عبد الله القطان ولو نعيت إليكم محمداً التائب(رحمه الله تعالى) مات بين مكة والمدينة على مرحلة من مكة بين مرو وعسفان زائراً نبي الله (ص) شهيداً بين الحرمين يحشر يوم القيامة آمناً . وكتب إليكم وليكم بهذه الرسالة من مكة (حرسها الله وشرفها) في شهر ربيع الأول سنة ستمائة وطاف بها أسبوعاً وألمسها الحجر الأسود والملتزم والمستجار وأدخلها البيت والمواضع الفاضلة تيمناً وتبركاً والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين وجميع عباد الله الصالحين وسلم تسليماً .

(٤)

العجالة

● إستدراك .

● المقدمة التي يبتني عليها تقرير كيفية التوجه الأعلىٰ وشرائطه ولوازمه .

● مطلب في القلب الإنساني .

● في كيفية التنقل في مراتب المذكور ، والدرجة الأُولىٰ .

● تتمة .

● فصل .

إستــدراك

[رسالة الخلوة المطلقة التي سبق لنا إحراجها ولم نذكر ـ سهواً ـ مصدرها ، نقول :

هي ضمن مجموعة بمكتبة الأزهر الشريف العامرة إلى يوم الدين إن شاء الله تعالى في مجلد بقلم تعليق من ورقة : ٣٤ ـ ٤٣ تحت رقم :

٢٠/خاص ، ١٣٨٤/عام تصوف .

ونشكر الله على فضله ومنته] .

وجاء في أول هذه الرسالة [العجالة] بيد الناسخ قوله :

«كتاب العجالة ، وتتضمن التعريف بكيفية التوجه الأولى بحق الحق جلّ وعلا» .

هذه الرسالة [العجالة] نقلتها من مكتبة الأزهر الشريف : العامرة ضمن مجموعة تحت رقم :

٢٠/خاص ، ١٣٨٤/عام : تصوف .

نسخها : مصلح الدين بن أحمد بن إلياس إمام مسجد سيباي

بدمشق] :

جاء في آخرها ما يلي :

[«تمت العجالة بعون الله وحسن توفيقه .

والحمد الله وحـده .

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم .

في شهر صفر [المظفر] من شهور سنة ست بعد الألف من الهجرة النبوية .

علقها عجلاً لنفسه : أضعف الفقراء ، مصلح الدين بن أحمد بن إلياس ، الخلوتي ، البلغرادي ، ثم الدمشقي ، الإمام بجامع سيباي غفر الله له ولوالديه ، وأحسن إليهما وإليه ، ولجميع المسلمين أجمعين . آمين» .] ا . هـ .

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

قال الشيخ الكامل ، الوارث المحمدي : محي الدين بن عربي ، (قدس الله سره العزيز) :

الحمد لله المنعم على الصفوة من عباده بمزيد الاجتباء ، الباذل لهم جزيل المنح وشوامخ النعماء . الذي أخرجهم من باطن الوجود العلى[١] والظلام اللامكاني العدمي : إلى ظاهر عرصة[٢] الوجود العيني ، مجتمع الأنوار والأضواء .

وقطع بهم الأطوار ، والأدوار : رسوم[٣] مراتب الاستيداع والإستقرار ، المنبه عليها في أشرف الأنباء[٤] .

ثم نقلهم من ضيق السد البشري وتشغيبه ، وسدفة اللج الطبيعي وتركيبه ، في سفن العناية والتصديق ، وعلى براق العمل الصالح والتوفيق حتى حطوا رحالهم ، وألقوا مراسيهم بمقام حق اليقين

---

(١) بكسر العين وتشديد اللام المكسورة : أي المعلول بعلة .

(٢) بفتح العين وسكون الراء وفتح الصاد : كل بقعة واسعة بين الدور ليس فيها بناء .

(٣) مفعول قطع .

(٤) القرآن الكريم بقوله : ﴿خلقكم أطواراً﴾ .

والجلا ، وكحل أبصارهم وبصائرهم بنوره ، وعرفهم بسر جمعه بين أوليته وآخريته ، وبطونه وظهوره[1] ، فرأوا : الوجهة[2] ، والمعبود ، في كل افتراق وإئتلاف والمقصود بكل اتفاق واختلاف ، واقع بين العالمين من أهل السعادة والشقاء . فخلصوا[3] من غياهب الشكوك والمراء ، واهتدوا لما أختلف فيه من الحق بإذنه ، بل به ، فشفوا من كل الأسقام والأدواء ﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم الغالبون﴾ ـ المفلحون ـ .

وصلوات الله تترى على : إمامهم وقدوتهم ، وعلامتهم[4] : مفتاح أقفال الإنشاء ، وخاتم دورة السيادة والاعتلاء : [محمد سيد الأنبياء الكمل من إخوانه ، وعلى آله : وورثته[5]] ، حاملي الأمانة الإلهية واللواء ، وحفاظ جميع طرق التلقي والإلقاء ، وعلى أهل التحقيق والولاء ، إلى يوم الجمع واللقاء :

أما بعد :

فهذه «عجالة تتضمن التعريف بكيفية التوجه الأولى بحق الحق جلّ وعلا ، وكيفية تخليص العزيمة وتحرير المطلب ، حال القصد إليه والإقبال بوجه الحق عليه ، وبيان الصراط الأقوم ، والطريق الأقصد الأتم ، الذي اختاره الحق لصفوته من الأنام ، ونبه عليه في شرعه الذي أرسل به نبيه محمداً خير الأنبياء (عليه وعليهم الصلاة والسلام)» .

وأوضح فيها : ـ إن شاء الله ـ سر الذكر والحضور ، وتفريغ

---

(١) في قوله تعالى : ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ .

(٢) القصد .

(٣) بفتح اللام .

(٤) العلامة : بتشديد اللام المفتوحة : أعلم العلماء .

(٥) في الأصل : «محمد سيد الأنبياء، وعلى آله الكمل من إخوانه وورثته» ولا يستقيم المعنى .

المحل لمواجهة حضرة الحق[1] العلي الكبير ، وكيفية الإنتقال من ظاهر الذكر إلى باطنه ، ثم الجمع بين ما بطن وظهر ، وتعدى ذلك إلى الفراغ الآتي ذكره ، لاستجلاء الحق المستور ، عن الخلق وسره ، بقلب خال عما سواه ، ليس لصاحبه وجهة إلَّا إيّاه .

وأشير أيضاً إلى هذا التوجه مما ينتفع به : المبتدىء ، والمتوسط ، والعارف المحقق ، ما عدا الكملة من عباد الله ، فإن لكل منهم شأناً يخصه ، وخبراً : يخفيه وقتاً وينصه ، ليس هذا موضع ذكره ، ولا هذا مقام بيانه وكشف سره .

والله ولي الإحسان والتوفيق ، لأحمد نهج وطريق .

---

(١) أي الاستعداد التام لتلقي أنوار الحق تعالى المفاضة على هذا الإنسان الذي يريد الأنس بالله في مجلس الذكر .

المقــدمة

التي يبتني عليها تقرير كيفية التوجه الأعلى وشرائطه ولوازمه

إعلم - أيدنا الله وإيّاك بتسديده ، ونظمنا في سلك المقربين من عبيده : أننا لا نشك بأجمعنا : أن لنا مستنداً في وجودنا ، هو : خالقنا وخالق كل شيء .

ولا نشك أيضاً : إنه أشرف[1] منا ، ويتمايز : من حيث افتقارنا إليه في إستفادة وجودنا منه أولاً ، وفي إمداده إلينا بما به بقاؤنا ثانياً ، وما نحتاج إليه في تخليص نفوسنا من الشقاء ، وموجباته وأسبابه ، وتحليفنا[2] أسباب الفوز بالسعادة ومقام القرب منه ، ومعرفة كيفية قرع باب حضرته العليا ، التي بالدخول فيها تحصل السعادة القصوى ، فإنه الغني عنا ، وعن مثل ما افتقرنا إليه : ذاتاً وصفة ، فإن : النقص ، والفقر ، والانفعال ، من صفاتنا ، كما أن : الفعل ، والغني ، والكمال : ذاتي له ، ومن صفاته .

ولقد أخبرنا على ألسنة سفرائه (صلوات الله عليهم): إنه خلقنا

---

(١) لأن النقص : ملازمنا ، ولله تعالى الكمال المطلق الذي لا يحده حد - سبحانه وتعالى - .

(٢) جعله حليفاً لنا وملازماً .

لعبادته[1] ، وأراد منا لنا التحقق بعبوديته ومعرفته ، أمرنا بتوحيده ، ورغبنا في الحظوة به .

وطلب السعادة بالإقبال عليه ، والتوجه والاخلاص من الشرك الخفي والجلي إليه .

وحذرنا من : الغفلة ، والنسيان ، والاغترار بتساويل النفس الأمارة بالسوء ووساوس الشيطان .

وندبنا وهيئنا للتعرض لنفحات جوده .

فوجب على كل مؤمن عاقل منا : طالب خلاص نفسه ، راغب في تحصيل مقام القربة في المراتب العلية من حضرات قدسه : أن أن يهتم ويعتزم على التوجه إليه سبحانه وتعالى بقلبه الذي هو أشرف ما فيه ، لأنه الينبوع لما يشتمل عليه نسخة وجوده من صور العالم ومعانيه ، ولأنه ـ كما أخبر ـ إنه محل نظر الحق ومنصة تجليه[2] ومهبط أمره ، ومتنزل تدليه [3] .

لكن ينبغي لك أن تعلم أن القلب ليس عبارة عن المضغة الصنوبرية ، فإنها ـ وإن سميت قلباً ـ فإنما تلك التسمية على سبيل المجاز ، وباعتبار تسمية الصفة ، والحامل : باسم الموصوف ، والمحمول ، وإلاّ فكل عاقل يعلم أن القلب الذي أخبر الحق على لسان نبيه (ص) بقوله : «ما وسعني أرضي ولاسمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن التقي النقي الوادع [4] ، ليس هو هذا اللحم الصنوبري الشكل ، فإنه أحقر ـ من حيث صورته ـ [من] أن يكون محل سره جل جلاله ، فضلاً عن أن يسعه فيكون مطمح نظره الأعلى ومستواه .

---

(١) قال الله تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون﴾ من سورة الذاريات ؛ الآية : ٥٦ .

(٢) ورد في هذا المعنى عدة أحاديث منها قوله (ص) : «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» رواه مسلم وابن ماجة .

(٣) القرب ليس هنا حسياً ، وإنما قرب تشويق وتصفية ، والله أعلم .

(٤) استدل به الإمام الغزالي في الأحياء في باب عجائب القلب .

مطلب في القلب الانساني

وإنما القلب الإنساني : عبارة عن الحقيقة الجامعة بين الأوصاف والشؤون الربانية ، وبين الخصائص والأحوال الكونية الروحانية والطبيعة ، وبها ـ أعني حقيقة القلب ـ تنشأ عرصتها[1] وتنبسط أحكام شأنها ، وتظهر من بين الهيئة الاجتماعية ، الواقعة بين الصفات والحقائق الإلهية والكونية ، وما يشتمل عليه هذان الأصلان من الأخلاق والصفات اللازمة ، وما يتولد من بينهما : بعد الإرتياض والتحنك[2] والتزكية ، وزوال الأحكام[3] الإنحرافية وغلبة الاعتدال الرياضية الروحانية الحاكمة على الطبيعي والصوري الهوى الفلكي الملكي ، والاعتدال السفلي العنصري ، فتظهر الحقيقة القلبية : ظهور السواد بين الزاج والعفص والماء[4] ، وكظهور النار بين الحجر والحديد .

---

(١) بفتح العين والراء والصاد .

(٢) كثرة التجارب ، تقول : رجل حنكته التجارب .

(٣) بفتح الهمزة .

(٤) الزاج : نوع من الملح ، والعفص : دواء قابض مجفف : يرد المواد المنصبة ويشد الأعضاء الرخوة الضعيفة ، انظر القاموس .

فتلك الصورة الظاهرة من بين ما ذكرنا ، هي : صورة الحقيقة القلبية الموصوفة بما وصف به الحق والعالم .

والقلب الصنوبري : منزل تدنى تلك الصورة ومراتبها .

والناس فيما ذكرت على درجات عظيمة التفاوت ، من عرف كليتها : عرف حقيقة الإسلام ، والإيمان ، والولاية ، والنبوة ، والرسالة ، والخلافة ، والكمال ، والقدر المشترك بين جميعها ، وما يميز كل واحدة من هذه عن الأخرى . فافهم .

ثم أقول : فالسير ، والسلوك ، والرياضة ، وكل ما هنالك ، فهو لتحصيل الرتبة الاجتماعية الاعتدالية الواقعة بين أحكام العلم والاعتقاد الصحيح ، وبين الأعمال والأخلاق والصفات : على مقتضى الموازين العقلية ، والشرعية : لظهور عين الصورة القلبية وحكمها .

فإذا ظهرت ـ من حيث صفة طلب المتوجه ـ غلب عليه حكم الصفة المقتضية للقلب ، على باقي صفاته : التي اشتملت عليها ذاته ، وتوقدت عزيمته وإرادته : بموجب الأمر الباعث له على الطلب ، فقصد جالتئذ : تفريغ قلبه بطراز آخر ، فإن التوجه الأول ، هو : توجه جملي[1] لمحبة ذاتية : غير معلومة السبب والعلة ، ليس لها متعلق عند التوجه متعين[2] في بدء أمره وطلبه .

وهذه العلامة : أصح العلامات بالنسبة إلى أهل الاستعداد التام . فإن أحكام المناسبات الذاتية غير معللة .

وأما هذا التوجه الثاني فهو عبارة عن التوجه إلى الحق ، على ما تعلم نفسه ، غير متقيد [بالتنزيه][3] المسموع أو المظنون ، وكذلك

---

(١) بضم الجيم وسكون الميم وكسر اللام .

(٢) في الجملة تقديم وتأخير هو : «متعلق متعين عند التوجه» والله أعلم .

(٣) هكذا هي في المخطوطة .

التشبه ، بل يكون توجهاً مطلقاً جملياً ، هيولاني[١] الوصف : قابلاً كل صورة ، ولم يزد عليه من الحق : ظاهراً عن نفس كل اعتقاد : مستحسن ومستنكر ، جازماً أن الحق : كماله ذاتي ، مستوعب جميع الأوصاف : الظاهرة الحس ، والخفية عنها .

لا يحيط بسره عقل ولا فكر ، ولا وهم ولا فهم .

بل هو كما أخبر وأشهد ، وعرف، وأظهر كل من شاء ، كما شاء ، إن شاء ظهر في صورة ، وإن لم يشأ لا ينضاف إليه صورة ، ولا اسم ، ولا رسم ، وإن شاء : صدق عليه كل حكم ، ومسمى بكل اسم ، وأضيف إليه كل وصف .

وهو المقدس على كل حال ، عما لا يليق بجلاله .

وليس المنزه عن ما هو ثابت له لذاته ، بشرط ، أو بشروط ، أو بدونها[٢] .

فإذا صرت ـ يا أخي ـ كذلك ، ونقرر هذا العقد في نفسك ، وانمحت كثرة أحكامك المختلفة في وحدة توجهك دون نفس ، وتعشق بشيء ، أو التفات إلى أمر[٣] : حينئذ تثبت المناسبة بينك وبين حضرة القدس .

وحالتئذ : تكون قد تهيأت لتجلي الحق وتكون منزل تدليه ، ومنصة تجليه[٤] فافهم .

---

(١) الهيولي لغة : الهباء المنبث في الجو .

(٢) التنزه : التباعد عن الشيء ، والله تبارك تعالى : منزه عن النقائص ، فإذا عرفت هذا : عرفت أن الكمالات كلها من صفاته تبارك وتعالى : متصف بكل كمال ، منزه عن كل نقص .

(٣) القصد به الإضطراب الذي يعروه في الاتجاه إلى الله بكل قلبه ، لأن إبليس لا يدعه ، بل ينفخ في نفسه ويذكره بأشياء وأمور ، فإذا ما صدق الله ثبت قلبه في الاتجاه إلى الله تعالى واطمئن ، وأيس إبليس من قيادته ، أو حتى من التلويح له بالمعصية .

(٤) بعد الجهاد المرير .

إعلم أن منبع قوة(*) الإنسان الطبيعية والمزاجية وما ينبغي له من الصفات والأخلاق والأفعال : قلبه ، ومراءة الروح الإلهي العارف المدبر للبدن بواسطة الروح الحيواني في المحمول في الصورة الضبابية ، الحاصلة في التجويف الأيسر من القلب الصنوبري المذكور ، والروح الإلهي المشار إليه من حيث القلب المذكور : الجامع بين خواص الروح ، وخواص المزاج : «مرءاة السر الإلهي المشار إليه بقوله : ـ ووسعني قلب عبدي ـ » الحديث .

فمن شعبه للمطالب الكونية : شعبه وفرقه شعباً ، بحيث أنه يصير مخصصاً لكل مطلب [جزوي[1]] من تلك المطالب منه خاصة ، فإنه يهزل هزالاً معنوياً ، كما يهزل البدن : لفرط التحليل الذي لا يخلف[2] ، وكما يضعف كماء النهر العظيم : إذا قسم جداول شتى ، فيضطر إلى طلب الاستمداد والتقوى بأمور خارجة ، طالباً إيصالها إلى نفسه وإتصالها به ، كما هو الأمر في المتغذي مع الغذاء . وتأبى الحقيقة من حيث المعنى ذلك ، كالضعيف المعدة ، والساقط القوي : إذا رام خلاف ما تحلل منه بدواء يقصد تناوله ، فإنه لا ينتفع به لعدم مساعدة الطبيعة على تحصيل المقصود منه ، وتظهر الطبيعة في عالم حقائق الإستعداد .

فإن لم يكن استعداد : لا يجدي اجتهاد .

فإذا اقتصر الإنسان في أول أمره على ما حوته ذاته ، مما أودع الحق فيه ، وحفظ قلبه وسره الكلي من التوزع والتشتت ، والتشعب بالتعلقات بالمطالب الجزئية الكونية : كان غناه وقوام الطبيعة ، والروحانية ، ثم الإلهية : وثمراتها : أوفر وأتم .

(*) في المخطوطة «قول» .

(١) هكذا هي في المخطوطة ، ولعلها ـ والله أعلم ـ «جزائي» .

(٢) بتشديد اللام ، أي لا يترك .

فاقصد الاستمداد والتقوي به من خارج .

وإنما جهل كماله الذاتي المستجن فيه ، فتعدى لطلبه وتحصيله من خارج ، ولو اهتدى سواء السبيل : لعلم أن متعلق القلب الأصلي : تفصيل مجملاته ، وبروز مستجناته[1] ، بخروج ما في القوة إلى الفعل ، وجميع ما أثبت من صفاته وقواه بالتوزع والتكثر والاختلاف الإنحرافي : إلى التوحد الاعتدالي والرجوع إلى الأصل : «كل اعتدال من الاعتدالات الأربع المذكورة» .

ثم الأصل الأحدي الجامع للجميع ، ليلحق كل فرع بأصله ، وتتحد الأصول بالأصل ، وتكمل الأجزاء بالكل ، ولكن حجب عن ذلك لظهور حكم تمييز القبضتين ، وتحقيق الكلمتين ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ فافهم وأعرف ما ينبغي لك أن تطلبه وتحصله : تنمية وتثميراً وما ينبغي لك أن تنسلخ وتتجرد عنه تزكية وتطهيراً : يقرب لك الأمر ، ويختصر لك الطريق بعون الله ومنته

(١) المستجن : هو المخبوء المستتر ، ومنه : الأجنة في بطون الأمهات ، والجن ، لأنه مستور عنك ، وجنه الليل أي : ستره وغطاه .

في كيفية التنقل في مراتب المذكور، والدرجة الأولى

مطلب دفع الخواطر :

بدوام الذكر الظاهر : تجدد جمعية دون إنزعاج المزاج ، بل بحضور مع الحق ، ومراقبة له على ما تعلم [بعضه][1] كما مر .

فإذا دفعت الخواطر وزالت ، نطق القلب بالذكر الذي أنت عليه أو بذكر آخر [بعينه][2] لك من الحق .

فهنالك يعلمه الله سبحانه : إنه لا يقع حالتئذ ، [فحضرت معه ، وتركت الذكر الظاهر[3]] ، وهكذا حتى تحقق بإمكان خلو الباطن من الذكر المتجدد أيضاً ، حتى تثبت وتشعر بأنك قادر على ذلك .

فاجتهد في تفريغ باطنك من الذكر الباطن ، واستعمل نفسك في الفراغ من الذكر الظاهر والباطن معاً ، فإنك تجدك قادراً عليه ساعة ، أو دون ساعة ، ثم تواجهك الخواطر ، فإن قدرت على دفعها بعزيمتك وإعراضك عنها ، وعن ما يوجبها ، فادفعها بذلك ، وإلاّ فعد إلى الذكر بقلبك ، بتعقل الحروف ، لا بتخيلها : بما تحدث به نفسك بما

(١ و ٢) ما بين القوسين هكذا في المخطوطة .

(٣) في المخطوطة «فحضرت معه وتركت الذكر الظاهر» ولا يستقيم الأسلوب .

تريد أن تفعل ، وإن قويت زحمة الخواطر ، فاجمع بين ذكر الظاهر وحضور الباطن معاً ، دون فترة(١) ، أو في غالب الأوقات ، هكذا .

وكلما واظبت على ما ذكرت لك : يزيد فراغك ، وينمو ، حتى تغلب الخواطر وتدفعها .

واستعمل نفسك وقلبك فيما ذكرت لك دائماً ، ولو كنت فيما عسى أن تكون فيه من الاشغال ما عدا [عمومات] نطقك بالحديث مع الناس ، فإن تعينت لك قضية توجب الاشتغال بشيء غير ما أنت فيه ، أو مصلحة ، فسم الله بحضور وتوجه في أول الأمر ، ثم أشرع فيما تريد الشروع فيه من : حديث ، أو فكر ، أو فعل ، وقل : «اللهم كن وجهي في كل جهة ، ومقصدي في كل قصد ، وغايتي في كل سعي ، وملجئي وملاذي في كل شدة ومهم ، ووكيلي في كل أمر ، وتولني تولي محبة وعناية في كل حال»(*) .

ثم باشر ما قدر لك ، بما شرعه(٢) ، واقصد في خلال أحوالك الدنياوية ، التيقظ للذكر ، والإلتفات(٣) إلى الحق مما أنت فيه ، كما قال سبحانه لحبيبه (ص) : **﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾**(٤) يعني : بين الغدو والآصال : أي لا تقتصر على حفظ الطرفين الذين هما : الأول والآخر ، وإن كان ذلك مجدياً [وكافياً لقبرك](٥) .

---

(١) أي دون توقف .

(*) بربك أيها القارىء الكريم ، هل الذي يقول هذا القول : يدعو إلى الحلول والإتحاد ؟؟

(٢) الضمير يرجع إلى الله تعالى : أي لا تفعل شيئاً غير مشروع لك من الله تعالى ، وفيه رد واضح على ما تناولوه وكفروه ولم يخشوا الله تعالى فيه .

(٣) تعبير عن شدة الشوق إلى الحق تبارك وتعالى .

(٤) سورة الأعراف ؛ الآية : ٢٠٥ .

(٥) هكذا هي في المخطوطة : أي لنجاتك من القبر وعذابه، لأنك موحد ، والذي في خاطري : أن الكلمة «لقبولك» ، والله أعلم .

واذكر قوله : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[1] واتبع ولا تبتدع[2] .

ومتى جعلت هذا ديدنك في حضورك [وتقويك][3] : سلطنت ودك . وظهر له قلبك في مشيمة[4] طبعك ، وتطهرت صفاتك وأخلاقك ، وزكت نفسك ، واتسعت مرءاة قلبك ، واعتدل طبعها بتوحيد كثرتها ، وصح شكلها وهيئتها ، فسلمت وخلصت من [النتو] والتقعير ، وناسبت حضرة ربك في الوحدة والسعة والإطلاق والتقديس ، وتنزهت عن كدورات كثرة التعلقات العشقية والكونية والتدنيس .

فإن تمكنت فيما ذكرت لك : فتح لك باب آخر بينك وبين ربك ، لا حكم للوسائط فيه وعليه ، منه تعلم ما أنت فيه ، وما تكون عليه ، وما تعامل به الحق والخلق ، وما يقربك إليه .

وليكن هذا التوجه المذكور حالك في كل توجه تتوجه إلى ربك في عبادتك ، على اختلاف ضروبها ، وفي دعائك والتجائك إلى ربك مهماتك الجزئية والكلية .

والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

---

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٢١ .

(٢) كيف يقول الذين يكفروه ؟ ألا يستحيون ؟

(٣) في المخطوطة : «وتتويك» .

(٤) المشيمة : الوعاء الرقيق الذي يكون الولد ملفوفاً فيه في بطن أمه ، والمشيمة مليئة بالقاذورات ، ومع هذا يحفظ الله فيها الولد ، كذلك القلب اذا كان صاحبه مداوماً على الذكر : يخرج من مشيمة الطبع بحفظ الله ورعايته، وهو تشبيه ـ منه (رضي الله عنه) ـ في غاية البلاغة والبيان .

تتمة

إعلم أن سر التدرج في الذكر والتوجه والترقي ، هو : لا حياء حقيقة المناسبة الثابتة أزلاً بين الحق وعبده ـ أعني المستهلكة الآن والمحجوبة بأحكام الخلقية والخواص والصفات المختلفة الإمكانية ـ وإنما هي تصح وتحصل وتخلص بقطع التعلقات الظاهرة والباطنة ، وتفريغ القلب من جملة الإرتباطات الحاصلة بعد الإيجاد : بين الإنسان وبين الأشياء كلها : ما علم منها وما لم يعلم ، ثم تهيئته ـ أعني تهيئة القلب ـ بموجب حكم الأحدية : بجمع الهيئة المتحصل من تأليف الصفات ، والأخلاق وآلات العلوم والاعتقادات والمقاصد ، والبواعث والتوجهات الناشئة في نفس الإنسان ، بالبدن العنصري[1] .

والله تعالى قوي كل واحد منهما بالآخر .

وغلبة بعضها بعضاً فعلاً وانفعالاً بمخض المجاهدات وتهذيب الأخلاق بالرياضات ، وإزالة أحكام الإنحرافات الغامضة ، من خواص الاجتماع الواقع بين القوى المزاجية والصفات النفسانية ، فإن المقصود

---

(١) البدن العنصري : الذي هو مركب من العناصر المعروفة : الماء ، والتراب ، والحديد ، والنار ، وما إلى ذلك من عناصر .

إنما يحصل بعد تطهير الملوثة .

ومن إتمام النواقص منها ـ أي من تلك الصفات المجتمعة من خواص الطبيعة والروح ، وما ذكرنا ، ونقلها من حيث تعلقاتها ومصارفها المعتادة ، وردها من درجات إنحرافاتها الخارجة عن حيز اعتدالها : إلى نقطة مركز دائرة الكمال الحقيقي بها ـ استمر ليتم تسويتها ، وتعديلها ، ويستعد للنفخة الثانية ، فإنه كما استعدت بالتسوية والتعديل الأول لنفخ الروح فيها ، كذلك يستعد بهذه التسوية والتعديل الثاني الواقع في مزاجه المعنوي بين خصائص نفسه الباطنة ، وبين خصائص بدنه العنصري ، المعبر عنها بـ «الأخلاق والصفات والعلوم والعقائد والبواعث والتوجهات» وغير ذلك من النسب والاضافات المضافة إلى الجناب الإلهي ، والكون : إنفراداً أو اشتراكاً ، للنفخة الثانية . فحينئذ يظهر بهذا الاستعداد والتهيؤ الوجودي الجزئي[1] : سر الاستعداد الكلي الذي به قيل هذا السالك الوجود من موجده أولاً .

فإذا تمّ ذلك : حصلت النفخة الثانية من جانب الحق : حاملة سراً ثانياً ، يعبر عنه تارة بـ «التأييد القدسي» في حق قوم ، وبـ «التنزلات الملكية» ، و «المنازلات» في حق قوم ، و «تجليات الأسماء والصفات» في حق آخرين .

ثم بعد ذلك يكون التجلي الذاتي المستلزم بما لا ينال وما لا يعرف سره في غير الكمل : ذو علم ذوق معين ولا حال .

وإذا عرفت هذا ، فاعلم أن قلوب أكثر الناس إنما ظلمتها وكثرة صداها ـ كما قلنا ـ من التعلقات الشهوانية ، والأحكام الإمكانية .

والمناسبة التي بينها وبين الحق : إنما ضعفت لذلك .

---

(١) في المخطوطة «الجزوي» والله تعالى أعلم .

فلهذا كان الإنتقال مما هم فيه إلى الحالة والصفة التي تليق وتصلح أن يواجه بها حضرة الحق ، وتثبت بها المناسبة ، ويجيء حكمها متعذراً ـ سيما إذا أريد أن يكون دفعة واحدة ـ لأن الحالة الأولى بها : الكدر والظلمة والنقص ، والكثرة .

ولجناب الحق أضداد هذه الأربعة ، وهي : الصفاء ، والنورية ، والكمال ، والأحدية .

وسر الحق ـ وإن كان مستجناً في كل واحد ، بل في كل شيء ، ومصاحباً له ، ومحيطاً به ـ فإنه محجوب بالأحكام الإمكانية الظلمانية ، وصفاتها الوجودية كما مر .

فمن وجد في نفسه طلباً للحق ، أو مما لديه ، فإنما يطلبه وينبعث له بما فيه من الأمر المطلوب : لأنه يستحيل ـ عندنا ـ أن نطلب الحق أو محبة سواه ، أو يصل إليه ما ليس به .

وهكذا الأمر في كل مطلوب مع كل طالب .

فسر طلب الحق ـ في زعم طالبيه ـ عبارة عن طلب الحق المقيد ، المستجن في الطالب ، مع الكمال النسبي الخصيص به متى رق بعض حجبه ، أو قل طلب ـ أعني ذلك السر ـ الاتصال بالحق المطلق وكما له الحقيقي : للخوف ، وفرع بأصل وإظهار كمال الكل : [الجزء الذي به ثبت اسم الكل للكل][(١)] فإن الامتياز ، إنما حصل من حيث أنه عرضت بينهما مفارقة نسبية ، بتعين بعض الوجوه .

---

(١) جملة «الجزء» إلى آخره ، مفعول «إظهار» ، ولك أن تعربها بدل جملة من جملة ، والله تعالى أعلم .

فصـل

كما بعدت المناسبة بين حال بواطن الناس ، وبين جناب الحق ، وشأنه كما ذكرنا ، ووجد الإشارة في قلب الباعث على الذي ذكرت سببه ومقتضاه ، لم يكن ذلك إلاَّ بالتدريج ، كما أشرت إليه : لزم الشروع أولاً مما الإنسان فيه من الجلال إلى مفارقة صورة الكثرة : شيئاً فشيئاً ، وذلك بالإنفراد أولاً والانقطاع ليحصل ضرب ما من ضروب المناسبة بين العبد وربه .

ثم يستعين بما ذكرنا ، ويقصد تعطيل قواه المتكثرة والمختلفة : الحسية منها ، والحالية الحيوانية ، الحاصلة والعارضة من الخواطر جهد الإمكان ، بجمع الهم وتحقيق العزم ، ثم يقصد الإلتفات إلى الحق بصورة ملازمة الذكر : [ذكر من أذكاره يعينه المرشد ، أو الحال ، أو الاستعداد] وإنه - أي ذكر كان - من وجه كوني ، ومن وجه رباني .

لأنه من حيث لفظه والنطق به : هو كون .

ومن حيث مدلوله : هو حق .

فهو كالبرزخ بين الحق والكون .

فيحصل بذلك أيضاً ضرب من ضروب المناسبة : أتم مما قبله فإذا تأنس الإنسان به كان كالمفارق العالم ، وكالمحيي لرقيقة المناسبة الرابطة من أكثر الوجوه ، بينه وبين الحق ، لتغليب حكم الوحدة الحقية على الكثرة الخلقية(١) .

ثم إذا أنتقل من الذكر الظاهر إلى الذكر الباطن ، ونطق به قلبه ، دون تعمل(٢) ـ سيما إذا كان نطق القلب بغير الذكر الذي بدأت عليه ـ كان بعده من صور العالم وأحكامه المختلفة المتكثرة أكثر ، وقربه من الحق الواحد ، ومناسبته معه ، ونسبته إليه أتم(٣) .

وكلما قويت العزيمة ، وتوفرت الرغبة بحصول الأنس الذي أثمره الفؤاد ، وما ذكرنا : مع جمع الهم الذي هو الأصل الأتم : قويت سلطنة الحق المستجن(٤) في الإنسان ، وضعفت فيه أحكام الكثرة والإمكان ، فتنور قلب العبد أو انصقل وتصفي ، من حيث صفاته فتجوهر واعتدل لاستقامة سطح مرءاته وتوحد كثرته(٥) ، كما هو الأمر في المرءاة المحسوسة ، التي أبرزها الحق في بعض الوجوه مثالاً

---

(١) الحقية بفتح الحاء وتشديد القاف المكسورة : نسبة إلى الحق ، والخلقية : بفتح الخاء وسكون اللام نسبة إلى الخلق ، والمقصود : تغليب جانب الحق على جانب الخلق ، والله تعالى أعلم .

(٢) أي تشغيل للقلب ، لأنه أصبح سجية له وطبيعة .

(٣) أي : لاستواء قلبه ، لأن التقدير : «ونطق به قلبه دون تعمل» : تمَّ قلبه ونضج ، لأن الذكر أصبح له طبيعة ، وما بين «تعمل» و «تم» جمة إعتراضية .

(٤) والحق المستجن في الإنسان هو : الفطرة التي عبر عنها رسول الله (ص) بقوله : «يولد المولود على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه أو يمجسانه» فإذا قوي جانب الفطرة المستجن في كل إنسان : سيطر الحق ، الذي هو الإيمان ، وأصبح الإنسان موحداً كاملاً . . . يقول الله تباك وتعالى : ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾ هذا والله أعلم .

(٥) توحد الكثرة هنا : معناه أن الشواغل الكثيرة التي كانت تشغل القلب تبددت ، وأصبح شغله بالله فقط . والحمد لله على فضله .

لمرءاة قلب الإنسان وحقيقته ، فإن صفاءها وصقالها إنما هو باعتدال أجزاء سطوحها : الحاصل بزوال ما ظهر فيها من التعدد والاختلاف ، كالنتو ، والتقعير ، وإعوجاج الشكل [والتصفير][1] فإن كل ذلك يوجب تغير صورة ما ينطبع فيها بالنسبة إلى مدرك[2] الصور فيها عما هي عليه خارج المرءاة : سيما إذا خالف شكل المرءاة شكل الصورة ، فإن المرءاة بعد الصقل وتسوية سطوحها وصحة إستدارتها ـ لأن الإستدارة أفضل الأشكال وأقربها نسبة إلى الاطلاق ـ وعدم التقيد بالشكل والصورة . ولهذا كانت الأفلاك وما فيها من الشكل والصورة مستديرة كلها ، لأنها أقرب الأجسام نسبة إلى الأرواح، ولا واسطة بينها وبينها . فإنها أول الأجسام صدوراً من الحق سبحانه بواسطة الأرواح ، فافهم .

ثم نرجع ونقول : فالإنسان لا يزال مقبلاً ـ كما قلناه ـ في صورة الذكر إلى معناه وباطنه ، ومن التلفظ به إلى نطق القلب بذلك الذكر أو غيره ، وباطن الذكر غير معناه ، وإنه عبارة عن التوجه إلى المذكور من كونه مذكوراً ، أو متوجهاً إليه هكذا : درجة فوق درجة إلي[3] .

وفي كل درجة يسقط منه جملة من أحكام كثرته ، وصفات إمكانه ، ويقوي حكم وحدة ربه[*] وسلطانه .

ومعنى السقوط هنا : للصفات والقوى ، لاستهلاكها ، لأنها بها عكس الحالة الأولى التي كان عليها كجمهور الناس .

مطلب المناسبة :

فإذا كمل بها هذا التوحد ، وتلاشت أحكام الكثرة الخلقية الإمكانية : ثبتت المناسبة من بين : جناب الحق ، وبين القلب الذي

---

(١) أي كدورة اللون وصفرته .

(٢) «مدرك» بفتح الميم وسكون الدال وفتح الراء .

(٣) هكذا هي في المخطوطة ، ولعل هنا سقطا تقديره «آخره» .

(*) أي انفراد ربه به ، ولا يكون لأحد سلطان عليه غيره ، والله تعالى أعلم .

هذا شأنه فحالتئذ يظهر التجلي المستجن في العبد : لزوال كل ماكان يمنع من ذلك ، ويتصل بالتجلي الذي يتدنى من الحق إليه ، والأمر الذي يتنزل فيه ، فيستحيل[1] قواه الظاهرة والباطنة ، وجملة صفاته : استحالة معنوية ، فتبدل أرضه غير أرضه ، وسماؤه غير سماواته[2] ، وكذلك ما فيها : لقيام قيامته ، واستقامة قامته ، وحينئذ يصير تمام الآية وصف حاله ، وهو قوله تعالى : ﴿وبرزوا لله الواحد القهار﴾[3] فيتغير اعتقاده في كل شيء عما كان عليه بتغير ما به ـ يدرك ما يدرك ، ويتلو قوله تعالى : ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾[4] .

وأما بعد ذلك فلا يمكن ذكره وبيانه ، بل يجب ستره وكتمانه ، و «كل ميسر لما خلق له» .

وما ذكرنا في هذه العجالة ـ وإن كان أصلاً جامعاً ـ فإنما يأخذ كل أحد منه : ما يستعد له ، وما يساعد عليه وقته وحاله ، و ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾[5] .

ومن أراد استكمال هذه الفائدة ، واستثمارها ، فليضف هذه التتمة إلى ما ذكر من قبل ، فإنه : إن أدرك ، وفهم ما أدرجت في هذه الكلمات : عرف سر الحق المودع في الخلق .

وعرف معنى «غلبة الرحمة الإلهية الغضب»[6] ، وإنها منبع كل

---

(١) يستحيل بمعنى : يتحول .

(٢) المعنى المقصود : إنه يتغير حاله كله ، والتعبير بأرضه وسماواته ، تعبير بالكناية . لا بالحقيقة .

(٣) سورة إبراهيم ؛ الآية : ٤٨ .

(٤) سورة الزمر ؛ الآية : ٤٧ .

(٥) سورة فاطر ؛ الآية : ٢ .

(٦) من قول الحق سبحانه وتعالى في حديثه القدسي «سبقت رحمتي غضبي» رواه الإمام = مسلم .

اعتدال وإنحراف واقع في عرصة المعاني والأرواح ، وعالم المثال : الذي تتصور فيه الأرواح وتتجسد فيه المعاني ، واعتدال عالم الحس .

وعرف سر الولادة[1] الثانية التي أشار إليها في الآية : في الأنبياء والأولياء ، وتقدم حديثها آنفاً .

وعرف سر أصحاب الحق بالخلق ، وسر صحبة الحق بالخلق ، وإحاطته بهم ، وكونه معهم ، أينما كانوا (دون مزج ، وملابسة ، وظرفية)[2] .

وعرف أيضاً كيفية إنتشاء الخواص الروحانية في ملابس المواد الطبيعية ، وكيفية ترتبها هناك ، وكيفية تخليصها من تلك المزجة ، كما مر ذكره في أمر الكثرة ، والوحدة ، والإلهية ، واستهلاك الكثرة تحت سلطنة الوحدة ، فإنه مزاج التحليل الذي لم يذقه ولم يشهده ولم يتحلل في وجه بحيث ينزل منه في كل مرتبة وعالم : ما يناسبه .

لم يدر ما المعراج ولم يلج حضرة من حضرات الحق أصلاً ، ولوجاً محققاً .

وكما ذكرناه في شأن ماء الورد ، الممثل به في سر الحق وسرايته في المراتب الخلقية ، وعوده إلى الأصل ، بواسطة الأحوال المسماة «سلوكاً» فافهم .

وعرف أيضاً : سر الفناء والبقاء ، وسر السكون ، ومبدأه

= والغلبة أو السبق بالنسبة لله تعالى ليس كما هو للخلق ـ تعالى الله عن ذلك ـ ، فإن الله تعالى لا يعتريه ما يعتري الخلق .

(١) الولادة هنا : التربية : قال في القاموس المحيط : والتوليد: التربية ، ومنه قول الله عزّ وجلّ لعيسى (ع) : ﴿أنت نبيي وأنا ولدتك﴾ بتشديد اللام المفتوحة : أي ربيتك .
فقالت النصارى: «أنت بنيي وأنا ولدتك ـ بفتح اللام الخفيفة ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً» .

(٢) الا يتقي الله : الذين يدعون فيه ما ليس فيه .

وموجبه . «وإن الإنسان كان غيباً فصار وصفاً ، ثم صار خلقاً ، وسوى حتى وصف سر الحق المودع فيه بصفات الخلق ، وسمي باسمه ووصفه ، وصار يطلب ذلك السر الانسلاخ بالعود ثانياً عما تلبس في إتيانه ، أولاً بالنسبة إلى المدارك .

وعرف سر غلبة الله على أمره[1] في مرتبة الأرواح مع الطابع ، وفي مرتبة الأخلاق والصفات المحمودة مع المذمومة ، ومغلوبية الأرواح الإنسانية تحت أحكام الأمزجة الطبيعية أولاً : مع مغلوبيتها ومغلوبية سائر الأرواح العلوية المقدسة أخرى ، تحت أحكام الأسماء والصفات الإلهية ، واستهلاك جملة الكون تحت السطوة الذاتية الإلهية .

وتعرف علوماً مدرجة في هذه الكلمات : غير ما ذكرنا ، يطول ذكر أنواعها ، فكيف تعينها وبيانها . فافهم .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

والله يهدي من يشاء إلى صراطاً مستقيم .

* * *

تمت «العجالة» بعون الله وحسن توفيقه

والحمد لله وحده ، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم في شهر صفر المظفر : من شهور سنة ست بعد الألف من الهجرة النبوية .

علقها عجلاً لنفسه أضعف الفقراء ، : مصلح الدين بن أحمد بن الياس الخلوتي البلغرادي ، ثم الدمشقي ، الإمام بجامع «سيباي» غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما وإليه ، ولجميع المسلمين أجمعين . آمين . .

---

(١) من قوله تعالى : ﴿والله غالب على أمره﴾ .

(٥)

الأنــوار

- مقــدمــة .
- نص رسالة الأنوار .

مقدمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم .

نحمدك اللّهم حمداً كثيراً ، ونستغفرك ، ونتوب إليك من سيئات أعمالنا .

من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلا هادي له . .

له الأمر كله ، وبيده الخير كله ، ونعوذ به من الشر كله . في الدنيا والآخرة .

وبعد :

عثرت أثناء البحث عن كتب الإمام محي الدين بن عربي ، (رحمه الله تعالى ورضي عنه)، على كتيب يشبه أن يكون رسالة .

وهو ـ في واقع الأمر ـ حجة من الحجج القائمة على : أنه يدين لله بالربوبية ، وإنه من كبار الموحدين ، وإن ما قاله أعداؤه مكذوب عليه(رضي الله عنه وأرضاه)، وإنه فحل من فحول العلم لا يباري .

وإنني ـ والحمد لله ـ دائب البحث عن أمثال هذه الكتب ، التي تزيل الإلتباس من عقول بعض الدائبين على تكفير خلق الله ، دون تعقل وروية ، أو بحث عن الحقيقة .

هذا الكتيب ، أو الرسالة ، هي رسالة :
«الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار» .

ولهذا الكتيب قضية معي أذكرها فيما يلي :

قرأت كتاب «خزينة الأسرار» للسيد محمد حقي النازلي . والتي كتب تقريظها العلامة الشيخ إبراهيم السقا في ثامن ربيع الأول سنة ١٢٨٦ هـ ، والمطبوع بمطبعة «دار إحياء الكتب العربية» فوجدت في أواخره العنوان التالي :

«باب التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية للشيخ الأكبر (قدس سره)» .

فاعتقدت أن هذا هو الاسم الحقيقي لتلك الرسالة ، فرجعت إلى كتاب «كشف الظنون» لحاجي خليفة ، فوجدت اسم الكتاب ، ولكن بدايته ليست هي بداية هذه الرسالة ، فساورني شك في : أيهما أصح .

إذ بداية ما في الرسالة «الحمد لله واهب العقل ومبدعه» .

وبداية الذي في كشف الظنون :

«الحمد لله الذي استخرج الإنسان» .

وحسم الخلاف الذي دار بيني وبين نفسي : رسالة «الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار» التي حققها لأول مرة الأستاذ العلامة الشيخ سالم رضوان (رحمه الله تعالى) .

ومنها علمت أن العنوان الذي في كتاب «خزينة الأسرار» خطأ ، لأنه اسم لكتاب آخر كبير ، قال عنه حاجي خليفة ما نصه :

« . . . وقدم مقدمة ، ثم أورد سبع عشرة باباً أولها «الحمد لله الذي استخرج الإنسان» . . . الخ» .

ثم بحثت في كشف الظنون عن هـذه الرسالة أيضاً ، فوجدتها فيه .

قال حاجي خليفة (رحمه الله تعالى) : «الأنوار فيما يفتح على صاحب الخلوة من الأسرار» رسالة للشيخ محي الدين محمد بن علي بن عربي الطائي المتوفى سنة ٦١٧ سبع عشر وستمائة[١] ، أوله «الحمد لواهب العقل» . . الخ .

والحمد لله قارنت هـذه بتلك ، وأثبت السقط والمخالفة بينهما دون المساس بالنصوص . فكانت هـذه النسخة بهـذا الوضع : أصح نسخة ظهرت ، والحمد لله رب العالمين .

ثم إنه في آخر النسخة التي في أواخر كتاب «خزينة الأسرار» ، ما يلي :

«قال الشيخ (رضي الله عنه) : وضعنا هـذه الرسالة بقونية من بلاد اليونان لبعض إخواننا سنة : اثنين وستمائة .

وآخر النسخة الأخرى ليس فيها هذه الجملة .

وإنما فيها ما يلي :

«فلمثل هـذا فليعمل العاملون . ولمثل هـذا فليتنافس المتنافسون» .

ثم قال ناسخ الكتاب ما نصه .

«والحمد لله رب العالمين .

ورأيت على نسخة سيدي الملا الياس ، متع الله بحياته سائر الناس ، التي بخطه الكريم ما صورته :

كتبت من نسخة قوبلت على نسخة مقروءة على المصنف ، والله أعلم ، وقد نقلت هذه النسخة من نسخة سيدي المذكور ، أدام الله تعالى مدده آمين» ا . هـ .

(١) هكذا هي ، وهو خطأ واضح لأنه توفي عام ٦٣٨ . ثمان وثلاثين وستمائة هجرية كما قال هو في غير هذا المكان .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله واهب العقل ومبدعه . وناصب النقل ومشرعه .

له المنة والطول . ومنه القوة والحول .

لا إله إلاّ هو ربّ العرش العظيم .

وصلّى الله على من أقام به أعلام الهدى ، وأنزله بالنور «الذي»[1] أضل به من شاء وهدى ، وسلّم ، وعلى آله الطاهرين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أجبت سؤالك أيها الولي الكريم ، والصفي الحميم ، في كيفية السلوك إلى ربّ العزة تعالى[2] ، والوصول إلى حضرته[3] ، والرجوع به مّن عنده إلى خلقه[4] من غير مفارقة ، فإنه ما ثم في الوجود إلاّ الله تعالى ، وصفاته وأفعاله . فالكل هو ، وبه ، ومنه ، وإليه[5] .

(١) ما بين القوسين ليس في نسخة خزينة الأسرار .

(٢) في نسخة الخزينة : المتعالي .

(٣) في نسخة الخزينة : والوصول إليه .

(٤) في نسخة الخزينة : «إلى خليقته» .

(٥) هو : إشارة إلى الله ، و (به) إشارة إلى صفاته . لأن صفاته تعالى قائمة بذاته ، =

ولو احتجب عن العالم طرفة عين لفني العالم دفعة «واحدة»[1] . فبقاؤه بحفظه والنظر إليه ، غير إنه «من»[2] أشتد ظهوره في نوره ، بحيث أن تضعف الإدراكات عنه . فيسمى ذلك الظهور حجاباً .

فأول ما أبينه وفقك الله : كيفية السلوك إليه[3] .

ثم كيفية الوصول ، والوقوف بين يديه ، والجلوس في بساط مشاهدته . وما يقوله لك[4] . ثم كيفية الرجوع من عنده إلى حضرة أفعاله : به ، وإليه ، والاستهلاك فيه . وهو مقام دون الرجوع .

إعلم أيها الأخ الكريم : أن الطرق شتى[5] ، وطريق الحق مفردة ، والسالكين[6] طريق الحق ، أفراد .

ومع أن طريق الحق واحدة ، فإنه تختلف وجوهه بإختلاف أحوال سالكيه[7] .

(من اعتدال المزاج وإنحرافه وملازمة الباعث ومغابته[8]) . وقوة روحانيته وضعفها .

(وإستقامة همته وميلها . وصحة توجهه وسقمه فمنهم من تجتمع له[9]) .

- و (منه) إشارة إلى الخلق لأنه هو الذي خلقهم ، و (إليه إشارة إلى النشور)، والله تعالى أعلم .

(١) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٢) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٣) في نسخة الخزينة ، «فأول ما أبين لك كيفية السلوك اليه تعالى» .

(٤) في نسخة الخزينة «ثم كيفية الوصول والوقوف بين يديه في مشاهدته» .

(٥) في نسخة الخزينة «فاعلم أيها الأخ أن الطرق شتى» .

(٦) في نسخة الخزينة «والسالكون» .

(٧) في نسخة الخزينة «فإنه يختلف وجوهها باختلاف أحوال السالك وقوة روحانيته وضعفها» .

(٨ و ٩) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

ومنهم من يكون له بعض هذه الأوصاف ، فقد يكون مطلب الروحانية شريفاً[1] . ولا يساعده المزاج . «وكذا ما بقي»[2] . فأول ما يتعين علينا أن نبينه لك :

(معرفة المواطن) كم هي ، وما تقتضي ما أريد منها هنا ، والموطن : عبارة عن محل أوقات الموارد التي تكون فيه .

وينبغي لك أن تعرف ما يريده الحق منك في ذلك الموطن ، فبادر إليه من غير تثبت ، ولا كلفة[3] .

والمواطن وإن كثرت ، فإنها ترجع إلى ستة :

الأول : موطن ـ ألست بربكم[4] ـ وانفصلنا عنه[5] .

والثاني : أرحام الأُمهات[6] .

والثالث : موطن الدنيا الذي نحن الآن فيها .

والرابع : موطن البرزخ الذي نصير إليه بعد الموت الأصغر والأكبر[7] .

---

(١) في نسخة الخزينة «ومنهم من يكون له بعض هذه الأوصاف فيكون الروحاني شريفاً» .

(٢) ليس في نسخة الخزينة .

(٣) ليس في نسخة الخزينة ، والمقصود من قوله : «من غير تثبت» أي لا تسأل : لم ولا كيف ، ما دام الأمر صادراً من الله تعالى حقاً ، ولا يكن فعلك تكلفاً تفعله وأنت شاعر بالأكراه ، إنما تفعله وأنت منشرح الصدر ، لأن الله أمرك به ، والله تعالى أعلم .

(٤) اقرأ قوله تعالى : **﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوابلى﴾** من سورة الأعراف ؛ الآية : ١٧٢ .

(٥) في نسخة الخزينة «وقد انفصلنا عنه» .

(٦) ما بين القوسين من نسخة الخزينة .

(٧) الموت الأصغر : النوم ، قال تعالى : **﴿هو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾** من سورة الأنعام ؛ الآية : ٦٠ ، والموت الأكبر : الخروج من الدنيا إلى عالم البرزخ الكائن بين الدنيا والآخرة حتى يأذن الله بقيام الساعة الكبرى للعرض والحساب . والله تعالى أعلم .

والخامس : موطن الحشر بأرض الساهرة والرد في الحافرة[1] .

والسادس : موطن الجنة والنار .

والسابع : موطن الكثيب خارج الجنة «ليس فيه نعيم إلاَّ رؤية الحق ، كما في حديث : إن لله جنة ليس فيها نعيم ولا حور ، ولا قصور ، إلاَّ أن يتجلى الله فيها ضاحكاً»[2] .

وفي كل موطن من هذه المواطن : مواضع هي مواطن في المواطن . ليس في القوة البشرية الوفاء بها ، لكثرتها «ولا نحتاج في هذا الموضوع منها . إلاَّ موطن الدنيا . الذي هو محل التكليف والإبتلاء والأعمال» .

فاعلم أن الناس ، منذ خلقهم الله ، وأخرجهم من العدم إلى الوجود ، لم يزالوا مسافرين ، فليس[3] لهم حط عن رحالهم إلاّ في الجنة أو النار .

وكل جنة ونار بحسب أهلها ، فالواجب على كل عاقل أن يعلم أن السفر مبني على المشقة «وشظف العيش»[4] والمحن والبلايا[5] وركوب الأخطار . والأهوال العظام .

فمن المحال أن يصح فيه نعيم أو أمان أو لذة ، فإن المياه

---

(١) من قوله تعالى : ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ من سورة النازعات ؛ الآية : ١٤ ، وقوله : ﴿إننا لمردودون في الحافرة﴾ من سورة النازعات ؛ الآية : ١٠ .
وقال ابن كثير(رحمه الله تعالى) في تفسيرالساهرة ـ أرض بيضاء عفراء ، خالية كالخبزة النقي ، وقال في الحافرة : هي القبور ، وفي مختار الصحاح : ﴿إننا لمردودون في الحافرة﴾ : أي في أول أمرنا .

(٢) ما بين القوسين من نسخة الخزينة .

(٣) في نسخة الخزينة «وليس» .

(٤) ما بين القوسين من نسخة الخزينة .

(٥) في نسخة الخزينة «والبلاء» .

مختلفة «الطعم والأهوية مختلفة التصريف ، وطبع أهل كل منهلة يخالف طبع المنهلة الأخرى»[١] فيحتاج المسافر لما يصلح ، فيلقى[٢] كل عالم في منزله «فإنه عندهم صاحب ليلة أو ساعة وينصرف»[٣] . فأني تعقل الراحة فيمن هذه حالته . «وما أوردنا هذا رداً على أهل النعيم في الدنيا ، العاملين لها ، والمكب على جمع حطامها ، فإن أهل هذا العمل عندنا : أقل وأحقر من أن نشتغل بهم أن نلتفت إليهم»[٤]. وإنما أوردناه تنبيهاً لمن استعجل لذة المشاهدة في غير موطنها «الثابت وحالة الفنا في غير منزلها ، والاستهلاك في الحق بطريق المحق عن العالمين ، فإن السادة منا أنفوا من ذلك لما فيه من تضييع الوقت ، ونقص المرتبة ، ومعاملة الموطن بما لا يليق ، فإن الدنيا سجنه[٥] . وتعلق الهمة بالذكر من استجلابه يجلبه ، وهو سوء في حقه ، وفاته أمر كثير منه ، فإن زمان الفناء في الحق : زمان ترك مقام أعلى مما هو فيه . لأن التجلي على قدر العلم وصورته ، فما حصل لك من العلم به منه في مجاهدتك وتهيئتك في الزمان الأول مثلاً ، ثم شهدت في الزمان الثاني ، فإنما تشهد منه صورة علمك المقررة في الزمان الأول .

فما زدت سوى إنتقالك من علم إلى عين[٦] . والصورة واحدة ، فقد حصلت[٧]» ما ينبغي[٨] لك أن تؤخره لموطنه ، وهو الدار

---

(١) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٢) في نسخة الخزينة «بتعلق» .

(٣) ما بين القوسيين ليس في نسخة الخزينة .

(٤) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٥) كما قال رسول الله (ص) : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجة .

(٦) أي بعد أن كنت عالماً بالشيء مجرد علم ، أصبحت تراه عيناً وواقعاً .

(٧) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٨) في نسخة الخزينة «فينبغي» .

الآخرة ، التي لا عمل فيها . فإن زمان مشاهدتك ولو كنت فيه صاحب عمل «ظاهر»[1] وتلقى علم بالله باطن[2] كان أولى بك ، لأنك تزيد حسناً وجمالاً في روحانيتك الطالبة ربها ، وفي نفسانيتك الطالبة جتها ، فإن اللطيفة الإنسانية تحشر على صورة علمها ، والأجسام تحشر على صورة أعمالها من الحسن والقبح .

وهكذا إلى آخر نفس .

فإذا انفصلت من عالم التكليف ، وموطن المعارج والإرتقاءات . «حينئذ»[3] تجني ثمرة غرسك .

فإذا فهمت هذا فاعلم «وفقك الله وإيّاي ـ أنك»[4] إذا أردت «الدخول إلى حضرة الحق ، والأخذ مه بترك الوسائط والأنس به»[5] . أنه لا يصلح لك ذلك ، وفي قلبك ربانية لغيره ، فإنك لمن حكم عليك سلطانه .

هذا لا شك فيه .

فلا بد لك من العزلة عن الناس ، وإيثار الخلوة على الملأ ، فإنه على قدر بعدك من الخلق . يكون قربك من الحق ، ظاهراً وباطناً .

فأول ما يجب عليك : طلب العلم الذي «تقوم به طهارتك وصلاتك . وصيامك . وتقواك . وما يفرض عليك طلبه خاصة : لا تزيد على ذلك وهو أول باب السلوك . ثم العمل»[6] . ثم الورع ، ثم

---

(١) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٢) في نسخة الخزينة «تلقى علماً بالله كأن أولى به» .

(٣) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٤) ما بين القوسين ليس من نسخة الخزينة .

(٥) في نسخة الخزينة «فأعلم إذا أردت خدمة الحق والأنس به أنه لا يصح» .

(٦) في نسخة الخزينة هكذا : «به تقيم طاعتك وتقواك ، وما فرض عليك خاصة ، لا تزيد على ذلك ، وأول باب السلوك العمل به»

الزهد ، ثم التوكل[1] .

وفي أول حال من أحوال التوكل يحصل لك أربع كرامات ، هي علامات وأدلة على حصولك[2] في أول درجة التوكل .

وهي : طي الأرض ، والمشي على الماء ، واختراق الهوى ، والأكل من الكون .

وهو الحقيقة في هذا الباب .

ثم بعد ذلك يتوالى المقامات ، والأحوال ، والكرامات ، والتنزلات إلى الموت .

«فبالله»[3] لا تدخل خلوتك حتى تعرف : أين مقامك ، وقوتك من سلطان الوهم[4] .

فإن كان[5] وهمك حاكماً عليك ، فلا سبيل ألى الخلوة إلاّ على يد شيخ : مميز عارف .

وإن كان وهمك تحت سلطانك . فخذ الخلوة ولا تبال .

«وعليك» بالرياضة قبل الخلوة .

والرياضة : عبارة عن تهذيب الأخلاق «وترك الرعونة»[6] وتحمل الأذى ، فإن الإنسان إذا تقدم فتحه قبل رياضته فلن يجيء منه رجل أبداً ، إلاّ في حكم النادر .

«فإذا اعتزلت عن الخلق»[7] فاحذر «من قصدهم إليك وإقبالهم

---

(١) مصداقة قوله (ص) : «لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً» رواه ابن حبان وغيره .

(٢) في نسخة الخزينة «حصول توكلك» .

(٣) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٤) في نسخة الخزينة «سلطان وهمك» .

(٥) في نسخة الخزينة «وإن كان» .

(٦ و ٧) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

عليك . فإنه من اعتزل عن الناس ، لم يفتح بابه : لقصد الناس إليه ، فإن المراد من العزلة ترك الناس ومعاشرتهم»[1] .

«وليس المراد من ترك الناس ترك صورهم»[2] .

«وإنما المراد : أن لا يكون قلبك ، ولا أذنك وعاءاً لما يأتون به من فضول الكلام ، فلا يصفو القلب من هذيانٰ العالم»[3] . فكل من اعتزل في بيته ، «وفتح باب قصد الناس إليه ، فإنه طالب رئاسة وجاه : مطرود عن باب الله تعالى . والهلاك إلى مثل هذا أقرب من شراك نعله . فالله الله . تحفظ من تلبيس النفس في هذا المقام . فإن أكثر الخلق هلكوا فيه . واغلق بابك دون الناس . وكذلك باب بيتك . بينك وبين أهلك واشتغل بذكر الله . بأي نوع شئت من الأذكار»[4] . وأعلاها الاسم . وهو قولك . الله . الله لا تزيد عليه شيئاً . وتحفظ من طوارق الخيالات الفاسدة ، أن تشغلك «عن الذكر»[5] . وتحفظ في غذائك ، واجتهد أن يكون دسماً «وليكن»[6] من غير حيوان ، فإنه أحسن .

واحذر من الشبع ومن الجوع المفرط .

وألزم طريق اعتدال المزاج ، فإن المزاج إذا أفرط فيه اليبس ، أدى إلى خيالات «وهذيان طويل» .

---

(١) في نسخة الخزينة «فاحذر اختلاطهم ، فإن المراد من العزلة : ترك الناس ومعاشرتهم» .

(٢) في نسخة الخزينة «وليس المراد ترك صورهم» .

(٣) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٤) في نسخة الخزينة : «ولم يسد باب الخلق من قلبه ، فهو لم يعتزل منهم ، فإذا أغلق باب قلبك ، فاشتغل بذكر خالقك بأي ذكر من الأذكار ، وأعلاها قولك «الله ، الله ، لا تزيد عليه شيئاً» .

(٥) في نسخة الخزينة «عن الفكر» .

(٦) ما بين القوسين من نسخة الخزينة .

وإذا كـان الـوارد هـو الـذي يعـطي الإنحـراف . فـذلـك هـو المـطلوب . ويفـرق بين الواردات الـروحـانيـة الملكيـة . و «الـواردات الـروحـانيـة» «الشيطانية»[1] بمـا تجـده في نفسـك عنـد إنقضـاء الـوارد «آت»[2] .

وذلـك أن الوارد إذا كـان ملكياً ، فـإنـه يعقبـه بـرد ولـذة ولا تجـد ألماً ، ولا تتغير لك صورة ، ويترك «لك»[3] علماً .

وإن كـان شيـطانيـاً فـإنـه يعقبـه : تهـويس في الأعضـاء ، وألم ، وكـرب ، وحيـرة ، وذلـك «بـالأفكـار الفـاسـدة»[4] ويتـرك تخبيـطاً . «فتحفظ»[5] ولا تـزال ذاكـراً حتـى يفـزع[6] الله عـن قلبـك ، وهـو المطلوب .

وأحذر أن تقول : ماذا[7] .

وليكن عقـدك عنـد دخـولـك إلى خلوتـك[8] : إن الله ليس كمثله شيء[9] .

فكـل ما يتجلى لـك من الصـور في خلوتـك ، ويقـول لـك : أنـا الله . فقل : سبحان الله ، «أنت بالله» .

---

(١) في نسخة الخزينة : «والزم الـطريق عند اعتـدال المزاج ، وإذا أفـرط اليبس أدى إلى الخيالات ، وتفرق بين الواردات الملكية والشيطانية» .

(٢) ما بين القوسين من نسخة الخزينة .

(٣) ما بين القوسين من نسخة الخزينة .

(٤) ما بين القوسين من نسخة الخزينة .

(٥) ما بين القوسين ليس من نسخة الخزينة .

(٦) فزع : بضم الفاء وتشديد الزاي : أي يكشف عنك الخوف ، وفي نسخة الخزينة يفرغ (بالراء) .

(٧) ماذا : مختصر : ما هذا .

(٨) في نسخة الخزينة : «وليكن عقدك عند دخولك خلوتك» .

(٩) أليس هذا دليلاً واضحاً على أنه لا يقول بالحلول والاتحاد ، كما يزعم أعداؤه .

واحفظ صورة ما رأيت ، «وأله عنها»[١] واشتغل بالذكر دائماً .

هذا عقد واحد .

والعقد الثاني : أن لا تطلب منه في خلوتك سواه ، ولا تعلق الهمة بغيره ، ولو عرض عليك «كل»[٢] ما في الكون ، فخذه بأدب ، ولا تقف عنده ، وصمم على طلبك ، فإنه يبتليك .

ومهما وقفت مع شيء فاتك[٣] .

وإذا حصلته لم يفتك شيء .

وإذا قد عرفت هذا ، فاعلم أن الله يبتليك بما يعرضه عليك ، فأول ما «يفتح»[٤] عليك .

«إن أعطاك الأمر على ترتيب ما أقوله لك»[٥] . وهو كشف عالم «الحق»[٦] والغائب عنك ، فلا تحجبك الجدران و «لا»[٧] الظلمات عما يفعله الخلق في بيوتهم ، إلاّ أنه يجب عليك التحفظ من أن تكشف سر أحد . إذا أطلعك الله عليك .

فإن «بحت به»(*) . وقلت هذا زان ، وهذا شارب ، «وهذا يغتاب ، فأتهم نفسك»(**) فإن الشيطان قد دخل «عليك»[٨] . فتحقق بالاسم «المشار إليه»[٩] . وإن جاءك ذلك الشخص ، فانهه «فيما بينك

---

(١) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٢) من نسخة الخزينة «لك» .

(٣) المعنى : «فاتك كل شيء» .

(٤) في نسخة الخزينة «يعرضه» .

(٥) في نسخة الخزينة «فأول ما يفتح لك»

(٦) في نسخة الخزينة «الحس» .

(٧) ما بين القوسين من نسخة الخزينة .

(* و **) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٨) ما بين القوسين من نسخة الخزينة .

(٩) في نسخة الخزينة «فتحقق باسم الستار» .

وبينه»[١] على الستر ، وأوصه «أن يستحيي من الله ، ولا يتعد حدود الله» [٢] . وإله عن هذا الكشف جهد طاقتك ، واشتغل بالذكر .

وأما التفرقة بين الكشف الحسي والخيالي ، فنبينه :

وذلك إذا رأيت صورة شخص ، أو فعلاً من أفعال الخلق ، أن تغلق عينيك ، فإن بقي «لك» [٣] الكشف فهو في خيالك ، وإن غاب عنك : فإن «الإدراك تعلق به» [٤] في الموضع الذي رأيته فيه .

ثم إذا لهيت[٥] عنه واشتغلت بالذكر : انتقلت من الكشف الحسي إلى الكشف الخيالي ، فتنزل عليك المعاني العقلية «في الصور الحسية» [٦] . «وهو تنزل صعب . فإن علم ما أريد بتلك الصور «لا يعرفه» [٧] إلاّ نبي ، أو من شاء الله من الصديقين ، فلا تشتغل به .

«وإن» [٨] سيقت لك مشروبات . فأشرب الماء «منها . فإن لم يكن فيها ماء . فاشرب اللبن . وإن جمعت بينهما فحسن . وكذلك العسل . أشرب . وتحفظ من [٩] شرب» الخمر «ألاّ أن يكون ممزوجاً بماء المطر .

وإن كان ممزوجاً بماء الأنهار والعيون ، فلا سبيل إلى شربه»[١٠] . واشتغل بالذكر حتى «يرفع»[١١] عنك عالم الخيال ، ويتجلى

---

(١) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٢) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٣) في نسخة الخزينة «ذلك» .

(٤) في نسخة الخزينة «فالادراكات تتعلق منه به» .

(٥) لهيت : بضم اللام وكسر الهاء المشددة .

(٦) في نسخة الخزينة «في صورة الحسي» .

(٧) في نسخة الخزينة «فاعلم أنه لا يعرفها» .

(٨) في نسخة الخزينة «فإن» .

(٩) في نسخة الخزينة «فاشرب الماء أو اللبن واحذر من الخمر» .

(١٠) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(١١) في نسخة الخزينة «يزول»

لك عالم المعاني المجرد عن المادة .

فاشتغل بالذكر حتى يتجلى لك «مذكورك»[١] . فإذا أفناك عن الذكر به ، فتلك المشاهدة أو النومة .

«وسبيل»[٢] التفرقة بينهما : «إن المشاهدة تترك في المتجلى شاهدها»[٣] . «فتقع»[٤] اللذة «عقبها»[٥] . «والنومة لا تترك شيئاً . فيقع التيقظ والاستغفار والندم»[٦] .

ثم إن الله تعالى يعرض عليك مراتب المملكة إبتلاء . «فإن رتب لك العرض» . «فإنك»[٧] تستكشف أولاً أسرار الأحجار المعدنية وغيرها ، وتعرف سر كل حجر ، وخاصيته في المضار والمنافع ، فإن تعشقت «منه»[٨] ذلك «بقيت معه وطردت»[٩] . ثم سلب عنك حفظه «فحرت»[١٠] . وإن «استغثت منه»[١١] واشتغلت بالذكر «ولجأت»[١٢] إلى جانب المذكور . «ودفع»[١٣] عنك ذلك النمط . وكشف لك عن النباتات : «ونادتك»[١٤] كل عشبة بما تحمله من خواص المضار والمنافع .

---

(١) في نسخة الخزينة «المذكور» .

(٢) في نسخة الخزينة «ووسيلة» .

(٣) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٤) في نسخة الخزينة «فبقي» .

(٥) في نسخة الخزينة «عقيبها» .

(٦) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٧) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٨) ما بين القوسين من نسخة الخزينة .

(٩) في نسخة الخزينة «نفيت وطردت» .

(١٠) في نسخة الخزينة «فخسرت» .

(١١) في نسخة الخزينة «استغنيت عنه» .

(١٢) في نسخة الخزينة «التجأت» .

(١٣) في نسخة الخزينة «دفع» بدون الواو .

(١٤) في نسخة الخزينة «نادتك» .

فليكن حكمك معها حكمك أولاً .

وليكن غذاؤك عند «الكشف»[1] الأول : ما كثرت حرارته ورطوبته . «وفي هذا الكشف الأخر النباتي . ما اعتدلت حرارته ورطوبته»[2] . «فإن»[3] لم تقف «معه»[4] . رفع لك عن الحيوانات ، فسلمت عليك ، وعرفتك بما تحمله من خواص المضار والمنافع .

وكل عالم يعرفك بتسبحيه ، وتمجيده .

وهنا «ك»[5] نكته . وذلك أن تنظر ما أنت «مشتغل»[6] به من الأذكار ، فإن رأيت هؤلاء العوالم مشتغلين بذلك الذكر الذي أنت عليه ، فكشفك خيالي لا حقيقي ، وإنما ذلك حالك أقيم لك في الموجودات .

وإذا شهدت في هؤلاء تنوعات أذكارهم ، فهو الكشف الصحيح .

«وهذا المعراج هو معراج التحليل على الترتيب والقبض لك مصاحب في هؤلاء العوالم»[7] ثم بعد «هذا»[8] يكشف لك من عالم سريان الحياة «السينية»[9] في الأحياء «و»[10]ما «تعطي»[11] من الأثر في

---

(١) ما بين القوسين ليست في نسخة الخزينة .

(٢) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٣) في نسخة الخزينة «وإذا» .

(٤) ما بين القوسين من نسخة الخزينة .

(٥) ما بين القوسين من نسخة الخزينة .

(٦) في نسخة الخزينة «مشغول» .

(٧) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٨) في نسخة الخزينة «ذلك» .

(٩) في نسخة الخزينة «السببية» وهو الأقرب للصواب .

(١٠)ليست في نسخة الخزينة .

(١١) في نسخة الخزينة «يعطي» .

كل ذات ، بحسب «استعداداتها»[1] وكيف تندرج العبادات في هذا السريان .

فإن لم تقف مع هذا «رفع عنك»[2] ورفعت لك اللوامح اللوحية ، وخوطبت «بالمخاويف»[3] وتنوعت عليك الحالات ، واقيم لك دولاب «تعاين»[4] فيه صور الإستحالات[5] ، وكيف يصير الكثيف لطيفاً ، واللطيف كثيفاً وما أشبه ذلك .

فإن لم تقف مع هذا رفع لك نور متطاير «الشرر»[6] فتطلب الستر عنه ، فلا تخف ودم على الذكر ، «فإنك إذا دمت»[7] على الذكر لم تصبك آفة .

«فإن»[8] لم تقف معه ، رفع لك نور الطوالع وصورة التركيب الكلي ، وعاينت «آداب الدخول إلى الحضرة الإلهية ، وآداب الوقوف بين يدي الحق ، وآداب الخروج من عنده إلى الخلق ، والمشاهدة»[9] «الدائمة»[10] بالوجوه المختلفة من الظاهر والباطن ، والكمال الذي لا يشعر به كل أحد .

فإن كل ما نقص من الوجه الظاهر . «أخذه»[11] الوجه الباطن ،

---

(١) في نسخة الخزينة «استعداد الذوات» .

(٢) ما بين القوسين ليست في نسخة الخزينة .

(٣) في نسخة الخزينة «بالمخاوف» .

(٤) في نسخة الخزينة «يعاين» ولا أراها صحيحة .

(٥) المقصود بالاستحالات ـ والله تعالى أعلم ـ تحول الشيء في نظرك إلى شيء آخر ، وهو الذي عبر عنه بقوله : ««وكيف يصير الكثيف لطيفاً ، واللطيف كثيفاً» .

(٦) في نسخة الخزينة «شرراً» .

(٧) في نسخة الخزينة «فإذا دمت» .

(٨) في نسخة الخزينة «وإن» بالواو .

(٩) ليس في نسخة الخزينة .

(١٠) في نسخة الخزينة «آداباً دائمة» .

(١١) في نسخة الخزينة «أخله» .

والذات واحدة ، فما ثم نقص .

وكيفية تلقي العلوم الإلهية من الله تعالى ، وما ينبغي أن يكون عليه المتلقي من الاستعدادات ، وآداب الأخذ والعطاء ، والقبض والبسط ، وكيف يحفظ «القلب[1] من الهلاك المحرق ، وإن الطرق كلها مستديرة ، ما ثم[2] طريق خطى[3] »غير ذلك مما تضيق هذه الرسالة عنه .

وإن لم تقف مع هذا كله ، رفع لك «عن»[4] مراتب العلوم النظرية ، والأفكار السليمة ، وصور الأغاليط[5] التي تطرأ على الأفهام .

والفرق بين الوهم وتولد التكوينات : بين عالم الأرواح والأجسام .

وسبب ذلك : التولد وسريان السر الإلهي في عالم العناية[6] .

وسبب من ترك الكون عن مجاهدة وعن لا مجاهدة ، وغير ذلك مما يطول .

«فإن لم تقف مع هذا كله[7]» رفع لك عالم التصوير والتحسين والجمال ، وما ينبغي أن يكون عليه العقول[8] من الصور المقدسة ، والنفوس النباتية ، من حسن الشكل والنظام ، وسريان الضوء[9] واللين

---

(١) ما بين القوسين من نسخة الخزينة .

(٢) في نسخة الخزينة «ماثمة» .

(٣) في نسخة الخزينة «خطأ» وهو خطأ واضح ، لأن الخطى ضد المستدير .

(٤) ما بين القوسين من نسخة الخزينة .

(٥) في نسخة «المغاليط» .

(٦) في نسخة الخزينة «عناية» بدون الألف واللام .

(٧) في نسخة الخزينة «وإن لم تقف مع ذلك» .

(٨) في نسخة الخزينة «القول» .

(٩) في نسخة الخزينة «الفتور» ولعلها الأصح .

والرحمة في الموصوفين بها .

ومن هذه الحضرة يكون الأمداد للشعراء .

ومن التي قبلها يكون الأمداد للخطباء .

فإن لم تقف معه : رفع لك عن مراتب القطبية ، وكل ما شاهدته قبل فهو من عالم اليسار .

وهذا الموضع هو القلب ، فإذا تجلى لك هذا العالم : علمت الإنعكاسات ، ودوام الدائمات ، وخلود الخوالد ، وترتيب الموجودات وسريان الوجود فيها ، وأعطيت الحكم الإلهية[١] والقدرة على حفظها ، والأمانة على تبليغها إلى أهلها ، وأعطيت الرموز والجمال ، والرهب[٢] على الستر ، والكشف .

فإن لم[٣] تقف مع هذا : رفع لك عن عالم الحمية والغضب ، والتعصب ، ونش[٤] الخلاف الظاهر في العالم ، واختلاف الصور وغير ذلك .

فإن لم تقف «مع هذا»[٥] رفع لك عن عالم الغيرة ، وكشف

---

(١) في نسخة الخزينة «الحكم الإلهي» .

(٢) يعني ـ والله تعالى أعلم ـ المحافظة على السر في حالة الفزع ، وذلك الذي أمر به سيدنا موسى في قوله تعالى : ﴿واضمم إليك جناحك من الرهب﴾ فإنه لما فعل ذلك ذهب عنه الخوف .

فائدة :

قال ابن كثير (رحمه الله) عند تفسير هذه الآية : «وربما فعل إذا استعمل أحد ذلك على سبيل الاقتداء ، فوضع يده على فؤاده ، فإنه يزول عنه ما يجد ، أو يخف إن شاء الله وبه الثقة» والله تعالى أعلم .

(٣) في نسخة الخزينة «وإن لم» .

(٤) نش : النش هو صوت غليان الماء ، فيكون المعنى : ظهر صوت الخلاف ، وفي نسخة الخزينة «وتشاهد» .

(٥) في نسخة الخزينة «وإن لم تقف مع ذلك» .

الحق على أتم «وجوهه»[1] ، والأراء السليمة[2] ، والمذاهب المستقيمة ، والشرائع المنزلة .

وترى عالماً قد زينهم[3] الله تعالى من المعارف القدسية بأحسن زينة .

وما من مقام يكشف لك عنه ، إلاّ وهو يقابلك بالتعزيز[4] والتوقير والتعظيم ، ويعرب لك عن مقامه ومرتبته ، من الحضرة الإلهية[5] وبعثك[6] بذاته .

فإن[7] لم تقف معه : رفع لك عن عالم الوقار والسكينة ، والثبات والمكر[8] وغامضات الأسرار ، وما شاكل هذه الفتن .

فإن لم[9] تقف مع هذا رفع لك عن عالم الحيرة والقصور والعجز ، وخزائن الأعمال ، وهو : عليون .

فإن لم تقف عنده : رفع لك عن الجنان ، ومراتب درجاته ، وتداخل بعضه في بعض ، وتفاضل نعيمه[10] وأنت واقف على طريق ضيقه مشرفة[11] على جهنم[12] ، ومراتب دركاتها ، وتداخل بعضها في

---

(١) في نسخة الخزينة «أتم الوجوه» .
(٢) في نسخة الخزينة «والأداء السليم» .
(٣) في نسخة الخزينة «زينه» .
(٤) هكذا في النسختين ، ولعلها بالتعزير بالراء من قوله تعالى : ﴿وتعذروه وتوقروه﴾ .
(٥) في نسخة الخزانة «من حضره إلهية» .
(٦) في نسخة الخزانة «ويعشقك» .
(٧) في نسخة الخزينة «وإن لم» .
(٨) في نسخة الخزانة «والفكر» .
(٩) في نسخة الخزانة «وإن لم» .
(١٠) في نسخة الخزينة «نعيمها» .
(١١) في نسخة الخزينة «طريقة ضيقة» .
(١٢) في نسخة الخزينة «ثم أشرف بك على جحيم» .

بعض ، وتفاضل عذابها[١] .

ورفع لك عن الأعمال الموصلة إلى كل واحدة من الدارين .

فإن لم تقف معه : رفع لك عن أرواح مستهلكة ، في مشهد من مشاهده هم فيه حيارى سكارى ، قد غلب عليهم سلطان الوجد ، فدعاك حالهم .

فإن لم تقف لدعوته : رفع لك نور لا ترى فيه غيرك ، فيأخذك فيه وجد عظيم ، وهيمان شديد ، وتجد فيه من اللذة بالله ما لم تكن تعرفه[٢] قبل ذلك ، ويصغر في «عينك»[٣] كل ما رأيته ، وأنت «تتمايل كالسراج»[٤] .

«فإن»[٥] لم تقف معه ، رفع لك «على»[٦]صور بني آدم ، وستور ترفع ، وستور تنسدل ، و«ليس»[٧] لهم تسبيح مخصوص ، تعرفه إذا سمعته ، فلا تدهش ، وترى صورتك بينهم ، ومنها تعرف وقتك الذي أنت فيه .

فإن لم تقف معه : رفع لك سرير الرحمانية ، وكل شيء ، عليه ، فإذا نظرت في كل شيء ، ترى جميع ما اطلعت عليه فيه ، وزائداً على ذلك ، ولا يبقى علم ولا عين إلاّ وتشاهده فيه . فاطلب عينك في كل شيء .

---

(١) في نسخة الخزينة «وتفاصيل عذابها» .

(٢) في نسخة الخزينة «تعرفها» .

(٣) في نسخة الخزينة «عينك» .

(٤) في نسخة الخزينة «وأنت تمايل فيه تمايل السراج» .

(٥) في نسخة الخزينة «وإن لم» .

(٦) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٧) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

فإذا[١] وقعت عليك فيه : عرفت (أين)[٢] غايتك ومنزلتك ومنتهى رتبتك وأي اسم «هود بك»[٣] وأين حظك من المعرفة والولاية . «و»[٤] صورة خصوصيتك .

فإن لم تقف معه : رفع لك عن أستار كل شيء ومعلمه[٥] ، فعاينت أثره ، وعرفت خيره ، وشاهدت «انتكاسة»[٦] وتلقيه ، وتفصيل مجمله من الملك النوري .

فإن لم تقف معه : رفع لك عن المحرك .

فإن لم تقف معه : «محيت ، ثم غيبت ، ثم أفنيت ، ثم سحقت ، ثم محقت»[٧] حتى إذا انتهت فيك آثار المحو وأخواته[٨] أثبت ، ثم أحضرت ، ثم أبقيت ، ثم غيبت ، فخلعت عليك الخلع التي (تقتضيها)[٩] فإنها تنوع ، ثم ترد على مدرجك[١٠] ، فتعاين كل ما عاينته مختلف الصور ، حتى ترد إلى عالم حسك المقيد الأرضي ، أو تمسك حيث غيبت ، وغاية كل سالك مناسبة لطريقه الذي عليه سلك ، «فمنهم من يناجي بلغته أي لغة كانت»[١١] فإنه وارث لنبي ذلك اللسان ، وهو الذي تسمعه على ألسنة هذه الطريقة : إن فلاناً

---

(١) في نسخة الخزينة «وإذا» .

(٢) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٣) النهور : الوقوع في الشيء بقلة مبالاة، والمعنى ـ والله أعلم ـ أوقفت هذا الموقف الذي لم تتهيأ له من قبل .

(٤) ما بين القوسين من نسخة الخزينة .

(٥) المعلم ـ بفتح الميم وسكون العين ـ الأثر يستدل به على الطريق .

(٦) في نسخة الخزينة «استكانته» .

(٧) في نسخة الخزينة «محيت ، ثم فنيت ، ثم سحقت ، ثم محقت» .

(٨) في نسخة الخزينة «وإخوانه» .

(٩) في نسخة الخزينة «تنقيضها» .

(١٠) المدرجة : الطريق الذي جئت فيه .

(١١) في نسخة الخزينة «فمنهم من يناجي بغير لغته ، وكل من يناجي لغة أي لغة كانت» .

موسوي ، وعيسوي ، وإبراهيمي ، وإدريسي ، ومنهم المناجي بلغتين وثلاث وأربع فصاعداً ، والكامل يناجي بجميع اللغات ، وهو المحمدي خاصة (كأبي عقال)(١) فما دام في (غايته)(٢) فهو الواقع ، ما لم يرجع ، فإن منهم المستهلك في ذلك المقام(٣) . «كأبي عقال وغيره ، وفيه يقبض ويحشر ، ومنهم المردود ، وهو أكمل من الواقف المستهلك ، بشرط أن يتماثلا في المقام ، فإن المستهلك : في مقام أعلى من مقام المردود ، فلا تقول : إن المردود أعلى ، ولكن شرطنا التماثل ، إذ يعيش المردود النازل عن مقام المستهلك حتى يبلغ مرتبة المستهلك ، ويزيد عليه في التداني ، فيزيد عليه في التدلي ، ويفضل عليه في الترقي ، فيفضل عليه في التلقي .

وأما المردودون فهم رجلان : منهم من يرد في حق نفسه ، وهو النازل الذي ذكرناه ، وهذا هو العارف عندنا ، فهو راجع لتكميل نفسه من غير طريقة الذي سلك عليه .

ومنهم من يرد إلى الخلق بلسان الإرشاد والهداية ، وهو : العالم الوارث ، وليس كل عالم ووارث على مقام واحد ، لكن يجمعهم مقام الدعوة ، ويفضل بعضهم على بعض في مرتبته ، كما قال تعالى : ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ فمنهم الداعي بلغة موسى ، وعيسى ، وسام ، ونوح ، وإسحق ، وإسماعيل وإدريس ، وإبراهيم ، ويوسف ، وهارون ، وغيرهم .

وهؤلاء هم الصوفية ،وهم أصحاب أحوال بالإضافة إلى السادة منا .

---

(١) ما بين القوسين من نسخة الخزينة .

(٢) في نسخة الخزينة «غاية» .

(٣) في نسخة الخزينة «فإنه أعلى من المردود ، وأما المردودون فهم رجلان ، منهم من يرد في حق نفسه ، ومنهم من يرد إلى الخلق بلسان الإرشاد والهداية ، وهو العالم الوارث» ثم بعد هذه الجملة «اعلم أن النبوة والولاية» إلى آخره ، وكل ما قرأت بينهما ساقط من نسخة الخزينة .

ومنهم الداعي بلغة محمد (ص) ، وهؤلاء هم الملامية(*) ، أهل التمكين والحقائق .

وإذا دعوا الخلق إلى الله تعالى ، فمنهم من يدعوهم من باب الفناء في حقيقة العبودية ، وهو قوله : ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾ .

ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة العبودية ، وهو الذلة والافتقار ، وما يقتضيه مقام العبودية .

ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة الأخلاق الرحمانية .

ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة الأخلاق القهرية .

ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة الأخلاق الإلهية ، وهو أرفع باب وأجله» .

وأعلم أن النبوة والولاية (يشتركان) في ثلاثة أشياء :

الأول : في العلم ، من غير تعلم كسبي[1] .

والثاني : في الفعل بالهمة فيما جرت به العادة ، أن : لا يفعل إلاّ بالجسم ، أولاً قدرة للجسم عليه .

والثالث : في رؤية عالم الخيال ، في الحس ، ويفترقان بمجرد الخطاب ، فإن مخاطبة الولي غير مخاطبة النبي .

ولا تتوهم أن معارج الأولياء على معارج الأنبياء .

ليس الأمر كذلك ، «لأن المعارج تقتضي أُموراً لو اشتركا فيها

(*) أي الذين يلومون أنفسهم ، اخذت هذه الكلمة من النفس اللوامة .

(١) العلم الكسبي ، هو ما يتلقى عن طريق الطلب والمذاكرة ، وهناك علم وهبي يلقيه الله تعالى في قلب عبد من عباده بغير تلق ولا طلب ، وله شروط ذكرها الله تعالى في قوله : ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ .

بحكم العروج عليها لكان للولي ما للنبي ، وليس الأمر على هذا عندنا وإن اجتمعتا في الأصول ، وهي المقامات ، لأن معارج الأنبياء بالنور الأصلي ، ومعارج الأولياء بما يفيض من النور الأصلي ، وإن جمعهما مقام التوكل فليست الوجوه متحدة ، والفضل ليس في المقام ، وإنما هو في الوجوه ، والوجوه راجعة إلى المتوكلين ، وهذا في كل مآل ومقام من فناء وبقاء وجمع وفرق وإصطلاح وإنزعاج وغير ذلك»[1] .

وأعلم أن كل ولي لله تعالى ، فإنه يأخذ «ما يأخذ»[2] بواسطة روحانية نبيه الذي هو على شريعته «ومن ذلك المقام شهد فمنهم من يعرف ذلك ومنهم من لا يعرفه ويقول قال لي الله وليس غير الروحانية»[3] .

وهنا أسرار لطيفة تضيق هذه الأوراق عنها«لما أردناه من التقريب والاختصار»[4] .

غير أن الأولياء من أمة محمد (عليه الصلاة والسلام) : الجامع لمقامات الأنبياء(عليهم الصلاة والسلام) ، قد يرث الواحد منهم موسى (ع) ، ولكن من النور المحمدي لا من النور الموسوي ، فيكون حاله من محمد (عليه الصلاة والسلام) حال موسى (عليه الصلاة والسلام) منه (ص) ، وربما يظهر من ولي عند موته ملاحظة موسى أو عيسى ، فيتخيل العامي ومن لا معرفة له : أنه قد تهود أو تنصر ، لكونه يذكر هؤلاء الأنبياء عند موته ، وإنما ذلك من قوة المعرفة بمقامه ، والإتصاف : إلاّ القطب ، «فإنه علي»[5] قلب محمد (عليه الصلاة

---

(١) في نسخة الخزانة «فإن معارج الأنبياء بالنور الأصلي ، ومعارج الأولياء بما يفيض من النور الأصلي» .

(٢) ما بين القوسين ساقط من نسخة الخزينة .

(٣) ما بين القوسين ساقط من نسخة الخزينة .

(٤) ما بين القوسين ساقط من نسخة الخزينة .

(٥) في نسخة الخزينة «فإن القطب» .

والسلام) ، وقد لقينا رجالاً على قلب عيسى ، وهو أول شيخ لقيته ، ورجالاً على قلب موسى ، وآخرين على قلب إبراهيم ، وغيرهم (عليهم الصلاة والسلام) .

ولا يعرف ما نذكره إلاَّ أصحابنا .

وأعلم : أن محمداً(عليه الصلاة والسلام) «هو الذي»[1] أعطى جميع الأنبياء والرسل مقاماتهم في عالم لأرواح ، حتى بعث بجسمه (ص) وتبعناه .

وإلتحق «بنا»[2] من الأنبياء في الحكم : من شاهده أو أنزل بعده .

فأولياء الأنبياء الذين سلفوا : يأخذون عن أنبيائهم ، وأنبياؤهم يأخذون عن محمد (ص)[3] وعليهم ، فشاركت الولاية المحمدية الأنبياء في الأخذ عنه .

ولهذا ورد في الخبر «علماء هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل» وقال تعالى فينا : ﴿**لتكونوا شهداء على الناس**﴾ وقال في حق الرسل ﴿**ويوم نبعث من كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم**﴾ فنحن والأنبياء شهداء على أتباعهم ، فاصرف الهمة في الخلوة للوراثة الكلية المحمدية .

«واعلم أن الحكيم الكامل المحقق المتمكن ، هو الذي يعامل كل حالة ووقت بما يليق به ولا يخلط ، وهذه حالة محمد (ص) ، فإنه كان من ربه بقاب قوسين أو أدنى ، ولما أصبح فذكر ذلك للحاضرين لم يصدقه المشركون ، لكون الأثر ما ظهر عليه ، ووافقوه[4] في

---

(١) ما بين القوسين ليس في نسخة الخزينة .

(٢) في نسخة الخزينة «به» .

(٣) لعل في هذا إشارة إلى نزول المسيح (ع) ، فإنه سينزل حاكماً بشريعة سيدنا محمد (ص) ، وذلك ثابت بالقرآن في قوله تعالى : ﴿وإنه لعلم للساعة﴾ أي سيدنا عيسى (ص) .

(٤) يعني : عاندوه وكابروه .

ذلك ، بخلاف غيره حين ظهر عليه الأثر ، فكان يتبرقع ، ولكن لا بد لكل من تأثير الأحوال فيه ، وخلطة العوالم بعضها ببعض ، ولكن ينبغي الترقي من هذا المقام إلى مقام الحكمة الإلهية ، الجارية على قانون المعتاد في الظاهر ، وينصرف خرق العوائد إلى سره ، حتى يرجع له خرق العوائد عادة لاستصحابه ، ولا يزال يقول في (كل) نفس ﴿وقل رب زدني علماً﴾ ما دام الفلك يجري بنفسه ، وليجتهد أن يكون وقته نفسه[1] .

«وإذا ورد عليه وارد الوقت يقبله ، وليحذر من التعشق به ، وبحفظه فإنه يحتاج إليه إذا ربي ، فأكثر الشيوخ إنما أتى عليهم في التربية لما فرطوا في حفظ ما ذكرناه ، وزهدوا فيه زهداً كلياً .

ويطول الوقت ويقصر بحسب حضور صاحبه .

فمنهم من وقته ساعة ، ويوم ، وجمعة ، وشهر ، وسنة ، ومرة واحدة في عمره .

ومن الناس من لا وقت له ، وعلو الشخص يدل على ضيق وقته وقلة علومه ، والذي لا وقت له إنما حرم لحكم بهيميته عليه ، فإن باب الملكوت والمعارف من المحال أن ينفتح وفي القلب شهوة هذا الملكوت .

وأما باب العلم بالله من حيث المشاهدة ، فلا ينفتح وفي القلب لمحة للعالم بأسره : الملك والملكوت .

واعلم أن هذه الأمور الوضعية : إذا سلك الإنسان ـ أعني أقام بها ـ ولم يكن له همة متعلقة بأمر وراءها إلا الجنة خاصة ، فذلك هو العابد : صاحب الماء والمحراب .

كما أن الهمة لو تعلقت بما وراء العبادات من غير الاستعداد

---

(١) بفتح الفاء والسين : يعني لا يضيع نفساً واحداً لأنه وقت .

بها ، لم ينكشف له شيء ، ولا نفعت همته ، بل صاحبها أشبه شيء بمريض سقطت قواه بالكلية ، وعنده الإرادة والهمة للحركة ، والآلة معطلة ، فهل يصل بهمته إلى مطلوبه ؟

فلا بد من الاستعداد على الكمال بالهمة وغيرها ، فإذا وصل إلى عين الحقيقة امتحقت همته ، وليس لحصول البغية ، فتقول : الحاصل لا يبتغي ، وإنما ذلك للمدهش الذي يقع به عند رفع الحجاب ، فإن العلم الذي يحصل له عند المشاهدة يلقى عنده التوجه إلى ما هو فوق ما ظهر في حقه ، لا فيما ظهر ، فإن الظاهر[1] واحد العين ، فإن الوجوه منه غير متناهية ، وهي آثاره فينا ، فلا يزال العالم فينا متعطشاً دائماً أبداً ، والوهب يتعلق به دائماً أبداً»[2] فلمثل هذا فليعمل العاملون ولمثل هذا فليتنافس المتنافسون .

«قال الشيخ(رضي الله عنه) : وضعنا هذه الرسالة بقونية من بلاد اليونان لبعض إخواننا سنة اثنتين وستمائة»[3] .

والحمد لله ربّ العالمين .

ورأيت على نسخة سيدي الملا أليناس متع الله بحياته سائر الناس ، التي بخطه الكريم ما صورته :

«كتبت من نسخة قوبلت على نسخة مقروءة على المصنف» والله أعلم .

وقد نقلت هذه النسخة ، من نسخة سيدي المذكور (أدام الله تعالى مدده) ، آمين .

---

(١) بسكون النون ، والمعنى «وإن كان» .

(٢) من أول قوله «واعلم أن الحكيم الكامل - إلى قوله - فلمثل هذا فليعمل العاملون» ساقط من نسخة الخزينة .

(٣) ما بين القوسين من نسخة الخزينة .

((٦))

عقيدة في التوحيد
أو
عقيدة أهل الاسلام

- تقـديم .
- نص رسالة العقيدة .

تقــديم

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين .

والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم .

وبعــد :

فهـذا كتـاب من كتب ابن عـربي أعثرنـا الله تعـالى عليـه ، وهـو كتاب عقيدة وإيمـان ، أشهد فيـه على نفسه بـأنه يشهـد أن لا إله إلاَّ الله وحـده لا شريـك له ، ويـدين بكـل مـا يـدين بـه المسلمـون من عقيـدة صحيحـة : سالمـة من كـل مـا يشين ويخـدش في الـدين من قـريب أو بعيد .

وقد أعثرني الله تعالى على نسختين بمكتبة الأزهر العامرة :

أحداهما :مطبوعة باسم «عقيـدة أهل الإسـلام» .

والأخرى : مخطوطـة باسم «عقيـدة في التـوحيـد» ونص النسختين واحد إلاّ في بعض كلمات .

والمـطبـوعـة طبعت في مـطبعـة النجـاح ـ رقم : ٣٤١ مجـاميع ١١١٥٩ : ٦٢٤/٣٢٨٠٦ .

ورقم المخطوطة : ٤٠٥٩ خصوصي - ٥٣٣١٨ عمومي [توحيد] فقارنت بينهما وأثبت السقط ، وأصلحت المحرف [مع المحافظة على النص سليماً] والحمد لله .

إلاَّ إنِّي وجدت في المطبوعة مقدمة لم يذكر صاحبها مصدرها ، ولعله وجدها في النسخة التي نقل منها .

وها أنا ذا أثبتها بنصها كما وردت :

[الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، قال الشيخ الإمام العالم العامل محي الدين ، [أبو عبد الله] محمد بن علي بن العربي : هذه رسالة تتضمن ما ينبغي أن يعتقد في العموم ، وهي : «عقيدة أهل الإسلام» ، مسلمة[1] من غير نظر إلى دليل ولا إلى برهان .

فيا إخوتي المؤمنين - ختم الله لنا ولكم بالحسنى - لما سمعت قوله تعالى عن نبيه هود (ع) حين قال لقومه المكذبين به وبرسالته .

﴿إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه﴾[2] .

فأشهد (ع) قومه - مع كونهم مكذبين به - على نفسه بالبراءة من الشرك بالله ، والإقرار بأحديته ، لما علم (ع) أن الله يستوقف عباده بين يديه ، ويسألهم عما هو عالم به ، لاقامة الحجة لهم أو عليهم ، حتى يؤدي كل شاهد شهادته .

وقد ورد أن المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب ويابس[3] ،

---

(١) ولعل الذي طبعها أول مرة أخذ التسمية منها ، والله تعالى أعلم ، وقوله مسلمة : بفتح اللام المشددة : اي سليمة .

(٢) سورة هود؛ الآيتان : ٥٤ ، ٥٥ .

(٣) وقال رسول الله (ص) :

«المؤذن يغفر له مدى صوته ، ويشهد له كل رطب ويابس وشاهد الصلاة يكتب له=

وكل من سمعه .

ولهذا يدبر الشيطان عند الأذان وله حصاص[1] وفي رواية «وله ضراط» ، وذلك حتى لا يسمع نداء المؤذن بالشهادة ، فيلزم أن يشهد له ، فتكون تلك الشهادة له من جملة من يسعى في سعادة المشهود له ، وهو عدو محض ، ليس له إلينا خير البتة . وإذا كان العدو لا بد أن يشهد لك بما أشهدته على نفسك ، فأحرى أن يشهد لك وليك وحبيبك : من هو على دينك وملتك .

وأُخرى أن تشهده أنت على نفسك بالوحدانية والإيمان في دار الدنيا .

فيا إخوتي ، ويا أحبائي : (رضي الله عنكم): أشهدكم عبد ضعيف ، مسكين ، فقير إلى الله تعالى ، في كل لحظة وطرفة ، وهو مؤلف هذا الكتاب ومنشؤه .

أشهدكم على نفسه بعد أن أشهد الله وملائكته ومن حضره من المؤمنين ، ومن سمعه : «أنه يشهد قولاً وعقداً : أن الله إله واحد . . .» الخ .

وأما ما ورد في النسخة المخطوطة فبدايته ما يلي :

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله أجمعين :

أشهدكم ـ بعد أن أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضر من

= خمس وعشرون صلاة ، ويكفر عنه ما بينهما .

[رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي وابن ماجة وابن حبان] .

(١) الحصاص : الضراط وشدة الجري .

الـروحانيين ، وسمعني : أني أشهـد قولاً وعقـداً أن الله إله واحـد] . . . إلى آخره .

وأمـا الـذي كتب النسخـة المخـطوطـة ، فهـو ابن الشيـخ محمـد الـزبيجي (رحمه الله تعالى)، كمـا هـو مكتـوب على هـامش صفحـة من صفحات المخطوطة ، هذا نصها :

[«قوله [كما أن قدرتـه] إلى قولـه [ولا أعوان] سـاقطة من النسخـة الأصليـة ، وقد وضعهـا والدنـا الشيخ محمـد الـزبيجي بهـذا الـوضـع ، ولعلها تكون هي عينها»ا . هـ] .

وقـد ذكرت لـك أوائل النسختين ، حتى لا يـرتـاب مـرتـاب ، ولا يشك شاك ، وأثبتناهما مع الكتاب .

والله المـوفق والهادي إلى سـواء السبيل ، ونسـألـه تعـالى أن يمن علينـا بحسن الخاتمـة ، وأن يظلنـا بـظله ، يـوم لا ظـل إلاَّ ظله : نحن وكل مؤمن يؤمن بيوم الحساب ، آمين .

المحقق

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمد وعلى آله أجمعين .

أشهدكم ـ بعد أن أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضر من الروحانيين ، وسمعني : [إني أشهد قولاً وعقداً] أن الله إله واحد ، لا ثاني له [في ألوهيته][١] منزه عن الصاحبة والولد [مالك] لا شريك له ، ملك لا وزير له ، صانع لا مدبر معه ، موجود بذاته من غير إفتقار إلى موجد يوجده ، بل كل موجود سواه مفتقر إليه في وجوده ، [فالعالم][٢] كله موجود به ، وهو وحده موجود بنفسه[٣] ، لا افتتاح لوجوده ، ولا نهاية لبقائه ، بل وجود مطلق [غير مقيد][٤] مستمر قائم بنفسه ، ليس بجوهر متحيز فيقدر له المكان ، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ، ولا

(١) ليست في المطبوعة .

(٢) في المطبوعة : «والعالم» .

(٣) في المطبوعة : «وهو أوجده ، وهو متصف بالوجود لنفسه» .

(٤) من المطبوعة .

بجسم [فتكون][1] له الجهة والتلقاء[2] ، مقدس عن الجهات والأقطار ، مرئي بالقلوب لا الأبصار[3] .

استوى على عرشه كما قاله ، وعلى المعني الذي أراده ، كما أن العرش وما حواه به استوى[4] .

وله الآخرة والأولى .

ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول[5] .

لا يحده زمان ، ولا يقله مكان .

بل كان ولا مكان ، وهو الآن على ما عليه كان .

خلق المتمكن[6] والمكان ، وأنشأ الزمان ، وقال : أنا الواحد [الحي][7] الذي لا يؤوده حفظ المخلوقات ، ولا ترجع إليه صفة لم [يكن][8] عليها من صنعة المصنوعات .

تعالى أن [تحله][9] الحوادث أو يحلها ، أو [يكون بعدها أو يكون قبلها][10].

بل يُقال «كان ولا شيء معه» ، فإن القبل والبعد من [صيغ][11]

(١) في المطبوعة «فيكون» .
(٢) المقابل .
(٣) في المطبوعة : «مرئي بالقلوب والأبصار إذا شاء» وهي الرؤية في الجنة متعنا الله وكل مسلم بالنظر إلى وجهه الكريم ، و «إذا بمعنى عندما .
(٤) في المطبوعة «كما أن العرش وما سواه به استوى» .
(٥) يعني أن العقل يحيل أن يكون له مثل : سبحانه عن المثيل والشبيه والنظير .
(٦) المتمكن : الجالس في مكان ، وكل خلقه في مكان .
(٧) من المطبوعة .
(٨) في المطبوعة «يكن» .
(٩) في المطبوعة «يحله» .
(١٠) في المطبوعة «أو تكون بعده أو يكون قبلها ، بل » .
(١١) في المطبوعة «صيغ» .

الزمان الذي أبدعه .

فهو القيوم : الذي لا ينام ، والقهار الذي لا يرام .

ليس كمثله شيء ، خلق العرش وجعله حد الاستوى(1) .

وأنشأ الكرسي وأوسعه [الأرض](2) والسماء(3) .

اخترع اللوح والقلم الأعلى ، وأجراه كاتباً بعلمه في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء .

أبدع العالم كله على غير مثال سبق .

وخلق الخلق [وأخلق الذي خلق](4) .

وأنزل الأرواح والأشباح أمناً .

وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلفاً(5) .

وسخر [لها](6) ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه(7) .

[فما](8) تتحرك ذرة إلاّ إليه وعنه ، [خلق الكل من غير حاجة إليه ، ولا موجب أوجب ذلك عليه] .

[و](9) لكن [علمه](10) سبق بأن يخلق [ما خلق](11).

---

(1) أي النهاية ، فإن العرش : نهاية المخلوقات ، لا خلق بعده .

(2) في المطبوعة «للأرض» .

(3) في المطبوعة «والسماوات العلى» .

(4) ما بين القوسين ليس في المخطوطة ، ومعنى اخلق : الذي خلق : أي أذاب ما خلقه .

(5) من قوله تعالى : ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ .

(6) في المطبوعة «لنا» .

(7) قال تعالى : ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ .

(8) في المطبوعة «فلا» .

(9) من المطبوعة .

(10) ليست في المطبوعة .

(11) ليست في المطبوعة .

فهو : الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، وهو على كل شيء قدير .

أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً .

يعلم السر وأخفى .

يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

كيف لا يعلم شيئاً هو[1] خلقه ـ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ـ ؟

علم الأشياء قبل وجودها ، ثم أوجدها على حد ما علمها .

فلم يزل عالماً بالأشياء .

لم يتجدد له علم عند تجدد الأشياء .

[بعلمه أتقن الأشياء] وأحكمها ، وبه حكم عليها من شاء وحكمها .

علم الكليات على الاطلاق ، كما علم الجزئيات [بإجماع أهل النظر][2] الصحيح واتفاق .

فهو عالم الغيب والشهادة ، فتعالى [عما يشركون] .

فعال لما يريد ، فهو المريد [للكائنات][3] في عالم الأرض والسماوات .

لم تتعلق قدرته [تعالى بإيجاد][4] شيء حتى أراده .

---

(١) في المطبوعة «وهو» .

(٢) في المطبوعة «من أهل النظر» .

(٣) في المطبوعة «فهو المريد الكائنات» .

(٤) ليس في المطبوعة .

كما أنه [سبحانه][1] لم يرده حتى علمه ، إذ يستحيل في العقل أن يريد ما [لم][2] يعلم ، أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريده .

[ويستحيل][3] أن [توجد][4] نسب هذه الحقائق في غير حي .

كما يستحيل : أن تقوم الصفات بغير ذات موصوفة بها .

فما في الوجود طاعة ولا عصيان ، [ولا ربح][5] ولا خسران ولا عبد ولا حر ، [ولا برد ولا حر][6] ولا حياة ولا موت ، ولا حصول ولا فوت[7] ولا نهار ولا ليل ، ولا اعتدال ولا ميل ، ولا بر ولا بحر ، ولا شفع ولا وتر ، ولا جوهر ولا عرض ، ولا صحة ولا مرض ، ولا فرح ولا ترح ، ولا روح ولا شبح ، ولا ظلام ولا ضياء ، ولا أرض ولا سماء ، ولا تركيب ولا تحليل ، [ولا قليل ولا كثير][8] ، [ولا غداة ولا أصيل][9] ، ولا بياض ولا سواد ، ولا رقاد ولا سهاد ، ولا ظاهر ولا باطن ، ولا متحرك ولا ساكن ، ولا يابس ولا رطب ، ولا قشر ولا لب ، ولا شيء من هذه النسب : المتضادات [منها][10]والمختلفات والمتماثلات ، إلَّا وهو [مراد للحق تعالى][11] .

وكيف لا يكون مراداً له وهو أوجده ؟؟

---

(١) ليست في المطبوعة .

(٢) في المطبوعة «لم» .

(٣) في المطبوعة «كما يستحيل» .

(٤) في المطبوعة «يوجد» .

(٥) ليست في المطبوعة .

(٦) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٧) الفوت هو : السبق .

(٨) في المطبوعة «ولا كثير ولا قليل» .

(٩) ليست في المطبوعة .

(١٠) ما بين القوسين من المطبوعة .

(١١) في المطبوعة «مراد الله تعالى»

[أم] [1] كيف يوجد المختار ، ما لا يريد .

لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ويهدي من يشاء ، ويضل من يشاء .

ما شاء كان ، وما لم يشأ [أن يكون] [2] : لم يكن .

لو أجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئاً لم يرد الله تعالى أن يريدوه : ما أرادوه [3] أو يفعلوا شيئاً : لم يرد الله تعالى إيجاده وأرادوه عند ما أراد منهم أن يريدوه : ما فعلوه [ولا استطاعوا ذلك] [4] ولا أقدرهم عليه .

فالكفر والإيمان ، والطاعة والعصيان بمشيئته [5] وحكمه وإرادته .

ولم يزل سبحانه موصوفاً [بالإرادة] [6] أزلا والعالم معدوم غير موجود ، وإن كانّ ثابتاً [في علم غيبه] [7] .

ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدبر عن جهل [أو عدم علم] [8] فيعطيه التفكر والتدبر علم ما جهل : جل وعلا عن ذلك .

بل أوجده عن العلم [السابق] [9] وتعيين الإرادة المنزهة الأزلية القاضية على العالم بما أوجدته عليه من : زمان ، ومكان ، وأكوان ،

---

(1) في المطبوعة «وكيف» .

(2) من المطبوعة .

(3) في المطبوعة «لم يرد الله إيجاده وأرادوه عندما أراد منهم أن لا يريدون ما فعلوه» .

(4) في المطبوعة «ولا استطاعوا على ذلك» .

(5) في المطبوعة «من مشيئته» .

(6) في المطبوعة : «بهذه الإرادة» .

(7) في المطبوعة «في العلم في عينه» وهو خطأ محض ، والصحيح ما هو مثبت من المخطوطة .

(8) ما بين القوسين من المطبوعة .

(9) ليست في المطبوعة .

وألـوان ، فلا مريد [في الوجود على][١] الحقيقـة سواه ، إذ هـو القـائـل سبحانه : ﴿وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله﴾ .

وإنــه سبحـانــه ، كمــا علم فــأحكم ، وأراد فخصص ، وقــدر فأوجد : كـذلك نسمـع ، ورأى ما تحـرك أو سكن ، أو نطق في الـورى من العالـم الأسفل والأعلى .

لا يحجب سمعه البعد ، فهو القريب .

ولا يحجب بصره القرب ، فهو البعيد .

يسمـع كـلام النفس في النفس ، وصـوت الممـاسـة الخفيـة عنـد اللمس ، ويرى السواد في الظلمات ، والماء في الماء .

لا يحجبـه الامتزاج و [لا] الـظلمات[٢] ولا النـور ، وهـو السميـع البصير .

تكلم ـ سبحــانــه ـ لا [عن صمـت مقــدم ولا عــن سكــوت][٣] متـوهم : بل بكـلام قديم أزلي كسـائر صفـاته ، من : علمـه ، وإرادتـه [وقدرته][٤] .

كلم به موسى (عليه الصلاة والسلام) .

سماه : التنزيـل والزبـور والتوراة والإنجيـل ، من غير حـروف ولا أصـوات ولا نغم ، [ولا لغـات][٥] بـل هـو خـالق الأصـوات والحـروف واللغات ، فكلامه ـ سبحانه ـ من غير [لاهات][٦] ولا لسان .

---

(١) في المطبوعة «في الوجود وعلى الحقيقة» .

(٢) في المطبوعة : «والظلمات» .

(٣) في المطبوعة «من صمت متقدم ولا سكوت» .

(٤) ليست في المطبوعة .

(٥) في المطبوعة «ولا نغمات» .

(٦) في المطبوعة «لهاة» واللهاة : اللحمة التي في آخر الفم وأول الحلق .

كما أن سمعه من غير أصمخة ولا آذان .

كما أن بصره من غير حدقة ولا أجفان .

كما أن إرادته من غير قلب ولا جنان [١] .

[كما أن قدرته من غير تركيب في ذاته ، ولا آلات ، ولا أعوان] [٢] .

كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان .

[كما أن حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الأركان [٣]] .

كما أن ذاته لا تقبل الزيادة ولا النقصان .

فسبحانه : [سبحان] من بعيد دان ، عظيم السلطان ، عميم الاحسان ، جسيم الامتنان كل ما سواه فهو من جوده فائض [و] [٤] فضله وعدله الباسط له [و] [٥] القابض ، أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه ، لا شريك له في ملكه ، [ولا مدبر له في ملكه] [٦] .

إن أنعم [فنعم] [٧] فذلك فضله .

وإن [ابتلى] [٨] فعذب فذلك عدله .

لم يتصرف في ملك غيره ، فينسب [للجور] [٩] والحيف .

---

(١) جنان : بفتح الجيم .

(٢) قال ناسخه : «كما أن قدرته» إلى قوله «ولا أعوان» : ساقطة من النسخة الأصلية ، وقد وضعها والدنا الشيخ محمد الزبيجي بهذا الوضع ، ولعلها تكون هي عينها» ! .هـ انتهى من هامش المخطوطة .

(٣) ساقط من المطبوعة .

(٤ ، ٥ ، ٦) ليس في المطبوعة .

(٧) في الأصل : بتشديد العين المفتوحة ، أي فجعله نعيماً متواصلاً .

(٨) في المطبوعة «فابلى» .

(٩) في المطبوعة «فينسب إلي» .

ولا يتوجه عليه لسواه حكم ، فيتصف بلجزع لذلك والخوف .

كل ما سواه [تحت سلطان قهره][1] ومتصرف عن إرادته وأمره .

فهو الملهم نفوس المكلفين التقوى والفجور ، وهو المتجاوز عن سيئات من شاء ، والأخذ بها ممن شاء : هنا وفي يوم النشور .

لا يحكم عدله في فضله ، ولا فضله في عدله .

أخرج العالم قبضتين ، وأوجد لهم منزلتين فقال : هؤلاء للجنة ولا أبالي ، وهؤلاء للنار ولا أبالي ، ولم يعترض عليه معترض هناك ، [إذ لا موجود كان ثم سواه][2] .

[فالكل][3] تحت تصريف [أسماء آلائه][4] .

فقبضة تحت أسماء بلائه .

وقبضة تحت أسماء آلائه .

ولو أراد ـ سبحانه ـ أن يكون العالم كله سعيداً لكان ، [أو شقياً لكان] [5] .

لكنه ـ سبحانه ـ لم يرد ، فكان كما أراد ، فمنهم السعيد ومنهم الشقي ، هنا وفي [يوم][6] المعاد .

فلا سبيل إلى تبديل ما حكم عليه القديم ، و[قد][7] قال تعالى في الصلوات «هن خمس وهن خمسون : ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد» [لتصريفي][8] في ملكي ، وانفاذ مشيئتي في ملكي .

---

(١) في المطبوعة «تحت قهره سلطان» .

(٢) في المطبوعة «فقال إذ لا موجود ثم سواه هيا» وهو كلام لا معنى له .

(٣) في المطبوعة «كل» .

(٤) في المطبوعة «تحت تصريف أسمائه آلائه» .

(٥) في المطبوعة «أو شقياً لما كان من ذلك في شأن» .

(٦ ، ٧) ليست في المطبوعة .

(٨) في المطبوعة «لتصرفي» .

وذلك لحقيقة عميت عنها [البصائر والأبصار][1] ، ولم تعثر عليها الأفكار ، و[لا][2] الضمائر ، إلاّ بوهب إلهي وجود رحماني لمن اعتنى [الله][3] به من عباده ، وسبق له ذلك [في حضرة إشهاده][4] فعلم حين أعلم [أن الألاهية][5] أعطت هذا التقسيم ، وإنه من [رقائق][6] القديم .

فسبحان من لا فاعل سواه ، ولا موجود [بذاته][7] إلاّ إياه - والله خلقكم وما تعملون - لا يسأل عما يفعل وهم يسألون - ولله الحجة البالغة ، فلو شاء لهداكم أجمعين .

وكما أشهدت الله [سبحانه وتعالى][8] وملائكته [وجميع خلقه][9] وإيّاكم [على نفسي بتوحيده ، فكذلك أشهده سبحانه وتعالى وملائكته وإيّاكم على نفسي بالإيمان بمن اصطفاه][10] واختاره واجتباه [من جوده][11] وذلك : سيدنا [ومولانا][12] محمد (ص) الذي أرسله إلى جميع الناس كافة ﴿بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾ فبلغ (ص) ما أنزل إليه من ربه ، وأدى أمانته ، ونصح امته ، ووقف

---

(١) في المطبوعة «الأبصار والبصائر» .
(٢) ليست في المطبوعة .
(٣) ليس في المطبوعة .
(٤) في المطبوعة «برحمة أشهاده» .
(٥) في المطبوعة «أن الألوهة» .
والالاهية : صفة لموصوف محذوف تقديره «الحكمة» .
(٦) في المطبوعة «دقائق» .
(٧) في المطبوعة «لنفسه» .
(٨) في المطبوعة «الشهادة الثانية» .
(٩) ليست من المطبوعة .
(١٠) من المطبوعة .
(١١) في المطبوعة «وإياكم بالإيمان بمن اصطفاه» .
(١٢) من المطبوعة .

في حجة وداعه على كل من حضر من أتباعه فخطب وذكر ، وخوف وحذر وبشر ، وأنذر ، ووعد ، و[أوعد] [١] ، وأمطر وأرعد ، وما خص بذلك التذكير [أحداً دون أحد] [٢] عن إذن الواحد الصمد ، ثم قال : [ألا هل [٣] بلغت] ؟ فقالوا بلغت [٤] يا رسول الله ، فقال (ص) : اللّهم أشهد .

وإني مؤمن بكل ما جاء به (ص) ، ما علمت به وما لم أعلم ، مما جاء به [و] قرر : أن [٥] الموت عن أجل مسمى عند الله ، إذا جاء لا يؤخر ، فأنا مؤمن بهذا إيماناً لا ريب فيه ولا شك .

كما آمنت وأقررت أن سؤال فتاني القبر حق ، وعذاب القبر حق ، وبعث الأجساد من القبور حق ، والعرض على الله حق ، والحوض حق ، والميزان حق [٦] [وتطاير الصحف حق] [٧] والصراط حق ، والجنة حق ، والنار حق ، وفريق في الجنة حق ، وفريق في السعير حق ، [وكرب ذلك اليوم على طائفة حق] ، وطائفة أخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر حق ، وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين [حق] [٨] وإخراج أرحم الراحمين من النار من شاء [بالشفاعة] [٩] حق ، [وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون النار ، ثم يخرجون منها بالشفاعة] [١٠] والامتنان حق ، والتأييد للمؤمنين في النعيم المقيم [في

---

(١) ليست في المطبوعة .

(٢) في المطبوعة «أحداً من أحد» .

(٣) هل ، بمعنى «قد» وليست حرف استفهام كما يتبادر إلى الأذهان .

(٤) وليس هذا جواباً عن استفهام ، وإنما هو تقرير واقع بدليل أنه (ص) كان برفع أصبعه إلى السماء ، ثم ينكتها إليهم .

(٥) ضمير قرر : راجع إلى حضرة النبي (ص) ، «والو و» من المطبوعة .

(٦) من المطبوعة .

(٧) في المطبوعة «وكرب ذلك اليوم حق على طائفة» .

(٨) ليست في المطبوعة .

(٩) في المطبوعة «بعد الشفاعة من النار» .

(١٠) ليس في المطبوعة .

الجنان][1] حق ، والتأييد للكافرين والمنافقين في العذاب الأليم حق[2] ، وكل ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله تعالى : علم أو جهل : حق[3] .

فهذه شهادتي على نفسي ، أمانة عند كل من وصلت إليه أن يؤديها إذا سألها حيث [ما][4] كان ، [نفعني][5] الله وإياكم بهذا الإيمان ، وثبتنا [عليه][6] عند الانتقال من هذه الدار إلى دار الحيوان[7]، [وأدخلنا] دار الكرامة والرضوان وحال بيننا وبين دار [سرابيلها من قطران][8]، [وجعلنا من الجماعة التي أخذت الكتب بالإيمان][9] ، وممن انقلب من الحوض وهو ريان ، وثقل له الميزان [وثبت منه على الصراط][10]القدمان [إنه المحسن المنان][11] .

و﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾[12] .

تمت

بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

---

(1) من المطبوعة .

(2) في المطبوعة «والتأييد لأهل النار في النار حق» .

(3) ليست في المطبوعة .

(4) في المطبوعة «نفعنا» .

(5) ليست في المطبوعة .

(6) لقوله تعالى : ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ أي الحياة الدائمة .

(7) في المطبوعة «وأحلنا» .

(8) في المطبوعة «سرابيلها القطران» .

(9) في المطبوعة «وجعلنا من الذين أخذوا الكتب بالإيمان» .

(10) في المطبوعة «وثبت له على الصراط» .

(11) في المطبوعة «أنه المنعم المحسان» .

(12) جاء في آخر المطبوعة :

[فهذه عقيدة العوام من أهل الإسلام : أهل التقليد ، وأهل النظر ، ملخصة مختصرة ، والحمد لله وحده ، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم] .

(٧)

شجـرة الكـون

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الأحدي الذات ، الفردي الصفات ، الذي تقدس وجهه عن الجهات ، وقدسه عن المحدثات ، وقدمه عن الجهات ، ويده عن الحركات ، وعينه عن اللحظات ، واستواؤه عن الإتصالات ، وقدرته عن الهفوات ، وإرادته عن الشهوات .

الذي لا تعدد لصفاته بعدد الموصوفات ، ولا تختلف إرادته باختلاف المرادات ، وكون بكلمة «كن» جميع الكائنات ، وأوجد بها جميع الموجودات .

فلا موجود إلاَّ مستخرج من كنهها المكنون ، ولا مكنون ، إلاَّ مستخرج من سرها المصون ، قال الله تعالى : **﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾**(١) .

وبعد : فإني نظرت إلى الكون وتكوينه ، وإلى المكنون وتدوينه ، فرأيت الكون كله شجرة ، وأصل نورها(٢) من حبة «كن» قد لقحت كاف الكونية ، بلقاح حبة : ـ نحن خلقناكم ـ فانعقد من ذلك

(١) سورة النحل ؛ الآية : ٤٠ .

(٢) النور : بفتح النون المشددة ، زهر الشجر .

البـزر ثمـرة ﴿أنـا كـل شيء خلقنـاه بقـدر﴾ ، وظهـر من هـذا غصنـان مختلفـان أصلهما واحـد ، وهو الإرادة ، وفـرعمهما القـدرة ، فظهـر عن جـوهر الكـاف معنيـان مختلفـان ، كـاف الكمـاليـة ﴿اليـوم أكملت لكم دينكم﴾ ، وكاف الكفرية ﴿فمنهم من آمن ومنهم من كفر﴾ .

وظهـر جوهـر النون «نـون النكرة ونـون المعرفـة» فلما أبـرزهم من كن[1] العدم على حكم مراد القـدم ، رش عليهم من نوره[2] ، فـأما من أصابه ذلك النور فحدق[3] إلى تمثال شجرة الكون المستخـرجة من حبـة «كن»[4] ، فلاح له في سر كافهـا تمثال﴿كنتم خيـر أمة﴾ واتضـح له في شرح لونها ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ .

وأمـا من أخطأه ذلـك النور ، فـطولب بكشف المعنى المقصود من حـرف «كن» ، فغلط في هجـائـه وخـاب في رجـائـه ، فنــظر إلى مثـال كن ، فظن أنها كاف كفرية ، بنون نكرة ، فكان من الكافرين .

وكــان حظ كــل مخلوق من كلمــة «كن» : مــا علم من هجــاء حروفها ، ومـا شهد من سـرائر خفـائها ، دليله قـوله (ص) «إن الله خلق خلقـه في ظلمـة ، ثم رش عليهم من نوره، فمن أصـابــه ذلـك النــور اهتدى ، ومن أخطاه ذلك النور : ضلّ وغوى» .

---

(١) بكسر الكاف وتشديد النون .

(٢) لحديث رسول الله (ص) القائل : «إن الله خلق الخلق ، فـألقى عليهم من نوره ، فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ، ومن أخطأه ضل» وسيورده المصنف بعد قليل .
والحديث رواه الإمام أحمد والترمذي ، والحاكم .

(٣) بمعنى نظر ، والضمير راجع إلى من أصابه النور .

(٤) لأن الله تعالى خلق ويخلق بـ «كن فيكون» لقوله تعالى : ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردنا أن نقول له كن فيكون﴾ .

وقوله(رضي الله عنه) من«حبة كن» من باب التشبيه ، لأن أصل الشجر من حبـة تلقى في الأرض فتنبت .

فلما نظر آدم إلى دائرة الوجود ، فوجد كل موجود دائراً في دائرة الكون : واحد من نار ، وواحد من طين .

ثم رأى هذه الدائرة على سرائر «كن» ، فكيفما دار واستدار وحيثما طار واستطار ، فاليها يؤول ، وعليها يجول ، ولا يزول عنها ولا يحول .

فواحد شهد كاف الكمالية ، ونون المعرفة .

وواحد شهد ، كاف الكفرية ، ونون النكرة .

فهو على حكم ما شهد ، راجع إلى نقطة دائرة «كن» .

وليس للمكون أن يجاوز ما أراده المكون(١) .

فإذا نظرت إلى اختلاف أغصان شجرة الكون ، ونوع ثمارها ، علمت أن أصل ذلك ناشيء من حبة «كن» ، بائن عنها .

فلما أدخل آدم في مكتب التعليم ، وعلم الأسماء كلها ، نظر إلى مثال «كن» ، ونظر إلى مراد المكون من المكون ، فشهد المعلم من كاف «كن» : كاف الكنزية «كنت كنزاً مختفياً لا أعرف ، فأحببت أن أعرف» فنظر من سر النون : نون الأنانية **﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا﴾** الآية .

فلما صح الهجاء ، وحقق الرجاء : استنبط له من كاف الكنزية كاف التكريم ـ ولقد كرمنا بني آدم ـ وكاف الكنتية : «كنت له سمعاً وبصراً ويداً» واستخرج له من نون الانانية : نون النورية ـ وجعلنا له نوراً ـ واتصلت بها نون النعمة ، **﴿وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾** .

وأما إبليس (لعنه الله)، فإنه مكث في مكتب التعليم أو بعين ألف عام : يتصفح حروف «كن» ، وقد وكله المعلم إلى نفسه ، وأحاله

---

(١) الأولى بفتح الواو المشددة ، والثانية بكسرها .

على حوله وقوته ، فكان ينظر إلى تمثال «كن» ، ليشهد من تمثالها كاف كفره ، فتكبر - فأبى واستكبر - ويشهد من نونها : نون ناريته ﴿خلقتني من نار﴾فاتصلتكاف كفريته بنون ناريته - فكبكبوا فيها - .

فلما نظر آدم إلى اختلاف هذه الشجرة ، وتنوع أزهارها وثمارها ، فتثبت بغصن - إني أنا الله - فنودي : كل من ثمار التوحيد ، واستظل بظل التفريد - ولا تقربا - .

فأراد إبليس : أن يوصله بغصن - فوسوس لهما - - فأكلا منها - فزلقا في مزالق - وعصى - واستمسك بغصن ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ فتدلت عليه ثمار - فتلقى - فلما نودي يوم الأشهاد ، على رؤوس الأشهاد - ألست بربكم - فشهد كل على مقدار ما شهد ، وسمع ، ثم اتفق الكل في الايجاب ، فقالوا - بلى - لكن الاختلاف وقع من حيث الاشهاد ، فمن أشهده جمالية ذاته شهد أنه ﴿ليس كمثله شيء﴾ ومن أشهده جمالية صفاته : شهد : أنه ﴿لا إله إلاَّ هو الملك القدوس﴾ ومن أشهده عرائس مخلوقاته ، اختلفت شهاداتهم ، لأختلاف المشهود ، فقوم جعلوه محدوداً ، وقوم جعلوه معدوماً ، وقوم جعلوه حجراً جلموداً ، والكل في ذلك على حكم ﴿قل لن يصيبنا﴾ وهو مستبطن في سر كلمة «كن» ، دائر على نقطة دائرتها ، ثابت على أصل حبتها .

فلما كانت هذه الحبة برز شجرة الكون ، وبرز ثمرتها ، ومعنى صورتها ، أحببت أن أجعل للمكنون مثالاً وللموجود تمثالاً ، ولما ينتج فيه من الأقوال والأفعال والأحوال منوالاً ، فمثلت شجرة نبتت عن أصل حبة «كن» ، وكل ما يحدث في الكون من الحوادث ، كالنقص والزيادة والغيب والشهادة ، والكفر والإيمان ، وما تثمر من الأعمال ، وزكاة الأحوال ، وما يظهر من أزاهير القول ، والتوق[1] والذوق ، ولطائف

(١) من تاق ، بمعنى اشتاق .

المعارف ، وما تورق به من قربات المقربين ، ومقامات المتقين ، ومنازلات الصديقين ، ومناجاة العارفين ، ومشاهدات المحبين ، كل ذلك من ثمرها الذي أثمرته ، وطلعها الذي أطلعته .

فأول ما أنبتت هذه الشجرة التي هي حبة «كن» : ثلاثة أغصان :

أخذ غصن منها ذات اليمين ، فهم أصحاب اليمين .

وأخذ غصن منها ذات الشمال[1] .

ونبت غصن منها معتدل القامة ، على سبيل الاستقامة ، فكان منه السابقون المقربون .

فلما ثبت واستعلى ، جاء من فرعها الأعلى ـ وجاء من فرعها الأدنى : عالم الصورة والمعنى ، فما كان من قشورها الظاهرة ، وستورها البارزة ، فهو عالم الملك ، وما كان من قلوبها الباطنة ، ولباب معانيها الخافية ، فهو عالم الملكوت .

وما كان من الماء الجاري في شريانات عروقها ، الذي حصل به نموها وحياتها وسموها ، وبه طلعت أزهارها ، واينعت ثمارها ، فهو عالم الجبروت ، الذي هو سر كلمة «كن» .

ثم أحاط بالشجرة حائط ، وحد لها حدود ، ورسم لها رسوم .

فحدودها الجهات ، وهن : العلو ، والسفل ، واليمين ، والشمال ، ووراء ، وأمام .

فما كان أعلى فهو حدها الأعلى ، وما كان أسفل فهو حدها الأسفل .

---

(١) لعل هنا سقطا تقديره : (فهم أصحاب الشمال) .

وأما رسومها ، وما فيها من الأفلاك والأجرام والأملاك والأحكام والآثار والأعلام ، فجعل السبع الطباق بمنزلة منا يستظل به من الأوراق .

وجعل الكواكب في الأشراق بمنزلة الأزهار في الآفاق .

وجعل الليل والنهار بمنزلة رداءين مختلفين: أحدهما أسود يرتدي به ، ليحتجب عن الأبصار ، والآخر أبيض يرتدي به ليتجلى على ذوات الاستبصار .

وجعل العرش بمنزلة بيت مال هذه الشجرة ، وخزانة سلاحها ، فمنه يستمد ما فيه صلاحها ، وفيه سواس هذه الشجرة وخدمها ـ ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾ إليه يتوجهون ،وعليه يعولون، وحوله يحومون، وبه يطوفون ، وحيثما كانوا ، فإليه يشيرون .

فمتى حدث في أشجرة حادثة ، أو نزل بشيء منها نازلة ، رفعوا أيدي المسألة والتضرع إلى جهة عرشه ، يطلبون الشفاء ، ويستعفون عن الخطأ ، لأن موجد هذه الشجرة : لا جهة إليه يُشار إليها ، ولا أينية له يقصدونها ولا كيفية له يعرفونها .

فلو لم يكن العرش جهة يتوجهون إليه للقيام بخدمته ، ولأداء طاعته ، لضلوا : طلبهم .

فهو سبحانه وتعالى إنما أوجد العرش أظهاراً لقدرته ، لا محلاً لذاته .

وأوجد الوجود ، لا لحاجة له به ، وإنما هو إظهار لاسمائه وصفاته ، فإن من أسمائه : الغفور ، ومن صفاته المغفرة ، ومن أسمائه الرحيم ، ومن صفاته : الرحمة : ومن أسمائه الكريم ، ومن صفاته : الكرم ، فاختلف أغصان هذه الشجرة ، وتنوعت ثمارها ليظهر سر مغفرته للمذنب ، ورحمته للمحسن ، وفضله للطائع ، وعدله

للعاصي ، ونعمته للمؤمن ، ونقمته على الكافر .

فهو مقدس في وجوده عن ملامسة ما أوجده ، ومجانبته ومواصلته ، لأنه كان ولا كون ، وهو الآن كما كان[1] لا يتصل بكون ، ولا ينفصل عن كون ، لأن الوصل والفصل من صفات الحدوث ، لا من صفات القدم ، لأن الإتصال والإنفصال يلزم منه الإنتقال والإرتحال ، ويلزم من الانتقال والارتحال : التحول والزوال ، والتغير والاستبدال ، هكذا كله من صفات النقص ، لا من صفات الكمال ، فسبحانه : سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً .

ثم جعل اللوح والقلم ، بمنزلة كتاب الملك ، وما يسطر فيه من أحكامه ، وما حكم بنقضه وإبرامه ، وإيجاده واعدامه ، وما يخرج من بره وأنعامه ، وما يكون من ثوابه وانتقامه .

ثم جعل سدرة المنتهى بمنزلة غصن من أغصان هذه الشجرة ، بقوم تحتها من يقوم بخدمته ، وينفذ أحكامه ، ويرفع إليه ما يحمل من ثمرة هذه الشجرة وما يدانيها .

ثم يتلقى هناك من نسخة كتاب الملك ، الذي هو اللوح المحفوظ ، وما يحدث في هذه الشجرة من محو وإثبات ، ونقص وزيادة ، فلا يتجاوز تلك الشجرة ، إذ لكل واحد منهم حد مفهوم ، وحظ مقسوم ، ورسم مرسوم **﴿وما منا إلاّ له مقام معلوم﴾** ولا يرفع شيء من ثمرة هذه الشجرة ، من دني أو سني ، أو صغير أو كبير ، أو جليل أو حقير ، أو قليل أو كثير ، إلاّ ختم عليه في كتاب **﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها﴾** ثم يأمرهم الملك أن يدفعوا إلى إحدى خزانتيه اللتين أدخرهما لثمرة هذه الشجرة ، وهما : الجنة والنار .

---

(١) قال رسول الله (ص) . «كان الله ولا شيء معه» رواه مسلم والبخاري ، ونافع بن زيد الحميري بألفاظ مختلفة والمعنى واحد .

فما كان من ثمر طيب ، ففي خزانة الجنة ﴿كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين﴾ .

وما كان من ثمر خبيث ففي خزانة النار ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين﴾ .

فأما الجنة فدار أصحاب اليمين ﴿من جانب الطور الأيمن من الشجرة المباركة﴾ الطيبة[1] .

وأما النار فدار أصحاب الشمال ، من الشجرة الملعونة في القرآن .

ثم جعل الدنيا مستودع زهرتها ، والآخرة مستقر ثمرتها ، وأحاط على هذه الشجرة حائط إحاطة القدرة ﴿والله بكل شيء محيط﴾ وأدار عليها دائرة الإرادة ﴿يفعل ما يشاء ويحكم ما يريده﴾ .

فلما ثبت أصل هذه الشجرة ، وثبت فرعها : التقي طرفاها ، ولحق أخراها بأولاها ﴿إلى ربك منتهاها﴾ إلى مبتداها ، لأن من كان أوله «كن» كان آخره «يكون» ، فهي وإن تعددت فروعها ، وتنوعت زروعها ، فأصلها واحد ، فهي حبة كلمة «كن» وسيكون آخرها واحداً وهي كلمة «يكون» .

فلو أحدقت ببصر بصيرتك لرأيت أغصان شجرة طوبى ، معلقة بأغصان شجرة الزقوم ، و برد نسيم القرب ، يمازج حر السموم ، وظل سماء الوصل متصل بـ ﴿ظل من يحموم﴾ وقد تناول كل حظه المقسوم .

فواحد يشرب بكأسه المختوم[2] .

---

(١) شجرة لا إله إلاّ الله .

والشجرة الملعونة هي شجرة الشرك وثمرها الزقوم ، والعياذ بالله .

(٢) لقوله تعالى : ﴿من رحيق مختوم﴾ .

وواحد يشرب بكأسه المحتوم[1] .

وواحد من بينهم محروم .

فلما برزت أطفال الوجود ، من حضرة العدم ، هبت عليهم نسمات القدرة ، وغذتها لطائف الحكمة ، وأمطرتها سحائب الإرادة ، بعجائب الصنع ، فأنبت كل غصن منها ما سبق له في القدم ، وركب في عنصره من الصحة والسقم .

والكون كله من عنصرين ، مستخرجين من جزءين من كلمة «كن» ، وهما : الظلمة والنور .

فالخير كله من النور .

والشر كله من الظلمة .

فملأ الملائكة موجود من عنصر النور[2] ، فكان منهم الخير **﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾** .

وملأ الشياطين من عنصر الظلمة ، فكان منهم الشر .

وأما آدم وبنوه ، فإنهم جعلت طينتهم من الظلمة والنور ، وركب عنصره من الخير والشر ، والنفع والضر ، وجعلت ذاته قابلة للمعرفة والنكرة[3] ، فأي جوهر غلب عليه نسب إليه .

فإن علا جوهر نوره على جوهر الظلمة ، وظهرت روحانيته على جسمانيته ، فقد فضل على الملك ، وعلا على الفلك .

وإن غلب جوهر ظلمته على جوهر نوره ، وظهرت جسمانيته

---

(١) كأس العذاب ، كفانا الله شره .

(٢) قال رسول الله (ص) : «خلقت الملائكة من نور ﴿وخلق الجان من مارج من نار﴾ ، وخلق آدم مما وصف لكم» رواه الإمام أحمد ومسلم (رضي الله عنهما) .

(٣) بضم النون المشددة .

على روحانيته ، فقد فضل على الشيطان[1] .

فلما قبض الله آدم من قبضة تراب «كن» ، مسح على ظهره - حتى يميز الخبيث من الطيب - فاستخرج من ظهره من كان من أصحاب اليمين ، فأخذوا ذات اليمين ، واستخرج من ظهره من كان من أصحاب الشمال ، فأخذوا ذات الشمال .

وما زاغ أحد عن المراد وما مال .

ومن قال : لم ؟ فقد أخطأ في السؤال [2] .

فأول من عمل حوالي هذه الشجرة إلى أصل حبة «كن» فاعتصر صفوة عنصرها ، ومخضها[3] حتى بدت زبدتها ، ثم صفاها بمصفاة الصفوة ، حتى زال وخمها[4] ، ثم ألقى عليها من نور هدايته حتى ظهر جوهرها ، ثم غمسها في بحر الرحمة ، حتى عمت بركتها ، ثم خلق منها نور نبينا محمد (ص) ، ثم زين بنور الملأ الأعلى حتى أضاء وعلا ، ثم جعل ذلك النور : أصلاً لكل نور ، فهو أولهم في المسطور[5] وآخرهم في الظهور[6] وقائدهم في النشور ، ومبشرهم بالسرور[7] ، ومتوجهم بالحبور ، فهو مستودع في ديوان الأنس ، مستقر في رياض الأنس[8] .

---

(١) أي زاد عليهم في الفساد .

(٢) أي من قال : لم فعل الله ذلك ؟

سبحانه لا يسأل عما يفعل .

(٣) مخفض الشيء : استخرج خلاصته .

(٤) الوخم : القذر .

(٥) ما سطر وهو معنى : التقدير .

(٦) الايجاد الفعلي .

(٧) للحديث الذي ورد فيه : «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا ايسو . لواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ، ولا فخر» رواه الترمذي .

(٨) الأولى بكسر الهمزة لأنه من بني آدم ، والثانية بضم الهمزة من الإيناس . اللّهم أجعلنا =

وحضرة الأنس ، ستر معنى روحانيته بستر جسمانيته ، وغطى عالم شهوده بعالم وجوده ، فهو مستخرج في الكون ، مستنبط لأجله الكون ، وذلك أن الله تعالى كون الأكوان إقتدارا عليها لا إفتقاراً إليها ، وكمال حكمته في التكوين ، لأظهار شرف الماء والطين ، فإنه أوجد ما أوجد ، ولم يقل في شيء من ذلك : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ وكان وجود الأدمي ، فكانت حكمته في وجود الآدمي لإظهار شرف النبي (ص) ، لأنه حكمة الأجساد لاستخراج ناف الكنزية «كنت كنزاً مخفياً لا أعرف» فكان المقصود في الوجود ، معرفة موجدهم سبحانه ، وكان المخصوص بأتم المعارف : قلب سيدنا محمد (ص) ، لأن معارف الكل كانت تصديقاً وإيماناً ، ومعرفته (ص) مشاهدة وعياناً .

وبنور معرفته (ص) تعرفوا ، وبفضله عليهم اعترفوا ، فاستخرجه من لباب حبة «كن» ﴿كزرع أخرج شطأه فآزره﴾ بصحابته ﴿فاستغلظ﴾ بقرابته ﴿فاستوى على سوقه﴾ بصحة ذوقه وقوة توقه وشوقه .

فلما ظهر هذا الغصن المحمدي ، وسما : أورق عوده ونما ، وأنهل عليه سحاب القبول وهمي ، وتباشر بظهوره الحدثان ، وبشر بوجوده الثقلان ، وتعطرت بقدومه الأكوان ، وانتكست بمولده الأوثان ، ونسخت بمبعثه الأديان ، ونزل بتصديقه القرآن ، واهتزت طرباً شجرة الأكوان ، وتحرك ما فيها من الألوان والعيدان ، وكان من أغصان هذه الشجرة : من أخذ ذات الشمال ، ومال يهوي الضلال .

فلما أرسلت رياح الإرسال برسالة ﴿وما أرسلناك إلاَّ رحمة للعالمين﴾ استنشقها من ﴿سبقت لهم منا الحسنى﴾ فمال إليها متعطفاً ، وأما من كان مزكوماً ، أو من خلع القبول محروماً ، فإنه عصفت به عواصف القدرة ، فأصبح بعد نضارته يابساً ، ووجه سعادته عابساً ، وراح من رجاء فلاحه قانطاً آيساً .

= في أنسه وإيناسه (ص) في الدنيا والآخرة .

وكان سر هذا الغصن لقاح شجرة الجود ، ودرة صدفة الوجود ، وكان من روح روحانيته روح ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾ فهو مصباح ظلمة الكون ، وروح جسد الوجود ، لأن الله تعالى لما خاطب السموات والأرض ، وقال لهما : ﴿ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ فأجابه موضع الكعبة من الأرض ، ومن السماء ما يحاذيه[1] ، فكانت تربة بقعة الكعبة ، وكان محل الإيمان من الأرض .

فلما أمر الله بالقبضة التي قبضت من الأرض لخلق آدم (ع) .

فقبضت من سائر الأرض ، من طيبها وخبيثها ، فكانت طينة نبينا محمد (ص) مخلوقة من موضع الكعبة ، التي هي محل الإيمان بالله تعالى .

ثم عجنت تلك الطينة بطينة آدم (ع) ، فكانت تلك الطينة بمنزلة الخميرة ، ولولا ذلك لما أطاقوا الإجابة يوم الأشهاد ، وهو معنى قوله (ص) :

«كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»[2] :

فكانت ذرات الوجود وبركته : من ذرة وجوده .

فلما أشهدهم على أنفسهم في حضرة شهوده ، قال : ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ فسرت في أجزاء ذراتهم تلك الخميرة النبوية ، فانطلقت بإذن الله تعالى ألسنتهم بالتلبية ، قائلة[3] .

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره :

«وقيل أن المتكلم من الأرض بذلك هو مكان الكعبة ، ومن السماء ما يسامتها» ا . هـ .

(٢) وقال (ص) : «كنت نبياً ، ولا آدم ، ولا ماء ولا طين» .

(٣) هي هكذا في الأصل الذي راجعنا عليه ، والمعنى : متكلمة وناطقة .

فمن كانت طينته قابلة للتخمير بما سبق في التقدير : بقي معه ذلك التخمير باقياً فيه ، مستصحباً حتى ظهر إلى الحس ، وظهر في تلك الصورة ، فبرز ذلك المعنى محققاً لتلك الدعوى ، فأشرق نور ذلك المعنى الروحاني على ما يحاذيه من لجسد الجسماني ، فأشرق الجسد بعد ظلمته ، فاستنارت الجوارح لرشدها فعملت بالطاعة .

وأما من كانت طينته خبيثة ، غير قابلة للتخمير ، وإنما أثرت تلك الخميرة مقدار ما اعترف عند الأشهاد ، وافصحت في ذلك لأقرار في حال الاستقرار ، ثم طال عليها الأمد ، ففسدت تلك الخميرة بفساد تلك الطينة ، فكأنه كان مستودعاً ، فاسترجع منه ما استودع إذ لم يكن لحفظها أهلاً ، فهو مستودع - أعني الإيمان - في قلوب الكافرين[1] مستقر في قلوب المؤمنين وهو معنى قوله (ص) : «كل مولود يولد على الفطرة»[2] التي فطر الله الناس عليها ، وهو تساويهم في الإيمان ، في قول ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ واستووا في التلبية ، ونطقوا بالإجابة لسريان تلك الخميرة النبوية في أجزاء ذراتهم ، وقد سبق في علم الله ونفذ تقديره ، فمن تبقى على ذلك الإقرار : لا يستحيل إلى الجحود والإنكار ، وكل ما يحدث في شجرة الكون ، من نمو وزيادة ، وأزهار وإثمار أفكار ، ومتشابه شوق ، ومحكم ذوق ، وصفاء أسرار ، ونسيم استغفار ، وما ينمو به من الأعمال ، وتزكو به الأحوال ، وما تورق به من رياضات النفوس ، ومناجاة القلوب ، ومنازلات الأسرار ، ومشاهدات الأرواح ، وما ينبت به من أزاهير الحكم ، ولطائف المعارف ، وما يصعد من طيب الأنفاس ، وما يعقد من ورق الأيناس ، وما ينشأ من رياح الإرتياح ، وما يبني على أصلها من مراتب أهل الاختصاص ، ومقامات الخواص ، ومنازلات الصديقين ، ومناجاة المقربين ، ومشاهدات المحبين .

---

(١) لقوله تعالى : ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾ .

(٢) رواه الطبراني ، وأبو يعلى ، والترمذي وغيرهم .

كل ذلك من لقاح الغصن المحمدي ، متوقد من نوره ، مستمد من نماء نهر كوثره ، مغذي بلباب بره[1] ، مربي في مهد هدايته ، فلذلك عمت بركاته ، وتمت على الخلائق رحمته ﴿وما أرسلناك إلاَّ رحمة للعالمين﴾ فلما مهد لأجله الدار ، وسخر من أجله الليل والنهار ، ورسم الرسوم ، وحدد الأقطار ، ونوه بذكره ، ونبه على سره وقدره ، وأخذ الميثاق على تصديقه[2] ، والتمسك بحبل تحقيقه ، جلا عروس شريعته على أتباعه وشيعته ، ثم ختم بنبوته الأنبياء ، وبكتابه الكتب ، وبرسالته الرسل .

فمن احتمى بحمى شريعته : سلم ، ومن استمسك بحبل ملته عصم .

لما توسل به آدم (ع) [3] : سلم من الملام ، ولما انتقل إلى صلب إبراهم الخليل صارت النار عليه برداً وسلاماً[4] ولما أودعته

---

(١) بكسر الباء ، وتشديد الراء المكسورة أيضاً ـ من البر والرحمة والحنان والعطف ـ .

(٢) إقرأ الآية : ٨١ من سورة آل عمران .

(٣) روى الحاكم في المستدرك وصححه ، عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله (ص) :

«لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد (ص) لما غفرت لي .

فقال : يا آدم ، وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟

قال : يا رب ، لأنك لما خلقتني بيدك ، ونفخت في من روحك ، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله ، فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلاَّ أحب الخلق إليك .

فقال : يا آدم ، صدقت ، إنه لأحب الخلق إلي ، إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك» .

ورواه البيهقي في دلائل النبوة ، وكذلك رواه الطبراني . وزاد فيه : «وهو آخر الأنبياء من ذريتك» .

(٤) قال (ص) : «كنت وآدم في الجنة في صلبه ، وركب بي السفينة في صلب أبي نوح . وقذف بي في النار في صلب إبراهيم» إلى آخر الحديث ، قال السيوطي في الجامع الكبير رواه ابن عساكر عن ابن عباس وقال : غيرب جداً ، ا هـ . =

صدفة إسماعيل فدي بذبح عظيم ، فثمرة غصن أصحاب اليمين **﴿يحبهم ويحبونه﴾** وثمرة غصن أصحاب الشمال **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾** وثمرة غصن السابقين المقربين **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾** .

فبركته على الآفاق قد عمت ، وكلمته قد تمت .

خلق آدم على صورة اسمه ، لأن اسمه محمد ، فرأس آدم دائرة بتدويرة على صورة الميم الأولى من اسمه ؛ وإرسال يده مع جنبه على صورة الحاء ، وبطنه على صورة الميم الثانية ، ورجلاه في انفتاحهما على صورة الدال .

فكمل خلق آدم على صورة اسم محمد (ص) .

وقولنا : «كون الأكوان على هيئة رسمه» لأن العالم : عالمان : عالم الملك وعالم الملكوت .

فعالم الملك كعالم جسمانيته ، وعالم الملكوت كعالم روحانيته .

= والحديث الغريب هو : «ما ينفرد بروايته شخص واحد» .

ومعنى قول النبي (ص) في الحديث الذي رواه أبو نعيم في الدلائل ، وابن لال ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، والديلمي من طريق ابن لال ، وهو حديث مرفوع . رواه البخاري في التاريخ ، والإمام أحمد ، والبغوي ، وابن السكن ، وصححه الحاكم ، والترمذي ، وقال : حسن صحيح : «كنت أول النبيين في الخلق ، وآخرهم في البعث» معناه أنه كان أولهم في التقدير ، وآخرهم في البعث .

ونحن إذا رجعنا إلى لغة العرب أرحنا واسترحنا ، قال في القاموس المحيط «الخلق : التقدير» ، ثم قال : خلق النطع والأديم خلقاً وخلقة ، بفتحها : قدره وحزره أو قدره قبل أن يقطعه ، فإذا قطعه : قيل : فراه .

ومن هنا نعرف أن معنى كلمة «الخلق» في الحديث صحيحة لأنها على معنى التقدير ، والخلق أيضاً الايجاد والصنع . ونعرف أن هذه الهرطقة التي يثيرونها كل حين ، إنما هي إما أن تكون نتيجة الغباء المستحكم ، أو يريدون بها نسف لغة العرب لتتمكن لغة الجهل .

فكثيف العالم السفلي ككثيف جسمانيته ، ولطيف العالم العلوي كلطيف روحانيته .

فما في الأرض من الجبال التي جعلت في الأرض أوتاداً فهي بمنزلة جبال عظامه التي جعلت أوتاد جسده .

وما فيها من بحار مسجورة ، جارية وغير جارية ، عذبة وغير عذبة ، فهي بمنزلة ما في جسده من دم جار في تيار العروق ، وساكن في جداول الأعضاء .

واختلاف أذواقها ، فمنها ما هو عذب ، وهو ماء الريق يطيب بعجينه المآكل والمشارب .

ومنها ما هو : مالح ، وهو ماء العين بحفظه شحمة العين .

ومنها ما هو : مرّ ، وهو ماء الأذن لصيانة الأذن من حيوان ودبيب يصل إليها ، فيقتله ذلك الماء .

ثم في أرض جسده ما ينبت كالأرض الجرز ، والأرض السبخة التي لا تنبت ، ويستحيل النبت فيها .

ثم لما كان في الأرض بحار عظيمة ، تتفرع منها أنهار وسواق ، لنفع الناس بها ، كذلك في أرض جسده عروق غلاظ ، كالوتين الذي يبث الدم ، وتستمد العروق منه ، إلى سائر الجسد ،

ثم العالم العلوي ، وهو عالم السماء : جعل الله فيه شمساً كالسراج ، يستضيء به أهل الأرض ، كذلك جعلت الروح في الجسد ، يستضيء بها الجسد .

فلو غابت بالموت ، لأظلم الجسد كظلمة الأرض ، إذا غابت عنها الشمس .

ثم جعل العقل بمنزلة القمر : يستنير في فلك السماء ، تارة يزيد

وتارة ينقص ، فابتداؤه صغير ، وهو هلال كإبتداء عقل الصغير في صغره ، ثم يزيد كزيادة القمر ليلة تمامة ثم يبدو بالنقص ، فهو بمنزلة بلوغ الأجل إلى تمام الأربعين ، ثم يعود في النقص في تركيبه وقوته .

ثم جعل في السماء كواكب خمساً ، وهي الخمس ـ الجوار الكنس ـ وهي بمنزلة الحواس الخمس ، وهي : الذوق ، والشم ، واللمس ، والسمع والبصر .

ثم جعل في عالم السماء عرشاً وكرسياً .

فالعرش أوجده وجعل وجهة قلوب عباده إليه ، ومحل رفع الأيدي إليه ، لا محلاً لذاته ، ولا مجانساً لصفاته ، لأن الرحمن تعالى اسمه : الإستواء نعته وصفته، ونعته وصفته متصلة بذاته ، والعرش خلق من خلقه ، لا متصل به ولا ملامس له، ولا محمول عليه، ولا مفتقر إليه.

وأما الكرسي فهو : وعاء أسراره ، وكنانة أنواره ومستودع ما في دائرة ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ فجعل الصدر بمنزلة الكرسي ، ولأن فيه تحصيل العلوم الصادرة ، بمنزلة الساحة على باب القلب ، والنفس يشرع منه بابان إليهما .

فما صدر عن القلب من خير ، أو عن النفس من شر ، فهو محصل في الصدر ، وعنه يصدر إلى الجوارح، وهو معنى قوله تعالى : ﴿وحصل ما في الصدور﴾ .

وجعل القلب بمنزلة العرش ، لأن عرشه في السماء معروف ، وعرشه في الأرض مسكون ، لأن عرش القلوب أفضل من عرش السماء ، لأن ذلك العرش لا يسعه ولا يحمله ولا يدركه ، وهذا عرش في كل حين ينظر إليه ، ويتجلى عليه ، وينزل من سماء كرمه إليه «ما وسعني سمواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن»(١) .

(١) قد استدل به الغزالي في الإحياء ، وعن المصطفى (ص) أنه قال : «إن لله آنية من أهل الأرض وآنية ربكم : قلوب عباده الصالحين» رواه الطبراني .

ولما جعل في عالم الآخرة جنة وناراً للنعيم والعذاب ، هذه خزانة الخير ، وهذه خزانة الشر ، كذلك جعل الخير الذي هو مكان سويداء القلب ، جعله جنة عبده المؤمن ، لأنه محل المشاهدة والتجلي والمناجاة ، والمنازلات ، ومنبع الأنوار ، وجعل النفس بمنزلة النار ، لأنها منبع الشر ، ومحل الوسواس ، وربع[1] الشيطان ومحل الظلمة .

ثم جعل اللوح والقلم : نسخة كتاب الكون والتكوين ، وما كان وما يكون إلى يوم الدين ؛ وجعل الملائكة تستنسخ ما يؤمرون بنسخه ، من محو وإثبات ، وموت وحياة ، ونقص وزيادة .

فكذلك اللسان بمنزلة القلم ، والصدر بمنزلة اللوح ، فما نطق به اللسان رقمته الأذهان في ألواح الصدور ، وما أرخته إرادة القلب إلى الصدر عبر عنه اللسان ، كالترجمان .

ثم جعل الحواس رسل القلب ، يستنسخ ما حصل فيها .

فالسمع رسول ، وهو جاسوسه ، والبصر رسول ، وهو حارسه ، واللسان رسول ، وهو ترجمانه .

ثم جعل في الإنسان ما هو دلالة على الربوبية ، وتصديق الرسالة المحمدية ، وذلك الهيكل الإنساني ، لما افتقر إلى مدبر ، وهو الروح ، وكان مدبره واحداً ، وكانت الروح غير مرئية ، ولا مكيفة ، ولا متحيزة في شيء من الجسد ، ولا يتحرك شيء من الجسد إلاَّ بشعورها به ، وإرادتها له ، لا يحس ولا يمس إلاَّ بها ، وكان ذلك كله دلالة على أن العوالم لا بد لهم من مدبر ومحرك ، ويلزم منه أن يكون واحداً ، عالماً بما يحدث في ملكه ، قادراً على حدوثه ، وإنه غير مكيف ، ولا متمثل ، ولا مرئي ، ولا متحيز ولا متبعض ، ولا

---

(١) بفتح الراء وسكون الراء : ومحل سكنه .

محســوس ولا ملمـوس ، ولا مقبــوس ، بــل ﴿ليس كمثله شيء وهــو السميع البصير﴾ .

ولمـا كـان رسـولـه إلى خلقـه اثنين : ظـاهـر وبـاطن ، فرسـولـه الظاهر : محمد رسول الله .

ورسوله الباطن : جبريل .

فجبـريل يـأتيه بـالوحي بين قـومه ولا يحسـونـه ، ولا يعـرفـونـه ، فكـذلك كـان لمدير هذا الهيكـل الإنساني ، وهـو الروح رسـولان باطن وظـاهر ، فـالرسول الباطن هـو الإرادة ، بمنـزلـة جبـريـل ، يـوحي إلى اللسان ، واللسان يعبر عن الإرادة وهو بمنزلة سيدنا محمد (ص) .

ثم لما جعل فيك دلالة على صحـة نبوتـه وصدق رسـالته ، جعـل فيـك أيضاً دلالـة على ما جـاء بـه من تحقيق شـريعتـه ، واتبـاع سنتـه ، فكان أصل الأيـدي خمسة أشيـاء ، كل منهـا خمس :

فـالأصـل الأول : مـا بني عليـه ، فقـال رسـول الله (ص) : «بني الإسـلام على خمـس : شهـادة ألا إلـه إلاَّ الله وأن محمـداً رسـول الله ، وأقـام الصلاة ، وإيتـاء الزكـاة ، وصـوم رمضـان ، والحـج إلى بيت الله الحرام»(١) .

الأصل الثاني : وكانت الصلاة المفترضة خمساً .

الأصل الثالث : الزكاة المفروضة في النصاب خمس .

الأصـل الرابـع : **﴿محمـد رسـول الله والـذين معـه﴾** أبـو بكـر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، فهم خمسة برسول الله (ص) .

الأصل الخامس: أهل البيت خمسة: مـحمــد (ص) ، وعـلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين .

---

(١) رواه الترمذي ، والنسائي ، والطبراني في الأوسط ، وعبد الغني في «الايضـاح» ، وهو حديث متفق عليه .

فلما كان أركان الدين : إقامة أركـان شريعتـه ، ومحبة صحـابته ، ومـودة قرابتـه ، جعل في أعضـائـك منهـا دلالـة على ذلـك : خمسـة ، فالخمسة التي بني الإسلام عليها بمنزلة الحواس الخمسة منك ، وهي : السمـع ، والبصـر ، واللمس ، والشم ، والـذوق ، لأنـك تجـد بهـذه الحواس مذاق كل شيء ، ومعرفة كل شيء .

وكذلك تجد بإقامة تلك الأركان الخمسة ذوق كـل شيء ، وإدراك العرفان ، ومعرفة الرحمن ، وعلم الإيقان .

فحـاسة البصر: تدعـوك إلى إقامـة أركـان الصـلاة ، قـال (ص) : «جعلت قرة عينى فى الصلاة»[1] .

وحاسة اللمس: تدعـوك لأداء الزكـاة ، قال الله تعـالى : ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ .

وحـاسة الـذوق : تـدعـوك إلى تـرك ذوق الـطعـام ، لاقـامـة ركن الصيام .

وحـاسة السمـع : تدعـوك إلى استمـاع الأذان ﴿وأذن في النـاس بالحج﴾ .

وحاسة الشم :تدعوك إلى انتشـاق أنفاس التـوحيد «إني لأجـد نفس الرحمن من قبل اليمن»[2] .

فهذه الحواس تدعوك إلى إقامة الأركان الخمس .

وجعـل أصـابعـك الخمس في يمينـك بمنـزلـة ـ محمـد (ص) ، والذين معه ـ هـم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي .

---

(١) قـال (ص) : «حبب إلي من دنياكم النسـاء والطيب ، وجعلت قـرة عيني في الصـلاة» رواه أحمد والنسائي ، والحاكم ، والبيهقي وغيرهم .
(٢) رواه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة ورجاله ثقاة .

وإن آدم (ع) : لما خلق نور سيدنا محمد (ص: في جبينه ، كانت الملائكة تستقبله ، وتسلم على نور محمد (ص) ، وآدم (ع) لم يره ، فقال : يا رب أحب أن أنظر إلى نور ولدي محمد (ص) فحوله إلى عضو من أعضائي لأراه ، فحوله إلى سبابته ، في يده اليمنى ، فنظر إليه يتلألأ في مسبحته ، فرفعها فقال : أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأن محمداً رسول الله ، فلذلك سميت المسبحة .

فقال : يا رب هل بقي في صلبي من هذا النور شيء ؟ قال : نعم ، نور أصحابه ، وهم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، فجعل نور علي في إبهامه ، ونور أبي بكر في الوسطى ، ونور عمر في البنصر ، ونور عثمان في الخنصر .

وقيل : إنما جعلت في يدك لتقبض برؤوسهم على حب هؤلاء الخمسة ، ولا تفرق بينهم وبين محمد (ص) ، فإن الله جمع بينهم بقوله تعالى : ﴿محمد رسول الله والذين معه﴾ .

ثم جعل أصابعك الخمس في اليد اليمنى : مذكرة بالخمسة أشباح ، وهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس بقوله : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ .

قال رسول الله (ص) :

«أنزلت هذه الآية فينا أهل البيت أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين»[1] .

ثم جعل أصابع قدميك الخمس مشيرة لك ، مذكرة بالخمس صلوات التي أفترضها الله عليك ، فتقوم بها على قدميك ، لأنها خدمة الله تعالى في الأرض ، والخدمة إنما تكون من القدمين ، فلذلك جعلت قدمك اليمنى مذكرة بالصلوات الخمس ، وأصابع قدمك اليمنى

---

(١) رواه ابن جرير ، راجع ابن كثير جـ ٣ ص ٤٨٥ طبع الحلبي .

تذكرك بما يجب من نصاب الزكاة ، وهي خمس دراهم .

فالزكاة مقرونة بالصلاة ، فلذلك كانت أصابع القدمين إشارة إلى الصلاة والزكاة .

ثم جعل فيك : ما يدل على الموت والبعث ، وما يدل على نعيم القبر وعذابه ، وهو النوم ، وما يراه النائم من منام سيء ، فيتعذب به فيصير بالنوم كالميت ، فاقد الحس فلا سمع له ، ولا بصر له ، ولا إدراك له .

ثم جعل له سمعاً وبصراً وإدراكاً ، فيسمع ويبصر بسمع وبصر عن سمعه وبصره .

ويرى نفسه تذهب حيث تشاء ، ويأكل ويشرب ، فهي بمنزلة ما يراه الميت في قبره من النعيم والعذاب ، في مدة البرزخ بين الموت والبعث .

ثم يوقظك الله من نومك : لا عن مرادك ولا عن اختيارك .

فلو أردت أن لا تنتبه من ذلك ، فأنت تطيق أن لا تبعث ؟[١] .

وهذا تكذيب من أنكر البعث بعد الموت وجهله ، وهم الزنادقة ، والدهرية ، والفلاسفة[٢] ، ورد على من أنكر عذاب القبر ونعيمه ومسألته، وهم المعتزلة .

ثم اعلم أن الله تعالى خلق خلقه على ثلاث أصناف ، فقال تعالى : ﴿والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشي على بطنه﴾

---

(١) هذا إرجاع منه (رضي الله عنه)، إلى حقيقة أمرك أيها الإنسان إذ هو بمثابة من يقول لك : إذا كنت تستطيع ألا تقوم من النوم ، فأنت أيضاً تستطيع ألا تبعث ، وهذا محال في الجميع ، وليس لك قدرة لا في النوم ، ولا في اليقظة ، ولا في الموت ، ولا في الحياة .

(٢) وهذا دليل على أنه بريء من الفلسفة التي الصقرها به (رضي الله عنه) .

كالحيات والديدان ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كالطير والآدمي ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾ كالدواب .

فمنهم صنف كالساجد ، وصنف كالراكع ، وصنف كالقائم .

فالقائم كالأشجار والجدران : لا يطيقون ركوعاً .

والراكع كالدواب : لا يطيقون سجوداً ولا قياماً .

والساجد كالحشرات : لا يطيقون رفعاً .

وكلهم مخلوقون لطاعته وتقديسه وتنزيهه ﴿وإن من شيء الا يسبح بحمده﴾ .

فجمع سبحانه لك سائر عبادات خلقه وطاعتهم : وبسط لك في خلقه : إن شئت أن تعبده قائماً وراكعاً وساجداً فعلت ، ليجمع لك فضيلة جميع خلقه .

فكذلك فرض عليك الصلاة ، وجعلها تشتمل على سائر عبادة خلقه .

فكذلك فضيلة القوم والركع والسجد .

وأنت المقصود من كل الوجود .

وأنت خاصة العبيد لمراد المعبود .

فهذا معنى قولنا متقدماً ـ خلق الله آدم (ع) على صورة اسم محمد (ص) ، وخلق الكون على هيئة رسمه ، وأعلم أن الملأ الأعلى مسخرون في نفع شجرة الكون ، مستعملون لمصالحها ، قائمون بحقوقها لما فيها من خاصية هذا الغصن المحمدي ، والنور الأحمدي .

فأول ما انسلخ نهار الوجود من ظلمة ليل العدم ، شعشعت أنوار الشموس المحمدية في أفق جبين آدم (ع) ، فخرجت الملائكة سجداً

وقالوا :

مليك[1] العرش محمد أبداً .

فلما أمروا بالسجود فسجدوا ، وخصوا بالشهود فشهدوا ، وقيل لهم : شكران هذه المشاهدة أن تقوموا على قدم المجاهدة في خدمة شجرة هو أصلها ، ودولة هو عقدها وحلها .

فليكن منكم السفرة : يسعون بالصحف المطهرة .

وليكن منكم البررة : يطوفون حول حمى هذه الشجرة .

وليكن منكم الحملة : يحملون لكل عامل عمله .

وليكن منكم الكتاب : يقومون على أعتاب من قد تاب .

وليكن منكم من يغسل وجوههم من غبار الأوزار ، بماء الاستغفار **﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾**[2] .

وليكن منكم الحفظة : يحفظون عليهم أعمالهم ، ويحصون ما عليهم وما لهم .

وليكن منكم من يسعى في أرزاقهم : ليتفرغوا لطاعة رازقهم .

فقوم : يرسلون الرياح .
وقوم : يسيرون السحاب .
وقوم : يسجرون البحار .
وقوم : ينزلون ماء الأمطار .

---

(١) المليك هو : الملك ، ومنها «مليك البلاد» أي الذي ملكوه برغبتهم لحبهم له ، والمقصود بالعرش هنا : عرش المملكة الإنسانية التي شرح كواكبها وأورضها وسماءها ، لا العرش المعروف ، والله تعالى أعلم .

(٢) سورة الشورى ؛ الآية : ٥ ، والمقصود بهم المؤمنون لا كل من في الأرض ، إذ قال ربنا تبارك وتعالى في آية أخرى : **﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾** وهو ما يعبر عنه بأنه : تخصيص بعد تعميم . والله أعلم .

وقوم : يحفظون الأقطار .

وقوم : يغشون الليل .

وقوم : يسبحون النهار .

وقوم : معقبات يحفظون الجوارح من الموبقات .

وقوم : يرفعون الآفات .

وقوم : يزخرفون الجنان .

وقوم : يسعرون النيران .

فلما تمهدت الدار ، ودار كأس إرادته فاستدار ، فأول ما استحضر إلى ذلك المحضر إبليس ، وهو يرفل في ثياب التسبيح والتقديس ، لكنها محشوة بأدغال التدليس .

فلما حضر إلى ذلك المحضر ، وشاهد جمال ذلك المنظر ، ووقف على عرفات المعفرفة فأنكر ، وأصر على العصيان وأضمر ، واستصغر حق هذا الماء والطين واستحقر .

فلما قيل له : اسجد في صفاء كاساتك ، فأبى واستكبر ، فتجاوز الكأس ، وفاتته صحبة الأكياس ، وبقي في ظلمة الغم والوسواس ، وفتش أكياس[1] علمه وعمله ، فإذا هي فلوس أكياس[2] ، فبقي منقطعاً في مفازة القطيعة ، قاطعاً للشيعة والشريعة[3] ، كلما تزايد كربه ، وتعاظم عليه ضربه ، يستغيث بلسان ﴿فلأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم﴾ والقدر يقول : لأكتبن لهم منشور الأمان ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ فسأل المالك الأنظار[4]

(١) الأكياس الأولى : العقلاء ، والثانية : جمع كيس : ما يوضع النقود .

(٢) يعني أكياس مفلسة : من باب المقلوب ـ والله تعالى أعلم .

(٣) شيعة الحق وشريعة الله تعالى .

(٤) ﴿قال أنظرني إلى يوم يبعثون﴾ أراد الخبيث أن ينجو من الموت ، فرد عليه الله تعالى : ﴿إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾ فحزن أشد الحزن ، لما علم أن ملك سيصرعه .

فانظر ، ليكون قائد الكفار إلى النار ، عكازة يعتمد عليها ذوو الذنوب والأوزار ، فإذا زل أحدهم قال : ﴿إنما استزلهم الشيطان﴾ وإن عمل قال : ﴿هذا من عمل الشيطان﴾ .

فلما اقتحم آدم وإبليس عقبة المعصية ، هذا بترك ما أمر به ، وذاك يفعل ما نهي عنه ، جمع بينهما القدر إذ قدر ، لأنه تعالى أمر ، وأراد خلاف ما أمر ، فما وهبه الأمر سلبته الإرادة[1] .

فلما تعدياها : حكم لإبليس أن لا يتعداها .

وطنب[2] الشقي فيها خيامه ، وجعل في عرصتها مقامه .

وأما آدم فإنه حن إلى دار المقامه ، وتذكر لياليه وأيامه ، فعاد على نفسه بالملامة ، فنادى بين ندماء الندامة ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ فتلقى بشير قربته بتفريج كربته ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ .

وأما الشقي إبليس فانطلقت إليه خيول اللعنة ، مطلقة الأعنة ، تبشره بطرده وبعده ، فأخرج منها مأموراً ﴿قلنا أهبطوا﴾ فتقلقل آدم قلقاً ، وكاد أن يتمزق حرقاً ، وقال : سيدي جرعت مرارة الصدود في الصعود ، فأعذني من حرارة القنوط في الهبوط .

فقيل له : لا بأس عليك حتى تصل إلى مفرق فريقين ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ .

فأخذ آدم ذات اليمين ، وأخذ إبليس ذات الشمال ، فكان أصلاً لأصحاب الشمال ، لكنهما لما أصطحبا واجتمعا ، فكان للصحبة أثر ، فكان محله من آدم وسيره معه مما يلي شماله[3] ، فأثر ذلك على ما

---

(١) ردك الشيخ (رحمه الله تعالى) إلى قواعد علم التوحيد ، فارجع إليها تجد هذه المسألة مبسوطة هناك .

(٢) شد طنب خيامه ، الطنب : جمع أطناب . وهو حبال الخباء التي يشد بها .

(٣) ولذلك إذا رأى المسلم رؤيا لا تسره ، فإنه يستعيذ بالله ويتفل عن شماله ، لأنه موقف شيطانه منه ، والله تعالى أعلم .

كـان في أصله من الصفح الأيسـر ، فبرحـوا في ظـل ظلمـة مخـالفتـه ، فكفروا بقربهم منه ومحاذاتهم له .

وبقي من كـان في الصفح[1] الأيمن في نـور معرفـة آدم ، فسلموا من ظلمة إبليس ، لبعدهم عنه .

وأثر عليهم جوار من كفـر ، واستظلوا بـظلمة ضـلاله ، وهم أهـل الصفح الأيسر .

وأثـر ذلـك في صفـاتهم ، وسلمت لهم أنـوار ذواتهم ومعـارفهم ، فما يرتكبه أهل الصفح الأيمن من المعاصي والأوزار ، هـو من أثر ذلـك الجوار ، وأشعة ذلك العذار[2] .

وأعلم أنه كان لذلك الأثر أصل آخـر ، وسبب آخر ، وهـو أنه لمـا أمـر الله تعـالى بقبض القبضـة التي خلق منهـا آدم (ع) ، فهـبط ملك الموت لذلك ، وكان إبليس يـومئذ في الأرض ، قـد استخلفه الله تعـالى فيهـا مع جملة من المـلائكـة ، وقـد مكث زمـانـاً طويـلاً ، يعبـد الله ، فقبض ملك المـوت القبضـة من سـائـر الأرض ، وكـان إبليس يـطؤهـا بقـدمه ، فلمـا عجنت طينة آدم وصـورت صورتـه من تلك الطينـة ، جاء خلق النفس من التـراب الـذي وطئـه إبليس بقـدمـه ، وخلق القلب من التـراب الـذي لم يـطأه إبليس بقـدمـه ، فـاكتسبـت النفس مـا فيهـا من الخبث والأوصـاف المـذمـومـة من مـلامسـة وطء إبليس ، ومن هنـا جعلت النفس مـأوى الشهوات ، وعيشـه وسلطانه عليهـا : لوطئـه لهـا ، ومن هنا جعل إبليس التكبـر على آدم ، حيث وجدهـا من تراب قـدمه ، ونظر إلى جوهر عنصره ، وهـو النار ، فـادعى الفخار حينئـذ ، ومال إلى الاستكبار .

---

(١) الجانب .

(٢) العذار هنا ـ والله أعلم ـ المقصود به الجـانب الآخر ، والأصـل فيه : الشـر النابت في موضع العذار .

وهكذا معنى قوله سبحانه وتعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان[1]﴾ التي خلقت من تحت خطواته .

إعلم أنه لما نشأت شجرة الكون ، أنبتت أغصاناً ثلاثة : غصن ذات اليمين ، وغصن ذات الشمال ، وغصن نبت مستقيماً قويماً ، وهو غصن السابقين .

فكانت روحانية محمد (ص) قائمة بالثلاثة أغصان ، متعلقة بها ، سارية فيها ، لكل غصن نصيب على مقدار قابليته لتلك الروحانية ، قال الله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ .

فكان حظ غصن أصحاب اليمين : روحانية الهداية ، والمتابعة له والعمل بسنته وشريعته ، قال الله تعالى : ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾ الآية .

وكان حظ السابقين : روحانية القربى منه والزلفى لديه والصحبة له ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾ الآية .

وكان حظ أصحاب الشمال من روحانية . حمايتهم في الدنيا ، وأمنهم من العقوبة المعجلة ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ الآية .

فلما آن أوان ظهور جسمانيته (ص) إلى الوجود ، نبت غصن وجوده مستقيماً قويماً .

فلما ثبت أصله ، ونبت فرعه : ناداه متولي سياسته ﴿فاستقم كما أمرت﴾ فكانت صفته (ص) : الإستقامة ، ومقامه دار المقامة .

فلما استقام : رحل عن الكونين .

ولما أقام : نقل من مقام إلى مقام ، حتى استقر به المنزل فأقام .

---

(١) هذا من المعاني الاشارية ، لا الموضوعية .

فالمقام الأول : مقام الوجود في الدنيا ، وهو قوله تعالى : ﴿يا أيها المدثر * قم فأنذر﴾ .

والمقام الثاني : المقام المحمود في الأخرة ، وهو قوله تعالى : ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ .

والمقام الثالث : مقام الخلود في الجنة ، وهو قوله تعالى : ﴿الذي أحلنا دار المقامة من فضله﴾ .

والمقام الرابع : المقام المشهود ، مقام قاب قوسين لرؤية المعبود ﴿ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ الآية ، فهو المخصوص بالدنو والعلو ، والشهود إذ كان هو المقصود من كل الوجود ، لأن الوجود لما كان شجرة : كن هو ثمرتها ، وكان هو جوهرتها ، فالشجرة المثمرة إنما تثمر بالحبة التي ينبت بها أصلها ، فإذا غرست تلك الحبة ، وغذيت وربيت حتى نبتت وفرعت ، وأورقت ، واهتزت ، وأثمرت ، فإذا نظرت تلك الشجرة رأيتها في تلك الحبة التي نبت منها هذه الشجرة ، فالحبة في البداية : نطفة حتى أظهرت صورة الشجرة .

والشجرة في النهاية : بها ظهرت ، فأظهرت صورة تلك الحبة ، فكذلك بطونه (ص) في المعنى (في السابق) واختفاؤه وظهوره في الصورة (في اللاحق) واشتهاره ، وهو معنى قوله (ص) : «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين[1]» فكان هو مظهر معنى هذه الشجرة ، وهو مظهر صورته (ص) ، فما برح بلسان القدم مذكوراً ، وفي طي العدم منشوراً .

---

(١) وفي لفظ آخر : «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد» رواه أبو نعيم عن ميسرة الفجر ، وابن سعد عن أبي الجدعاء ، وابن حبان عن ابن عباس وللحديث ألفاظ أخرى ورواه آخرون ، وهو حديث صحيح .

وما مثال ذلك إلاّ مثال تاجر عمد إلى فراشه وبزه فطواه في خزانة ملكه ، وعبأه أثواباً بعضها فوق بعض ، فأول ثوب دمجه وطواه ، هو آخر ثوب أظهره وأبداه ..

كذلك سيدنا محمد (ص) كان أولاً لكل : وجوداً ، وآخرهم ظهوراً وخروجاً[١] .

فلما تولى مقصار القدر سياسة هذا الغصن النبوي ، فغذاه بلباب بره : وسقاه بكأس محبته ، وحماه في قلة[٢] حماه ، ورباه حتى اهتزت رباه ، وتفرعت نفحات شذاه ، فكانت تلك النفحات غذاء أرواح العارفين ، ونور بصائر المؤمنين ، وريحانة حضرة المحبين ، وعرصة مجمع العاصين ، وغياث مستسقي المذنبين .

فإن هب من تلقاء أصحاب الشمال سموم خطيئة ، أو عاصف معصية ، فأمال غصناً قد أنبته الله نباتاً ، فمال به إلى عمل من أعمال أهل الشمال تلاعب بفرعه ، وأثر ذلك في خضرة نضارة زرعه[٣] ، لكن أصله في أرض الإيمان ثابت ، فما يضره ما حدث في فرعه النابت ، إذا تداركه صاحب سيئاته ، فحماه من ذلك الهوى ، وأماله إلى طريق الإستقامة بعد الطوي ، وسقاه بماء الاستغفار حتى ارتوى ، فهنالك يقبل منه ما نوى ، ويورق غصن إيمانه بعد مازوى ، ويقوم خطيب الأعتذار عنه ، وهو الصادق فيما نقل وروى ، ويقسم بـ **﴿النجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى﴾** .

---

(١) روى ابن سعد عن قتادة مرسلاً قوله (ص) : «كنت أول الناس في الخلق وآخرهم في البعث» وهو بالمعنى الذي قاله الشيخ(رحمه الله) .

(٢) القلة : بضم القاف : المكان المرتفع وقلة الجبل : أعلاه .

(٣) وهذا هو معنى قول رسول الله (ص) : «مثل المؤمن كمثل خامة الزرع من حيث أتتها الريح كفاتها ، فإذا سكنت اعتدلت» إلى آخر الحديث الذي رواه البيهقي .

ثم إعلم أن الغصن المحمدي قد حصل من روحانية ما هو مادة الأرواح ، ومن جسمانية ما هو مادة الأشباح .

فأما مادة روحانيته ، جوده في سر قوله تعالى : ﴿الله نور السموات والأرض﴾ إلى قوله تعالى : ﴿مصباح﴾ يعني مصباح نور نبينا محمد (ص) ، فقد جعله مصباح مشكاة الوجود ، فشبه الكون بالمشكاة ، وسيدنا محمداً (ص) بالزجاجة ، والنور الذي هو قلبه بالمصباح ، فأشرق نور باطنه على ظاهره ، كإشراق المصباح في الزجاجة ، فصار نور المصباح ناراً ، والزجاجة نوراً لصفائها ، فصار نوراً وكان حظ كل مخلوق من ذلك بحسب قربه منه واتباعه له ، والدخول في شيعته ، والعمل بشريعته ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿نزل من السماء ماء بقدر[١]﴾ فشبه الله تعالى حبيبه محمداً (ص) بالماء النازل من السماء بقدر ، لأن الماء حياة كل شيء ، وكذلك كان نوره (ص) حياة كل قلب ، ووجوده رحمة لكل شيء .

ثم بين انتفاع الناس بنوره ، وما نالهم من بركته (ص) بالأدوية فجعل القلوب أودية ، منها : الكبير والصغير ، والجليل ، والحقير .

فاحتمل كل قلب على قدر وسعه ومقدار مادته من الماء ، وتطرق السيل إليه ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ ثم شبه جسمانيته بالزبد الرابي ، المحتمل على وجه الماء الصافي ، وهو مرباه الظاهر ، من : الأكل والشرب والنكاح ، ومشاركة الناس في أفعالهم وأحوالهم ، فذلك كله يذهب ويتلاشى ﴿وأما ما ينفع الناس﴾ من نبوته ، ورسالته ، وحكمته ، وعلمه ، ومعرفته ، وشفاعته ﴿فمكث في الأرض﴾[٢] .

---

(١) هو معنى اشاري لأن الرسالة المحمدية ماء القلوب وحياتها ، والآية رقم : ١١ من سورة الزخرف .

(٢) أرض القلوب .

واعلم أنه إنما كانت حكمة خلقه كذلك ، أنه خلق من لطيف وكثيف ، ليكون كامل الخلق ، كامل الوصف ، خلقه الله تعالى من ضدين : جسماني وروحاني ، فجعل جسمانيته وبشريته لملاقاة البشر ، ومقايسات الصور ، فجعل له قوة يلاقي بها البشر ، فيمدهم بمادة بشريته ، فيكون معهم بهم ، فيكون هم لهم ﴿إنما أنا بشر مثلكم﴾ يجانسهم ويشاكلهم ، لأنه لو برز إليهم في هيئة روحانية ملكية نورانية ، لما أطاقوا مقابلته ، وما استطاعوا مقاومته ، فلذلك من الله تعالى بقوله : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾[1] .

ثم جعل له قوة وروحانية يقابل بها عالم الروحانيين ، وملكوت العلويين ، ليكون تام البركة ، تام الرحمة .

الروحانيون : يشهدون جسمانيته .

ثم جعل له وصف ثالث خاص ، خارج عن هذين الوصفين ، وهو أنه جعل فيه وصف رباني وسر إلهي يثبت به عند تجلي صفات الربوبية ، ويطيق به مشاهدة الحضرة الإلهية ، ويتلقى به أسرار أنوار الفردانية ، ويسمع به خطاب الإشارات القدسية ، ويستنشق به عطر النفحات الرحمانية ، ويعرج به إلى المقامات العذبة البهية ، وهو معنى سر[2] قوله (ص) : «لست كأحد منكم»[3] وقوله (ص) : «لي وقت لا

---

(١) اخر سورة التوبة .

(٢) لاحظ معنى قوله (رضي الله عنه) «معنى سر قوله» ولم يقل «معنى قوله» فهي منه (رضي الله عنه) إشارة إلى ما يقصد .

(٣) نص الحديث ـ كما في الجامع الكبير للسيوطي (رحمه الله تعالى) :
«إني لست مثلكم ، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» رواه الإمام احمد ، والبخاري ومسلم عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) .
والبخاري عن عبد الله بن عمر .
والبخاري عن أبي سعيد .
وأحمد والبخاري عن عائشة .
والبخاري عن أبي هريرة .

يسعني فيه غير ربي سبحانه»[1] .

فهذا المقام : ليس يختص به ملك مقرب ، ولا نبي مرسل : كأس لم يتناوله سواه ، عروس ما جليت إلاّ عليه وهو هذا المقام المخصوص به ، وهو أحد المقامات الأربعة التي ذكرناها .

وأما الثلاثة الأخر ، فإنها كرامات لسائر الخلق ، ليتناول كل منهم ما قسم له من النصيب .

فأما المقام المحمود : فمخصوص بعالم الصورة ، وهو عالم الملك في الدنيا ، فيتناولهم وجود طمأنينته وبركة نبوته ورسالته **﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾** أقيم على مبر **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾** الآية .

فهو في الدعوة مجيبهم ، وفي النصيحة خطيبهم ، ومن الزلزلة طبيبهم ، ومن المحبة نصيبهم .

فهذا مخصوص بأهل الدنيا .

وأما المقام الثاني فهو : المقام المحمود في القيامة ، وذلك نصيب الملأ الأعلى ، فينالهم من بركة مقامه ، ومشاهدة جماله ، وسماع كلامه **﴿يوم يقوم الروح والملائكة﴾** الآية ، يؤذن له في الخطاب ، فيقوم خطيباً[2] ، والملائكة صفوفاً ، والخلائق وقوفاً ، فيفتح خطبته

---

(١) قال في المقاصد الحسنة : حديث : «إن لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل» : يذكره الصوفية كثيراً ، وهو في رسالة القشير لكن بلفظ «لي وقت لا يسعني فيه غير ربي» ويشبه ان يكون معناه في الشمائل .

ولابن راهويه في مسنده عن علي في حديث طويل : «كان (ص) إذا أتى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء : جزءاً لله تعالى ، وجزءاً لأهله ، وجزءاً لنفسه ، ثم جزء جزءاً بينه وبين الناس» .

(٢) قال رسول الله (ص) : «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» =

بالشفاعة لأمته ، ينادي : «أمتي أمتي» فيجيبه «رحمتي رحمتي» .

وأما المقام الثالث : فالشهـود وذلك في دار الخلود ، لينال أهل الجنة منه نصيبهم ، تتمتع بمشاهدته الحور ، وتتشرف بحلوله القصور ، ويقدم لقدومه السرور ، وتزداد الجنة نوراً ، وترفع بقدومه الحجب وتزول الشرور .

المقام الرابع : هو المقام الذي خص به (ص) ، وهو مقام رؤية المعبود جلّ وعلا ، وهو مقام ﴿قاب قوسين أو أدنى﴾ .

وذلك أنه لما كان ثمرة شجرة الكون ، ودرة صدفة الوجود وسره ، ومعنى كلمة «كن» ولم تكن الشجرة مرادة لذاتها ، وإنما كانت مرادة لثمرتها ، فهي محمية محروسة لاجتناء ثمرتها ، واستجلاء زهرتها .

فلما كان المراد : عرض هذه الثمرة بين يدي مثمرها ، وزفها إلى حضرة قربه ، والطواف بها على ندمان حضرته ، قيل له : «يا يتيم أبي طالب ، قم فإن لك طالب ، قد أدخر لك مطالب» .

فأرسل إليه أخص خدام الملك[1] ، فلما ورد عليه قادماً : وافاه على فراشة نائماً ، فقال له :

يا جبريل إلى أين ؟ فقال :

يا محمد ارتفع الاين من البين ، فإني لا أعرف في هذه النوبة

= رواه الترمذي . وفي الحديث الطويل الذي رواه الإمام أحمد ومسلم ، والترمذي عن أبي هريرة ، والذي أوله : «أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون ممذلك ، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد» وفيه «ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك ، سل تعط ، واشفع تشفع ، فارفع رأسي فأقول : يا رب أمتي أمتي فيقال : يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب» .

(١) هو سيدنا جبريل (عليه الصلاة والسلام) .

أين ، لكني رسول القدم[1] أرسلت إليك من جملة الخدم ﴿وما نتنزل إلاّ بأمر ربك﴾ .

قال : يا جبريل ، فما الذي مراد مني ؟

قال : أنت مراد الإرادة ، مقصود المشيئة ، فالكل مراد لأجلك ، وأنت مراد لأجله ، وأنت مختار الكون ، أنت صفوة كأس الحب[2] ، أنت درة هذه الصدفة ، أنت ثمرة هذه الشجرة ، أنت شمس المعارف ، أنت بدر اللطائف ، ما مهدت الدار إلاّ لرفعة محلك ، ما هيىء هذا الجمال إلاَّ لوصلك ، ما روق كأس المحبة إلاَّ لشربك ، فقم ، فإن الموائد لكرامتك ممدودة ، والملأ الأعلى يتباشرون بقدومك عليهم ، والكروبيون يتهللون بورودك إيهم ، وقد نالهم شرف روحانيتك ، فلا بد لهم من نصيب جسمانيتك ، فشرف عالم الملكوت ، كما شرفت عالم الملك ، وشرف بوطء قدميك قمة السماء ، كما شرفت بهما أديم البطحاء .

قال : يا جبريل ، الكريم يدعوني ؟ فماذا يفعل بي ؟ قال : ﴿ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ .

قال : «هذا لي ، فما لعيالي وأطفالي ، فإن شر الناس من أكل وحده[3]» .

قال : ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ .

قال يا جبريل : الآن طاب قلبي ، ها أنا ذاهب إلى ربي ،فقرب

---

(١) بضم القاف والدال : في القاموس : «يمشي القدم والقدمية ، واليقدمية والتقدمية والتقدمة : إذا مضى في الحرب» وهو يقصد أنه الرسول الذي أرسل إلى الرسل جميعاً ، ولا يتأخر عن شيء يؤمر به ، والله تعالى أعلم .

(٢) بفتح الحاء ، وقد تكون بضمها .

(٣) هذا إشارة من قوله (ص) : «شر الناس من أكل وحده ، ومنع رفده ، وجلد عبده» والمقصود بعياله : أولاده (ص) وأمته جميعاً ، لأن عيال الرجل من يعولهم .

له البراق .

فقال : ما لي بهذا ؟

قال : مركب العشاق .

قل : «أنا مركب سوقي» وزادي توقي ، ودليلي : ليلي ، أنا لا أصل إليه إلاَّ به ، ولا يدلني عليه إلاَّ هو .

وكيف يطبق حيوان ضعيف أن يحمل من يحمل اثقال محبته ، ورواسي معرفته ، وأسرار أمانته التي عجزت عن حملها السموات والأرض والجبال ، وكيف تطبق أن تدل بي ، وأنت الحائر عند سدرة المنتهي .

وقد انتهى إلى حضرة ليس لها منتهى ! ؟

يا جبريل : أين أنت مني ، ولي وقت لا يسعني فيه غير ربي[1] .

يا جبريل : إذا كان محبوبي ليس كمثله شيء ، فأنا لست كأحدكم ، المركوب يقطع به المسافات ، والدليل يستدل به إلى الجهات ، وإنما ذلك محل الحدثات ، وأنا حبيبي مقدس عن الجهات ، منزه عن الحدثات ، لا يوصل إليه بالحركات ، ولا يستدل عليه بالإشارات ، فمن عرف المعاني : عرف ما أعاني ، هلم ، إن قربي منه مثل قاب قوسين أو أدنى .

فوقعت هيئة الوقت على جبريل ، فقال : «يا محمد إنما جيء بي إليك لأكون خادم دولتك ، وصاحب حاشيتك ، وجيء بالمركب إليك لأظهار كرامتك» .

---

(١) أوردناه سابقاً فارجع إليه .

(٢) هذا كلامه(رضي الله عنه)، فكيف يقال : إنه يقول بالحلول والتحاد ؛ وقوله «إن قربي منه» كقوله تعالى : ﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾ وليس لله تعالى جهة يقبض إليها الظل . تعالى الله عن ذلك وإنما هو قرب معنوي لا حسي .

لأنك الملوك من عاداتهم إذا استزاروا حبيباً ، أو استدعوا قريباً ، وأرادوا ظهور كرامتهم واحترامهم ، أرسلوا أخص خدامهم ، وأعز دوابهم ، لنقل أقدامهم ، فجئناك على رسم عادة الملوك ، وآداب السلوك .

ومن اعتقد أنه سبحانه وتعالى يوصل إليه بالخطأ : وقع في الخطأ .

ومن ظن أنه محجوب بالغطاء ، فقد حرم العطاء .

يا محمد : إن الملأ الأعلى في انتظارك ، والجنان قد فتحت أبوابها ، وزخرفت رحابها ، وتزينت أترابها ، وروق شرابها ، كل ذلك فرحاً بقدومك ، وسروراً بورودك ، والليلة : ليلتك والدولة دولتك ، وأنا منذ خلقت منتظر هذه الليلة ، وقد جعلتك الوسيلة في حاجة ، قلت فيها حيلتي ، وانقطعت وسيلتي ، فأنا فيها حائر العقل ، ذاهل الفكر ، داهش السر ، مشغول البال ، زائد البلبال .

يا محمد : حيرتي أوقفتني في ميادين أزله وأبده ، فجلت في الميدان الأول ، فما وجدت له أول ، وملت إلى الميدان الآخر ، فإذا هو في الآخر أول ، فطلبت رفيقاً إلى ذلك الرفيق ، فتلقاني ميكائيل في الطريق ، فقال لي : إلى أين ؟ الطريق مسدودة ، والأبواب دونه مردودة ، لا يوصل إليه بالازمان المعدودة ، ولا يوجد في الأماكن المحدودة .

قلت : فما وقوفك في هذا المقام ؟

قال : شغلني بميكائيل البحار ، وإنزال الأمطار ، وإرسالها في سائر الأقطار ، فأعرف كما أجاجها مدداً ، وكم تقذف أمواجها زبداً ، ولا أعرف للأحدية أمداً ، ولا للفردية عدداً .

قلت : فأين إسرافيل ، قال : ذلك أدخل في مكتب التعليم ،

يصافح بصفحة وجهه اللوح المحفوظ ، ويستنسخ منه ما هو مبروم ومنقوض ، ثم يقرأ على صبيان التعليم ، في مثال ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ ثم هو في زمن تعلمه : لا يرفع رأسه حياء من معلمه ، فطرفه عن النظر مقصور ، وقلبه عن الفكر محصور ، فهو كذلك إلى يوم ينفخ في الصور .

قلت : فهلم نسأل العرش ونستهديه ، ونستنسخ منه ما علمه ونستمليه .

فلما سمع العرش ما نحن فيه اهتز طرباً ، وقال لا تحرك به لسانك ، ولا تحدث به جنانك ، فهذا سر لا يكشفه حجاب ، وستر لا يفتح دونه باب ، وسؤال ليس له جواب ، ومن أنا في البين حتى أعرف له أين ؟

وما أنا إلاَّ مخلوق من حرفين(١) ، وبالأمس كنت لا أثر ولا عين .

من كان بالأمس عدماً مفقوداً ، كيف يعرف رؤية من لم يزل موجوداً(٢) ، ولا والداً ولا مولوداً(٣) .

وهو سبقني بالاستواء ، وقهرني بالاستيلاء ، فلولا استواؤه لما استويت ، ولولا استيلاؤه ، لما أهديت(٤) .

استوى إلى السماء وهي دخان ، واستوى على العرش لقيام البرهان ، فوعزته لقد استوى ، ولا علم لي بما استوى ، وأنا والثرى

---

(١) كن .

(٢ ، ٣) ولم يزل على صفته التي كان عليها سبحانه وتعالى : ﴿لم يلد ولم يُولد * ولم يكن له كفواً أحد﴾ .

(٤) هكذا هي ، ولعلها «اهتديت» والله أعلم ، وفيه رد واضح على الذين يقولون : إن الاستواء بمعنى الجلوس .

بـالقرب منـه على حد سـوى[1] ، فلا أحيط بمـا حـوى ، ولا أعـرف مـا زوى ، ولكني عبد له ، ولكل عبد ما نوى .

ثم إني أخبرك بقصتي ، وأبث إليك شكـوى غصتي ، أقسم بعلى عزته ، وقـوى قدرتـه : لقد خلقتني ، وفي بحـار أحديتـه غـرقني ، وفي بيداء أبدتيه حيرني .

تارة يطلع من مطالع أبديته فينعشني .
وتارة يدنيني من مواقف قربه ، فيؤنسني .
وتارة يحتجب بحجاب عزته فيوحشني
وتارة يناجيني بمناجاة لطفه فيطربني .
وتارة يواصلني بكاسات حبه ، فيسكرني .

وكلمـا استعذبت من عـربـدة سكـري ، قـال لسـان احـديتـه ـ لن تراني ـ .

فـذبت من هيبته فـرقاً ، وتمـزقت من محبتـه قلقـاً ، وصعقت عن تجلي عظمته كما ﴿**خر موسى صعقاً**﴾ .

فلمـا أفقت من سكرة وجـدي بـه قيـل لي : أيهـا العـاشق ، هـذا جمـال قـدصنـاه ، وحسن قـد حجبنـاه ، فـلا ينـظره إلاَّ حبيب قـد اصـطفينـاه ، ويتيم قـد ربينـاه ، فـإذا سمعت ﴿**سبحـان الـذي أسـرى بعبده**﴾ فقف على طريق عـروجه إلينـا ، وقدومـه علينا ، لعلك تـرى من يرانا ، وتفوز ، بمشاهدة من لم ينظر إلى سوانا .

---

(١) سوى : بفتح السين والواو ، بمعنى سواء ، واعلم أيها القارىء أن كـل ما قـاله الشيـخ هنا في هذا الكتاب ـ تقريباً ـ لسان حال ـ لايضاح المعنى فجزاه الله خيراً ونقول للذين لا يريدون أن يفهموا .

علي بقـطع القوافي من محـاجـرهـا ومـا علي إذا ألـم يـفـهـم الـبـقـر

يـا محمد : إذا كـان العرش مشـوقاً إليـك ، فكيف لا أكون خـادم يديك .

قدم إليه مركبه الأول : وهو البراق إلى بيت المقدس .

ثم المركب الثاني : وهو المعراج إلى سماء الدنيا .

ثم المركب الثالث : وهو أجنحة الملائكة من سماء إلى سماء .

وهكذا إلى السماء السابعة .

ثم المركب الرابع : وهو جناح جبريل (ع) إلى سدرة المنتهى .

فتخلف جبـريـل (ع) عنـدهـا ، فقـال : يـا جبـريـل ، نحن الليلة أضيـافـك ، فكيف يتخلف المضيف عن ضيفـه ، «أههنـا يتـرك الخليـل خليله ؟» .

قـال : يا محمـد ، أنت ضيف الكريم ، ومـدعـو القـديم[1] ، لـو تقدمت الآن بقدر انملة ، لاحترقت **﴿وما منا إلاّ له مقام معلوم﴾** .

قال : يا جبريل ، إذا كان كذلك ، ألك حاجة ؟

قـال : نعم ، إذا انتهى بك إلى الحبيب ، حيث لا منتهى ، وقيـل لك : ها أنت وها أنا ، فاذكرني عند ربك .

ثم زج به جبريل (ع) زجة فخرق سبعين ألف حجاب من نور .

ثم تلقاه المركب الخامس : وهو : الـرفرف من نـور أخضر ، قـد سـد مـا بين الخـافقين ، فـركبـه حتى انتهى بـه إلى العـرش ، فتمسـك العـرش بأذيـاله ، ونـاداه بلسـان حـالـه ، وقـال : يـا محمـد ، إلى متى تشـرب من صفاء وقتـك آمناً من معتكـره ، تارة يتشـوق إليـك حبيبـك ، وينزل إلى سماء الدنيا[2] .

---

(١) سبحانه وتعالى الذي لا أول له .

(٢) فيه محذوف يدل عليه السياق ، يعني ملائكته ورحمته ، وعلمه ، وفيوضاته : وهكذا .

وتارة يطوف بك على ندمان حضرته ، ويحملك على رفرف رأفته **﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾** .

وتارة يشهدك جمال أحديته **﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾** .

وتارة يشهدك جمال صمدانيته **﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾** .

وتارة يطلعك على سرائر ملكوتيته **﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾** .

وتارة يدليك من حضرة قربه **﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾** .

يا محمد : هذا أوان الظمآن إليه ، واللهفان عليه ، والمتحير فيه ، لا أدري من أي جهة آتية ، جعلني أعظم خلقه ، فكنت ، أعظمهم وأشدهم خوفاً منه .

يا محمد : خلقني يوم خلقني ، فكنت أرعد من هيبة جلاله ، فكتب على قائمتي : «لا إله إلاّ الله» فازددت لهيبة اسمه ارتعاداً وإرتعاشاً .

فلما كتب علي «محمد رسول الله» سكن لذلك قلقي وهدأ روعي ، فكان اسمك أماناً لقلبي ، وطمأنينة لسري ، ورقية لقلقي .

فهذه بركة وضع اسمك علي ، فكيف إذا وقع جميل نظرك إلي .

يا محمد : أنت المرسل رحمة للعالمين ، ولا بد لي من نصيب في هذه الليلة ، ونصيبي من ذلك أن تشهد لي بالبراءة من النار ، مما نسبه إلي أهل الزور ، وتقوله على أهل الغرور ، فإنه أخطأ في قوم فضلوا ، وظنوا إني اسع من لا حد له ، وأحمل من لا هيئة له ، واحيط بمن لا كيفية له .

يا محمد :من لا حد لذاته ، ولا عد لصفاته ، فكيف يكون مفتقراً

إلي أو محمولاً علي[1] ، فإذا كان الرحمن اسمه ، ولا الستواء : صفته ونعته ، وصفته ونعته متصلان بذاته فكيف يتصل بي أو ينفصل عني ؟ ولا أنا منه ولا هو مني .

يا محمد : وعزته لست بالقرب منه وصلاً ، ولا بالبعد عنه فصلاً ، ولا بالمطيق له حملاً ، ولا بالجامع له شملاً ، ولا بالواجد له مثلاً .

بل أوجدني من رحمته : منة وفضلاً ، ولو محقني لكان فضلاً منه وعدلاً .

يا محمد : أنا محمول قدرته ، ومعمول حكمته ، فكيف يصح أن يكون الحامل محمولاً **﴿فلا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾** .

فأجابه لسان حاله[2] (ص) : أيها العرش ، إليك عني ، فأنا مشغول عنك ، فلا تكدر علي صفوتي ، ولا تشوش علي خلوتي ، فما في الوقت سعة لعتابك ، ولا محل لخطابك .

فما أعاره (ص) طرفاً ، ولا قرأ من مسطور ما أوحى إليه حرفاً **﴿ما زاغ البصر﴾** .

ثم قدم المركب السادس : وهو التأييد ، فنودي من فوقه ، ولم ير . «حافظك قدامك : ـ ها أنت وربك» :

قال : فبقيت متحيراً ، لا أعرف ما أقول ، ولا أدري ما أفعل ، إذ وقعت على شفتي قطرة أحلى من العسل ، وأبرد من الثلج ، وألين

---

(١) وهذا وما قبله من أقوى الأدلة على أن ما نسب إليه مكذوب عليه إذ ما ذكره (رحمه الله ورضي عنه) :هو عقيدة أهل للسنة والجماعة .

(٢) كلام العرش وكلام جبريل ورد رسول الله (ص) : هذا كله بلسان الحال ـ وليس بلسان المقال ، فافهم .

من الـزبد ، وأطيب ريحـاً من المسك ، فصـرت بذلـك أعلم من جميع الأنبيـاء والـرسـل ، فجـري على لسـاني : «التحيـات المبـاركـات لله ، الصلوات الطيبات لله ، فأجبت[1] : السلام عليك أيها النبي ورحمـة الله وبركاته ، فأشركت أخواني الأنبياء فيمـا خصصت به ، فقلت : «السـلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» .

أراد بهم الأنبياء(عليهم الصلاة والسلام)[2] .

ولهـذا قيـل لأبي بكـر (رضي الله عنه) ليلة أسـرى بـرسـول الله (ص) : أنـه رأى ربه ، قـال : «صدق ، وكنت معـه متمسكاً بـأذيـالـه ، مشاركة في مقاله» .

قيل : كيف ؟

قال في قوله : السلام علينا ، فأجابه المـلائكة : أشهـد ألا إله إلاَّ الله ، وأن محمداً رسوله .

قـال : ثم نوديت ، أدن يـا محمـد ، فـدنـوت ، ثم وقفت ، وهـو معنى قوله عـز وجل ﴿ثم دنـا فتدلى﴾ وقيـل : دنا محمـد في السؤال ، فتدلى ، فتقدم للرب عزّ وجلّ .

قيل : دنا بالشفاعة ، وتقرب إلى الرب بالإجابة .

وقيـل : دنا بـالخدمـة ، وتقرب للرب بـالرحمـة ﴿ثم دنا فتـدلى﴾ معنـاه : دنا محمـد من ربه ، فتـدلى عليه الـوحي من ربه ، دنـا لـطافـة فتدلى عليه رأفة ورحمة .

لا يـوصف بقـطع مفـازة ولا مسـافـة ، قـد ذهب الأين من البين ، وتـلاشى الكيف ، واضمحل الابن ، فكـان قاب قـوسين فلو اقتصر على قـاب قـوسين ، لاحتمـل أن يكـون للرب مكـان ، وإنمـا قـولـه : ﴿أو

(١) بضم الهمزة وكسر الجيم .

(٢) التحيات لله ، وما بعدها كما ورد في حديث شريف هو حديث التشهد .

أدنى﴾ لنفي المكان ، وكان معه حيث لا مكان ولا زمان ، ولا أوان ولا أكوان .

فنودي : يا محمد تقدم .

فقال : يا رب إذا انتفي الاين ، فأين أضع القدم ؟

قال : ضع القدم على القدم[1] حتى يعلم الكل أني منزه عن الزمان والمكان والأكوان ، وعن الليل وعن النهار ، وعن الحدود والأقطار ، وعن الحد والمقدار .

يا محمد : أنظر ، فنظر فرأى نوراً ساطعاً ، فقال : ما هذا النور ؟

قيل : ليس هذا نوراً ، بل هو جنات الفردوس ، لما ارتقيت صارت في مقابلة قدميك ، وما تحت قدميك : فداء لقدميك .

يا محمد : مبدأ قدمك [2]منقطع أوهام الخلائق .

يا محمد : ما دمت : ما دمت في سير الأين ، جبريل دليلك ، والبراق مركبك .

---

(١) لفظ القدم : له عدة معان تفوق على العشرين ، منها القدم : الجارحة المعروفة ، ومنها ما يقدم ، كما في قوله (ص) عن النار : «يضع الجبار فيها قدمه» أي ما يقدمه لها من أهل الشقاء .

ومنها قوله تعالى : ﴿أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ أي اعمالا قدموها ، قبلها الله تعالى .

والمعنى هنا ـ والله تعالى أعلم ـ ضع رجلك ، على ما قدمنا لك من دار الكرامة للخلق وهي الجنة ، إذ سقفها عرش الرحمن . وقد قيل إن المصطفى (ص) اصعد على العرش ، وهو المقصود بقوله بعد : «لما أرتقيت صارت في مقابل قدميك» يعني الجنة قال الإمام القشيري في كتابه «المعراج» : وقيل : كان بينه وبين طرف العام مقدار قوسين ، وهو حذاء الجنة .

(٢) «مبدأ قدمك» هنا بمعنى ابتداء ما قدمت لك هو منتهى ما يريد الخلائق أن يصلوا إليه ، فبدايتك : نهاية غيرك والله تعالى أعلم .

فإذا ذهب المكان ، وغبت عن الأكوان ، وانتفى الأين ، وارتفع البين من البين ، ولم يبق إلّا قاب قوسين ، فأنا الآن دليلك .

يا محمد : أفتح لك الباب ، وأرفع لك الحجاب ، وأسمعك طيب الخطاب ، في عالم الغيب .

وحدتني تحقيقاً ، وإيماناً ، فوحدني الآن في عالم الشهود ، مشاهدة وعياناً .

فقال : «أعوذ بعفوك من عقوبتك» .

فقيل هذا لعصاة أُمتك ، ليس هذا حقيقة مدعي وحدتي .

فقال : «لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك» .

فقال : يا محمد إذا كل لسانك عن العبارة ، فلأكسونه لسان الصدق ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ فإذا ضل عيانك عن الإشارة ، فلأجعلن عليك خلعة الهداية ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ ثم لأعيرنك نوراً تنظر به جمالي ، تسمع به كلامي ، ثم أعرفك بلسان الحال معنى عروجك علي ، وحكمة نظرك إلي .

فكأنه يقول مشيراً : يا محمد ﴿انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ والشاهد مطالب بحقيقة ما شهد به ، ولا يجوز له الشهادة على غائب ، فأريك جنتي : لتشاهد ما أعددته لأوليائي ، وأريك ناري لتشاهد ما أعددته لأعدائي ، ثم أشهدك جلالي ، وأكشف لك عن جمالي ، لتعلم أني منزه في كمالي عن المثيل والشبيه والبديل والنظير والمشير ، وعن الحد والقد ، وعن الحصر والعد ، وعن الزوج والفرد ، وعن المواصلة والمفاصلة ، والمماثلة ، والمشاكلة ، والمجالسة ، والملامسة ، والمباينة ، والممازجة .

يا محمد : إن خلقت خلقي ودعوتهم إلي ، فاختلفوا علي .

فقوم : جعلوا العزيز ابني ، وأن يدي مغلولة ، وهم : اليهود .

وقوم : زعموا أن المسيح ابني ، وأن لي زوجة وولداً ، وهم : النصارى .

وقوم : جعلوا لي شركاء ، وهم : الوثنية .

وقوم : جعلوني صورة ، وهم : المجسمة .

وقوم : جعلوني ، محدوداً ، وهم : المشبهة .

وقوم : جعلوني معدوماً ، وهم المعطلة .

وقوم : زعموا أني لا أرى في الآخرة ، وهم : المعتزلة .

وها أنا قد فتحت لك بابي ، ورفعت لك حجابي ، فانظر يا حبيبي يا محمد ، هل تجد فيّ شيئاً معاً نسبوني إليه .

فرآه (ص) بالنور الذي قواه به ، وأيده به من غير إدراك ولا إحاطة ، فرداً صمداً ، لا في شيء ، ولا علي شيء ، ولا قائماً بشيء ، ولا مفتقراً إلي شيء ، ولا هيكلاً ولا شبهاً ، ولا صورة ، ولا جسماً ، ولا محيزاً ، ولا مكيفاً ، ولا مركباً **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾** .

فأما كلمة شفاها ، وشاهده كفاحاً ، فقال : يا حبيبي يا محمد ، لا بد لهذه الخلق من سر لا يذاع ، وزمن لا يشاع **﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾** فكان[(١)] سر من سر في سر :

وصلّ اللّهم وسلّم وبارك على أشرف مخلوقاتك ، سيدنا ومولانا محمد ، بحر أنوارك ، ومعدن أسرارك ، ولسان حجتك ، وإمام حضرتك ، وعروس مملكتك ، وطراز ملكك ، وخزائن رحمتك ، وطريق شريعتك ، وسراج جنتك ،وعين حقيقتك ، المتلذذ

---

(١) كان : تامة ، وليست الناقصة .

بمشاهدتك ، عين أعيان خلقك ، المقتبس من نور ضيائك ، صلاة تحل بها عقدتي ، وتفرج بها كربتي ، وتقضي بها أربي ، وتبلغني بها طلبي ، صلاة دائمة بدوامك ، باقية ببقائك ، قائمة بذاتك ، صلاة ترضيك وترضيه ، وترضى بها عنا يا رب العالمبن .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

والحمد لله رب العالمين .

تم بحمد الله

(٨)

النور الأسنى
بمناجاة اللّه بأسمائه الحسنى

- اللّهم إني أسألك .
- وهذه بعض حكم له أيضاً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم
اللّهم إني أسألك

(يا الله) دلني بك عليك وارزقني من الثبات عند وجودك ما أكون به متأدباً بين يديك .

(يا رحمن) أرحمني بسبوغ نعمك وآلائك وبلوغ الأمل في دفع شدائدك وبلوائك .

(يا رحيم) أرحمني بدخول جنتك والتنعم بقربك ورؤيتك .

(يا مالك) الدنيا والآخرة ملكاً تاماً كاملاً أجعلني في الوصول إلى جنة النعيم والملك الكبير جاداً عاملاً .

(يا قدوس) قدسني من العيوب والآفات وطهرني من الذنوب والسيئات .

(يا سلام) سلمني من كل وصف ذميم وأجعلني ممن يأتيك بقلب سليم .

(يا مؤمن) آمني يوم الفزع الأكبر وارزقني من مزيد الإيمان بك الحظ الأكبر .

(يا مهيمن) اجعلني لمهيمنتك شاهداً ورائياً ولأماناتك وعهدك حافظاً وراعياً .

(يا عزيز) اجعلني بعزتك من الأذلين بين يديك واستعملني بأعمال الآخرة لديك .

(يا جبار) أجبر حالي بموافقة مرادك ولا تجعلني جباراً على عبادك .

(يا متكبر) اجعلني من المتواضعين لكبريائك الخاضعين لحكمك وقضائك .

(يا خالق) اخلق في قلبي توفيقاً للطاعة واعصمني بين خلقك من كل ظلامة وتباعة .

(يا باريء) اجعلني من خير البرية وخلقني بأخلاق حسنة مرضية .

(يا مصور) صورني بصورة عبوديتك ونورني بأنوار معرفتك .

(يا غفار) اغفر لي جميع الكبائر والصغائر وهواجم الغفلات وهواجس الضمائر .

(يا قهار) أشهدني قهرك ولا تؤمني مكرك .

(يا وهاب) هب لي من جزيل هبتك ما يبلغني إلى مرضاتك .

(يا رازق) أرزقني علماً نافعاً ورزقاً حلالاً واسعاً .

(يا فتاح) إفتح لي أبواب السعادة وحققني بحقائق أهل الإرادة .

(يا عليم) علمني من علمك ما ترضي به عني ولا تؤاخذني بما تعلمه مني .

(يا قابض يا باسط) اقبضني عن مسابقة دواعي النفس وابسط عليّ نسيم نفحات الإنس .

(يا خافض يا رافع) اخفض لي هوائي بموافقة كتابك وارفعني بقربك فهويتي إلى جنابك .

(يا معز يا مذل) أعزني بعز التوحيد والإيمان ولا تذلني باتباع خطوات الشيطان .

(يا سميع) اسمعني بلطائف إسماع من علمت فيه الخير واجعلني من الراغبين لسمعك وبصرك في كل نهي وأمر .

(يا بصير) اجعلني بصيراً في دينك عن اشتباه الأمور ذا بصيرة تامة في اجتناب كل محظور .

(يا حكيم) اجعلني لحكم إرادتك مسلماً ولأحكام شريعتك معظماً .

(يا عدل) اجعلني ممن يقوم بالعدل في جميع عمله ويبلغ بالترقي في درجات الإحسان غاية أمله .

(يا لطيف) الطف بي في قدرك وقضائك واقسم لي من جزيل برك وآلائك .

(يا خبير) اجعلني خبيراً بخفيات عيوبي مستغفراً من جميع ذنوبي .

(يا حليم) خلقني بخلق الحلم وحققني بحقائق العلم .

(يا عظيم) بعظمة لا تحيط بها أوهام المتفكرين اجعلني عظيم الهمة في الترقي في مقامات المتمكنين أهل التمكين .

(يا غفور) أغفر لي جميع الخطايا والذنوب وبلغني من رضوانك غاية الرغوب .

(يا شكور) اجعلني شكوراً لما أنعمت علي من نعمائك ذكوراً لإحسانك وآلائك .

(يا علي يا كبير) اجعلني عبداً من الأعلى عليين في درجات الكمال يا من لا كبيراً إلاّ وهو بالإضافة إلى كبريائه حقير اجعلني من

الأكابر المختصين بالملك الكبير .

(يا حفيظ) احفظنا من موافقة موجبات عذابك واجعلني حفيظاً لما استحفظتني من كتابك .

(يا مقيت) إقتني باطناً وظاهراً بأحسن الأقوات وأعني على طاعتك في جميع الحالات .

(يا حسيب) استعملني بالمحاسبة قبل الحساب والسؤال وكن حسبي في جميع الأحوال .

(يا جليل) فلا جليل إلاّ وهو في الجلالة له مستكين اجعلني من هيبتك وجلالك في مقام مكين .

(يا كريم) اجعلني من المكرمين بطاعتك ومحبتك .

واكرمني بالنظر إلى وجهك الكريم في جوارك وجنتك .

(يا رقيب) ارزقني من مراقبتك ما يمنعني من العصيان ومن مشاهدة قربك ما يذهب بدواعي الغفلة والنسيان .

(يا مجيب) استجب لي دعاك بأسمائك الحسنى وسناك واجعلني ممن أجاب دعوتك واتبع رسلك .

(يا واسع) وسعت كل شيء رحمة وعلماً أوسع لي من الرحمة والعلم أو في حظ وأوفر قسم .

(يا حكيم) حكمته لا يشذ شيء عنها هب لي حكمة تحملني على محاسن الأحوال والأفعال وترك القبائح منها .

(يا ودود) يود أولياءه وأصفياءه المقربين أجعل في قلبي ودالك أو أجعل لي وداً في قلوب المؤمنين .

(يا مجيد) بمعنى عظيم الشأن عميم الإحسان ارزقني من المجد ما هو غاية الإمكان في طاقة الإنسان .

(يا باعث) أبعث لي خواطر الخير من خزائن السر وثبتني يوم البعث بجزيل الأجر وجميل البر .

(يا شهيد) اجعلني لشهادتك متيقناً وبعلمك مكتفياً .

(يا حق) حقق رجائي في بلوغي حقيقة من حقائق توحيدك واستعملني القيام بحقك والوقوف على جودك .

(يا وكيل) اجعلني من المتوكلين عليك في الأمور كلها ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك .

(يا قوي) قوني على العمل بكل طاعة وبر وقني شر نفسي وشر كل ذي شر .

(يا متين) اجعل ديني متيناً ويقيني قوياً مكيناً .

(يا ولي) اجعلني بولايتك إياي ولياً وبرعاية حقك وفياً .

(يا حميد) اجعلني من الحامدين لك والشاكرين واحشرني تحت لواء الحمد في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

(يا محصي) كل شيء عدداً وإحاطة وقدراً اجعلني من المحصين لاسمائك عقداً وطاقة وحصراً .

(يا مبديء يا معيد) اجعلني ممن يبدأ بمخالفة نفسه على مراده واختياره . ويعود إلى بابك بصدق اجتهاده واعتماده وإفتقاره .

(يا محيي يا مميت) أحي قلبي بمعرفتك وأمت نفسي بشهود عظمتك وهيبتك .

(يا حي) أحيني حياة طيبة واسقني من شراب محبتك أعذبه .

(يا قيوم) هب لي من معرفة قيوميك ما أستريح به من كدر التدبير ومن مشاهدة لطائفك ما يتيسر لي به كل عسير .

(يا واجد) أوجد لي من جودك وجداً بالغاً وجوداً وأنلني من عرفان واجديتك عطاء سابغاً وجوداً .

(يا ماجد) أوصافه مجد وأسماؤه حسنى اعطني من محاذاة الهمة ما أرقي به إلى المحل الأسنىٰ .

(يا واحد) اجعلني موحداً بوجود وحدانيتك مؤيداً بشهود فردانيتك .

(يا صمد) ارزقني صمدية تقتضي دوام الحصول واجعلني ممن يصمد إليك بهمته في جميع الأمور .

(يا قادر) اخلق لي قدرة صالحة لاكتساب الطاعات وقوة مانعة عن ارتكاب المخالفات .

(يا مقتدر) اجعلني بشهود اقتدارك وهيبته ممن يقارب بين يديك في سكونه وحركته .

(يا مقدم يا مؤخر) قدمني في حلبة السابقين إلى دار السلام ولا تؤخرني مع الهالكين باحترام الآثام .

(يا أول يا آخر) اكتبني عندك في أوائل السابقين .

(يا ظاهر يا باطن) احفظ باطني وظاهري مما لا ترضاه ولا ترضى به عن عبد أتاك .

(يا ولي) تولني بهدايتك واجعلني من أهل ولايتك وخاصتك .

(يا متعالي) ارزقني من شهود تعاليك ما ينور الظلمات ويوضح المشكلات .

(يا بر) اجعلني عندك باراً نقياً وبمن نزل بي براً حفياً مرضياً .

(يا تواب) ارزقني إليك توبة نصوحاً لا تدع لي إلى المخالفة ميلاً ولا جنوحاً .

(يا منتقم) لاتنتقم مني بإقتراف الذلل ووفقني للقبول والعمل .

(يـا عفـواً) أعف عني بفضلك وإحسـانـك وعـاملني بكـرمـك وامتنانك .

(يا رؤوف) كن بي في الدارين رؤوف رحيماً وأقسم لي من الـرأفة بالمؤمنين قسماً وافراً وحظاً عظيماً .

(يا مالك الملك) والأملاك أعوذ بك من مسالك الهلاك .

(يا ذا الجلال والإكرام) أعذني من الضلال والإجرام .

(يـا مقسط) استعملني بـالقسط في جميـع الأحـوال بفضلك ولا تعاملني بقسطك وعدلك .

(يـا جامـع) اجمع متفـرقات كـوني في جمـع الجمـع بين يـديـك وارزقني يوم الجمع قربك والنظر إليك .

(يـا غني) اجعلني غنياً بـافتقاري إلى كـرمـك وأفضـالـك وكن بي حفياً يوم ورودي عليك بإحسانك وإجمالك .

(يـا مانـع) امنعني عن العوالم كلهـا بـانقـطاعي إليـك وأعني على أموري بصدق التوكل عليك .

(يـا ضـار) امنعني بلطائف عنـايتـك من شـر الأشـرار واحفـظني بحسن عنايتك من اقتحام الأوزار .

(يـا نافـع) إجعلني ممن يضر بـدنياه لـطلب الآخرة ويـنذر هذاه في مناه لشهود المنافع الفاخرة .

(يا نور) السمـوات والأرض بمعنى الهدايـة لأهلها والإرشـاد أجعل لي نوراً أمشي به في العباد .

(يا هادي) اهدني لأحسن الأعمال .

(يا بديع) السموات والأرض عن غيـر قياس ولا مثـال أظهر لي من

بدائع حكمتك ما ينفي كل إلتباس ويوضح كل إشكال .

(يا باقي) فلا إنتهاء لنهايتك ولا آخر أسهم لي من مقام البقاء بك الحظ الوافر .

(يا وارث) خصني من وراثة خواصك بمقام كريم واجعلني بفضلك من ورثة جنة النعيم .

(يا رشيد) إرشدني إلى طاعتك ومحبتك واجعلني مرشداً لعبادك إلى طريق توحيدك ومعرفتك .

(يا صبور) صبرني على طاعتك واجعلني صبوراً في بلواك

اللّهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك وبمنتهى الرحمة من كتابك وبأسماء الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم أن تصلي على سيدنا محمد وآله والأنبياء والمرسلين وأن تقضي حاجتي برحمتك يا أرحم الراحمين وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

وهذه بعض حكم له أيضاً

تجلي الحق لكل فرد من الموجودات بما يليق به من سر التجليات فأخذ كل موجود حضر مما قابله بحسب كل ميسر لما خلق له .

أفن ما أضيف إليك تبقى ما أضيف إليه .

كل منحة وافقت هواك فهي محنة وكل محنة خالفت هواك فهي منحة .

إن رددت الأمور كلها إليه استرحت من منازعات كثيرة فإن عطايا الله كلها حسنة فما وافق هواك جعلته خيراً وما خالفه جعلته شراً قل كل من عند الله .

خف في كل مالك فيه نية ولو كانت طاعة ولا تخف مما أنت القهور فيه ولو كانت معصية .

توافق الخلق من حيث لطائف الأشباح .

ما عاملت به الخلق يعاملك به الحق وما عاملت به الحق يعاملك به الخلق .

من تصفي عن صفات ناسوته رقا إلى صفات لا هوته وقيل من

تصفى عن صفات لا هوته ترقى عن صفات ناسوته .

ليس الزاهد من زهد في الدرهم والدينار إنما الزاهد من زهد فيما سوى الجبار .

لا ينال رضاه من في قلبه شيء سواه .

المريد من سار بنفسه إليه والمراد هو الذي سير به رغماً عليه . لا يرتجي الوصول من لم يتابع الرسول .

من لم يتصف بالصفات الروحانية لم ينقل عن مرتبة الحيوانية . من لم يمت حسه لم يعرف نفسه .

لا يعرف ما نقول إلاَّ من اقتفى أثر الرسول .

لا تأخذ العلم إلاَّ عمن قرأه ويعمل به . من لم يمت عن هواه لا يمكن أن يراه .

ما دمت في طلب الحق فلا تقف مع الخلق .

السائر إلى الله منقطع برؤياه عما سواه .

من قنع بخالص الحلال يرجى له الكمال من خلصت لله نيته تولاه الله وملائكته .

حجبت عنه بك ولو فنيت عنك به رأيته معك .

ما لم تفن بشريتك وتموت لم تعرج في معارج الملكوت . لا تعرف الحق وصفاته ما لم تشهد سرك فيه وآياته .

من لم يأخذ الطريق من الرجال فهو ينقل من محال إلى محال . من لم يتحقق بحقائق الأسماء والحروف فهو عن كشف غوامض الأشياء مصروف لا يبرز لسر الله إلاَّ من تبدلت أرضه وسماه .

لا يعرف أسم الله الأعظم إلاَّ من له في الولاية قدم من عرف

اسم الله الأعظم في العالمين تحكم .

لا تكون عبداً لله وأنت تميل إلى شيء سواه .

الحكم الإلهية منيع الروح الأهلية .

تم والحمد لله أولاً وآخراً

(٩)
تنبيهات على علو الحقيقة المحمدية العليّة

هذا الكتاب نقلته من مكتبة الأزهر الشريف .

وجاء في فهرست المكتبة ما يلي :[«التنبيهات لابن عربي» أولها بعد الديباجة :

«فإني ذاكر تنبيهات دالات على علو الحقيقة المحمدية» .

نسخة في مجلد ، بقلم نسخ بخط حسن محمد أبو السعود سنة ١١٦٥ هـ في ٨ ورقات :

رقم خاص : ٨٥٤ حليم ، ورقم عام :٣٣٤٨٨ [تصوف] .

ومعنى كلمة «حقيقة» كما في القاموس المحيط :

«والحقيقة ضد المجاز .

ما يحق لك أن تحميه .

والراية»] ا هـ .

وجاء في آخر المخطوطة ما يلي :

«وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك : حادي عشر شهر ذي الحجة ١١٦٥ هـ على يد الفقير إلى مولاه الودود الرحمن : حسن ابن محمد بن أبي السعود بنان ، المرتلي ، البخاري : غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولإخوانه ولوالديهم ، ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، ولمن قرأ فيه ، وطالعه ، ولمن سمعه ونظر فيه ، ودعا لهم بالمغفرة ، آمين ، آمين ، آمين» ا هـ .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

تقـديم

أحمد الله تعالى على ما أولانا من نعم .

وأستعينه وأستمده ، حتى لا يقطع عنا رفده ، فإن المقطوع من قطعه الله تعالى .

وأصلّي وأسلّم على السيد المسود على العالمين من ربّ العزة تبارك وتعالى ، الذي أرسله ﴿رحمة للعالمين﴾ ﴿بشيراً ونذيراً﴾ صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم .

وبعـد :

إنني ـ بحمد الله تعالى ـ من خلال هذه المقدمات ـ أحاول بقدر إمكاني ـ أن أضع النقط على الحروف : دفاعاً عن الإسلام ، وإظهاراً لما أخفي عن عمد .

أو بالأحرى : كشفاً لما تعمد المبطلون المضللون إخفاءه ـ وليس دفاعاً عن شخص من الأشخاص ، أو مذهب من المذاهب ، فإن الدفاع عن الأشخاص والمذاهب : يكون فيه حق وباطل ، وليس هذا مذهبي ـ ولله الحمد والمنة ـ .

ونظرة إلى واقع الأمر نعرف منها : إن المستشرقين ، وأصحاب

المذاهب الهدامة ، كالاسماعيلية ، والرافضة ، والنصيرية ، وغيرهم : لعبت أيديهم في كتب الأفاضل من هذه الأمة ، وخصوصاً كتب السادة الصوفية .

على إنه من المحقق أيضاً : إن الكتب التي كتبها السادة الصوفية بأيديهم : أغلبها ضاع فيما ضاع من تراث المسلمين .

ثم نشبت ـ بين المسلمين ـ معارك مفتعلة ، وتعدي قوم ـ من المسلمين أيضاً ـ طور الحقيقة عن جهل بما جرى أو يجري في الخفاء ـ لإيقاظ الفتنة ، وجعلوا من التصوف : مذهباً مخالفاً للشريعة ، فهل الأمر كذلك ؟؟؟

إذا رجعنا للحديث الشريف ، الذي قال فيه رسول الله (ص) لما سئل عن : الإسلام ، والإيمان ، والإحسان .

قال عن الإحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه» .

ومعنى : «كأنك تراه» : أن تعتقد اعتقاداً جازماً ـ يصل في جزمه حد رؤية العين ـ إنك في كل حين ووقت في حضرة الله تعالى .

والمعنى الذي يعطيه قوله (ص) : «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ، وهو جزء من القسم الثالث من أقسام الحديث الشريف : هو «عمل الصوفية»(رضي الله عنهم)، وعنا بهم .

وإذا قلت : «الصوفية» فلا أقصد ـ بالقطع ـ ما عليه بعض الناس اليوم .

وإنما أقصد الملتزمين منهم بمنهج الله تبارك وتعالى .

ومن شذ ، فإنما يشذ إلى جهنم .

على أننا ـ في هذه المقدمة على صغرها ـ سنعرض كلام بعض السادة المشايخ الذين يقتدي بهم في هذا الفن المبارك ، حتى نوضح

للناس عقائدهم التي كانوا عليها (رضي الله عنهم وأرضاهم)، وظلوا عليها حتى لقوا ربهم تبارك وتعالى ، وليس في واحد منهم شعرة ترف لغير الله تعالى .

قال الإمام الشاطبي (رحمه الله) في كتابه «الاعتصام» ص ٩٨ ج ١ تحقيق محمد رشيد رضا :

« . . . وقال أبو القاسم النصر اباذي : أصل التصوف : ملازمة للكتاب والسنة ، وترك البدع والأهواء ، وتعظيم حرمات المشايخ ، ورؤية أعذار الخلق ، والمداومة على الأوراد ، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات» .

ثم قال (رحمه الله تعالى) :

« . . وكلامهم في هذا الباب يطول ، وقد نقلنا عن جملة ممن أشتهر منهم ، ينيف على الأربعين شيخاً : جميعهم يشير - أو يصرح - بأن الابتداع : ضلال ، والسلوك عليه تيه ، واستعماله : رمي في عماية ، وإنه مناف لطلب النجاة ، وصاحبة غير محفوظ ، وموكول إلى نفسه ، ومطرود عن نيل الحكمة ، وأن الصوفية الذين نسبت إليهم الطريقة مجمعون على تعظيم الشريعة ، مقيمون على متابعة السنة ، غير مخلين بشيء من آدابها ، أبعد الناس عن البدع وأهلها .

ولذلك لا تجد منهم من ينسب إلى فرقة من الفرق الضالة ، ولا من يميل إلى خلاف السنة .

وأكثر من ذكر منهم : علماء ، وفقهاء ، ومحدثون ، وممن يؤخذ عنه الدين : أصولاً وفروعاً .

ومن لم يكن كذلك ، فلا بد له من أن يكون فقيهاً في دينه بمقدار كفايته . . . » ، إلى آخر ما قال (رحمه الله تعالى) .

وقال الإمام الشعراني (رحمه الله تعالى) ، في كتابه «الأنوار

القدسية في معرفة قواعد الصوفية» :

«. . . وعلوم أهــل الله إنمـا هي علوم رســول الله (ص) ، لأنهم متقيـدون بـالشـريعـة ، لا يخـرجـون عنهــا إلى رأي أو قيـاس ، إلاَّ في النادر» ا هـ .

وقال (رضي الله عنه) :

«. . . وأجمعـوا ـ أي أهـل طـريق الله ـ على أنـه لا يصـح ـ ممن ثبت له قدم في الطريق ـ: بغض ، ولا شحناء ، ولا حسـد ، ولا بغي ، ولا غيبة ، ولا نميمة ، ولا حقد ، ولا مكر ، ولا رياء ، ولا نفاق .

فإن فعل ذلك فهو عدو لله» ا هـ .

وقال أيضاً (رحمه الله) :

«. . . إن طريق القوم محـررة على الكتاب والسنـة تحريـر الذهب والجوهر .

فمن لم يكن من أكـابر العلمـاء : لا يفلح فيهـا ، لأن لـه في كـل حركة وسكون ميزاناً شرعياً ، يجب عليه علمه قبل الفعل» ا هـ .

وقال أيضاً(رحمه الله ورضي عنه) :

«. . . ومن شـأن القـوم : ألا يتعـدوا علوم شـريعـة النبي (ص) ، ولا يتدينوا برأي لا يشهد له ظاهر الشريعة ، كما قـال أبو القـاسم الجنيد (رضي الله عنه) : «علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة» ا هـ .

وقــال أيضــاً :

«. . كان السيد إبراهيم الدسوقي يقول :

أقبـل يا ولـدي على طـريق القـوم ، فـإنهـا هي الـطريق التي درج عليهـا السلف الصالـح من الصحابـة والتابعين ، لكن بعـد معـرفتـك مـا أوجب الشرع عليك معرفته» ا هـ .

وفي كتاب «النهج الحميد» للسيد إبراهيم الحسني النيجيري ص ٨٠ عن الشيخ أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية أنه قال :

« . . . إذا سمعتم عني شيئاً ، فزنوه بميزان الشرع ، فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه» اهـ .

ويقول ابن عربي (رحمه الله تعالىٰ)، في الرسالة التي نقدم لها الآن : عند كلامه على التنبيه الثالث ، ما نصه :

« . . فألزم الاقتداء به ، والاتباع له (ص) ولا تطأ مكاناً لا ترى فيه قدم نبيك (ص) .

فضع قدمك على قدمه : إن أردت أن تكون من أهل الدرجات العلى ، والشهود الكامل في المكانة الزلفى» اهـ .

وفي «وفيات الأعيان» لابن خلكان ، عند كلامه عن سيدي أبي يزيد البسطامي(رضي الله عنه) قال:

« . . . وكان يقول : لو نظرتم إلى رجل اعطى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة» اهـ .

وقال ابن عربي في «التنزلات الموصلية» :

« . . . فالسعادة كل السعادة في المحافظة على الأمور الشرعية ، والقيام بالحدود الوضعية[1]» .

وقال في «التنزلات الموصلية» أيضاً يخاطب الملوك :

« . . . واعلم أن الله تعالى : ما جعلك ملكاً على خلقه ، وأقامك بين الباطل والحق في مقام حقه لقصور قدرته عن إصلاح الخلق وتدبيره ، وتصريفه في إظهار الملك وتسخيره .

(١) يعني : التي وضعها لك الحق تبارك وتعالى لافادتك بها ، فلا تتعداها .

وإنما ضرب لك بك مثالاً في عالم الفناء ، لتستدل به على ترتيب الملك الإلهي في دار البقاء .

ولهذا جعل هذه الدنيا عرضاً زائلاً ، وغرضاً ماثلاً ، وجعلك عنها راحلاً .

فهي جسر منصوب على بحر الهلاك ، وميدان موضوع لمصارع الهلاك .

كم أبادت من القرون الماضية ، والأمم الخالية ، والجبابرة المتألهين الطاغين ، والحكماء ، والفضلاء ، والأدباء ، والعقلاء ، والأنبياء ، والأولياء ، فهل ترى لهم من باقية ؟

وأنت أيها الملك : على قارعة مذهبهم ، وعن قريب تلحق بهم .

فإما إلى نعيم في دار الخلود بجوار الصمد ، وإما إلى عذاب الأبد .

فاجهد في تحصيل أدوات النجاة والبقاء ، فإن الدنيا متاع ، والأخرة خير لمن اتقى ، والعارية مردودة ، وأعمالك بين يديك موجودة غير مفقودة ، في كتاب : لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ، ولا علانية ولا سريرة» ا هـ .

وها هوذا شيخ الصوفية ، وأحد كبار مؤسسي الطريق ـ ذو النون المصري (رحمه الله تعالى) ـ يقول عن عباد زمانه ، وقد رأى فيهم شيئاً من الخلل :

«. . . قد غلب على العباد والنساك والقرّاء ـ في هذا الزمن ـ التهاون بالذنوب ، حتى غرقوا في شهوة بطونهم وفروجهم ، وحجبوا عن شهود عيوبهم ، فهلكوا وهم لا يشعرون :

أقبلوا على أكل الحرام ، وتركوا الحلال ، ورضوا من العمل بالعلم ، يستحيي أحدهم أن يقول ـ فيما لا يعلم ـ لا أعلم .

هم عبيد الدنيا ، لا علماء الشريعة ، إذ لو عملوا بالشريعة لمنعتهم عن القبائح .

إن سألوا : ألحوا ، وإن سئلوا : شحوا .

لبسوا الثياب على قلوب الذئاب .

اتخذوا مساجد الله التي يذكر فيها اسمه : لرفع أصواتهم باللغو والجدال ، والقيل والقال ، واتخذوا العلم شبكة يصطادون بها الدنيا ، فإياكم ومجالستهم[1]» .

هل بين التصوف والفلسفة صلة كما يقولون ؟ :

اعلم أيها الأخ المسلم الحريص على دينك : إن الفلسفة كفر محض .

وأن التصوف إيمان محض .

وهما على طرفي نقيض : لا يلتقيان أبداً .

وإن الذين خلطوا بين التصوف والفسفة من المسلمين ، إنما تقيدوا بعقلية الفلاسفة من أهل أوروبا .

وهاأنذا سائق إليك مثلاً واضحاً : خطاباً أرسله «ابن سينا» شيخ الفلاسفة في عصره ومصره ، إلى «شيبان الراعي» : من كبار الصوفية (رضي الله عنه)، منه تعرف الفرق بين المنهجين : منهج الفلسفة الذي

---

(١) راجع الخطط التوفيقية عند ترجمة «ذي النون المصري» .

وبربك أيها القارىء : هل يقول هذا الكلام إلاّ من شرب لبن الشريعة حتى الثمالة ؟ وتخلقوا بأخلاق رسول الله (ص) ، فكانت شعارهم ودثارهم ؟

ذكره له ابن سينا في خطابه ، ومنهج التصوف الذي أيد به شيبان (رحمه الله ورضي عنه) :

في الخطط التوفيقية : عند الكلام عن الإمام الشافعي (رضي الله عنه) ص ٧١ من الجزء الخامس ، من طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ما نصه :

«وكتب له أبو علي بن سينا :

«الحكمة صناعة نظرية ، يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود بأسره في نفسه ، وما عليه الواجب فيما ينبغي أن يكتسبه بعلمه ، وتشرف بذلك نفسه ، ويستكمل ويصير عالماً معقولاً ، مضاهياً للعالم الموجود ، ويستعد للسعادة القصوى في الآخرة ، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية .

والعقل له مراتب ، وأسماء بحسب تلك المراتب .

فالأول هو: الذي استعد به الإنسان لقبول العلوم النظرية والصنائع الفكرية .

وحده : غريزة يتهيأ بها لإدراك العلوم النظرية .

ثم يترقى في معرفة المستحيل ، والممكن ، والواجب .

ثم ينتهي إلى حد يقمع الشهوات واللذات الحسية ، فتتجلى له صور الملائكة إذا تحلى بحليتها ، فيعاين الحقائق الدائمة ، ويعلم بذاته وموضوعه : لماذا خلق» اهـ .

فأجابه شيبان بما نصه :

«من الأبلة الأمي ، إلى الحبر أبي علي بن سينا :

وصل كتابك ، مشتملاً على ماهية العقل وحقيقته ، وقد ألفيته وافياً بمقصودك ، لا بمقصودي ، ولست ممن قنع عن الدر بالصدف ،

واقتني علوماً لم يؤمر بهـا ، فاستغـرقت فيها همتـه ، حتى زلت بـه قـدم الغرور في مهواة التلف .

وكـل ما تـذروه رياح المـوت ، فالهمـة تقتضي تركـه ، والسـلام» اهـ .

بربك أيهـا الأخ المسلم هل يـرد هذا الـرد إلا رجل علمـه الله من لدنه علماً ، فتح الله اغـلاق قلبه ، ونـور دخائل بصيرتـه ، وتصوف حتى استوى ظاهره وباطنه وانجلت عين بصيرته .

الحلـول والاتحـاد :

الحلول والاتحـاد : لا يقول بهمـا مسلم أبـداً ، ولا نعـرف أحـداً من أهـل الله قال بهمـا ـ وقد سبق في مقـدمـات كتبنـاهـا ـ إن قلنـا : إن هؤلاء القـوم ـ الصوفية (رضي الله عنهم وعن بهم)ـ وضعت عليهم أقـوال لم يقولوها ، ولا تصدر منهم ، وإنمـا وضعها عليهم اليهـود والنصارى ، ومن لف لفهم ، ممن تلبست عقولهم بخطيئـات العقول الأوروبيـة : ظناً منهم أن ذلك يسوي بين الإسلام ـ في عقيدته الطاهـرة النقية ـ واليهـودية والنصرانية اللتان اخترعهما الشيطان خدمة للضلال والافساد .

يقـول ابن عربي (رحمه الله تعالى) ، في كتـابه «التنـزلات الليليـة» ص ٥٣ :

«لا حـاجـة لنـا في إقـامـة دليـل على إثبـات الـوحـدانيـة ، فـإن المشاهد : تمنع الجدال في الله وفي وحدانيته» .

وقال ص ٥٧ :

« . . . بـل المخلوق قـاصـر عن إدراك نفسـه ، فكيف لـه بـالـظفـر بـإدراك منشئه من حيث هـو منشيء له ، فـأحرى ـ من حيث ذاتـه تعـالى وتقـدس علواً كبيـراً ـ لا يعـرفـه على حقـه عـارف ، ولا يصفـه واصف» اهـ .

وقال(رضي الله عنه) في «التنزلات الموصلية» - في «فصل أهل الأسرة» - عن الإستواء على العرش :

«إنه ليس كإستواء الأكوان ، وإنه لو جلس عليه جلوساً - كما تدعيه المشبهة - لحده المقدار ، وقام به الافتقار إلى مخصص مختار ، لا تحيط به الجهات والأقطار .

والافتقار على الله محال .

والاستقرار - بمعنى الجلوس - عليه محال ، ولا سبيل إلى هذا الاعتقاد بحال .

وما بقي لكم سوى أمرين ، مربوطين بحقيقتين :

الأمر الواحد: أن يصرف لفظ هذا الاستواء إلى الإستيلاء .

والأمر الآخر : أن نؤمن بها كما جاءت ، من غير تشبيه ولا تكييف ، ونصرف العلم بها إليه ، فإنه أسلم بالمؤمنين عند قدومهم عليه .

ولهذا يختم المنزه تأويله بقوله : «والله أعلم» ، لمعرفته بأن التنزيه قائم بذاته» اهـ .

وقال في كتابه «مرآة العارفين في ملتمس زين الدين» :

«. . . وذاته ذاته ، بلا اتحاد ولا حلول فيه ، ولا صيرورته هو ، فإنه محال ، لأن الاتحاد يحصل من الوجودين ، وكذلك الحلول ، وما ثم إلّا وجود واحد ، والأشياء موجودة به ، معدومة بنفسها[1] فكيف يتحد به من هو موجود به ، معدوم بنفسه» اهـ .

ثم قال :

---

(١) قوله معدومة بنفسها : أي أنها هي في الأصل معدومة ، لا أصل لها ولا وجود ، فإذا أراد الباري - سبحانه وتعالى - إيجادها : أوجدها من العدم .

«ولـو تسمع الاتحـاد من أهل الله ، أو تجـده في مصنفاتهم ، فـلا تفهم منـه ما فهمت من الاتحـاد الذي قلنـا : إنه من الـوجـودين[1] ، إذ ليس مرادهم بالاتحاد : إلاَّ شهود الـوجود الحق المـطلق : الذي «الكـل بـه موجـود» بالحق[2] فيتحـد بـه الكـل من حيث كـل شيء مـوجـود بـه معـدوم بنفسه ، لا من حيث أن لـه وجوداً خـاصاً بـه[4] ، فـإنـه محـال» اهـ .

ويفسره قوله في كتابه «الأزل» :

«والباري سبحانه : لا يشترك في شيء مع خلقه» اهـ .

وبهـذه المناسبـة نذكـر ما قـاله ابن تيميـة في رسالتـه «الرد الأقـوم على ما في فصوص الحكم» «طبع مطبعة السنة المحمدية» مـع مجموعـة رسائل طبعت سنة ١٣٦٨ هـ بتحقيق حامـد الفقي ص ٦٤ ، والمطبـوعة على نفقـة/ محمـد نصيف من أعيـان جـدة ، عن مسـألـة الحلول والاتحاد ، لنبصر أنفسنا بمجريات الأمور ، ونـرد الناس ـ مـا استطعنـا ـ إلى الحق ، ولن نعلق عليه بشيء من عند أنفسنـا ، لأن الأمر واضـح لا يحتاج إلى تعليق ، بل سنترك للعقلاء الأمر يحكمون فيـه بما يـرضي الله تعالى .

قال ابن تيمية (رحمه الله تعالى) :

«فصـل : قـد يقـع بعض من غلب عليـه الحـال في نـوع من الحلول . أو الاتحاد ، فإن الاتحاد فيه حق وباطل .

---

(١) الوجودان هما : الوجود الحق ، الذي لا يقبل الفناء ، وهو لله سبحانه وتعالى . والوجود الأخر الكائن بإيجاد الله له .

(٢) الحق له معان كثيرة منها : الأمر المقضي ، والملك كذا في القاموس .

(٣) الضمير في «به» راجع إلى «كل شيء» والمعنى : أن كل شيء موجود بالله ، وليس لـه وجود من ذاته .

لكن لما ورد عليه ما غيب عقله ، أو أفناه عما سوى محبوبه ، ولم يكن ذلك بذنب منه : كان معذوراً ، غير معاقب عليه ، ما دام غير عاقل ، فإن «القلم رفع عن المجنون[1] حتى يفيق» .

وإن كان مخطئاً في ذلك : كان داخلاً في قوله تعالى : ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطئنا﴾ وقال : ﴿ولا جناح عليكم فيما أخطأتم به﴾ .

وهذا كما يحكي : أن رجلين كان أحدهما يحب الآخر ، فوقع المحبوب في أليم ، فألقي الآخر نفسه خلفه ، فقال : أنا وقعت ، فما الذي أوقعك ؟

فقال :

غبت بك عني فظننت أنك أني

فهذه الحال تعتري كثيراً من أهل المحبة والإرادة في جانب الحق ، وفي غير جانبه .

وإن كان فيها نقص وخطأ[2] فإنه يغيب بمحبوبه : عن حبه ،

---

(١) لأن الحال غلب عليه فأفقده وعيه ، ولذلك قال السيد أحمد البدوي(رضي الله عنه): عن نفسه وعشقه لربه :

ولم أر في العشقا مثلي ، لأنني
تلذ لي البلوى ، ويطربني العذل
سوى معشر : حلو النطاق ومزقوا الـ
حجاب ، فلا فرض عليهم ولا نفل
وقد نسبوا للجنون جماعة
فقلت لهم بيتاً لمسمعهم يحلو
مجانين إلا أن سر جنونهم
عزيز ، على أبوابهم يسجد العقل

(٢) هكذا في المطبوعة على اعتبار أن : «كان» بمعنى «وجد» .

وعن نفسه ، وبمذكوره عن ذكره ، وبمعروفه عن عرفانه ، وبمشهوده عن شهوده ، وبموجده عن وجوده .

فلا يشعر حينئذ بالتمييز ، ولا بوجوده ، فقد يقول في هذا الحال : «أنا الحق» أو «سبحاني» أو «ما في الجبة إلاَّ الله» ونحو ذلك ، وهو سكران بوجد المحبة ، الذي هو لذة وسرور ، بلا تمييز .

وذلك السكران : يطوي ، ولا يروي ، إذا لم يكن سكره بسبب محظور .

فأما إن كان السبب محظوراً : لم يكن السكران معذوراً .

وأما أهل الحلول ، فمنهم من يغلب عليه شهود القلب وتجليه ، حتى يتوهم أنه رأى الله بعيني رأسه .

ولهذا ذكره طائفة من العباد الأصحاء : «غلطا منهم» اهـ بحروفه .

وهنا قال حامد الفقي في تعليقه على هذا ـ لأنه هو طابع الرسالة ـ مما قال :

«. . . وغفر الله لشيخ الإسلام ، فإذا كان يعتذر عن هذه المقالات البالغة في الفجور والكفر إلى هذه القحة والاستهتار ، فما باله يرد على ابن عربي وإخوانه الشياطين» .

إلى أن قال : «. . . ولكن شيخ الإسلام ـ (عفر الله لنا وله) ـ حمله تمحل الأعذار : إن قائل هذا القول : شيوخ معظمون عند الجمهور ، من أمثال أبي يزيد البسطامي ، وأبي سعيد الخراز ، وذي النون المصري ، ممن يحسن بهم الشيخ الظن» إلى آخر ما قال .

ولا أقول لك أيها القاريء : من المحتم عليك أن تصدقني ، ولكن أقول لك إقرأ الرسالة بنفسك لترى مبلغ الضلال والتيه الذي سار فيه قوم من غير دليل .

عـود على بـدء :

يقـول ابن عـربي في رسـالتـه : «شجـرة الكـون» عن الله تبـارك وتعالى :

«. . . فهـو مقدس في وجـوده عن ملامسـة ما أوجـده ، ومجانبتـه ومواصلته ، لأنه كان ولا كـون ، وهو الآن كمـا كان : لا يتصـل بكون ، ولا ينفصل عن كون[1] ، لأن الوصل والفصل من صفات الحـدوث ، لا من صفات القدم ، لأن الاتصال والإنفصال يلزم منه الانتقال والارتحـال ، والتحـول والزوال ، والتغيـر والاستبدال ، هـذا كله من صفات النقص ، لا من صفات الكمال ، فسبحانه : سبحانه وتعـالى عما يقـول الظالمـون علواً كبيراً» ا هـ .

ومن الأشيـاء التي دسوهـا على ابن عربي (رحمه الله تعالى) : «إنـه قال بإيمان فرعون :

ولـو نظرت بعين الحق لـوجدت أن الـرجل لا يمكن أن يقـول مثل هـذا أبداً ، لأن قـائله يكذب رب العـالمين في كتابـه العزيـز ، إذ حكم عليه بكفره وخلوده في النار .

ولا يضـاد القرآن إلاَّ من كـان محباً لفـرعـون وقـومـه ، ومن أحب قوماً حشر معهم ، كما في الحديث الصحيح .

يقول ابن عابدين (رحمه الله تعالى) في حاشيته :

«مـطلب : اجمعوا على كفـر فرعـون ، وقد صـرح ابن عـربي في بعض كتبه ، بأن فرعون مع هامان وقارون في النار» ا هـ .

وابن عابدين (رحمه الله تعالى) من كبـار فقهاء الأحنـاف ، وإن كان من المتأخرين ، ولا يمكن أن يقول هذا الكلام جزافاً .

---

(١) قوله «لا يتصل بكون ولا ينفصل عن كون» تفسير لقوله «وهو الآن كما كان» .

قضيـة الحـلاج :

وقد اتهموا بهذا القول ـ الحلول والاتحاد ـ الحلاج أيضاً ،(رحمه الله ورضي عنه) .

ولكن إذا راجعت قضيته بعقل المسلم : وجدت أنها قضية سياسية : لحماً ودماً :

قال عنه ابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان» ج ١ ص ١٨٤ :

« . . . كان قد جرى منه كلام في مجلس حامد بن العباس : وزير المقتدر ، بحضرة القاضي أبي عمر ، فأفتي ، بحل دمه ، وكتب خطه بذلك ، وكتب معه من حضر المجلس من الفقهاء» .

فقال لهم الحلاج :

«ظهري حمي ، ودمي حرام ، وما يحل لكم : أن تتقولوا علي بما يبيحه ، وأنا اعتقادي الإسلام ، ومذهبي السنة ، وتفضيل الأئمة الأربعة : الخلفاء الراشدين ، وبقية العشرة من الصحابة (رضوان الله عليهم أجمعين)، ولي كتب في السنة ، موجودة مع الوراقين ، فالله في دمي» .

ولم يزل يردد هذا القول ، وهم يكتبون خطوطهم ، إلى أن استكملوا ما احتاجوا إليه ، ونهضوا من المجلس ، وحمل الحلاج إلى السجن» اهـ منه .

وأما طريقة القتل والمحاكمة ، فإنها تدل على أن من قتلوه : خالفوا الإسلام كل المخالفة ، لأنه لو فرض : إنه كان مرتداً ـ كما زعموا ـ لكان حكمه ما حكم به رسول الله (ص) على المرتد ـ وليس لأحد بعده أن يحدث أحكاماً من عنده مطلقاً ـ أن «يضرب بالسيف» ، ويواري في مقابر أهل الشرك ، ولا يصلّي عيه ، ولا يكفن .

ولكن ما حدث معه ـ أي الحلاج ـ بعد القتل : أنهم صلبوه ، ثم قطعوه إرباً إرباً ، ثم أحرقوه وذروه في النهر .

أما قبل القتل ، فإنهم جلدوه ألف سوط ، ثم ألفاً أخرى ، وفعلوا فيه الأفاعيل ، وهو حي .

وهذا يدل على حقد دفين في قلوب أعدائه .

وقد نهى النبي (ص) عن التمثيل بقتلى المشركين وغيرهم أيما نهي ، فما بالك برجل قال لهم : «اعتقادي الإسلام ، ومذهبي السنة» .

ومن هذا المنطلق الذي ذكرته لك أيها القارىء الكريم : يجب أن تعرف : أنه يجب علينا أن نعيد قراءة تاريخ هؤلاء الأفاضل ، من منطلق الحق الصرف ، الذي لا محاباة فيه لأحد من الناس ، كائناً من كان ، حتى نهتدي إلى ما يحب الله ورسوله ، وندع أضاليل المستشرقين وأتباعهم من دعاة التغريب والكفر .

ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم .

هو العاصم من الزلل ، والواقي من الخطل .

والصلاة والسلام على صاحب الحق الأبلج والنور الأكمل .

صلّى الله عليه وآله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ، وسلّم .

عبد الرحمن حسن محمود

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، خصوصاً على نبيه ورسوله ووليه وصفيه المجتبى ، الذي كلمه[1] وأشهده وقربه ، حتى كان منه[2] كقاب قوسين أو أدنى[3] : محمد المختص بمظهر الربوبية[4] العظمى (ص)وعليهم : صلاة دائمة أبداً بلا انقطاع ولا انتهاء .

أما بعد :

---

(١) ليلة الإسراء والمعراج ، وحديث فرض الصلاة وتردده على سيدنا موسى شاهد على ذلك .

(٢) مكانة لا مكاناً ، وكلمه ربه تعالى ، ففي حديث الإسراء الذي رواه ابن أبي حاتم ، قال (ص) : «فقال الله لي يا محمد : إني يوم خلقت السماوات والأرض افترضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة ، فقم بها أنت وأمتك» .

(٣) كناية عن شدة القرب ، وإنه (ع) : أقرب المقربين إليه .

(٤) ومظهر الربوبية هو : التربية والتأديب ، قال (ص) : «أدبني ربي فأحسن تأديبي» ولم يقل : «أدبني الله» لأن كلمة الرب فيها معنى التربية ، ومنه قوله تعالى ـ رب العالمين ـ أي الذي يربيهم ، ومظهر الربوبية : من تظهر فيه آثار التربية ، وهم كل الخلق : كالرزق ، والحفظ ، والعناية ، وما إلى ذلك .

واختصاص الله تعالى حبيبه (ص) : أعلى وأرقى من ذلك كله .

فإني ذاكر تنبيهات ، دالات على علو مرتبة الحقيقة المحمدية ، وتوحده بها ، مما كوشف به بعض محققي وراثه ، لتحيا قلوبنا بفهمها ، وتتشرف أسماعنا بإدراكها ، وتسعد ألسنتنا بذكرها ، صلّى الله على صاحبها :

التنبيه الأول

إعلم أن الحقيقة المحمدية مسماة بالعقل الأول ، وبالقلم الذي علم الله تعالى به الخلق كلهم ، وبالحق الذي قامت به السماوات والأرض ، وبالباء .

وأحسن أسماء هذه الأسماء : [الحقيقة المحمدية] : الباء[1] ، من حيث ظهور الأشياء بها .

وإنما ظهرت الأشياء بالباء ، إن الحق تعالى : واحد ، فلا يصدر عنه إلاّ واحد ، فكان الباء : أول شيء صدر عن الحق تعالى ، فهي : ألف على الحقيقة ، وحداني من جهة ذاتها ، وهي باء من جهة مرتبتها ، لأنها ظهرت في المرتبة الثانية من الوجود ، فلهذا سميت : باء ، لتمتاز عن الحق تعالى ، ويبقى اسم الألف له تعالى .

فالباء : أثنان من جهة المرتبة ، فهي عدد ، والأشياء عدد ، فصار العدد من العدد : يعني من الباء ، وبقي الواحد الأحد ، في أحديته مقدساً منزهاً .

ثم أعلم أن الباء زائدة في حضرة الفعل ، فلهذا كانت النقطة التي تحتها بين العالم الكوني وبينها : إشارة إلى الأحدية ، فلو كان الأثر للباء ، لم تكن هذه النقطة ، إذ الأثر لها لا للباء ، والله تعالى أعلم .

---

(١) بدل جملة من جملة .

التنبيه الثاني

اعلم أن مرتبة الإنسان الكامل ، الذي لا أكمل منه : من العالم : مرتبة النفس الناطقة من الإنسان[١] ، وهو سيدنا محمد (ص) : الذي هو الغاية المطلوبة من العالم .

ومرتبة الكمال التنازلي[٢] عن مرتبته : بمنزلة القوى الروحانية من الإنسان[٣] ، وهم الأنبياء (صلّى الله عليهم وسلّم) .

ومرتبة من نزل عن مرتبتهم[٤] بمنزلة : القوى الحسية من الإنسان في الشكل ، وهو من جملة الحيوان ، فهم بمنزلة الروح الحيواني في الإنسان ، الذي يعطي النمو والاحساس .

وإنما قلنا : إنه (ص) : «النفس الناطقة» : لما أعطاه الكشف ، ولقوله (ص) : «أنا سيد الناس»[٥] والعالم من الناس ، فلأنه الإنسان الكبير في الجرم ، المتقدم[٦] في التسوية : لتظهر عنه[٧] صورة نشأته

---

(١) يشير إلى أنه بالنفس الناطقة يتميز الإنسان من الحيوان ، وكذلك هو (ص) بالنسبة للعالم بمنزلة النفس الناطقة بالنسبة للخلق ، والله أعلم .

(٢) لأنه أعلى مقامات الكمال ، فكل من أوتي شيئاً من الكمال فهو أقل منه : مرتباً ترتيباً تنازلياً ، لا تصاعدياً ، لأنه لو كان ترتيباً تصاعدياً لكان هناك من هو أعلى منه ، وهذا غير موجود ، فهو الحائز (ص) ذروة الكمال الخَلقي والخُلقي - أي خلقه الله تعالى أكمل المخلوقين - . (ص) .

(٣) لأن الإنسان بلا روح : جسد ميت ، لا حركة له .

(٤) وهم الأولياء والصالحون من عباد الله تعالى .

(٥) في الحديث الطويل الذي رواه الإمام أحمد ، والترمذي وغيرهما .

(٦) في المخطوطة : «المتقدمة» .

(٧) هناك فرق بين «عنه» و «منه» ومعنى «عنه» أي عن طريقه ، تقول مثلاً : أخذت هذا العلم عن فلان ، أي بواسطته ، فهو ممد وممد ، أخذ من ناحية ، معط من ناحية أخرى .

(ص) ، كما سوى الله تعالى جسم الإنسان وعدله قبل وجود روحه(*) ، ثم نفخ فيه من روحه : روحاً كان به إنساناً تماماً .

والملائكة من العالم كالصورة الظاهرة في خيال الإنسان . وكذلك الجن .

فليس العالم إنساناً إلاَّ بوجود الإنسان ، الذي هو «نفسه الناطقة» .

كما أن نشأة الإنسان : لا يكون إنساناً إلاَّ بنفسه الناطقة ، ولا تكون هذه النفس الناطقة من الإنسان كاملة ، إلاَّ بالصورة الإلهية(١) .

فلذلك «نفس العالم»(٢) التي هي عبارة [عن](٣) سيدنا محمد (ص) ، حازت درجة الكمال بتمام الصورة الإلهية في الوجود والبقاء والتنوع في الصور ، وبقاء العالم به .

وكان حال العالم قبل ظهوره (ص) بمنزلة الجسد المسوى بلا روح .

وحاله بعد وفاته : بمنزلة النائم .

وحاله ببعثه (ص) يوم القيامة : بمنزلة الانتباه بعد النوم .

ولما أراد الله بقاء هذه الأرواح على ما قبلته من التمييز : خلق لها أجساداً برزخية تميزت بها عند انتقالها عن أجسادها في الدنيا : في النوم ، وبعد الموت ، والله أعلم .

(*) يعني قبل النفخ فيه .

(١) سيبسط هذا الكلام فيما بعد بسطاً واضحاً .

(٢) لأن العالم كالجسد الواحد : له روح واحد .

(٣) في المخطوطة «من» وهو تحريف .

التنبيه الثالث

اعلم : أن الأرض الواسعة[1] إنما هي أرض عبادتك ، فتعبد الحق «كأنك تراه» في ذاتك من حيث بصرك ، على ما يليق بجلاله تعالى .

وعين بصيرتك تشهد بأنه : ظاهر لها ظهور علم[2] ، فتجمع في عبادتك بين ما يستحقه تعالى من العبادة في الخيال[3] ، وبين ما يستحقه من العبادة في غير موطن الخيال[4] ، فتعبده مطلقاً ومقيداً[5] ، وليس هذا لغير هذه النشأة الإنسانية المؤمنة ، التي جعلها الله تعالى حرمه المحرم ، وبيته المعظم .

فكل من في الوجود من المخلوقات : يعبد الله تعالى على الغيب ، إلاّ الإنسان الكامل ، فإنه يعبد الله تعالى على المشاهدة .

ولا يكمل العبد بالإيمان الكامل ، فإنه النور الذي يزيل كل ظلمة .

فإذا عبده على المشاهدة : رآه جميع[6] قواه ، فما قام بعبادته غيره[7] ، ولا ينبغي أن يقوم بها سواه .

---

(١) المذكورة في قوله تعالى : ﴿يا عبادي الذين آمنوا أن ارضي واسعة فأياي فأعبدون﴾ من سورة العنكبوت ؛ الآية : ٥٦ ، وهو من التفسير الأشاري .

(٢) لا ظهور رؤية .

(٣) أي في خيالك أيها العابد .

(٤) أي في موطن الحقيقة ، وهو موطن الذي يعتقد أنه يشاهد الله جل وعلا حقيقة .

(٥) يعني بما أفترض عليك من الفرائض ، وبما تنتقل به ، والله تعالى أعلم .

(٦) من قوله جلا وعلا : «كنت يده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها» إلى آخر الحديث القدسي المعروف .

(٧) الضمير يرجع إلى «الله» تعالى ، لأنه هو الذي أمدك سراً وجهراً ، وهو الفاعل على الحقيقة سبحانه وتعالى .

واعلم أنك إذا لم تكن بهذه المنزلة ، ومالك قدم في هذه الدرجة ، فأنا أدلك على ما يحصل لك به هذه الدرجة العليا ، وذلك أن تعلم أن الرسل ـ(صلّى الله عليهم وسلّم)ـ أعدل الناس أمزجة لقبول رسالات ربهم[1] تعالى .

وكل شخص منهم قبل من الرسالات الإلهية على قدر ما أعطاه الله تعالى في مزاجه من التركيب .

فلذلك لم يبعث نبي منهم إلاّ لقوم معينين ، لأنه على مزاج خاص مقصور ، وأن سيدنا محمداً (ص) بعثه الله برسالة عامة إلى جميع الناس كافة . ولا[2] قبل مثل هذه الرسالة العامة إلاّ لكونه على مزاج عام ، يحتوي على مزاج كل نبي ورسول[3] .

فمزاجه : أعدل الأمزجة كلها ، ونشأته أقوم النشآت أجمعها .

فإذا علمت هذا ، وأردت أن ترى الحق تعالى على أكمل ما ينبغي أن يظهر به لهذه النشأة الإنسانية ، فألزم الإيمان والاتباع له (ص) ، واجعله مثل المرآة أمامك .

وقد علمت أن الله تعالى لا بد أن يتجلى لسيدنا محمد (ص) في مرآته : أكمل ظهور وأعدله ، وأحسنه لما هي عليه مرآته من الكمال .

فإذا أدركت الحق تعالى في مرآته (ص) : تكون قد أدركت منه

---

(١) لأنه لا يمكن أن يعي رسالة الله إلاّ من كان كذلك .

(٢) «لا» بمعنى «ما» ، وقبل : بفتح القاف وكسر الباء وفتح اللام .

(٣) ولذلك كانت رسالته (عليه الصلاة والسلام) أكمل الرسالات ، لأنها حوت جميع ما نزل على الرسل ، وذلك لقوله تعالى : ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾ من سورة المائدة ؛ الآية : ٤٨ وكان هو أكمل الرسل ، وهي قضية لا تقبل الجدل .

ما لم تدركه في غير مرآته (ص) .

ألا ترى - في باب الإيمان - بما جاء به من الأمور التي نسب الحق تعالى نفسه بها على لسان الشرع - بما تحيله العقول - ، ولولا الشرع والإيمان به لما قبلنا ذلك من حيث نظرنا العقلي .

فكما أعطانا بالرسالة والإيمان : ما قصرت العقول - التي لا إيمان لها - عن إدراكها ذلك من جانب الحق تعالى ، كذلك أعطانا ما قصرت أمزجتنا ومرائي قلوبنا - عند المشاهدة - عن إدراك ما تجلى في مرآته (ص) : أن تدركه في مرآتها .

وكما آمنت به في الرسالة غيباً : شهدته عند التجلي عيناً[١] .

فقد نصحتك وأبلغت لك في النصحية ، فلا تطلب مشاهدة الحق تعالى إلاَّ في مرآته (ص)[٢] .

واحذر أن تشهد النبي (ص) أو تشهد ما تجلى في مرآته من الحق تعالى في مرادك ، فإنه ينزل بك ذلك عن الدرجة العالية .

فالزم الاقتداء به ، والاتباع له (ص) ولا تطأ مكاناً لا ترى فيه قدم نبيك (ص) .

فضع قدمك على قدمه[٣] إن أردت أن تكون من أهل الدرجات العلا ، والشهود الكامل في المكانة الزلفى ، والله الموفق .

---

(١) يعني لما آمن المسلم بالله تعالى بالغيب ولم يره ، وعمل له وأحبه واشتغل به حباً له وإقامة لشرعه : تجلى له ، فصار كأنه يراه رؤية عين .

وربما رمز الشيخ (رحمه الله تعالى) إلى التجلي الحقيقي يوم القيامة ، وفي الجنة ، والله أعلم .

(٢) لأنك لا تستطيع ، ولن تكون مرآة قلبك صافية ، كما هي مرآة قلبه الشريف ، مهما بلغت من الصلاح والتقوى ، فإن الخالق جل وعلا قدر أن تكون مرآة قلبه (عليه الصلاة والسلام) أصفى وانقى المرايا على الإطلاق .

(٣) يعني ابتع آثاره (ص) في كل صغيرة وكبيرة .

التنبيـه الرابع

اعلم أن الحق تعالى لما تجلى بذاته لذاته بأنوار السبحات الوجهية من كونه عالماً ومريداً ، فظهرت الأرواح المهيمنة بين الجلال والجمال ، وخلق ـ في الغيب المستور الذي لا يمكن كشفه لأحد من المخلوقين ـ العنصر الأعظم ، وكان هذا الخلق دفعة واحدة من غير ترتيب سببي ، وما منهم روح يعرف أن ثم سواه ، لفنائه في الحق بالحق .

ثم إنه تعالى أوجد بتجل آخر من غير تلك المرتبة المتقدمة : أرواحاً متحيزة في أرض بيضاء ، وهيمهم فيها بالتسبيح والتقديس ، لا يعرفون أن الله تعالى خلق سواهم .

وكل منهم على مقامٍ من العلم بالله تعالى والحال .

وهذه الأرض خارجة عن عالم الطبيعة ، وسميت أرضاً نسبة مكانية لهذه الأرواح المتحيزة ، ولا يجوز عليها التبديل[1] ، ولا يجوز كذلك أبد الآباد ، لما سبق في علم الله تعالى .

وللإنسان الكامل في هذه الأرض : مثال ، وله فيهم حظ ، وله في الأرواح [الأولى[2]] مثال الآخر ، وهو في كل عالم على مثال ذلك العالم .

ثم إن هذا العنصر الأعظم : له إلتفاتة مخصوصة إلى عالم التدوين والتسطير ، ولا وجود لذلك العالم في العين ، وهذا العنصر المشار إليه : أكمل موجود في العالم .

---

(١) لأن التبديل الذي قاله تعالى : ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾ هي أرضنا هذه وسماؤنا ، والله تعالى أعلم .

(٢) في المخطوطة «الأولة» .

ولولا عهد الستر الذي أخذ على أهل هذه الطريقة لبسطنا الكلام فيه ، وبينا كيفية تعلق كل ما سوى الله تعالى به ، فأوجد ما قال الوارد عند تلك الإلتفاتة : «العقل الأول» ، وقيل فيه «الأول» ، لأنه أول عالم التدوين والتسطير .

وتلك الإلتفاتة ، إنما كانت للحقيقة الإنسانية ، التي لها الكمال من هذا العالم ، فكان المقصود من خلق العقل وغيره إلى أسفل عالم المركز : أسباباً مقدمة لترتيب نشأته ـ كما سبق في العلم ـ ومملكته ممتدة ، قائمة القواعد له (ص) ، لأنه عند ظهوره يظهر بصورة الخلافة والنيابة عن الله تعالى ،فلا بد من تقدم وجود العالم ـ الذي هو مملكته ـ عليه ، وأن يكون هو آخر موجود بالفعل ، وإن كانت له الأولية بالقصد .

فعين الحقيقة المحمدية هي المقصودة ، وإليه توجهت العناية الكلية ، فهو عين الجمع والوجود ، والنسخة العظمى ، والمختصر الأشرف الأكمل في مبانيه (ص) .

التنبيه الخامس

إعلم أن الوجود واحد[1] ، وله ظهور[2] ، وهو : العالم[3] ، وله بطون ، وهو : الأسماء ، وله برزخ جامع ، فاصل بينهما ، ليتميز الظهور عن البطون ، والبطون عن الظهور ، وهو : الإنسان الكامل : (ص) .

فالظهور : مرآة البطون .

والبطون : مرآة الظهور .

---

(١) أي وجود الحق تبارك وتعالى هو الوجود الحق .

(٢) بمعنى مظاهر .

(٣) فوجود العالم ، وهو مخلوق : دليل على وجود الخالق .

وما بينهما فهو مرآة لهما : جمعاً وتفصيلاً .

وإعلم : كما أنه بين ذات الحق تعالى ، وذات الإنسان الكامل مضاهاة ، وبين علمه وعلمه مضاهاة[1] وأن كل ما فيها مجمل ، فهو فيها مجمل ، وكل ما فيها مفصل فهو فيها مفصل ، فكذلك بين القلم ، وروح الإنسان الكامل مضاهاة ، وبين اللوح وقلبه مضاهاة ، وبين العرش وجسمه مضاهاة ، وبين الكرسي ونفسه مضاهاة ، وكل منهما مرآة لما يضاهيه .

فكل ما في القلم مجمل ، فهو في روحه مجمل .

وكل ما في اللوح مفصل ، فهو في قلبه مفصل .

وكل ما في العرش مجمل ، فهو في جسمه مجمل .

وكل ما في الكرسي مفصل ، فهو في نفسه مفصل[2] .

فالإنسان الكامل : جامع لجميع الكتاب الإلهية ، والكونية .

فكما أن علم الحق تعالى بذاته مستلزم لعلمه بجميع الأشياء ، وأنه يعلم جميع الأشياء من علمه بذاته ، فكذلك نقول : حق الإنسان

---

(١) عبر بالمضاهاة لأنها مشابهة : أسمية لا حقيقية ، قال في القاموس : «وضاهاه : شاكله» .

وقال : «والمشاكلة : الموافقة» .

وقد قال هو (رحمه الله) : «فالله لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء»ا هـ .

والمقصود بالإنسان الكامل : من تخلق بأخلاق الله تعالى ، فالمضاهاة من حيث التخلق والاتصاف .

وقد قال (ص) : «إن لله تعالى ثلاثمائة خلق ، من تخلق بخلق منها دخل الجنة» ولا يوجد أحد جمع هذه الأخلاق جميعاً غيره (ص) ، فهو الإنسان الكامل حقيقة لا شك ولا نزاع ، وهو المقصود عند ابن عربي (رحمه الله تعالى) : والله الهادي إلى سواء السبيل .

(٢) والإجمال والتفصيل بحسب كل .

الكامل : إذ علمه بذاته[1] مستلزم لعلمه بجميع الأشياء ، وإنه يعلم جميع الأشياء من علمه بذاته ، لأنه هو جميع الأشياء : إجمالاً وتفصيلاً - «فمن عرف نفسه فقد عرف ربه» - وعرف جميع الأشياء .

وانظر إلى قول الله تعالى : ﴿ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ .

فالألف : يشار به إلى الذات الأحدية ، من حيث أنه أول الأشياء .

واللام : يُشار به إلى الوجود المنبسط على الأعيان الوجودية .

والميم : يُشار به إلى الكون الجامع ، وهو الإنسان الكامل[2] .

فالحق تعالى ، والعالم ، والإنسان الكامل :﴿كتاب لا ريب فيه﴾[3] .

والله تعالى أعلم .

التنبيه السادس

إعلم أن مقام المحبة أعلى المقامات والأحوال ، وهو الساري فيها .

وكل مقام أو حال قبلها فلها يراد .

---

(١) الضمير في «بذاته» راجع إلى الإنسان الكامل . والمقصود بالأشياء : الأشياء التي هو خلاصتها ، لا علم كل شيء كما يتبادر إلى الذهن ، إذ علم كل شيء : لله وحده ، وسيفسرها الشيخ فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(٢) وقد بسط الكلام في كتابه «شجرة الكون» فارجع إليه تره مبسوطاً هناك وموضحاً .

(٣) ليس هذا تفسيراً للآية الكريمة ، وإنما نوع استنباط فقط ، المراد به : أن الله سبحانه وتعالى خلق العالم ، فوجود الله حق لا ريب فيه ، ووجود العالم : حق لا ريب ، لأن الله أوجده بالفعل ، واستخلص هذا العالم كله في واحد ، هو الإنسان الكامل : وصلّى الله على الإنسان الكامل (ص) ، وذلك حق لا ريب فيه ، ومن معاني الكتاب : الفرض ، والحكم ، والقدر : راجع القاموس المحيط ، والله الحمد والمنة .

وكل مقام أو حال بعدها فمنها يستفاد ، لأنه : مقام أصل الوجود وسيده ، ومبدأ العالم وممده[١] ، وهو سيدنا محمد (ص) : الذي اتخذه الله حبيباً كما اتخذ غيره خليلاً[٢] .

فمن حقيقة هذا السيد : تفرعت الحقائق كلها : علواً وسفلاً ، فأعطى الله تعالى أعلا المقامات ـ وهو المحبة ـ : لأصل الموجودات ، وهو سيدنا محمد (ص) .

وإعلم أن طلب الاتصاف بأوصاف الألوهية حجاب عن التحقق بهذا في الجملة[٣] كما كان سيدنا محمد (ص) الذي كان من ربه تعالى في القرب «بأدنى من قاب قوسين» ثم أصبح وليس عليه أثر من ذلك ، لأنه : ما ورد عليه أمر لم يكن فيه ، ولا ورد عليه شيء لم يكن في فطرته .

وأما غيره ـ وهو موسى (ض) ـ فإنه لما ورد على أمر غريب : ورد عليه أمر أثر فيه[٤] ، فكان يبرقع من النور الذي كان ـ على وجهه[٥] ـ لأنه كان يأخذ بأبصار الناظرين ، والله تعالى أعلم .

---

(١) هو إمداد الأصل لفرعه ، كما أن أصل الشجرة له جذوع يشرب منها ويروي الفروع .
فمعنى الامداد هنا : إنه الواسطة (ص) .

(٢) يشير إلى الحديث الصحيح الذي يقول فيه (ص) : «... وإن الله اتخذني حبيباً كما اتخذ إبراهيم خليلاً» .

(٣) يعني ـ والله أعلم ـ أن من يطلب الاتصاف بأوصاف الألوهية جملة : لا يمكن له ذلك .

(٤) يريد أن يقول : إن سيدنا موسى (ص) أضفى عليه النور وقت المناجاة ، وكانت على الأرض ، وأما سيدنا محمد (ص) فلم يظهر فيه شيء من الأنوار لما رجع إلى الأرض ، لأنها كانت فيه (ص) جبلها الله تعالى فيه . ولذلك قال عمرو بن العاص (رضي الله عنه) : «والله ما ملأت عيني من رسول الله (ص) قط ، ولو طلب مني وصفه ما استطعت» والله تعالى أعلم .

(٥) في الجملة تقديم وتأخير ، تقديره هكذا : «فكان يبرقع على وجهه من النور الذي كان» . والله أعلم .

التنبيه السابع

إعلم أن الإنسان الكامل : كتاب جامع لجميع الكتب الإلهية ، لأنه نسخة العالم الكبير .

فمن حيث روحه وعقله : كتاب عقلي يسمى بأم[١] الكتاب .

ومن حيث قلبه يسمى : كتاب اللوح المحفوظ .

ومن حيث نفسه يسمى : كتاب المحو والإثبات .

فهي ـ الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة ـ التي ـ لا يمسها ـ ولا يدرك أسرارها ومعانيها ـ إلّا المطهرون ـ من الحجب الظلمانية[٢] .

وما ذكرنا من الكتب ، إنما هي أُصول الكتب الإلهية .

وأما فروعها ، فكل ما في الوجود : تنتقش فيه أحكام الموجودات ، فهي أيضاً كتب إلهية .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

التنبيه الثامن

إعلم أن ربّ الأرباب هو الحق تعالى ـ باعتبار الاسم الأعظم ـ ، والتعين الأول .

هو منشأ جميع الأسماء ، وغاية الغايات ، ومتوجه الرغبات ، والحاوي لجميع المطالب كلها ، وإليه الإشارة بقول الله تعالى لرسوله (ص) : ﴿**وأن إلى ربك المنتهى**﴾ لأنه (ص) مظهر التعين الأول .

---

(١) أم الشيء : أصله الذي وجد منه ، ومنه قوله تبارك وتعالى : ﴿**لتنذر أم القرى ومن حولها**﴾ فإن مكة أصل الأرض ، ومنها دحيت ، فهو (ص) أصل العالم الذي وجد منه .

(٢) وهذا إقتباس إشاري من الآية الكريمة .

فالربوبية المختصة به[1] هي هذه الربوبية العظمى .

وإعلم أن لكل اسم من الأسماء الإلهية : صورة في العلم مسماة بـ «الماهية» ، و «العين الثابتة» .

ولكل اسم منها أيضاً صورة في الخارج مسماة بالمظاهر والموجودات الغينية ، وتلك الأسماء : أرباب تلك المظاهر .

فالحقيقة المحمدية : صورة لاسم «الله» الجامع لجميع الأسماء الإلهية ، الذي منه الفيض على جميعها ، فهو تعالى ربه .

فالحقيقة المحمدية التي هي ترب صورة العالم كلها[2] بالرب الظاهر فيها ، الذي هو رب الأرباب[3] .

فبظاهرها : ترب ظاهر العالم ، وبباطنها ترب باطن العالم ، لأنه صاحب الأسم الأعظم - وله الربوبية المطلقة[4] - .

وهذه الربوبية إنما هي له من جهة مرتبته ، لا من جهة بشريته .

فإنه من هذه الجهة[5] عبد مربوب : محتاج إلى ربه[6] سبحانه وتعالى.

---

(١) والاختصاص في هذه الآية الكريمة : في إضافة الاسم الكريم : «رب» إلى كاف الخطاب : «ك» ، وهو : اختصاص تكريم له (ص) .

(٢) ترب : أي تجمع صورة العالم ، قال في القاموس «ورب : جمع» والضمير في «كلها» راجع إلى الصورة لا إلى العالم .

(٣) سبحانه وتعالى ، وقوله (رضي الله عنه) «بالرب الظاهر» الخ : أي جمع صورة العالم كله في واحد ، وهو الإنسان الكامل (ص) .

وقوله : «هو صاحب الاسم الأعظم» أي المختص به .

وقوله : «وله الربوبية المطلقة» أي الجمع المطلق .

وقوله فيما بعد : «وهذه الربوبية إنما هي له من جهة مرتبته» الخ كأنه أحس بشيء فشرح ما يقصد ، لئلا يذهب وهلك وعقلك إلى شيء آخر غير مقصود له .

(٤) قوله : «الربوبية المطلقة» : أي الجمع المطلق .

(٥) الضمير راجع إلي : بشريته (ص) .

(٦) وهو أيضاً محتاج إلى ربه في الناحية الأولى ، وفي كل شيء .

وقد أوضح ذلك كله في كتابه «شجرة الكون» أيما أيضاح .

التنبيه التاسع

إعلم أن القطب الذي عليه مدار أحكام العالم ، وهو مركز دائرة الوجود ـ من الأزل إلى الأبد ـ واحد : باعتبار حكم الكثرة متعدد .

فالنبي في كل عصر هو قطبه[1] ، وعند إنقضاء نبوة التشريع بإتمام دائرتها ، انتقلت القطبية إلى الأولياء مطلقاً .

فلا يزال في هذه المرتبة واحد منهم ، قائم في هذا المقام ، ليحفظ الله تعالى به هذا الترتيب والنظام ، إلى أن يظهر خاتم الأولياء ، الذي هو خاتم الولاية المطلقة[2] ، والله أعلم .

التنبيه العاشر

إعلم أن الحق تعالى تجلى لذاته بذاته ، وشاهد جميع صفاته وكمالاته في ذاته، وأراد أن يشاهدها في حقيقة تكون كالمرآة ، فأوجد الحقيقة المحمدية التي هي أصل النوع الإنساني في الحضرة العلمية[3] ، فوجدت حقائق العالم كلها بوجودها وجوداً إجمالياً ، ثم أوجدهم فيها وجوداً تفصيلياً ، فصارت أعياناً ثابتة .

فأعيان العالم في العلم والعين[4] .

وكمالاتها : إنما حصلت بواسطة الحقيقة المحمدية[5] (ص) .

---

(١) أي قطب ذلك العصر الذي يدور عليه .

(٢) وهو سيدنا عيسى (ص) ، وسيذكره صريحاً فيما بعد .

(٣) أي في علم الله تعالى .

(٤) قوله في العلم والعين : أي ما كان في علم الله ثم ظهر في عالم المشاهدة والعيان .

(٥) لأنه : الأصل الذي منه الإفاضة ، كما قال سابقاً .

التنبيه الحادي عشر

[في بيان معاني وصف الشيخ (رحمه الله تعالى) للحقيقة المحمدية (ص) بأنه][*] الحادث الأزلي والنشأ الدائم .

أما حدوثه الذاتي ، فلعدم اقتضاء ذاته الوجوب[1] .

وأما حدوثه الزماني : فلكون نشأته العنصرية مسبوقة بالعدم الزماني .

وأما أزليته فبالوجود العلمي[2] .

فعينه الثابتة في العلم : أزلية ، وكذا بالوجود العيني الروحاني ، لأنه غير زماني ، والفرق بين أزلية الأعيان الثابتة في العلم والأرواح المجردة ، وبين أزلية الحق تعالى ، هو : أن أزليته تعالى نعت سلبي : ينفي افتتاح الوجود عن عدم[3] ، لأنه تعالى عين الوجود .

وأزليتها[4] هو : دوام وجودها بدوام وجود الحق تعالى[5] مع افتتاح وجودها عن العدم[6] . لكن وجودها من غيرها[7] .

وأما دوامه وأبديته فلبقائه ببقاء موجده تعالى : دنياً وأُخرى .

(*) من هنا يتضح لنا : أن هذه الرسالة منسوخة ، أو مختصرة من نسخة أُخرى للشيخ (رحمه الله تعالى) .

(1) هو يشير هنا (رحمه الله) إلى أن: واجب الوجود هو الله تعالى ، ومعنى «فلعدم اقتضاء ذاته الوجوب» أي أن الذات المحمدية ليست موجودة لذاتها ، وإنما هي موجودة بإيجاد الله تعالى لها : فالواجب الوجود هو الله تعالى ، وحسب .

(2) يعني في علم الله تعالى .

(3) يقول أن الله تبارك لا أول لوجوده ، لأن من له أولية فقد سبقه العدم ، وقد ردك هنا إلى كتب التوحيد ، فراجعها لتعرف ما هي الصفات السلبية .

(4) الضمير راجع إلى الأعيان والأرواح وغيرها .

(5) لأن الله جعلها كذلك .

(6) أوجدها من عدم ، وبقاؤها بإبقاء الله تعالى لها .

(7) وجود هذه العوالم من غيرها وهو الله تعالى ، وليست موجودة بذاتها .

وأمـا كونه كلمـة فـاصلة ، فـلأنـه هـو الـذي يفصـل بين الأرواح وصـورها في الحقيقـة ، وإن كان الفـاصل ماكـاً معيناً ، فـإنه بحكمـه : يفصل بينهما .

وكذلك هو «الجامـع» بينهما ، لأنـه هو الخليفـة الجامـع للأسمـاء ومـظاهـرهـا ، فلمـا وجـد هـذا الكـون الجـامـع ، ثم العـالم بـوجـوده الخارجي ، لأنه روح العالم المدبرة له ، والمنصرفة فيه [١] .

وإنما تأخرت نشأته العنصرية في الوجـود العيني ، لأنه لمـا كانت عينـه في الخـارج مـركبـة من العنـاصـر المتـأخـر وجـودهـا عن الأفـلاك وأرواحهـا وعقولهـا : وجب أن يـوجـد قلبـه ، لتقـدم الجـزء على الكـل بالطبع .

وكـون هذا الكـامل : ختمـاً على خزانـة الدنيـا[٢] فهو أيضـاً ختم على خـزانة الآخـرة : ختماً أبـدياً ، فيـه دليل على أن التجليـات الإلهية لأهـل الآخرة : إنمـا هي بواسـطته (ص) ، والمعـاني المفصلة لأهلها ، متفرعة عن مرتبته ، ومقام جمعه أبـداً ، كما تفـرعت أزلاً ، فما للكـامل من الكمالات في الآخرة : لا نهاية لها ، والله أعلم .

التنبيـه الثاني عشر

إعلم أن إطـلاق الصورة على الله تعـالى ـ عند أهل النظر ـ ، إنما هـو مجاز لا حقيقـة ، إذ لا تستعمـل حقيقتـه إلاَّ في المحسـوسـات دون المعقولات .

وأمـا عنـد المحققين ، فـإنهـا تستعمـل في وصف الله تعـالى

---

(١) تصريف امداد ، كما قال سابقاً (رضي الله عنه) : لا تصريف خلق وإيجاد .

(٢) لأنه ختم الرسالات ، فلا رسول بعده (ص) .

وأما في الآخرة فمعروف أنه أوتي الشفاعة العظمى للفصل بين الخلائق يوم القيامة (ص) .

حقيقة ، لأن العالم بأسره : صورة الحضرة الإلهية : تفصيلاً[١] .

والإنسان الكامل صورة الحضرة الإلهية جمعاً[٢] .

قال رسول الله (ص) :

«إن الله خلق آدم على صورته[٣]» .

فالنشأة الإنسانية : حازت صورة الحضرة الإلهية ، وصورة العالم : لأنه بروحه حاز رتبة الحضرة الإلهية[٤] ، ورتبة الأرواح الروحانية[٥] .

وبجسمه : حاز رتبة الأجسام .

فرتبته : حازت رتبة الجمع والإحاطة ، ولهذا قامت حجة الله تعالى على الملائكة ، لاحاطته (ص) بما لم يحيطوا بعلمه[٦] .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) أي الشكل والهيئة التي أرادها الله تعالى ، لأن الله تعالى خالق : لا بد له من مخلوق ، ورازق : لا بد له من مرزوق ، وقادر : لا بد له من مقدور ، وهكذا ، والعالم كله : مخلوق ، ومرزوق ومقدور ، وما إلى ذلك .

(٢) أي الذي اجتمعت فيه كل الصفات الإلهية التي قدرها الله تعالى له ، فما فصله في العالم : جمعه فيه (ص) مجملاً .

(٣) وقد ذكر ابن الجوزي (رحمه الله تعالى) عدة تفاسير لهذا الحديث في كتابه : «دفع شبه التشبيه» ، فقال :

«والقول الثاني : أن تكون الصورة بمعنى الصفة : تقول: هذا صورة هذا الأمر، أي صفته، ويكون خلق آدم على صفته : من الحياة ، والعلم ، والقدرة، والسمع ، والبصر، والإرادة ، فميزه بذلك عن جميع الحيوانات ، ثم ميزه عن الملائكة بصفة التعالي حين أسجدهم له ، والصورة ههنا معنوية : لا صورة تخاطيط» اهـ .

(٤) لأنه (ص) مخصوص الحضرة الإلهية ، وقوله «رتبة الحضرة» أي الرتبة التي خصه الله تعالى بها .

(٥) الملائكة .

(٦) يقصد ـ والله أعلم ـ أنه أعلم من الملائكة ، لأن علمه مستمد ممن علمه تبارك ـ

التنبيـه الثالث عشر

إعلم أن كلاً من الظاهر والباطن : ينقسم إلى قسمين :

باطن مطلق ، وباطن مضاف .

وظاهر مطلق ، وظاهر مضاف .

فأما الباطن المطلق ، فهـو : الذات الإلهيـة وصفاتهـا ، والأعيان الثابتة في علم الله تعالى[1] .

والبـاطن المضاف هـو : عالم الأرواح ، فـإنه ظـاهر بـالنسبـة إلى البـاطن المـطلق ، وبـاطن بـالنسبـة إلى الـظاهـر المـطلق ، وهـو عـالم الأجسام .

فلذلـك أنشأ الله تعـالى : صورة الإنسـان الكامـل : الـظاهـرة من حقائق العالم وصوره .

وأنشأ صورته الباطنة على صورتـه تعالى[2] ، فلذلـك قال : «كنت سمعه وبصره» .

فكما أن هوية الحق تعالى سارية في آدم (ص) كـذلك هـو[3] سار في كل موجود من العالم .

لكن سـريانـه وظهوره في كـل حقيقة من حقـائق العالم ، إنمـا هو بقدر استعداده .

وإعلم أن لكـل فرد من الأفـراد الإنسانيـة : نصيب من الخلافـة ، بـه يديـر ما يتعلق من أمـر نفسه أو غيـره ، وهو «سمعـه» الذي ورثـه من والده الأكبر ، الذي هو الخليفة (ص) .

= وتعـالى : علمه وأعـطاه ما لم يعط أحـداً من العالمين ، ولا حـرج على فضل الله .

(١) فيه توضيح لما أجمله وأشكل عليك أيها القاريء الكريم .

(٢) راجع ما ذكره ابن الجوزي سابقاً .

(٣) أي الروح والسر : على الصورة التي قدر الله تعالى .

التنبيه الرابع عشر

إعلم أن سيدنا محمداً (ص) : اختص بمقام الجمع ، فجاء بقول الله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ فمقامه جامع بين الوحدة والكثرة ، وبين الجمع والتفصيل ، والتنزيه والتشبيه ، بل جامع لجميع المقامات الأسمائية ، فجمع الله تعالى في قوله : ﴿ليس كمثله شيء﴾ بين إثبات المثل ، وبين نفيه في آية واحدة ، بل في نصفها[1] .

وبسبب هذا الجمع والتنزيه والتشبيه ، قال (ص) :

«أوتيت جوامع الكلم[2]» .

أي جميع الحقائق والمعارف .

ولهذا جمع الله تعالى له في القرآن جميع ما أنزله من المعاني في كتب الأنبياء (ص) وعليهم، فدعا أمته إلى: الظاهر في عين الباطن، وإلى الباطن في عين الظاهر ، وإلى الوحدة في عين الكثرة ، وإلى الكثرة في عين الوحدة .

وما دعاهم إلى الغيبة [والوحدة وحدها : إلى المشاهدة والكثرة وحدها[3]] والله أعلم .

---

(١) استدل الشيخ (رحمه الله تعالى)بهذا على أن الله تعالى جمع في نصف الآية : بين النفي والإثبات ، وإنه من مجمل ما أوتيه (ص) ، وقد أعطاه الله المجمل في مقام الاجمال ، كهذه الآية ، والتفصيل في مقام التفصيل ، كتفصيل قصة موسى في الأعراف والمجمل في مقام المجمل كقصة موسى في سورة النازعات ، والجمع بين التفصيل والإجمال ، كما في قصة موسى أيضاً في سورة طه ، وذلك لان مقامه (ص) جامع بين الجمع والتفصيل .

(٢) رواه العسكري في الأمثال .

(٣) هكذا هي في المخطوطة ، ويبدو أنها هكذا : «وما دعاهم إلى الغيبة والوحدة وحدها ، ولا إلى المشاهدة والكثرة وحدها» والله أعلم .

التنبيـه الخامس عشر

إعلم أن الأنبيـاء (ص) ، وورثتـهم (رضي الله عنـهم) : خـدم[*] الأمر الإلهي مطلقاً ، سواء كـان الأمر مـوافقاً لـلإرادة أو مخالفـاً لها[١] ، بـل هم في نفس [الأمـر[٢]] خـادمـون لأحـوال الممكنـات ، من حيث إرشـادهم إلى مصـالـح دينهم ودنيـاهم ، ومنعهم ممـا يضـر دينهـم ودنياهم .

وهـذا الإرشاد والخـدمة منهم : لهم[٣] : إنمـا هي من مقتضيـات أعيانهم وأحوالهم الثابتة في الحضرة العملية دون وجودهم الخارجي .

فـانظر مـا أعجب هـذا الأمر ، من أن خـادم الأمـر الإلهي يكـون خادماً للممكنات ، مع جلالة قدره عند الله تعالى .

والـرسـل (ص) : خـادمـوا الأمـر التكليفي بـالحـال ، كـاتيـانهم بـالعبادات والأفعـال المثبتـة لـطريق الحق : ليقتـدي بهم ، وبـالقـول ، كالأمر بالإيمان ، والنهي عن الكفر والعصيان ، وبيـان ما يثـابون عليـه ، ويعـاقبون عليـه ، وليسوا [بخـادمين[٤]] الإرادة ، إذ لو كـانوا خـادميها ، لما منعوا أحداً من فعل مـا يتعلق بالإرادة ، بـل كانـوا يساعـدونهم فيه ، والله تعالى أعلم .

(*) في المخطوطة «خادم» .

(١) ردك في هذا إلى كتب التوحيد ، فأرجع إليها .

(٢) ما بين القوسين ليست في المخطوطة ، ويقتضيها المقام .

(٣) الضمير في «منهم» ، للأنبياء ، والضمير في «لهم» لمن أرسلوا إليهم .

(٤) في المخطوطة «وليسو بخادم» ومعنى قوله «وليسوا بخادمي الإرادة» : أن الرسل عليهم الصلاة : خدم الأمر الإلهي ، يأمرهم الله تعالى بشيء فينفـذونه ، لأن وظيفتهم إمتثال الأوامر وتبليغها للخلق .

وأما الإرادة فتعلقها بالله تعالى : ينفذ أحكامه حسبما يريد هو ، والله تعالى أعلم .

التنبيه السادس عشر

[في معنى قول الشيخ (رحمه الله تعالى): «حكمة فردية في كلمة محمدية»](*) .

إنما كانت حكمة فردية ، لانفراده (ص) بمقام الجمعية الإلهية ، الذي ما فوقه إلاَّ مرتبة الذات الأحدية ، لأنه (ص) : مظهر لاسم الله تعالى الأعظم الجامع للأسماء كلها .

ولأنه أول ما فاض بالفيض الأقدس من الأعيان : عينه الذاتية ، وأول ما وجد بالفيض الأقدس من الأكوان : روحه ، فحصل بالذات الأحدية والمرتبة الإلهية ، وعينه الثابتة الفردية الأولى .

وإعلم أن أول الأفراد الثلاثة : ما زاد عليها ، فهو صادر منها .

وهذه الثلاثة الأفراد المشار إليها في الوجود ، هي :

الذات الأحدية ، والمرتبة الإلهية ، والحقيقة المحمدية ، المسماة بـ «العقل الأول» .

ولما كانت تعطي الفردية الأولى بما هو مثلث الشيء قال (ص) : «حبب إلي من دنياكم ثلاث[1]» بما فيه من التثليث ، وجعلت المحبة التي هي أصل الوجود ظاهرة فيه ، فقد ذكر النساء ، ثم الطيب ، ثم قال : «وجعلت قرة عيني في الصلاة» .

(*) وهذا أيضاً من الأدلة على أنه منسوخ من نسخة أخرى .

(١) لفظ «ثلاث» ليست من لفظ الحديث ، إذ لفظ الحديث «حبب إلي من دنياكم : النساء والطيب ، وقرة عيني في الصلاة» وقالوا : «إن من الدنيا الطيب والنساء ، أما الصلاة فليست من الدنيا» . ولفظ «ثلاث» قال المحدثون : إنها منكرة وليست من لفظ رسول الله (ص) .

والحديث رواه الإمام أحمد ، والنسائي ، والحاكم ، والبيهقي ، وغيرهم .

وإنما حبب النساء إليه (ص) : لكمال شهود الحق فيهن ، إذ لا يشاهد الحق تعالى مجرداً عن المواد أبداً ، فإن الله تعالى بالذات غني عن العالمين[1] ، ولا نسبة بينه تعالى مجرداً عن المواد .

فإذا كان الأمر من هذا الوجه ممتنعاً ، ولم تكن المشاهدة إلاّ في مادة : فشهود الحق تعالى في النساء أعظم الشهود وأكمله في حالة النكاح الموجب لفناء المحب في المحبوب .

وأعظم الوصلة الجماع .

وهو نظير التوجه الإلهي على خلقه على صورته ، ليخلفه فيرى فيه مثال صورته .

وكذلك النكاح : يتوجه لايجاد ولده على صورته ، بنفخ بعض روحه فيه ـ يعني النطفة ـ ليشاهد عينه في مرآة ابنه[2] من بعده ، فصار النكاح المشهود نظير النكاح اللأصلي الأزلي[3] ، فظاهر صورة الإنسان : «خلق موصوف بالعبودية» ، و«باطنة حق» ، لأنه من روح الله تعالى الذي يدبر ظاهره ويربيه[4] ، إذ هو الظاهر بصورته الروحانية ، والله تعالى أعلم[*] .

التنبيه السابع عشر

إعلم أن سيدنا محمداً (ص) لما خلق عبداً بالأصالة : لم يرفع رأسه قط إلى السيادة[5] مراعاة لما تقتضيه ذاته مع العبودية الذاتية ،

---

(١) في الجملة تقديم وتأخير تقديره : «غني بذاته عن العالمين» .

(٢) أي : ليشاهد الرجل نفسه في ابنه .

(٣) أي : المقدر في الأزل .

(*) في هذا الكلام بعض شرح لبيتيه المشهورين :

«الرب حق ، والعبد حق» . إلى آخرهما . والله تعالى أعلم .

(٤) لأن بدن الإنسان قائم بالروح : والروح من أمر الله تعالى .

(٥) لم يكن رسول الله (ص) يرفع رأسه تواضعاً لله تعالى .

الحاصلة من التعين والتقيد ، وحفظاً للأدب مع الحضرة الإلهية .

بل لم يزل ساجداً لحضرته ، متذللاً لربه تعالى ، واقفاً في مقام عبوديته ، ورتبة إنفعاليته حتى أوجد الله تعالى من روحه الأرواح ومظاهرها جميعاً ، لأنه (ص) قال :

«أول ما خلق الله تعالى : نوري[1]» الذي سماه «عقلاً» بقوله : «أول ما خلق الله تعالى العقل» .

فأعطاه رتبة الفاعلية ، بأن جعله خليفة متصرفاً[2] في الوجود العيني ، معطياً لكل من العالم كماله .

فالروح المحمدي : هو: المظهر الرحماني [3] الذي استوى على العرش ، فتعم رحمته على العالمين ، كما قال الله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾ .

---

(١) قال العلامة الشيخ محمد الخضر بن مايابي الشنقيطي في كتابه : «استحالة المعية بالذات» ص ٣٥٣ مانصه :

«. . . فأول المخلوقات على الإطلاق : النور المحمدي ، لما أخرجه عبد الرزاق بسنده ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال :

«يا رسول الله ـ بأبي أنت وأمي ـ أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى ، قبل الأشياء ؟

قال : يا جابر : إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره . . .» إلى آخر الحديث .

ثم قال :

«وفي أحكام ابن القطان ، مما ذكره ابن مرزوق ، عن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده ، أن النبي (ص) قال :

كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام . . .» وقال في ص ٣٦٨ : أنها ـ أي أحاديث خلق النور المحمدي ـ أحاديث صحاح .

(٢) تصرف امداد لا تصرف إيجاد .

(٣) مظهر الرحمة : عملها في مرحوم ، كما أن مظهر القدرة : عملها في مقدور ، وهكذا ، وقول الله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾ لفظها عام ، يشمل كل شيء من العرش إلى الفرش . والله تعالى أعلم .

التنبيـه الثامن عشر

[قال الشيخ(نفعنا الله تعالى به)](*) :

إعلم أن دحيـة الكلبي كان أجمـل أهل زمـانـه ، وأحسنهم صـورة فكان سبب نزول جبريل على سيـدنا محمـد (ص) في صورتـه ، إعلامـاً من الله تعـالى : إنه مـا بيني وبينـك يـا محمـد سفيـر إلاَّ صـورة الحسن والجمال ، وهي التي لك عندي .

فيكـون ذلك بشـرى له حسيـاً ، ولا سيما أن أتى[1] بـأمر الـوعيـد والـزجر ، فتكـون تلك الصورة الجميلة تسكن منـه ما يحـركه قهـر ذلـك الوعيد[2] ، والله أعلم .

التنبيـه التاسع عشر

قال (رحمه الله تعالى)(*) :

وأعجب ما عندنا من العناية الإلهية التي صحت لنـا بسيدنـا محمد (ص) : إذ كـل واحـد من الـرسـل (ص) يحشـر جـزيء[3] الحكم ، لاقترانه بطائفة مخصوصة .

(*) وهذه أيضاً من الـدلائل على أن هـذه الرسـالة مـأخوذة من نسخـة أُخرى كتبهـا الشيخ ونسخ هذا الناسخ منها ، ولم تصل إلينا نسخة الشيخ(رحمه الله تعالى) .

(١) أي جبريل ، لو أتى بأمر فيه وعيد وزجر ، لا يأتيه إلاَّ في صورة دحية الـذي هو أجمـل العـرب على الإطلاق ، حتى قـال سيدنـا عمر (رضي الله عنه) فيه : «إنـه يوسف هـذه الأمة» وذلك حتى لا يروع قلب حبيبه (ص) .

(٢) لأن عـادة الملوك : إذا أرسلوا إلى إنسان بـوعيد ، يـأتي الرسـول وفي وجهـه عبـوسـة وإكفهرار ، ولكن جبريل (ع) لم يأتـه قط إلاَّ في صورة دحية (رضي الله عنه) الـذي هو أجمل إنسـان في العرب .

(*) وكذلك تلك من الدلائل على أنه مأخوذ من نسخة أُخرى .

(٣) أي يحشر معهم للشهادة على قومه الذين أرسل إليهم .

والقطب منا : ليس كذلك[1] فإنه عام ، جامع لكل من في زمانه من بر وفاجر ، وإن كان أرثه عيسوياً أو موسوياً[2] ، فلا يقدح ذلك فيه ، فإنه من مشكاة محمدية ، فله المقام الأعم ، وقد نبه عليه رسول الله (ص) بقوله عن طائفة من أمته: «ليسو بأنبياء يغبطهم الأنبياء[3]» (ص) ، للبركة المحمدية التي نالتهم من مقامه الأعم .

التنبيه العشرون

في بيان المعاني المرادة من قول سيدنا رسول الله (ص) بأن الحق تعالى «وضع يده بين كتفيه ، وإنه أحس ببرد أنامله بين ثدييه ، فعلم ما في السموات وما في الأرض[4]» .

إعلم أن الحق تعالى منزه عن اليد الحسية وأناملها ، وإنما هي

---

(١) لا يوقف يوم القيامة مثل ذلك الموقف .

(٢) وعيسى وموسى (ص) : رسل الله بالتوحيد الذي جاء به سيدنا محمد (ص) ، إلاّ أنه يُقال هذا قدمه موسوي : أي فيه صفات من صفات سيدنا موسى ، أو عيسوي فكذلك ، هذا ما عن لي في هذا . وقوله ـ فيما بعد ـ فلا يقدح ذلك فيه : قصد ـ والله تعالى أعلم ـ أي لا ينتقصه إذا قيل : لم كان عيسوياً أو موسوياً ، ولم يكن محمدياً ؟ لأنه (ص) المد لجميع الأنبياء ، فحكم أنه الأصل النوري لهم . والله تعالى أعلم .

(٣) لأن الأنبياء سيكونون مع أقوامهم في عرصات الموقف حتى يسألهم الله هل بلغوا قومهم أو لا ؟ أما هؤلاء فتحت ظل العرش .

(٤) في روح البيان ج ١٥ ص ١٥٤ ما نصه :

«أخرجه الإمام أحمد ، والترمذي ، وقال : حديث صحيح ، وسئل البخاري عنه ، فقال : حديث حسن صحيح» اهـ .

وللحديث روايات ، منها :

«أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة ، فقال : يا محمد : هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا ، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي ، فعلمت ما في السماوات وما في الأرض فقال : يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : نعم ، في الكفارات والدرجات ، والكفارات : المكث في المساجد بعد الصلوات ، والمشي على الأقدام إلى الجماعات ، واسباغ الوضوء=

يد امتنان واصطفاء ، بإفاضة أنوار النبوة والرسالة والولاية على جوهره حتى شاهد ببصيرته وبصره العوالم كلها : أولها وآخرها ، ظاهرها وباطنها ، كلياتها وجزئياتها ، دنيا وأخرى ، ولذلك أخبرنا (ص) بالأوائل والآواخر : «بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة» لأن الحضرة الكونية كلها صارت أمام بصيرته وبصره ، حتى أنه كان (ص) «يرى من وراءه كما يرى من أمامه» وإنما خصص وضع اليدين بين الكتفين ، لأن النور الإلهي لا يأتي إلى من خصصه الله تعالى إلاَّ من ورائه .

وأما برد الأنامل التي أحس بها بين ثدييه (ص) ، فهو عبارة عن اللذة التي حصلت له ، بما كشفه الله تعالى له من الأمور الغيبية وظهورها له ، وهذا كله إنما هو بمقتضى مرتبته .

وأما من حيث بشريته ، فقال :

«إني أمرت أن أحكم بالظاهر ، والله متولي السرائر» وأمثال ذلك من الستر عليه في بعض الأمور ، [إنما هو لأمر عارض[1]] اقتضاه الحكم الإلهي ، ولذلك قال (ص) : «لست أنسى ، ولكن أنسى لأسن[2]» .

= في المكاره ، قال : صدقت ، ومن فعل ذلك عاش بخير ، ومات بخير ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه .

وقال : يا محمد إذا صليت فقل : «اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني وتتوب علي ، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون ، والدرجات : إفشاء السلام ، وإطعام الطعام ، والصلاة بالليل والناس نيام» رواه عبد الرزاق في جامعه ، والإمام أحمد ، وعبد بن حميد ، والترمذي .

(١) هكذا هي في المخطوطة .

(٢) رواه الإمام مالك بلاغاً ، كذا في هامش الأحياء .

التنبيه الحادي والعشرون

إعلم أن النبي هو الذي يأتيه الملك بالوحي من عند الله ، يتضمن ذلك الوحي : شريعة يتعبده الله تعالى بها في نفسه[1] ، فإن بعث إلى غيره كان رسولاً .

فتارة ينزل الملك بالوحي على قلبه .

وتارة يأتيه على صورة حسية من خارج ، فيلقي ما يجاء به على أذنه فيسمعه .

وتارة على بصره فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء .

وكذلك سائر القوى الحسية .

وهذا باب قد غلق بسيدنا محمد (ص) ، ولا سبيل أن نتعبد الله تعالى بشريعة ناسخة لهذه الشريعة[2] .

وإذا نزل عيسى (ص) فإنما يحكم بهذه الشريعة المحمدية ، وهو خاتم أولياء هذه الأمة ، فإن من شرف سيدنا محمد (ص) : أن الله ختم ولاية أمته بنبي رسول مكرم .

وهو[3] (ص) يحشر يوم القيامة مع الرسل : رسولاً ، ومع هذه الأمة : ولياً تابعاً .

وإلياس كهذا المقام أيضاً .

وأما حالة أنبياء[4] أولياء هذه الأمة فهو : كل شخص أقامه الله

---

(١) لأنه لم يأمره الله تعالى بالتبليغ للناس .

(٢) لأنه : لا رسول بعده (ص) ولا نبي حتى تقوم الساعة .

(٣) يعني : سيدنا عيسى (ص) .

(٤) أي : الذين يحدثون ، بضم الياء وفتح الحاء والدال المشددة : الذين يكلمون ، كما قال رسول الله (ص) لعمر (رضي الله عنه) .

تعالى في تجل من تجلياته ، وأقام له مظهر محمد (ص) ، ومظهر جبريل (ص) ، وهو يلقي خطاب الأحكام المشروعة ، لمظهر رسول الله (ص) ، فيسمع صاحب هذا المشهد جميع ما تضمنه الخطاب من الأحكام المشروعة الظاهرة في هذه الأمة المحمدية ، فيرى نفسه وقد وعي جميعها ، وعلم صحتها علم يقين ، بل عين يقين ، فأخذ حكم هذا النبي ، وعمل به على بينة من ربه تعالى .

فهؤلاء هم أنبياء أولياء هذه الأمة ، ولا ينفردون بشريعة قط ، ولا يكون الخطاب بها إلا بتعريفهم : أن هذا هو شرع محمد رسول الله (ص) .

وهذا آخر «التنبيهات» نفعنا الله بها آمين

وصلّى الله على سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم

(١٠)

الخلـوة المطلقـة

- باب فيما ينبغي أن يكون عليه صاحب الخلوة - إن شاء الله - .
- باب الخلوة المطلقـــة .
- مطلب في بيان كيفية الخلوة وما يختص بها .
- باب ما جـاء : أن الأنبياء دينهم واحـد في هذا المقـام وفي بعض الأحكام ، فقد حصلت في الدائرة والحمد لله .
- مطلب في بيان الأكل في الرياضة .
- صورة بيت الخلوة وحاله فيها وشروطها .
- خلـوة الهدهـــد .
- الخلوة الصمدانيـــة .
- خلوة القــرين .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الذي ألهم الصفوة من عباده اتخاذ الخلوات .

ونـزه أسرارهم وخـواطرهم فيهـا عن الجـولان في ملكـوت الأرض والسماوات .

ونصبها مثالاً لاحديته من أكثر الوجوه والجهات .

وجعل نعتهم فيها نعته في وحدانيته من عدم الحركة والالتفات .

وقدسهم فيها عن صفات القدم تقـديسه في وحـدانيته عن صفـات المحدثات .

فهم فيها طالبـون وجودهم في عينـه طلبه وجـودهم في عينهم ، إذ «كان ولا شيء[1]» ، فقابـل سوراً بسـور ، وآيات بـآيات ، ومنحهم فيهـا أموراً يقرعون بها أبواب أهل التجليـات المفنيات ، ويفتحـون بها دروبـاً للتنزلات المنزهة عن حمل الملقيـات المرسـلات . خلع عليهم فيها من الخلع ما يقتضيه استعـدادهم فيما يـطابقهم من الحضـرات ، فإن الأرواح المنشئات بالنفخ الإلهي ، بين الآباء العلويـات ، والأمهات السفليـات ،

(١) قال رسول الله (ص) : «كان الله ولا شيء معه» رواه مسلم .

خرجت على صورة استعداد الأمهات ، وبه وقع التفاضل بين هذه الذوات ، فلا تجدها تكرر على شخصين : لما ذكرناه من اختلاف هذه الهيئات .

فلا يزالون في خلواتهم من تخليص هذه القلوب من علل تجليات الألوهيات الخيالية ، وإماطة ما يأتي به من الكشوفات الوهميات .

وهذا التجلي الوهمي ، هو الذي أدى بعض المخذولين ، المعدول بهم عن طريق الحق : أن يقولوا بنفي الغير والسوى في توحيدهم ، ثم يجعلون له لساناً وكلمات[1] ، فناقضت دعاويهم ، إذ كانوا : لا يدرون ، ولا يدرون أنهم لا يدرون ، وهذه أعظم الجهالات .

ومن هذا الموطن - بحكم هذا التجلي الخيالي - زل من زل اسفل الدركات .

ومنه : علا من علا : إلى الدرجات .

وهذه الألوهية الخيالية هي التي رأى ابن صياد[2] عرشها على البحور الزاخرات ، مقابلاً للعرش الحقيقي : الكائن على الماء - كما ورد في الآيات - ، فأخبر النبي (ص) أن ذلك عرش إبليس : تقريراً للعرشين ، وبياناً للفرق بينهما عند أهل الفطر السليمة المستقيمة والإدراكات[3] ،

---

(١) يعني - والله أعلم - كيف يقولون بنفي السوى ، مع أنهم يقولون : إن له لساناً يتكلم به - سبحانه وتعالى - عن ذلك علواً كبيراً .

(٢) هو الدجال الذي ظهر في عهد رسول الله (ص) ، وأراد سيدنا عمر أن يقتله فقال له رسول الله (ص) : «أن يكنه فلن تسلط عليه ، وإن لا يكنه ، فلا خير لك في قتله» ، وأخباره واردة في الصحاح ، والحديث له شهرة تغني عن تخريجه .

(٣) كل من كانت فطرته أسلم : كان إدراكه أكثر .

فسبحان من فطر الإنسان على العالم وعليه (١)، وجعل العين المقصورة غده (٢)، فكانت الكائنات .

فمن ثبت قدمه في عبوديته ، بعد تحصيل هذه المعرفة من طريق الكشف ، فهو الخليفة : صاحب الأسماء والنعوت والصفات .

ومن زلت قدمه عن عبوديته في هذا المقام حلت به المثلات .

فالحمد لله : حمداً بعد حمد ، لما أسداه من جزيل المنح وجسيم الهبات العلويات [. . . وسلّم كثيراً] (٣).

وبعـــد :

فإنك سألت أيها الولي العارف ـ عرفك الله تعالى مالا نهاية ـ [له] من المعارف : أن أقيد لك صورة الاستعداد الجامع الكلي ، الذي لا يتقيد باسم معين ، ولا بحضرة مخصوصة ، ولا بتجل مخصوص يوقف عنده ، ولا يتعدى لتلقي ما يناسب هذا الاستعداد الكلي ، من الأسماء المؤثرة وغير المؤثرة ، والحضرات المقيدة وغير المقيدة ، والتجليات العامة والخاصة ، والتنزلات الإلهية ، والاستنزالات الروحانية ، والإطلاع على الكائنات الغيبية ، في الحركات الدورية ، وتوالج العوالم ، ومشاهدة كل عالم في مقامه المعلوم ، وشخصيات تجلي هذه العلوم في مراتبهم ، وصور المعارج والمدارج ، والنسب الرابط بين العوالم ، والتأثيرات السفلية من الحركات العلوية والبرزخية ، والتأثيرات العلوية من الحركات السفلية ، وخلق الملائكة والروحانيات العلى ، من الأنفاس الآدمية ، والحركات البشرية ، وتولد الأرواح من الأجساد ،

---

(١) هكذا هي في المخطوطة ، والفطر : الشق ، والخلق ، ومنه فاطر السموات والأرض .

(٢) العين : بكسر العين ،ولعله (رحمه الله تعالى) يرمز إلى الحور المقصورات في الخيام : بدليل قوله «فكانت الكائنات» .

(٣) هكذا هي في المخطوطة .

والأجساد من الأرواح ، ومشاهدة العالم المهيم والمسخر ، والمدبر ، والتحول والتبدل في الصور على اختلافاتها ، والاستكشاف على توسع الذات الإلهية ، لتنوع هذه الصور العرفانية الموقوفة على الجحد والإقرار ، وتنوع المشارب ، ونسبة الحق من العالم ، والعالم من الحق ، ومن أين تعلق العلم القديم الإلهي بالعالم ، والعالم معدوم .

وإسترسال العالم الواحد على ما لا يتناهي من المعلوممن غير تصور ، العلم التصويري ، والمعلومات المقصورة ، والمعلومات التي لا تتصور ، والوقوف على مقام إحالة شهود العقل ، ومشاهدة المرتبة التي تفني الإمكان .

والمحال عدم محض[1] ، فلم يبق إلاّ الوجوب ، ومطالعة السريان الإلهي ، الذي يفني حكم القدر ، وهو توحيد الوجود ، ونفي الاختراع والخلق والتدبير ، وجحود الأسماء المؤثرة ، إلى أمثال هذا الكشف التام ، والأمر الذي كان به النظام ، مما يرى ولا يقال .

وسألت في ذلك سؤال عارف بالمصادر والموارد والمواقف ، لما علمت أنه ليس كل استعداد يعطي الأمر الكلي .

ورأيت أرباب هذه الطريقة قد أقاموا على استعدادات مخصوصة : انتجت لهم أموراً معينة ، يُشار إليها ، ويقتصر عليها .

وأنفت همتك الشريفة عن الاقتصار على ما وقف عليه هؤلاء ، وإن كانوا سادات وملوكاً ، ولكن أمير المؤمنين : واحد .

---

(١) لا يمكن وجوده ، لأن الله حكم بأنه محال وقضي فيه ، كما لو كان إنسان موجوداً فهو قابل للاعدام ، إلاّ أنه وقت وجوده استحال عدمه ، لأنه موجود، فلا يكون المخلوق موجوداً معدوماً في وقت واحد .

فاسمع يا أخي جواب ما سألت عنه وزيادة ، لينتفع بالزيادة غيرك إذا وقف على هذا الكتاب ، ممن لا يقدر على استعمال ما سألت عنه .

ولا تأخذ علي في ذلك ، فإن النبي (ص) سئل عن مسألة واحدة فأجاب وزاد .

فقيل له : يا رسول الله : أنتوضأ من ماء البحر ؟

فقال (ص) : «هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته»[1] .

فزاد تحليل الميتة ببيان وإيضاح .

سألت عن الخلوة المطلقة ، ولم تسأل عن الخلوات المقيدة ؟

وأنا أجيبك على ما سألت ، وأزيدك من الخلوات المقيدة : ما تيسر ، فإنها كثيرة جداً ، ولا أجعل للخلوة حداً زمانياً معلوماً ـ كما وقفت عليه لبعضهم ـ إلاَّ الخلوة الصمدانية خاصة في هذا الكتاب ، فإن حدها بالزمان لخاصية فيها[2] .

وما حد من حد الخلوات بالزمان إلاَّ على حسب ما وجد ، فأخباره عن وجد صحيح ، وهو مخطىء في طرد الحد الزماني ، فإن الأمزجة تختلف ، وفراغ قلوب العباد من الكون ليس على مرتبة واحدة ، وإنما هو على قدر الباعث والطبع المساعد .

فقد يفتح لواحد في يومين ما يفتح لأخر في شهرين ، ولآخر في سنتين ، ولا يفتح لآخر أبداً .

---

(١) رواه البخاري ومسلم ، وأبو داود والنسائي ، والإمام أحمد وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة والإمام أحمد ، وابن حبان وابن ماجة والحاكم عن جابر ، ورواه ابن ماجة عن الفراسي .

(٢) ذكر الشيخ (رحمه الله) أنها ثلاثون يوماً ، وسيأتي كلامه عنها .

وقد يؤهل واحد للإلقاء والتنزيل ، وآخر لكشف الحقائق ، وآخر ما يتعدى به الخيال ، والمثال ، وكل له مقام معلوم ، وحد مرسوم ، تقتضيه جبلته .

والحد الزماني في الخلق : لا يتصور .

وكذلك الجوع والأغذية : تابعة للمزاج ، فلا تتغير تخصيصاً .

ولكن يُقال «بأمر كلي» فهو أمر يعطي صاحب الخلوة ما يلائم طبعه ، ويؤمن بالقليل منه حتى يرد الفتح على الاعتدال ، ولا ينحرف المحل إلاَّ لسلطان الوارد ، فإن الإنحراف بغير وارد سبب قاطع لحصول الخيال والأوهام ، وشهود ما ليست له حقيقة .

وكذلك لا أذكر ما يكشف له من الخلوات ، لوجهين :

الواحد لتعلق النفس بما سمعته ، واستعدادها لتحصيله ، فقد يسبق له التجلي الخيالي قبل الحقيقي ، فيقول : قد حصل المطلوب وما حصل على طائل ، فإن الخيال لا حقيقة له في نفسه ، لأنه ليس بعالم مستقل .

والوجه الأخر : إن النفوس غير متساوية في أصل النشيء ، فإنها بحسب تركيب البدن ، وقبوله للنفخ الإلهي ، من الروح الأقدس ، فقد تنقص نفس عن نفس ، وقد تزيد ، وقل أن تتساوى ، بل هو محال ، لكن تقرب .

وإن كنت فطناً لما ذكرنا فانظر اختلاف الأغراض في الناس ، واختلاف الشرائع باختلاف الأوقات لاختلاف الأشخاص ، [لاختلاف الأحوال] لاختلاف الحركات العلوية ، لاختلاف التنزلات ، لاختلاف التجليات وفي الشريعة الواحدة من المشرع الواحد تجد ذلك ، فهو الذي منعني من ذكر نتائج الخلوات ، فإني ما أصف سوى ما وجدت .

ما من نبي إلاَّ واستعد ، وخلا مع ربه(١) .

و ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾(٢) تقتضيه الحضرة الإلهية ، فتقتضيه الفطرة التي خلق عليها .

فالواجب علينا : ذكر الداعي والاستعداد والتحصيل : لا ذكر ما يحصل .

---

(١) ومن المشهور المعروف أن النبي (ص) كان يختلي قبل البعثة بغار حراء الليالي ذوات العدد .

(٢) سورة المائدة ؛ الآية : ٤٨ .

باب فيما ينبغي أن يكون عليه صاحب الخلوة
- إن شاء الله -

ينبغي أن يكون : شجاعاً ، مقداماً ، لا يكون جباناً خواراً .

فإن كان حاكماً على وهمه ، غير مقهور تحت سلطان تخيله ، زاهداً في كل ما سوى مطلوبه ، عاشقاً لما توجه إليه ، على ما يقويه من قوة الأمور القواطع ، التي بين يديه ، نافذ الهمة ، مصدق الخاطر ، ثابتاً عند زعقة عظيمة ، أو وقع جدار ، ومفاجئة أمر مهول ، غير طائش ، كثير السكون ، دائم الفكر ، غائباً عن أكثر الحالات ، ساهياً عن لذة المدح ، وألم الذم ، صاحب قوت طيب[1] .

[ومعنى قوت طيب : لا يجد في نفسه عند أكله أثر ريبة] من باب الورع .

قال بعض أئمتنا : «ما رأيت أسهل من الورع : كلما حاك في نفسي له شيء : تركته» .

وهو قول النبي (ص) :

«دع ما يريبك إلى ما يريبك»[2] .

---

(١) يعني حلال ، ولذلك فسره بما بعده .

(٢) رواه الإمام أحمد عن سيدنا أنس ، والنسائي عن سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب=

قائماً بما يحتاج إليه من أسباب خلوته : لا يتكلف له أحد ذلك[1] ، فحينئذ له أن يدخل الخلوة .

وإن لم يكن على شيء من هذا ، فلا سبيل له إلى الخلوة ، لكنه يستعمل العزلة ، ويدرب نفسه ، ويهذبها ويروضها بما ذكرنا ، إلى أن يعتاده ، فإن الخير عادة[2] .

فإذا حصل هذا الأمر : دخل الخلوة إن شاء الله تعالى ـ أي خلوة شاء ـ : عامة أو خاصة .

وليقدم صاحب الخلوة بين يديه صدقة : إن كان له شيء .

ولو لم يكن له سوى ثوبين : يتصدق بأحدهما ، أو ثوب واحد ، يمكن أن يباع بثوبين : يستبدل له بغيره[3] ، ويتصدق بما فضل .

= والطبراني عن وابصة بن معبد ، والخطيب عن عبد الله بن عمر ، والإمام أحمد والترمذي وابن حبان عن الحسن ، وابن قانع ، وأبو نعيم في الحلية والخطيب عن عبد الله بن عمر .

(١) يعني : لا يدخل الخلوة ، وهو متكل على أن الناس يطعموه ، فإن هذا مخالف للشرع كما قال النبي (ص) لما سأل عن الرجل العابد «من يعوله» ؟ قالوا «كلنا» قال : «كلكم أعبد منه» .

(٢) يعني إذا فعلت الخير مرة ومرة ومرة ، ثم داومت عليه : أصبح طبعاً عندك لا تكلف فيه ، والخير الكبير : أن يصبح الخير عندك طبيعة .

(٣) كما لو كان عنده ثوب من الثياب الغالية الثمن مثلاً ، من الممكن أن يبيعه بثمنه ، ويشتري ثوبين : أحدهما له ، والآخر للصدقة ، وقد سئل رسول الله (ص) عن أفضل الصدقة فقال : «جهد المقل» رواه أبو داود والحاكم .

باب الخلوة المطلقة

أيها السائل : هيأك الله سبحانه لاستعداد ما سألت عنه واستعماله .

لتعلم أنك لما سألت عن الاستعداد الكلي : لم يتمكن لي أن أخص به صاحب شرع التنزيل ، من صاحب شرع الكون .

بل نمشي الاستعداد على حسب ما تعطيه النشأة الإنسانية القابلة عند صفائها ، وتخليصها لما ذكرناه من هذا الأمر الكلي الذي يقع فيه التفصيل بالعوالم والأسماء ، وعلى حسب ما تقيد به أيضاً من الأمور الشرعية المنزلة عن الأمور والمشيئة ، فأقول :

إن لم يكن صاحب شريعة أمر منزل ، وكان صاحب شريعة : مشيء أو مطلق ، فلا بد من أن يلتزم موافقة ما تواطأت عليه النفوس من مكارم الأخلاق ، وترك ذميمها وسفسافها ، ويقيس ما يفعل هذا من فعله ، فقد دخل تحت هذا الأمر الشرعي[1] المنزل ، فإنه «بعث لتتميم مكارم الأخلاق» .

---

(١) الأمر الشرعي هنا ـ والله أعلم ـ قول المصطفى (ص) : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فالداخل تحت هذا الأمر الشرعي ملتزم يجب عليه الوفاء بما التزم به .

والحكم عندنا للأحوال[1] .

وحاله : ما ذكرنـــاه .

فـلا بد من الكشف : بـلا ريب ولا شك ، لأن الأحـوال تطلبـه ، لا العقائد والأقوال .

فتفطن فيمـا ذكـرنـاه ، ولا تقتصـر في وجـود الحكمـة [لـدى][2] بعض الناس .

وإن كان فاعل هذه الخلوة قابلاً بالشرع ، معتقداً له ، قـائلاً بـه ، فليعلم أنـه منقسم بين : أفعل ولا تفعـل ، وإن شئت أفعـل ، وإن شئت لا تفعل .

فـأما قسم : لا تفعـل : فامتثله مـطلقاً من غيـر تـوقف ولا حـديث نفس ، ولا تردد[3] .

وأمـا قسم : إن شئت ، وهو المبـاح ، فـانـظر إن كـان فعله يؤدي إلى أن يكون صاحب خلق عظيم شرعاً فافعله .

وإن كان يؤدي تركه إلى ذلك أيضاً فاتركه .

وأمـا قسم : أفعـل ، فـامتثله إمتثـال مـائس بنفسـه ، خـائف من شرورها[4] .

وذلـك بأن تـطمعها في نتـائج ذلـك الفعـل ، بمـا يكـون لهـا من

---

(١) يعني لكل حال يحكمه .

(٢) الكلمة مطموسة في المخطوطة .

(٣) لقول المصطفى (ص) : «إذا نهيتكم عن شيء فانتهوا» .

(٤) من قول المصطفى (ص) : «أن هـذا الدين متين . فـأوغل فيـه برفق ، فـإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهـراً أبقى» ، رواه البزار عن سيـدنا جـابر ، والإمـام أحمد عن سيـدنا أنـس بن مالك (رضي الله عنه وعن جميع الصحابة)

الشفوف والاختصاص بدرجة الكمال على جنسها[1] .

ثم أعرف ما يستحق كل عالم من الحيوان الناطق ، والنبات ، والجماد ، مما ينبغي أن يعامل به من الخلق الذي يوافق غرضه : إذا كان ذا غرض ، مع حفظ الشرع ، وهو كل الحيوان ، أو ما يوافق الحكمة في عالم الأغراض ، كالنبات والجماد ، وهو ترك العبث به .

فلا تقلع نبتاً ، ولا تفسد نظامه وترتيبه عبثاً لغير فائدة تعود منه على حيوان تجلب بذلك منفعة له ، أو دفع مضرة عنه .

كذلك لا تسل حجراً عن موضعه عبثاً .
والجامع في هذا كله : أن ترسل شيئاً من حواسك عبثاً .
هذا شرط لا بد منه ، فمهما زال انحل النظام .

ثم معرفة الذنوب ؛ صغيرها ، وكبيرها ، خفيها وجليها ، وإنسحاب التوبة عليها ، ورد المظالم المقدور على ردها ، من عرض ، ومال ، لا من دم[2] .

وتطهير عالمك الباطني من كل مذموم : شرعاً ، وغرضاً ،

---

(١) يعني بذلك أن النفس كالفرس الجموح تحتاج إلى رياضة وتدريب ، حتى تعتاد مثل هذه الأعمال .

(٢) روى الإمام أحمد ، والبيهقي والنسائي وابن ماجة قوله (ص): «لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبهم الله عزّ وجلّ في النار» ورواه الترمذي ، وقال (ص) فيما رواه الطبراني والبيهقي : «من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم امرىء مسلم : أن يهريقه ، كما يذبح دجاجة كلما تعرض لباب من أبواب الجنة حال الله بينه وبينه ، ومن استطاع منكم ألا يجعل في بطنه إلاّ طيباً ، فإن أول ما ينتن من الإنسان بطنه» .

وقال (ص) فيما رواه النسائي والحاكم :

«كل ذنب عسى الله أن يغفره ، إلاّ الرجل يموت كافراً ، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً» ، والأحاديث في هذا كثيرة ، والمقصود بالعرض : الشتم والسب وما إلى ذلك فإن هذه مقدور على ردها بالاسترضاء ، والمال يرده ، وأما استحلال الفرج الحرام فلا يستطاع رده ، وإن تاب توبة نصوحاً فأمره إلى الله تعالى .

وطبعاً ، وتقييده عن الجولان في عالم الكون[١] ، وتفريغه عن الفكر ، فإن الفكر أضر شيء في هذا الاستعداد ، وفي جميع الخلوات ، لا تصح به أبداً ، ولا يظهر لصاحبها ثمرة صحيحة إلاّ بحكم الاتفاق ، فالله الله .

احفظ نفسك منه[٢] .

وكذلك حديث النفس ، وتصرفاتها في مراتب الكون ، لا تساعدها على ذلك فإنه تمزيج وتخليط .

وليكن ذكرك الاسم الجامع الذي هو «الله ، الله»[٣] ، وإن شئت «هو ، هو»[٤] لا تتعدا هذا الأمر ، وتحفظ أن يفوه به لسانك[٥] ، وليكن قلبك هو القائل ، ولتكن الأذن مصغية لذلك الذكر ، حتى ينبعث الناطق فيك بالذكر ، فلا تترك حالك التي كنت عليها ، فإنها قوة عرضية ، إن أخللت بجمعيتك لم تلبث أن تزول سريعة .

وأما قدر ما تلبس من الثياب ، فهو : ما يكون به بدنك

---

(١) كن مع المكون بكسر الواو المشددة .

(٢) الضمير راجع إلى الفكر ، لأن الكلام عنه ، ولفظ الجلالة المكرم : المكرر مفعول لفعل محذوف ، تقديره : اتق الله ، اتق الله ، أو خف الله ، خف الله .

(٣) في كتاب «الأعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام» للغماري ص ١٠٧ ما نصه : قال الشيخ محي الدين : ومن أراد أن يفتح عليه بذكر هذا الاسم الشريف «الله» فليتخذ خلوة ، وليترك سائر الأذكار والأوراد غيره ، ولا يذكره من حيث أنه يدل على العين فقط ، بل لا بد أن يستحضر أنه يذكر من لا تحصره الأكوان ، ومن له الوجود المطلق التام ، وهذا الشهود هو المعبر عنه بالبساط» .

(٤) الذاكر بلفظ «هو» يضمر في نفسه «الله» فيكون ذكره : «هو الله» وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم وجدنا فيه ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ ﴿هو الله الذي لا إله إلاّ هو﴾ وعرفنا أن «هو» اسم إشارة ، واسم الإشارة في النحو معروف حكمه ، فالذين يعترضون على الذكر بـ «هو» اعتراضهم في غير محله ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

(٥) تحفظ بمعنى : احفظ : أي من أن تنطق به ، لأنه في هذه الحالة ذكر قلب : لا ذكر لسان .

معتدلاً ، وليكن من وجه لا يريبك[1] مثل الأكل سواء .

وليكن عندك حفاظ[2] نقي يباشر عورتك ، تغسله في أكثر الأوقات[3] .

ولا سبيل إلى الاضطجاع ، ولا إلى النوم إلاّ عن غلبة .

ولتقدم أولاً قبل دخولك إلى الخلوة الأُولى - أية خلوة كانت : مطلقة أو مقيدة - رياضة وعزلة عن الخلق ، وصمتاً[4] ، وتقليلاً من الطعام وترك شرب الماء جملة : أجد فيه ، فإنه يسير المؤنة .

فإذا أنست النفس بالوحدة والعزلة : عند ذلك تدخل الخلوة .

---

(١) بفتح الياء : أي ليس فيه ريبة ولا شبهة من حرام .

(٢) سراويل يحفظ فرجك ، وليس المطلوب هو ما يلبسه الناس الآن ، الذي لا يكاد يواري شيئاً ، فإن هذا من لباس الفرنجة ، ونسأل الله العافية ، وقد قال رسول الله (ص) :

«اتخذوا السراويلات ، فإنها من استر ثيابكم وحصنوا بها نساءكم» رواه ابن عدي ، والعقيلي .

(٣) كان النبي (ص) ينضح سراويله بعد الاستنجاء ، ويحض على هذا مخافة أن يصيب السراويل من البول ما لم يكن الإنسان يعلمه .

(٤) أخذاً من قوله تعالى : ﴿قولي أني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم انسياً﴾ قال في القاموس «والصوم : الصمت» .

مطلب في بيان كيفية الخلوة وما يختص بها

ومما يختص بهذه الخلوة وبعض الخلوات : ألا يقتل حيواناً أصلاً : قملة ولا غيرها[1] .

وإذا خفت من الهوام في رأسك ، فاحلقه ، وليكن عند دخولك في الرياضة ، وقبل أن يتكون فيه حيوان .

ولتستعد[2] ثياباً تستبدلها في أكثر الأوقات ، قبل أن يتعلق بها حيوان ، فيشغلك .

وذلك : ما دمت تحس بنفسك .

فإن شغلت عن هذا كله ، فهو : المطلوب .

ولا تقعد ساعة دون طهارة .

والأساس كله على : التوجه لله تعالى بالتوحيد المطلق ، الذي

---

(١) أخذه من مناسك الحج ، فإن الحاج مقبل على الله ، فلا يشتغل بشيء مطلقاً ، وإن خاف شيئاً من ذلك فليدخل نظيفاً تماماً حتى لا يشغله شيء عن الله : دق أو جل .

وإلا فليس هو في خلوة ، بل هو في «سهراية» تحت أشعة الشمس : للتفلي ، وقد ذكر لك العلاج من ذلك (رحمه الله تعالى) في الجملة التي بعد هذه .

(٢) بمعنى : أعد .

لا يشوبه شرك ، خفي ولا جلي[١] ، ونفي الأسباب والوسائط كلها جملة وتفصيلاً ، عقداً جزماً ، فإنك إن حرمت هذا التوحيد ، فلا بد من الشرك ، فقد تتآدى من الشريك[٢] وهو كون[٣] ، فلا يلوح لك أمر كلي أصلاً ، وينحل النظام .

وتحتفظ من الشرك والشك والتعطيل ، فإنه يناقض المطلوب .

ويكفيك ما سامحتك به من شرع الكون[٤] ، وإن كنت عليه ، فهذا هو سبب دخولك في الشرع المنزل[٥] ، فإنك إذا كشفت الحقائق : لا تقدر على جهل ما علمت ، وانكار ما شاهدت ، فلهذا سامحتك بشرع الكون ، لمعرفتي برجوعك إلى الحق ، ووقوفك عند الأذن الإلهي ، فاشترطت التوحيد ، وهو الباب الأول الإيماني ، فإنه قال : «قل لا إله إلاَّ الله» لأهل الشرك والشك[٦] .

---

(١) فيه الرد الكامل على ما يزعمه بعض الذين دأبوا على تكفير عباد الله دون حياء من الله تعالى .

(٢) في القاموس أدي فهو مؤد : قوي ولعله يقصد ـ أي يصيبك منه قوة فلا تصلح لما أنت فيه ، هذا ما عن لي ، والله تعالى أعلم ، وقال (رضي الله عنه) في بعض كتبه ـ عند الكلام على قول رسول الله (ص) ـ إني لست كأحدكم ، إنما أبيت عند ربي فيطعمني ويسقيني «إذا كان محبوبي ليس كمثله شيء ، فأنا لست كأحدكم» المركوب يقطع به المسافات ، والدليل يستدل به على الجهات ، منزه عن الحدثات ، لا يوصل إليه بالحركات ، ولا يستدل عليه بالإشارات ، فمن عرف المعاني عرف ما أعاني» .

(٣) أي تكون هذه الأشياء التي ذكرها (رضي الله عنه) من الشريك .

(٤ ، ٥) شرع الكون : ما يلزمك من أكل وشرب ولبس وغير ذلك مما لا بد منه .

والشرع المنزل هو : ما شرعه لك الله تعالى ورسوله (ص) .

(٦) فإن المؤمن قد شهد أن لا إله إلاَّ الله ، واستقرت في قلبه ، وأما المشرك فإنه يجاهد ـ بضم الياء وفتح الهاء ـ حتى يقولها ويشهد بها ، ويؤدي مستلزماتها من صلاة وصوم وحج وزكاة وغيرها .

وقول المصطفى (ص) «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلاَّ الله» دليل واضح على ذلك والله تعالى أعلم .

فـإنه من لم يثبت غيـر الله تعـالى : لم يقـل لـه : أنفـه ، فـابتنـاء أساس استعدادك : على أول الأبواب الإيمانية .

فهذا معنى ما ترجمه البخاري (١) .

---

(١) قال البخاري في أول كتاب الإيمان : «وهـو قول وفعـل ، ويزيـد وينقص» إلى آخر مـا قال (رحمه الله تعالى) .

بـــاب مـا جـــاء : أن الأنبياء دينهم واحـــد في هـــذا المقام
وفي بعض الأحكـــام ، فقـــد حصلت في الـــدائـــرة والحمد لله

والصمت : شرط لازم ، لا بد منه .

وأمـا الأكـل فحـده : مـا دمت تـدبـر نفسـك : ألا تجـوع الجـوع المشغل[1] .

ولا تشبع الشبع المثقل[2] .

ولا تترك الطبيعة تتغذى[3] منك .

ولا تترك عندها فضلاً عن الـوقت ، حتى يكون آخـر خلاء المعـدة أول تحصيل الغذاء ، وهو قول رسول الله (ص) :

«حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه»[4] .

---

(١) أي الذي يشغلك عن العبادة والذكر .

(٢) الذي يثقلك فينيمك ، فإنك ما دخلت الخلوة لتنام .

(٣) ذلك أنك إن لم تأكل أكلتك .

(٤) ونص الحـديث : «ما مـلأ ابن آدم وعاء شـراً من بطنـه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبـه ، وإن كان لا بـد فاعـلاً ، فثلث لطعـامه ، وثلث لشـرابه ، وثلث لنفسـه» رواه الترمذي وغيره .

ولكن من وجه لا يريبك[1] ولا يتضرر فيه مخلوق بكلفة[2] .

ولا سبيل إلى أكل حيوان البتة[3] ، ولا أن تسخر لك في غدائك سواك[4] ، بل تستعد[5] غداءك لخلوتك بيدك[6] ، ولا يتصرف في تحصيله غيرك : البتة .

وإن جهلت مزاجك ، فاعرض نفسك على الأطباء ، فهم ينظرون في الغذاء الذي يلائم طبعك ، ويصلح بمزاجك ، ولتقل لهم ما تريد أن تفعله في التقليل وعدم الفضول من أجل التصرف والحركات والثقل المؤدي إلى النوم والكسل ، فهم يركبون لك غذاء تبقى عليه الأيام الكثيرة لا تحتاج فيها لغذاء ولا لبراز .

وإنما لم نعين في هذه الأوراق غذاء مخصوصاً لما ذكرناه من اختلاف الأمزجة .

---

(١) أي وجه لا شبهة فيه ، وقد قال سيدنا عمر (رضي الله عنه) : «كنا نترك تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام» .

وربما يقول إنسان : ما لهذا وذاك ، فأنا نقول : ترك الشبهة عند الصحابة إلى هذا الحد ، وترك الشبهة عندنا نحن : أن نتقي ما يؤدي إلى الحرام ، والبون بيننا وبينهم (رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم) :شاسع ، والفرق كبير ، فهم خيرة الله لخير خلق الله تعالى (ص) وصحبه وسلّم .

(٢) فإنك إذا دخلت الخلوة ، وتصدق عليك الناس بالطعام : فهذا ضرر ، وربما كان في نفس الذي أتاك بالطعام شيء ، فيكون تكلفاً ، ويكفيك قوله تعالى : ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ [سورة ص] ، والتكلف هو : اصطناع الإنسان ما ليس من طبيعته .

(٣) لأن أكل اللحوم تؤدي إلى قوة شهوة الجماع .

والخلوة إذا جامع فيها المختلي فسدت ، فإن المعتكف لا يجامع النساء ولا يأكل إلاَّ الضرور الذي يقيم الأود .

[راجع باب الاعتكاف من كتب الفقه]

(٤) حتى لا تنشغل بالغير ، فيشوش عليك ، والله يتولى هداك .

(٥) بمعنى : تعد طعامك بنفسك .

(٦) في المخطوطة ـ بعد «بيدك» : كلمة لا تقرأ .

والذين يقرؤون هذه الأوراق كثيرون[١] فربما يستعمل ذلك الغذاء من لا يلائم طبعه ، فيعاقبه الله .

هذا ، وإن انحصرت الأمزجة في أمهات[٢] ، ولكن فيها دقائق وتفضيل لا يعرف إلا بمشاهدة الشخص في الوقت ، ويحتاج الغذاء - بعد معرفة الشخص - إلى معرفة الزمان والمكان ، فهذا منعني أن أعين غذاء .

لكن الذي لنا تبيين : الأمر الكلي ، وهو : أن لا تستعمل إلا الغذا الخفيف ، الملائم للطبع ، البطيء الهضم ، الشبع[٣] : الذي لا تحتاج معه التصرف[٤] .

---

(١) يقصد أنهم قد يقرؤون ، ولا يفهمون ما فيها ، فيستعملون الأدوية خطأ ، فيحدث الضرر ، ونسأل الله السلامة ، وقد قال الله تعالى : **﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾** .

(٢) يعني : أصول .

(٣) بفتح الشين المشددة وكسر الباء : المشبع .

(٤) يكون مغذياً ، ومع ذلك : لا تحتاج معه إلى كثرة دخول الخلاء .

مطلب في بيان الأكل في الرياضة

وأما صورة الأكل في الرياضة[1] في أول العزلة ، وفي الخلوة ، فهو : أن تأخذ اللقمة ، وتسمي الله سبحانه عليها بذلة وافتقار ، وخضوع وخشوع ، فإذا ألقيتها في فمك فأكثر مضغها جيداً ، فإذا ابتلعتها ، فاحمد الله تعالى الذي سوغكها حمداً تاماً في [حال : بحضور][2] ومراقبة وتربص ، حتى تعلم أنها قد استقرت في فم المعدة .

ثم خذ بعد ذلك لقمة أخرى ، تفعل فبها مثل الأولة .

هكذا ، حتى تنتهي إلى القدر الذي فيه غداؤك .

وكذلك شربك الماء مصاً[3] وتقطع من نفسك مراواً[4] .

---

(١) ما تريض به نفسك قبل دخول الخلوة .

(٢) هكذا في المخطوطة ، ولعل المقصود : في حال ملازمة لك بحضور قلب مع الله تبارك وتعالى .

(٣) كما قال رسول الله (ص) : «مصوا الماء مصاً ، ولا تعبوه عباً» . [رواه البيهقي في شعب الإيمان] .

(٤) وفي قول رسول الله (ص) الذي رواه سمويه في «فوائده» . والبيهقي في شعب الإيمان ، «ابن القدح عن فيك ، ثم تنفس» إشارة إلى ذلك .

واعلم أن العطش من الشهوات الكاذبة : جربناه ، فوجدناه كذا ، وجربه غيرنا فوجده كذلك .

فعود نفسك أن تمسكها عن الماء ، وإن عطشت ، فإنك إن جاهدتها قليلاً : تنعمت بها كثيراً ، وتقيم ـ والله ـ الشهور الكثيرة ، نعم والسنين : لا تشرب فيها ماء : البتة ، ولا تشتهيه ، ولا يؤثر في مزاجك ولابدنك ، وتقنع الطبيعة بما تسهل من الرطوبات التي في الغذاء[1] .

ولهذا نستحب ، بل نوجب المجاهدة والرياضة في العزلة قبل الخلوة حتى يصير ذلك طبعاً وعادة ، ولا تحس النفس به ، كما لا تحس بالعادات ، فتدخل الخلوة عقيب ذلك : مستريحاً ، نشيطاً ، طيب النفس ، فارغا من المجاهدة ، خالي المحل من المكابدة ، مهيئاً مفرغاً لذكر المذكور ، والتجلي المطلوب ، والوارد الآتي عليك ، فإن المجاهدة في الخلوة تذهب بجمعية الخلوة التي هي روحها[2] لأنها شغل في الوقت ، فتحفظ من ذلك جهدك ، وقدم العزلة ولا بد ، واجعل مجاهدتك فيها حتى تأنس بذلك ، واندرج منها إلى الخلوة المطلوبة يسرع إليك الفتح إن شاء الله تعالى .

ومهما تكلفت شيئاً في خلوتك من : سهر ، أو جوع ، أو عطش ، أو برد ، أو حديث نفس ، أو وحشة ، فأخرج منها إلى عزلتك حتى تستحكم .

---

(١) يعني بإمتصاص ما في الأغذية من الماء .

(٢) يعني أن روح الخلوة : مجاهدة الشهوات ، وتكبد المشاق والمتاعب

صورة بيت الخلوة وحاله فيها وشروطها

ثم ليكن بيت خلوتـك على ما أذكـره ، ولتكن أنت على حسب ما نحده لك .

فأما صفة البيت المخصوص بهـذه الخلوة ، فينبغي أن يكون بكـل خلوة إن أمكن ، فهـو : أن يكون ارتفـاعـه قـدر قـامتـك ، وطـولـه قـدر سجودك ، وعرضه قدر جلستك .

ولا يكن فيه ثقب ولا كوة أصلاً .

ولا يدخل عليك ضوء رأساً .

ويكون بعيداً من أصوات الناس .

ويكون بابه قصيراً ، وثيقاً في غلقه .

وليكن في دار معمورة فيها ناس .

وإن تمكن أن يبيت أحد بقرب باب الخلوة ، فهو أحسن .

وأما صورتك فيها ابتداء ، فهو أن تغتسـل وتنظف ثيـابك ، ولا بـد من النية بالتقرب إلى المتوجه إليه : «لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم» .

ولا سبيل لكثرة الحركة فيها .

ولا تزد على الفرائض والركعتين والرواتب .

والقعود على طهارة .

واستقبال القبلة دائماً .

وإذا أردت الحاجة ، فليكن موضع خلائك بعيداً[1] : قريباً من خلوتك[2] .

وتحفظ عند خروجك من الهواء الغريب ، فإنه يؤثر فيك تفريقاً[3] زماناً طويلاً .

وليكن ماؤك لا يتغير عليك ، وإذا خرجت لحاجة : سد عينيك وأذنيك .

وليكن غداؤك معك في بيتك معداً ، وخلف باب بيتك محفوظاً .

ومن شروط هذه الخلوة - بل كل خلوة - إن قدرت - أن لا يعرف أحد أنك في خلوة أصلاً[4] .

وإن كان لا بد أن يعرف ، فلا يعرف ذلك منك إلَّا أقرب الناس إليك[5] في خدمتك ، ممن يجهل ما أنت عليه ، ولا يعرف ما تقصده .

وإنما يمنع من ذلك لتشوق نفسه إلى النفوس المتشوقة لخروجه : بماذا يخرج ؟ وهي علة كبيرة ، ونحن نحب تقريب الفتح

---

(١) بمعنى : لا تتبرز في خلوتك .

(٢) حتى لا تكثر الحركة والمشي .

(٣) لأن الإنسان إذا كان في مكان ، فهو مجتمع على نفسه : محاصر لها في الذكر فقط ، فإذا ما خرج ورأى الدنيا تفرق قلبه وتوزع تفكيره ، والله أعلم .

(٤) كزوجتك مثلاً أو خادمك .

(٥) حتى تكون السرية تامة بينك وبين ربك .

على الشخص ، وهـذا يبعـده ، فـإنـه لا سبيـل إلى الفتـح وفي النفس أثر .

فهذه صورة الخلوة المطلقة .

وجـري فيهـا أشيـاء نبهنـا عليهـا ممـا يحتـاج إليهـا في الخلوات كلها : العامة والخاصة ، فلا تحتاج إلى تكراره في خلوة مقيدة .

والله المرشـد .

وقد ذكرنا صورة ترتيب الفتح في رسالة «الأنوار» فلينظر هنـاك إن شاء الله تعالى .

خلوة الهدهد

تدخل الخلوة ، كما أرسم لك ، وتستعمل في غذائك قلوب الهدهد تسحقها وتسفها سفاً ، فإنك ترى عجائب .

ويكون ذكرك ﴿لا إله إلاَّ الله رب العرش العظيم﴾[1] .

---

(١) وهي الآية التي حكى الله أن الهدهد قالها في سورة النمل ؛ الآية : ٢٦ .

الخلوة الصمدانيـة

أيامها ثلاثون يوماً ، لا نوم فيها : البتة .

ومهمـا نـام في هـذه الخلوة بليـل أو [فـطر][1] بنهـار ، فليستـأنف الخلوة من أولهـا : ينام فيهـا بالنهـار ، ويفطر بـالليل من غيـر شبع ، ولا يفطر بالنهار .

وإن اتفق أن يكـون في رمضـان فهـو أولى ،وإلاَّ ففي المحرم ، وذكرها : سورة الأخلاص[2] .

---

(١) في المخطوطة «فطر» .

(٢) وهي سـورة «صمد» ومن معـانيه : الـذي لا يأكـل ولا يشـرب ، ولا يحتـاج إلى أحـد ويحتاج إليه كل أحد ، ومن داوم عليها لزمه الشبع ، فـلا يحتاج إلى كثيـر أكل ، ومن شاء فليجرب .

خلوة القـرين

«ذكرها لي جماعة من إخواني ، وأما أنا فما عملت عليها ، من أجل الأسماء التي فيها»[1] .

قال القوم الذين أخبروني بها : يلبس لها كل يوم ثوباً جديداً ، أربعين يوماً .

ويكفي الغداء : مرة خبزاً بزيت ، ومرة خبزاً بزبيب .

ولا يزال يذكر هذه الأسماء عقيب الصلوات الخمس ، وأكثر الحالات : وهي :

«بهلطف ، سليطيع ، أسماطون ، أطون ، بهكش ، تهكش ، بوب» .

واعلم : أن صورة الخلوة ، ما ذكرته لك : ثم أنه تختلف الحالات فيها على الإنسان بحسب أذكاره ، فإن الذكر مع الاستعداد ، هو الداعي إلى الفتح ، ولكن بما يناسب الذكر الذي يكون عليه صاحب الخلوة .

---

(١) أعلمك بهذا أنها ـ والله أعلم ـ شيطانية لا رحمانية ، لأنه قال لك «من أجل الأسماء التي فيها» .

وقد ادخلت مريداً لنا بذكر سهل بن عبد الله ، الذي أعطاه خاله ، وهو : «الله معي ، الله ناظر إلي ، الله شاهد عليّ» ففتح له به في أربعة أيام .

وأما أنا ففتح لي به في ربع ليلة .

وأدخلت شخصاً بيته علي «سبحان الله العظيم وبحمده» فرفع من ليلته .

ودخل بعض الشيوخ بذكر :

«لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير» .

ولزمه مدة ، ففتح له في التوحيد والتوكل ، فكان واحد عصره فيهما .

ووقفت على أسماء ، وأنا بالمسجد الأقصى ، فعرفتها : [خوطبت بها] .

وهي في الخلوة عجيبة ، وهي هذه :

«عنت وجود الروحانيات العلى ، للسبحات العظمى ، التي فتق بها الرتق . يا علي يا قيوم ، يا من أوجد الأباء العلويات متحركة ، والأمهات السفليات ساكنة ، بالصفة التي هي عين الموصوف .

يا من أدار القمرين حول مراكز تداويرهما ، وأدار الدورة الكبرى للسكون والفضل المبتغى ، المنطوق به على ألسنة الروحانيات العلى .

يا من نظر إلى من نظر إليه .

يا مذل الأعز ، يا قدوس يا أحد ، لك العز الأفخر ، والملك الأكرم ، والملكوت الأفخم ، أثر جلالك : الهيبة في القلوب ، وأنت

المحسان ، تنقل الأطوار والأدوار ، وتعلم ما سكن في الليل والنهار .

يا عظيم : لا أعظم[1] ، يا كبير ، لا أكبر[2] ، أنت المقصود بكل همة ، والمسؤول بكل لسان .

وكذلك خلوة : «يا حي يا قيوم» عظيمة الفائدة .

وكذلك : «يا علي يا عظيم ، يا عليم يا حكيم» .

وما من ذكر إلاَّ وله نتيجة تخصه .

فإذا فهمت كيفية حالات الخلوة وصورتها ، فادخلها بأي ذكر شئت ، فإنه يعطيك ما في قوته[3] ولا بد .

ويكفي هذا القدر من التنبيه

ـ والحمد لله وحده ، ـ .

ـ وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم ـ .

* * *

تمت الخلوة المطلقة ، وهو حسبي ، وحفيي .

ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم .

(١ ، ٢) في القاعدة النحوية : أن حذف ما يعلم جائز ، لأنه معلوم بالضروة ، فقوله لا أعظم و «لا أكبر» يعني : لا أعظم منك ، ولا أكبر منك ، وقد يكون يريد أن ينهاك عن أن تذكر يا أعظم ويا أكبر ، وهذا هو المرجح ، والله أعلم .

(٣) أي ما في قوة الذكر ، والله تعالى أعلم .

(١١)
كتاب الباء

بسم الله الرّحمن الرّحيم

قال الشيخ العالم المحقق ناصر الطائفة علامة الوجود كعبة العلماء والعارفين محي الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي(ختم الله له بالحسنى) .

سألني من تعز علي مسألته وتنجح الذي طلبته أن أقيد له كتاباً بخط يدي بما وضعنا في الحقائق الإلهية والدقائق الروحية ، ثم جرى منه أكرمه الله في أثناء المجلس كلام قال أنه اختلس من نفسه ونودي في سره من عالم قدسه ، وقيل له في ذلك الخطاب المذكور المكتشف بالنور أن الأشياء ظهرت بالباء والباء فيها أمرما ، قال فتحيرت فإن كل واحد لا يقدر على فك المعنى ، قال فلما قامت الحيرة والحضرة من عادتها الغيرة قيل لي اضرب عشرة في عشرة ثم سد الحجاب وارتفع الخطاب ورجعت بهذه الزيادة إلى عالم الشهادة ، فلما عرض علينا ماشوقه به في عالم مثاله وخوطب به في خزانة خياله ، أردنا أن نضرب عن اعجام هذا الكلام ونلحقه بمرتبته المعينة له في عالم الإلهام ، فقلت الحمد لله بالله فإنه أثبت لعيني وابقى لكوني وفي بقائي ظهور سلطانه وشق إحسانه ولولا باؤه ما ظهر أثر ولا التحم روح ببشر ، وصلّى الله على محمد أبي الآباء المشفوف بالباء

وعلى آله وسلّم تسليماً كثيراً .

أمـا بعد يـا ولدي(أبقاك الله) فإنـك قلت إنـه قيـل لـك إن الأشيـاء ظهرت بالباء والباء فيهـا أمر مـا فتحيرت فيمـا قيل لـك فقال لـك اضرب عشـرة في عشرة فـاعلم أنـه قـد جمـع لـك في هـذا الخـطاب الحكمـة الإلهيـة ونبهك على الغـاية التمـاميـة ، وذلـك أن البـاء أو نحـو وهـو في المـرتبة الثـانية من الـوجود وهـو حرف شـريف فإنـه العدل والحق الـذي قامت به السمـوات والأرض وما بينهمـا وإنه من شـرفه وتمكنـه من طريق مرتبته أن أفتتح الحق تعالى بـه كتابـه العزيـز بسم الله فبدأ بـالباء وهكـذا بـدأ بها في كـل سورة ، فلمـا أراد الله أن ينزل سـورة التوبـة بغير بسملة ابتدأ فيها بالباء دون غيرها من الحروف ، وكان شيخنـا وإمامنـا أبو مـدين (رضي الله عنه)يقول ما رأيت شيئاً إلاّ رأيت البـاء عليه مكتـوب كأنـه يقول في كـل شيء بـه قـام كـل شيء ، فكانت الباء في إزاء كل شيء وقيـل للعـارف أبي بكر الشبلي أنت الشبلي فقـال : أنا النقـطة التي تحت الباء يشيـر أنه كمـا تدل النقـطة على الباء وتميـزها من التـاء والثاء وغيـر ذلك وكـذلك يـدل أنا على السبب عنـه وجدت ومنـه ولدت وبـه ظهرت وفيـه بطنت فهذان شيخان كبيران شـاهدان عـدلان قد شهـدا لك بشـرف هذا الحـرف وجلالتـه على غيره من الحـروف وأنا إن شـاء الله أفصل لـك ما فيه ما يقتضيه حال الرؤيا وينزل عليك من العـدوة الدمغـا وذلك أن البـاء حـرف إتصال ووصلة وهـو من عالم الشهـادة والظاهـر ولـه من المـراتب المـرتبة الثـانية وهـو حرف مجهـور وله شـركة مـع الميم ولهذا قيـل لـك والبـاء فيها أمـر مـا فـالميم أيضـاً حـرف ووصلة وهـو من عـالم الشهـادة والظهور وله من المراتب الثانية من التثنية إلاّ أنه حـرف مهموس وشد عند النطق به والشد يقتضي لك أن فيه حرفاً آخر وهو النون الذي في قوله أمر قلبت ميماً وادغمت في الميم في قوله ما وهـذا المقام سئـل الجنيد عنـه فقال :

وغنـا لي منـا قلبي وغنيت كما غنـا
وكنـا حيث ما كـانـوا وكـانوا حيث مـا كنـا

وقـال الأخر فيـه أنا الحق وقـال الله فيـه كنت سمعـه وبصـره وهـو تصيير الذاتين ذاتاً واحدة في العين وكأنهما ذات واحـدة في النطق ولـولا الشـد ما عـرف أحـد ذاتين ، ولكن في عـالم الشهـادة ذات واحـدة كمـا تعلم قطعـاً إن إحياء المـوتى ليس إلاَّ لله ، ثم رأينا عنـد نفخ عيسى (ع) في الطائر فكان طائراً فما وقـع في الشهادة ولكن أبصـر العين سوى ذات واحدة وهو عيسى ولكن أعطى الفعل والأثر بأن ثم ذاتـاً أخرى عنهـا كان هذا الفعل فهمـا ذاتان فـالشد الـظاهر في النـطق في الحرف هـو بمنزلـة الأثر والفعل يدل على أن ثم ذاتاً أخـرى غير مـا شهدنـا فأنـاب أيضاً في هذا الكشف بتشديد الميم كما يقولونـه أهل الشكـر من الإيجاد ثم نسبـة النون المدغمة من الميم نسبة قريبة منهـا أنها من العـالم المهموس مثـل الميم ولهـا من المـراتب الخـاصـة وهي الخمسـون في العشـرات وفي المرتبة الثانية للفردية كما كانت الميم في المرتبة الثـانية للتثنيـة والشفعية فـإن لهـا من المـراتب الـرابعـة وهي الأربعـون في العشـرات فمـا كم المجـاورة في العدد فلهـذا ادغمت فيها وخنيت واشبهت النـون البـاء من حيث المرتبة الثانية وهي أقوى شبه بالباء في المـرتبة من الميم فـإن البـاء ثانية الوحدانية والنون ثانية الفردانية والفرد أقرب إلى الـوحدانيـة والوتـرية من الـزوج فإنـه كهف ، فلهذا أحتملت البـاء أن تـدغم النـون في الميم لشبههـا بها من جهـة الأحـديـة ، ولهـذا يختص بـه كـل واحـد من هـذه الثـلاثة مـا يختص بـه الأخـر وذلـك أن البـاء ، اختصت بـالأوليـة وليس لأحد ذلك المقام لأنها في المرتبة الثـانية من وجـود خالقهـا والأولية على خالقها محال فبقيت الأولية لهـا ولهذا ينشيء العـدد منها فـإن الواحـد لا يُقـال فيه إنـه عدد ، فـإذا جاءت البـاء وهي المرتبـة الثـانيـة ظهـر وجـود العـدد والذي تختص بـه الميم هو أولهـا منعطف على آخـرها مثـل الواو والنون وأشبه النون في هذا الباب وحكمة هـذا العطف وهي الـدائرة قـد

ذكرناه في كتاب ستة وتسعين تكلمنا فيه على الواو والنون والميم خاصة ؛ ولكن الذي تختص به الميم مرتبة شفعية والشفعية ليس لأحد غيره فمن خواص النون هذه المذكورة أنها من عالم الأنفاس والروائح فلها طريق في الخيشوم ولكن ليس لغيرها ذلك وهو حرف شريف وإنما كانت الباء مجهورة من العالم المجهور لأنها أصل الظهور وهي الثوب الذي على موجدها ولهذا أخرجت على صورته وبكلمته وخفي هو بظهورها فلم تتعلق معرفة العارفين إلاَّ بالباء ولا شهدت أبصار الشاهدين إلاَّ بالباء ولا تحقق المحققون إلاَّ بالباء فهي كل شيء والظاهرة في كل شيء والسارية في كل شيء وبهذا كان كل مجهور وعدمها موجودها فلهذا كانت من العالم المجهور وإنما كانت الميم والنون من العالم المهموس من أجل الباء فإنهما ظهرا في العين عن الباء وهما عن الحقيقة عن غيب الباء الذي هو الأذن العالي والأمر المطاع فنسبنا إليه لا إلى الباء .

فلهذا النسب كانت من العالم المهموس وهو الخفي واجتمع الكل في كونهم حروف إتصال ووصلة فالميم والباء اتصلت بهما الشفتان بعد إفتراقهما ، وهو شأن المحبين إذا اجتمعا فالإتصال إذا اجتمعا والوصلة إذا تعانقا وامتزجا ، والنون أيضاً حرف اتصال ووصلة لأن اللسان اتصل عندها بالحنك الأعلى غير أنه بين الإتصالين فرقان ، إتصال النون في العالم الأوسط عالم الخيال الروحاني العلوي وإتصال الباء والميم في عالم الشهادة هذه وإن كان ذلك اللطف من طريق أنه أقرب إلى الروحانية والغيب فهذا اتم من باب النيابة والاستخلاف قال الله تعالى : ﴿**وما منا إلاَّ له مقام معلوم**﴾ ولما تحير المكاشف في هذا الأمر وما عرفه وقال له في خطابه اضرب عشرة في عشرة فبالضرورة هي مائة فلماذا قصد إلى العشرة دون غيرها من الأعداد فاعلم أن العشرة في العشرة في الضرب وخروج كل منهما عقداً واحداً وهو مائة وهو في المئين بمنزلة الواحد في الآحاد والعشرة في العشرات فصار

الشبه بين الواحد والعشرة والمائة واحد. فإن الواحد رأس الأحاد والعشرة رأس العشرات والمائة رأس المئين فما زالت من الوحدانية ولكنها العالم من الاثنين كما تقدم في الذاتين في حرف الميم وإدغام النون فيها كما ذكرناه فصار عشرة في عشرة تبياناً لما قال له في الباء وتشديد الميم وتحير فيه فكما تقول واحد في واحد فهما واحد وتضرب الواحد في الآخر فيظهر واحد وهذا الواحد الخارج ليس بواحد خالص فإنه نتيجة لخلاف الواحد كذلك العشرة في العشرة ظهرت منهما مائة واحدة . العشرة بيان للباء ثم أعلم أن قصده للعشرة بالضرب في العشرة كأنه يقول اضرب في ذاتك ذات موجودك فإنك مخلوق على صورته ، وقامت صورة الإنسان من عشرة فالذات الغيبية التي هذه صورتها عشرة ، فإذا ضربت ذاتك في ذاته من طريق العشرة كانت مائة ، فإن كان الخارج في هذا الضرب في عالم الحس فهو أنت في هذه المائة لا هو وهي درجات الجنة مائة درجة ، وإن كان الخارج في هذا الضرب في عالم الغيب فهو الهو لأن هذه المائة وهي مراتب الأسماء التسعة وتسعون أسماً ، والواحد المائة الذي غيب عن الخلق في عالم الألفاظ فلكل اسم درجة من الجنة فالدرجات لك لأنك الذي ترتقي فيها ، والأسماء له لأنها المؤثرة الناصبة لهذه الدرجات فقد تبين لك لماذا قصدت العشرة وتبين الآخر وهو أن مراتب الأعداد أربعة : المرتبة الأولى الآحاد، والمرتبة الثانية العشرات ، والثالثة المآت ، والرابعة الألوف وما تم خامسة أصلاً ، فالعشرة هي المرتبة الثانية من هذه المراتب والباء قد عرفت أنها اثنان لأنها بعد الألف فلهذا لما تحيرت في الباء جعل لك بدلاً منها العشرة فلكل واحد منهما أعني من الباء والعشرة التي هي بدل منها حظ في الأولية بواحدة وحظ في التثنية بوجه فتضرب فيها كيف شئت فإنه لا يحجر عليك وهنا قد تبين لك حقيقة ما خوطبت به فلنتكلم في كون الأشياء المتعددة ظهرت من الباء دون غيرهما فإن في الباء دعوى من حيث نفي الرسم فإنها لا تعطي

الفنـاء مثل الـلام ولهذا نقـول باء الإستعـانـة كـذلـك التبعيض وكـذلـك الالصـاق وقد تنـوب مناب الـظرف وتكون زائـدة فلهـا إخـوة جمـة كلهـا تعـطي البقاء يـدل على المحجة تقـول حمـدت الله بـالله فـأثبت نفسـك حـامداً غيـر أنك عجـزت عن القيام بحمـده حتى استعنت به كمـا تقـول كتبت بـالقلم فـأثبت نفسـك كـاتبـاً لكن استعنت على كتـابتـك بـالقلم ولـذلـك قـال تعـالى الـذي علم بـالقلم فعلم الخلق كلهم بـالقلم وهـو العـدل والحق الذي قـامت به السمـوات والأرض وهو الفعـل الأول وهـو الحقيقـة المحمديـة وهو البـاء فكما تقـول بالحق ظهـرت الأشياء كـذلك تقول بالباء ظهرت الأشيـاء لأن الباء اسم لهـذه الحقيقة المعقـولة ، كمـا أن اسمائها ما ذكرناه وهو العلم والحق والعدل والعقل فهـذه كلها أسمـاء لهـذه الحقيقة التي اسمهـا الباء واحسن أسمـائها البـاء من طـريق ظهـور الأشيـاء بهـا والآن البـاء تعـطي الالصـاق تقـول مـررت بـالمسجـد أي ألصقت المرور به ، إنما ظهرت الأشياء بالبـاء فإنـه واحد ولا يصـدر عنه إلاّ واحـد وهـو الصحيـح ، فكـأن البـاء أول شيء يصـدر عنـه فهي ألف على الحقيقـة وحداني من جهـة ذاتها وهي بـاء من جهة أنهـا ظهرت من المـرتبة الثـانية من الـوجود فلهـذا سميت باء حتى يمتـاز عنه ويبقى اسم ألف لـه ولظهـورها قلنـا إنه حـرف مجهور من الجهـر وهو الـظهور فلمـا كـانت المرتبـة الثانيـة والواحـد لا يُقال فيـه عدد والإثنـان يُقال فيـه عـدد والأشياء عدد فعـدد العدد من العـدد وهي الباء في أحـديته وبقي الـواحد الأحد في وحدانيته مقدسـاً ومنزهـاً غير أن هنـا نكتة وهي إنمـا سمي باء من البـاه فقلبت الهاء همـزة رمزاً وهـو في الكلام كثيـر لأن الهمـزة أخت الهاء تبدل في كلام العرب الـواحدة من الأخـرى والباه في اللسـان معناه النكاح وكذلك الباء فالباء على الحقيقـة بلا هـو هو النكـاح وإنما جـاءت الهاء في آخر الكلمة إشارة لأهل الإشارات أي أن الها هو البـا والباء هـو الفـاء فقالـوا الباه كـأنه يقـول الباء هـو أي هـو البـاء ولمـا كـان الـوجـود المحدث نتيجة فلا بد من أصلين وهما المقدمتـان ينكح أحـدهما الآخـر

وهو الرابط للمقدمتين فتظهر النتيجة فكذلك لما توجه الحق على هذه الباء وهو الموجود الثاني قابله من حيث الوجه فامتد منه ظل الكون ـ قال تعالى : ألم تر إلى ربك كيف مد الظل من الجسم عند مقابلة الشمس فلما خرج الظل على صورة الممتد منه كذلك خرج الكون على صورة الباء ، فلهذا ـ قال العارف ما رأيت شيئاً إلاَّ رأيت الباء عليه مكتوبة وهو أنه رأى صورة الباء في كل شيء يكون عشرة لأن كل شيء ظلها فهي سارية في الأشياء ولهذا ذكر الله تعالى أن الظل يسجد له بالغدو والآصال لميل الشمس وظهور الظل فإن النور إذا اكتنفك من جميع الجهات وهو حد الاستواء اندرج ظلك في نورك كما يفني الكون عند ظهور الحقيقة فلا يبقي له أثر في أي مقام كنت إن كان في مقام الذكر فيفني الكون عند الذكر وإن كان في مقام المشاهدة يفني في المشاهدة ـ فالمقصود ـ أنه ليس للكون ظهور أصلاً عند تجلي الحقيقة وإنما ظهوره بالباء لأنه ثوبها وإن الكون ينسلخ منها وهي لا تنسلخ منه كما انسلخت هي من هوية موجودها ـ عطس رجل بحضرة الجنيد ـ فقال الحمد لله فقال الجنيد اتممها فقال الحمد لله رب العالمين فقال الرجل يا سيدنا وما العالم حتى مع الله فقال الآن قلت يا أخي فإن المحدث إذا قرن بالقديم لم يبق له أثر فوق جانب الإستعانة كون وجود الكون موقوفاً عليها لا تبديل لكلمات الله كما لا يتصور نجاره من نجار بلا قدوم فالمرتبة الثانية أمر حقيقي لا بد منه ولا يمكن غيره كما أن الثلاثة من المحال ابتداء أن تتقدم على الاثنين ولا الأربعة على الثلاثة فمتى أراد الوجود أن يظهر الثلاثة فلا بد من مساعدة الاثنين يبقى الواحد غير متمكن من إيجاد الثلاثة دون الاثنين فهذه روحانية الاستعانة في الباء إنما جعلت النقطة دليلاً لكونها تلتبس صورتها بصورة ظلها فيتخيل الكون أنه قام بنفسه ولا يعرف أنه ظل فإذا اندرج ظل الباء في الباء تبين له بكونه لم يندرج في النقطة أن ثم أمراً زائداً عليه وهو الباء الذي النقطة دليل عليه والنقطة رأس الخط ومبدأ كل

شيء فاعطيت للباء لكون الباء مبتدأ أولاً وجعلت من أسفل لأن صدور الكون من الباء إنما يظهر في السفل من مقام الباء فتكون النقطة بين الباء وبين الكون والنقطة عين التوحيد لأنه رأس الخط فهو حقيقة الموجود فكان التوحيد بين الكون وبين الباء حاجزاً يمنع الباء من الدعوى ويمنع الكون من الشركة فيبقى التوحيد معصوماً في الخلق كلها والأشياء ظهرت بالباء فما من شيء إلاّ والباء عنده وما من شيء إلاّ ونقطة الباء فيه ولهذا قيل :

وفي كل شيء له آية　　　تدل على أنه واحد

وهو النقطة التي تدل على التوحيد وسنامه ولهذا قال :

أيا عجباً كيف يعصي الإله　　　أم يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة　　　وتسكينة علم شاهد
وفي كل شيء له آية　　　تدل على أنه واحد

فقال كيف يجحد الجاحد وهو ظاهر يعني النقطة عندما ينظر الكون إلى الباء الذي صدر منه فلا يراه بالنقطة ولا يوجده الأخر إلاّ بالنقطة وهي لفظة الأذن ، قوله لعيسى (ع) وإذ تخرج الموتى بإذني فلولا النقطة ما تمكن للباء أثر ظاهر في الكون وهو قوله تعالى : وكنت له يداً ومؤيداً في الحديث الذي جاء فيه كنت سمعه فلا يتمكن الجحد لوجوده ولا يتمكن المعصية للتحلية وهو العلم الشاهد الذي له في كل تحريكة وتسكينة تشهد له بالأثر الوحداني وإن الباء اقتضتها الحقائق فلا بد منها فهي بالنقطة كما أتت بالنقطة ، وأما روحانية الإلصاق في الباء معنى الإلصاق هو أن تلصق الأثر بالذي يشبه وجه الأثر فيقول ، مررت بالمسجد فالصقت مرورك بالمسجد كذلك يقول ذهب الله بنورهم فالصق الذهاب بالنور والنور هو الباء الذي هو نور السموات والأرض لأنها الحق الذي قام ومعنى قام ظهر في عينه وثبت ولهذا كني عنه بالنور لظهوره فلما كان فيه هذا الإلصاق المعقول المعنوي لهذا

سمي بالباء لأن الباء تعطي الإلصاق وأما روحانية الظرف فيها لكونها تنوب مناب فاء الباء وهي من أعجب الحروف يقول نزلت بموضع كذا فالباء في هذا الموضع ظرف لأنها بدل من فاء الباء والظرف للباء حكم به صحيح فأنا صادرون من فوقها وقد كنا موجودين فيها قبل وجد وجدنا لها في الوجود أربع مراتب هذه الواحدة منها وهو الوجود في الذهن ولهذا يقول كنا في علم الله قبل وجود أعياننا وكنا بحيث يعلمنا فكانت الطريقة حقيقة في الباب وقد تبين هذا بسلخ الكون من الباء واندراجه فيه عند إحاطة النور في الاستواء بالباء في قوله ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولا يقع المد إلاّ في مطوي مقبوض فكان مقبوضاً في ذات الباء وقال وظلالهم بالغدو والآصال الميل فقد بانت الطريقة بهذا كله ومما ذكرناه من فاء الباء وشرف الطريقة في نفسه هو أنني كنت ببجاية في رمضان سنة سبعة وتسعين وخمسمائة فأريت ليلة أني نكحت نجوم السماء كلها فما بقي نجم في السماء إلاّ نكحته بلذة عظيمة روحانية ثم لما اكملت نكاح النجوم أعطيت الحروف فنكحتها كلها في حال إفرادها وتركيبها وشخص لي حرف فالذي هو فاء الباء الظرفية فأعطيت فيها سراً إلهياً يدل على شرفها ما أودع الله من الجلال عندها وعرضت قصتي هذه على رجل عارف كان بصيراً بالرؤيا وعبارتها وقلت للذي عرضتها عليه لا تذكرني ، فلما ذكر المنام له استعظم ذلك وقال هذا هو البحر الذي لا يدرك قعره صاحب هذه الرؤيا يفتح له من العلوم العلوية وعلوم الأسرار وخواص الكواكب والحروف ما لا يكون بيد أحد من أهل زمانه ثم سكت ساعة وقال إن كان صاحب هذه الرؤيا في المدينة فهو هذا الشاب الذي وصل إليها وسماني فبهت صاحبي وتعجب ثم قال وما هو إلاّ هو فلا تخفي عني فقال صاحبي نعم هو صاحب الرؤيا قال ولا ينبغي أن يكون في هذا الزمان إلاّ له فعسى أن تحملني إليه لأسلم عليه ، فقال لا أفعل حتى استأذنه فاستأذنني فأمرته أن لا يعود إليه فسافرت عن قريب فلم أجتمع

بـه وإنما سقنـا هذه الحكـاية من أجـل فاء الـظرف ، التبعيض وإنهـا من أعجب الحـروف فقـد تبيّن حكم الاستعـانـة فيهـا أعني في البـاء وحكم الإلصـاق وحكم الـظرف فبقي حكم التبعيض وذلـك لمـا كـانت الـذات وإن كانت واحدة لها وجهان معقـولان غيب وشهادة وظـاهر وبـاطن وأول وآخر ورداً ومريد صح أن يقـول في الغيب إنه بعض الـذات لأني كشفت الذات من كونها شهادة لا من كـونها غيبـاً وعلمتها من كـونها غيبـاً لا من كـونها شهـادة ولهذا يجـوز أن يقول رأيت زيـداً كله فيؤكد بـالكل بجـواز رؤيــة البعض فمن اطلع على معنى واحــد في ذات يــدل على معنيـين فمن عاين منها سوى الوجـه الذي يـدل على ذلك المعنى الـواحد الـذي ظهر عليه وغاب عنه المعنى الآخر فغاب عنـه الوجـه الذي للذات الـذي يـدل على ذلك المعنى فـإذن ما شاهد سـوى بعض الـذات ولهـذا يـرى الشـافعي مسح بعض الـرأس في الوضـوء للتبعيض الـذي في البـاء فـإذا قلت بـالباء ظهـرت الأشياء وإنمـا ظهرت على الحقيقـة بالله عنـد وجـود هذه الباء كـالحياة في طـائر عيسى (ص) فصـار كأن البـاء بعض له عنـد ظهـور الأشياء وهـو بعض لها لهـذا الحكم خاصـة بكـأن المشبهـة فهـذه روحـانية التبعيض الإلهي الـذي ظهر في البـاء وكذلـك الكون لمـا كـان مسلوخاً منها لم يبعـد أن يمشي عليها اسم البعضيـة فإن الـظلال كأنهـا بعض لمن امتدت منـه فتحقق هذا الشـرف العظيم الـذي في الباء وأمـا مرتبتها في كونها زائدة فجـلاء جداً وذلـك أنه يستحيـل مؤثر بين مؤثـرين ولا يستحيل عندنا مقدور بين قادرين فإن القدرة القديمة لها أثـر بالبـرهان والقدرة الحادثة ليس لها أثر بالـدليل الـواضح فـإذا وجد أثـر في الشاهـد عند القـدرة الحادثـة التي ظهر عنـدها هـذا الأثر ونسب إليهـا أنهـا قـدرة صحيحة ثابتة العين ولا نشك أن هذا الأثر وقع عندهـا لا بها وأن القـدرة القديمة هي التي لهـا هذا الأثـر فقد بـان زيادة البـاء لما لم يكن لهـا أثر وإنما الأثر للمؤثر فالعين ثابتة لكنهـا زائدة بعيني زائـدة في حضرة العقـل ولهذا قدمنـا النقطة التي تحت البـاء هي الأحديـة رأس التوحيـد هي من

العالم الكوني والباء فلو كان الأثر للباء لم يكن ثم هذه النقطة أصلاً فثبت بوجود النقطة أن الأثر لها وأن الباء زائدة ليس لها أثر ولو كان لها أثر كانت تظهر مرتبتها بين النقطة والكون فلا تصل النقطة إلاّ بها ووجدنا الأمر على ما أعطاه البرهان كما ذكرناه فقد بانت زيادتها لكل ذي عين سليم فانظر ما أودع الله فيها من الأسرار والباء حرف شريف ذكرنا مراتبه وبسائطه وأصل نشأته وحركته وسببه ومزاجه وما يعطي من الأمور وإتصالاته بالحروف على اختلافها في الفتوحات المكية في الباب الثاني فلتنظر هناك وهو حرب سعيد يعطي المواصلة والمؤانسة والجود وهو نافذ الروحانية وله من المنازل البطين فانظر كيف جاءت الباء في أول اسم هذه المنزلة ويعطي من الأمور ما نعطي هذه المنزلة فانظر يا أخي فيما ذكرناه في هذا الجواب على ضيق الوقت وكثرة الاشغال بغير هذا من الأسرار والله يفتح قفل هذه الأبواب والفصول الذي أودعتها في هذا الجواب والسلام الطيب المبارك عليكم ورحمة الله وبركاته .

تمت هذه الرسالة المباركة وهي رسالة الباء لسيدنا ومولانا محي الملة والدين أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي الاندلسي(ختم الله له بالحسنى) وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم آمين .

كتاب الياء

وهو كتاب الهو . إنشاء السيد الإمام العالم المحقق صاحب الشريعة والحقيقة ناصر الطائفة علامة الوجود محي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي (ختم الله له بالحسنى) رواية الأخوين عبد المنعم بن محمد بن يوسف الأنصاري وإسماعيل بن عبد الله النووي الأرمني (وفقهما الله) ثم الأنصاري (رحمهم الله أجمعين) آمين .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله حمد الضمائر المخصوص بالسرائر المؤثر في الظواهر والصلاة على محمد الداعي من مقام البصائر وعلى آله الأوائل والأواخر .

أما بعد فهذا كتاب الياء وهو كتاب الهو كتبناه إلى أهل الإشارات والحقائق الذين ابصروا الحق في العوائق والعلائق اعلموا وفقكم الله أن الهو كناية عن الأحدية ولهذا قيل في النسب الإلهي﴿**قل هو الله أحد**﴾ فهي الذات المطلقة التي لا يدركها الوجود بأبصارها ولا العقول بأفكارها ومدرك الإدراكات شارة التحول والصور فما من مقام يكون فيه تجلي من التجليات مثل تجلي الأنا والأني والأنت والك إلاّ وهو مبطون في ذلك التجلي فيقع الأخبار عما ظهر من هذه المقامات ويقع التنزيه على الذات المطلقة بالهو فالفهوانية لا تفارق الهو أبداً وغير الفهوانية لا تعرف الهو وإنما تعرف الأنى والأنا والأنت وألك فالعلماء بالله ما زالوا مربوطين بالهو فقالوا لا نحصي ثناء عليكفانحجب الهو هنا بأنك وأنت كما أثنيت على نفسك وانحجب الهو هنا بالأنت وألك ـ وقال ـ الآخر . العجز عن درك الإدراك إدراك وهو أنه أدرك أنه لا يدرك إدراكه ولو أدرك الهو لما كان الهو وإنما يدرك ما سوى الهو بالهو ـ وقال ـ الآخر

إذا نحن اثنينا عليك بصالح فشاهد ألك ثم قال ـ فأنت الذي تثني فشاهد الأنت وجعله عين الثناء ـ قال ـ وفوق الذي نثني فأظهر الهو بقوله يعني فوق الأنا والأنت وأخواتها ثم اثبت بالياء من تثني نفسه فبقي هو من كل وجه غير معلوم ولا مدرك ولا مشهود ولا مشار إليه فما هو إلاّ هو وما سوى الهو فهو في الأنى وأنت وأخواتها فسبحان من شرف الفهوانية بالهو وأجملها من بين سائر الإدراكات لا إله إلاّ هو ولسريان الهو في الموجودات إذ لا وجود لها إلاّ بالهو ولا بقاء بعد الوجود إلاّ صار كل شيء بعد الهو في حكم البدل من الهو وفي حكم عطف البيان أعني يعطف عليه لبيان المراتب التي للهو لا للهو والهو باقي عليه إجماله وعزته فقال في غير ما موضع ﴿هو الله الذي لا إله إلاّ هو﴾فبدأ بالهو وختم بالهو وأظهر مرتبة الإلهية وقال : ﴿لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم﴾ وقال : ﴿هو الأول والآخر﴾ وقال : ﴿لا إله إلاّ هو عالم الغيب والشهادة هو الملك القدوس هو الخالق الباريء﴾ فصارت الأسماء المذكورة بعد الهو تبين عن الهو ما نريد من الأحداث في العالم خاصة فالأسماء كلها ترجمانات عن الهو والهو مكتنف بكتاب العزة الاحمى في أحديته وهويته فلهذا جعلنا ما بعد الهو عطف بيان للمرتبة وبدلاً مستخلفاً من المرتبة أيضاً ولا يصح الهو لأحد إلاّ للذات المطلقة الموصوفة بالأحدية خصوصاً ذات الله فأن كل ما سوى الله تعالى مشهود مدرك لله ولبعضه أعني لبعض ما سوى الله فهو في الأنت لا في الهو فإنه ليس في الكنايات من يقرب من الهو إلاّ الياء والأسماء إذا أقــرن معهــا اللام من لي أو الآن من أني فالياء سلطان عظيم لا يقرب أحد إليه إلاّ حكم عليه ولهذا إذا أراد الآن أن يبقي على مرتبته ولا يتأثر يأخذ نون الوقاية فيجعلها مجنابينه وبينه فيقع الأثر على نون الوقاية ويسلم الآن في قوله إنني فالنون الثانية نون الوقاية لا نون الحقيقة وكذلك الأفعال في ضربني ويكرمني فأكرمني ولولا نون الوقاية لأثرت في الأفعال وهذا من قوة سلطانها وهي متوسطة بين الأنا والهو

والأنا أبعد من الهو منها فإن الأنا ليس له أثر ولكن الأنا أقرب إلى الهو من الأنت والأنك فالأنت وأنك في غاية البعد من الهو وبقي النحن والأن في تمييز مراتبها من الهو مع الأنا فأما الأنا والأن فهما أبعد من النحن عن الهو والنحن أقرب إلى الهو من الأنا والأن فإن النحن محل ميل الهو مفصلة المراتب فهو أعني المضمرات مثل اسم الله في الظاهرات لا يتقيد بمرتبة مخصوصة كذلك هذا الأخر الذي هو النحن ، والأنا أقوى من الأن لتأثير الياء فيه ولهذا لما أراد شرف المقام لموسى بالاصطفاء به فظهر الأنا والأن أدخل نون الوقاية حتى يبقى الأن سالماً مثل الأنا ليعلو المقام لموسى فيعظم الحق عنده لما لم يحصل في أنيته تأثير فقال جل من قال : ﴿**وأنا اخترتك فاستمع لما يوحي إنني**﴾ فسلمت بالأن الأولى والأنا الآخر أعني بعنايتها من الأثر حين وقيه بالنون كذلك من طلب الانساب واحتمى ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾ فالنحن له القرب والهو له البعد فإن النحن ناب عن حبل الوريد والحبل الوصل والهو بخلاف ذلك فهذا من مراتب الكنايات فقد بانت ولها البناء وهو الثبوت وعدم التغيير ولهذا استحقتها الألوهية أكثر من الأسماء والرب الذي هو الثابت وصف هذه الكنايات وأما الظواهر فدخلها التغيير باختلاف المطالب والمراتب فلم يحم الاسماء كما حمت الكنايات فقالوا قال الله وعبدت الله وبسم الله فوقع التغيير كما ترى واختص الهو بخصوصية عجيبة وهي ثبوته على باب واحد لا يتبدل يقول عبدته وأكرمه وشبه ذلك فلا يزال عن هذه المرتبة إذا تعلقت بالأكوان لبقائها فإذا لم تتعلق به وطلبها هو كان الهو في مقام العزة والرفعة كالأنا والأنت مع شرف هويته التي الأنا والأنت وأخواتها ليس عليه وأما كناية ناوني وتاول فهو أقرب إلى الهو من الأنا والأنت والأن ما صح لهم القرب وتفصيل هذا الباب يطول قال وأما مراتب الخلق وهذه الكنايات فمختلفة باختلافها وأشرفهم من كان هجيره الهو فإن بعض الناس ممن لم يعرف شرف الهو ولا الفرق بين

ذات الصورة والتحول والـذات المطلقـة جعل الأنـا أشرف الكنـايات من أجـل الاتحاد ومـا عرف أن الاتحـاد محال أصـلاً وأن المعنى الحـاصـل عنـدك من الذي تـريد اتحـاده هو الـذي يقول أنـا فليس باتحـاد إذن فإن الناطق منك لا أنت فـإذا قلـت ، أنا فـأنت لا هو فـأنك لا تخلو أن تقـول أنا بأنانيتك أو بأنانيته فإن قلتها بأنانيتك فأنت لاهو وإن قلت بـأنانيتـه فما قلت فهو القائـل أنا بـأنانيتـه فلا اتحـاد البتة لا من طـريق المعنى ولا من طـريق الصورة فـالقائـل من العلماء أنـا لا يخلو إمـا أن يعـرف الهـو أولاً يعـرف فإن عـرف الهو فقـوله أنـا على الصحو غيـر جائـز وإن لم يعـرف تغيـر عليه الـطلب واستغفر من أنـا استغفـار المـذنبين والهـو أسلم بكـل وجـه في كـل مقـام للعـالم والمحجـوب وإمـا الأنت فـاصعب من الأنـا وأكثف حجـاباً وذلـك لأن الأنت إنما يتجلى على صـورة علم من يتجلى إليـه فهو مقـام خطر فـإن الأنا منـه باق ولـولاه ما ثبت الأنت والأنت تنفي عنـه الهو من ينفي عنـه الهو خيف عليـه فـإنـه يحتـاج صـاحب الأنت أن يكون من التنزيه بحيث أن لا يمسك صـورة ويكون قـد ارتفع عن درجـة الخيـال ثم عاين مـراتب الغيب الكوني كلهـا وأن الهـو ليس كمثله شيء حينئـذ يسلم له تجلي الأنت فـإن الحشـويـة والمجسمـة وأصـل التشبيـه تجليهم إنمـا هـو في الأنت ولكـن ليس هـو ذلـك الأنت المـطلوب للمحققين وهـذا موضـع المكر والاستـدراج نسـأل الله الخـلاص . وأمـا كناية الواو من فعلوا فهي للنحن كالهو للذات . وأما كنـاية نـا فإنـه يقرب من الياء في التأثير إذا كان الأثـر له في مثـل قولـه أكرمنـاكم وشبهه فـأثره في الفعـل وإزالته عمـا وجب لـه من الثبـات وأمـا إذا لم يكن لـه تـأثيـر وكان غيره مؤثراً فيه لم يقوقوته وصار مثل أنت في قولـه أكرمنـا إذا أكرمـه غيـره لكن يقوي في الغيب من جهـة التشبيـه بـالهـو . واعلمـوا أن الهـو يطلب الياء أكثر من سائر الكنايات فإن الهو أحد عشـر وهو اسم الأحـدية فالأحدية تطلب الأحد وتبقى عشرة والهو لا تكون عشـرة فلا بـد من الياء ولهـذا يقول عن نفسـه إني ولا يقول هـو فيصيـر الأن تحقق اليـاء واليـاء

فهوانية للاحدية فهوانية لنا والأن موجود محقق مؤيد مطلوب لغيره وهو الياء ثم قد يكون الهو فهوانياً للاحدية إذا تجلى الأنا منها على قدر المتجلي إليه ـ كما قال تعالى : ﴿شهد الله أنه لا إله إلّا هو﴾ فالشهادة هنا لله وهو الجامع بين الأسماء ، كذلك الياء ذات الأحدية المطلقة فهي مثل هذا المقام يكون الهو فهوانية له سبحانه وأما الياء فهوانية له حقيقة تتميم ، وتكملة الهاء والهو والهي فأما الهو فقد بان بأنه من حيث هو الهو هو وأما من حيث هو الهو ها أو هي فأما إذا كان الهو هي فلا يكون إلّا عند إيجاد الصيرورة المثلية فيكون بعلاً والهي أهلاً والهاء أمراً جامعاً بين الهو الهي كالسبب الرابط بين المقدمتين التي تساق للانتاج فإنها مركبة من الثلاثة فلا بد من سبب رابط فقد كان الهو ولا شيء معه والهو بما هو الهو لا يكون عنه وجود والهي بما هي الهي لا يكون عنها وجود والهاء بما هي الهاء لا يكون عنها وجود وسبق العلم في الياء من أني بالايجاد لتظهر حقائق الأسماء فحرك الهاء الهو والهي والتقي الهو مع الهي بالهاء فكان الوجود المحدث ولهذا كني عن هذه الملاقاة بالحرفين وهما كن فقال : ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ ذلك الشيء فالشيئة التي ظهرت في العين ليست هي الشيئة المتوجه عليها القول فالشيء هو الهي وأردناه هو الهو وأن نقول هو الهاء وهو كن السبب الرابط فالكاف من الكن هو الهو والنون من كن هو الهي ولهذا كانت دائرة والرابط المقدر بين الكاف والنون هو الهاء وهو القول المستفاض على السنة المنطقين بأن أمر الله بين الكاف والنون فهذه مرتبة الهاء فقد نبهنا في أبيات عن الهو والهاء والهي فقلنا هذه الأبيات :

أنظر إلى ما قلت هو أو قلت ها   وتفطن الحديث لي وتنبها
وأنا يولد منها هي الذي   تعطي أنا تجد الذي قد نالها
ما أنا أني غير واو الهو ولا   وذاته عند اللطائف والنها
أن النها معقولة بنفوسها   وكذا النفوس بهووها علقت وها

فـإذا دعاهـا السر في غسق الـدجا ليحلهــا بـالعين من عقــد اللهــا
قـالت أنـا محبــوسـة بــدعــائكم مــا بين مبـدأ جــودكم والمنتهــا

وقـد استوفينـا الكـلام في هـذا الفصـل في كتـاب الألف والقـاف وهذا كتاب اليـاء وكان ممن يتحقق في هـذا المقام سيـدنا محمـد (ص) لتمكنـه فيه وكـذلك الأكـابر من سـادات هذه الـطريق وأكثر أهـل الطريق غمي عليهم هـذا المقـام وتخيلوا أنـه من مـراتب النفس وهيهــات وسـر الـوجود مـرتبط فكيف تكون حجـاباً عنـه وإنما العـوائد تحجب وكـذلـك مشـاركة الأنقص في الصـورة وكذلـك ما أنكـره إلاّ من وقف مع الصـورة والشهـوة البهيميـة ولـو وقف مـع حكم الإيجـاد وشـرعـه زوال تلك اللذة كمشـاهدة الـذات ومنزلهـا من الأنوار كـالبرق عـرف قدر مـا هام فيـه وما طلب وعالم الصورة كـامل في نفسـه والعالم لا ينـظر في الأشياء بفـرضه ولا بما استقر في عـرف الوجـود فحسب وإنما ينـظر في الأشياء بمـا هي الحقـائق عليه وهـو عزيـز جداً ولقـد تمنيت أن يحصـل بيـدي من يتـرك النظر في الأشياء بحكم العرض والوضع وينظر فيها بما قلنـاه وما وجـدناه حتى الآن وأنا لا أزال متعوباً بما يـرد علي ولا أجد محـلاً أضعه فيـه فلا فهم ثاقب ولا تسليم كامل وهذه نفثة مصدور ـ قـال ـ ثم اعلموا أن هـذه الذات المطلقـة الحقيقة اختصت بـالهو وهـو حرف سـام شريف وحـركته سامية شريفة أسـرت به الأحـدية على مـراتب الحروف كلهـا حتى انتهت إلى الـواو الذي هـو الآخر وكـانت الهاء الأول في الحـروف فقد أعـطت الأول والآخر واندرج فيها جميع مـراتب الحروف فمـا من قوة في حـرف إلاّ والهـاء قـد أخـذتهـا في هـذا السـر واعـطتهـا منحـة إلى الـواو وبهـا انفتحت الواو من الهو والفتـح عين الوجـود وباب الـرحمة ولهـذا جاء مـا يفتـح الله للناس من رحمـة فقـرن الـرحمـة بـالفتـح ولعلك تقـول فكيف تعمل في قولـه تعالى حتى إذا فتحنـا عليهم بابـاً من العذاب إذا هـم فيـه مبلسون قلنا ليس الأمر كما توهمته فإنه قد قرن الإبـلاس الذي هـو البعد عن الفتح فرحمة الفتح أغبـطتهم البعد بـذلك القـدر فهم في عذاب هـو

رحمة بما قارنه عذاب آخر وهذه عناية الفتح وإنما الشديد قوله تعالى : ﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين﴾ فاقترن بالهاء والهو والهي ثلاثة أحرف هي من أشرف الحروف وهي الواو والألف والياء وهي حروف العلة والتشبيه وحروف التأثير واختصت الهاء بالالف من أحد الأحدية التي تطلب الألف ولهذا كانت الهاء السبب الرابط بين الهو والهي للنتاج وهو الفرد كما ذكرناه في كتاب الألف وهو كتاب الأحدية فلتنظر هناك ولما كان الواو رفيعاً علينا جعلناه البعل وكان الهو بعلاً ولما كان الهي رفيعاً من حيث الأثر سفلياً من أجل الكسر أعطيناه الياء فصارت الها بمنزلة الرسالة وصار الهو بمنزلة جبريل (ع) المرسل إليه فظهرت الاحكام والشرائع والمقامات والأسرار من هذا الإلتحام المبارك السعيد وكذلك الألف من أنا بين الهمزة والنون والياء من أني وبين الهمزة والنون ونون الخيشوم من أنت بين التاء والهمزة فإنها ملحقة بهم إذا أنت مشيت بها على أسلوب الهو وجدت الأمر على السواء وشبه النون بالواو والياء أقوى من شبهها بالألف فإن الألف لها الثبات لا تتحرك أبداً والواو والياء إذا لم يكونا في مقام العلو تعزيزاً عن الثبات ولكن بالفتح خاصة فإن الكسر والرفع لا يحتملانه ألبتة فاشبههما النون من هذا الوجه ومن وجه آخر وذلك أن النون نصف قطر كثره الواو والياء ضعفي النون والنون على النصف من الياء إذا خطت الياء أي والواو تزيد على النون بثلاثة أرباع ثم إنها شبهها في الفهوانية وهي من عالم الروائح والأنفاس فاشبهت الواو بالعلو والرفعة فلهذا ألحقت الألف والواو والياء ولقوة الشبه كانت دليلاً على إعراب الأفعال مثل هؤلاء في الأسماء يفعلون وتفعلون ويفعلان وتفعلين فالنون هنا بمنزلة التاء في أتيتك والواو في هذا أبوك والألف في قصدت أباك وأخاك وأخوات ذلك الأسماء المطاقة والجمع المذكر السالم وتثنية الأسماء ثم أنها تحذف لدخول العوامل كما تحذف الحركات لدخول العوامل فلهذا الشبه دخلت في أنت وقامت الأنت مقام الواو في الهو الألف في الهاء والياء

في الهي فحقق نظرك في هذا الكتاب فإنه يلوح لك من روائه أسرار رفيعة كبيرة سترها أهل طريقنا غيرة منهم على الكشف وما لوحنا بهذا القدر منها إلاّ عن غلبة ـ نبذ من مناجاة الهو ـ يا هو لما غيبتنا عناصرنا منا في غيب فطمعنا من حيث غيبنا فما غاب عنا منك نوه بما غاب عنا منك الهو فنادانا قف على ما غاب منك عنا تعاين ما غاب عنك منا فطلبنا التأييد فأيدت وطلبنا الامداد فامددت وطلبنا المعرفة بالدخول إلى ذلك فعرفت فنهضنا في بحر لا ساحل له في الفلك المحمدي اليثربي فتعجبت حيتان البحر ودوابه منا حيث رفعنا شراعنا في ذلك واستوفينا قلاعنا نطلب آخراً فيما لا آخر له وأمداً فيما لا أمد له فنودينا يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا فنكصنا على أعقابنا للساحل الذي منه كان اقلاعنا فإذا به عاد بحراً فكان ادبارنا كإقبالنا نطلب ما لا أمد ولا أبد ولا أول ولا آخر فحرنا وطلبنا الإقالة فإذا بالهو ينادي يا عبادي طلبتم مني مقاماً لا يراني فيه غيري كنت في العمى ولا شيء معي وأنا كما كنت لا شيء معي بوجودك وهذا البحر الذي أنت فيه فما قطعت عماك إلى عماي وعماك لا تقطعه أبداً ولا تصل إلي وأنت في عماك ليس معك شيء وهذا العمي هو الهو الذي لك فإن الصورة اقتطعت لك ما أنت فيه فقلت يا هو الهو ما اصنع في الهو قال غرق نفسك فيه فرميت بنفسي من الفلك عرياناً منسلخاً من ظلمة ذلك الفلك فغرقت فاسترحت فأنا فيه لا أبرح فما أنا في الوجود غيري واسترحت من هم الطلب فنادى الهوى يا من فيه كل شيء ما يصنع الشيء بالشيء وهو شيء .

وهذه أبيات منظومة

للحق حق وللإنسان إنسان عند الوجود وللقرآن قرآن
وللعيان عيان في الشهود كما عند المناجي وللأذان أذان
فأنظر إلينا بعين الجمع تحظ بنا في الفرق فالزمه فالعرفان عرفان

ومن مناجاة الأنا : ناديت يا أنا فلم اسمع إجابة فخفت من الطرد فقلت يا أنا لم لا تجيبني فقال لي يا متناقض الحكم لو دعيتني أجبتك وإنما دعوت أنانيتك فأجب نفسك عنك فقلت يا أنا إنما قلت أنا من حيث أن أنا في أنا كما أن الوجود في الوجود هو الواجد قال صدقت فاجب نفسك عني ولا تطلب مني الإجابة فقل لأنانيتك وأنا ما أظهر لك أبداً في الأنا فلا تدعني به فإن الدعاء به هوس إذ الدعاء يؤذن بالفرقان وأكثره والأنا يؤذن بجمع الجمع والأخذ به فكيف تدعو بأنا ألم أقل لك كن حكيماً ولا تكن بصاحب حال فإن الحكيم حاكم وصاحب الحال محكوم تحت سلطان حاله فما لك لا تفهم﴿وقل رب زدني علماً﴾ ـ ومن مناجاة الأن ـ يا أني قد تحققت بك مني فلا صبر لي عني لما أصبحت مني في أني كأنك منك لم اطلبني مني بأني لئلا تغار فيزول عني أني فإنه لا إن لي إلاّ بأنك وأني بي ليس أني فإن الأن لك ولي بك لأني فقال الإن صدقت صدقت في بعض وأخطأت في بعض سلني أعلمك فقلت يا إني علمني قال لك إن حقيقة ولي إن حقيقة غير أن إنك لا يثبت عند إني كما يقيم إني عند ظهور أنك فلا تجمع في الاثنين أبداً فإذا كنت في إنك فأنا معك بحكم الإمداد وإذا كنت فيك بأني وذهب إنك ظهر عنك ما يظهر عني فيتخيل الناظر أن المظهر عن إنك وهو عن إني فقد علمتك فإذا أردت إني فلا تبق لانيتك عياناً فيك فمقامي مع الكثبان محال ـ ومن مناجاة الأنت ـ يا أنت كانت الإنساية والأنية محققة الواحدة بألفها والأخرى بتضاعفها فيها فجاءت بانيتك فاذهبت قوة أنانيتك وأنيتك فضعفت وظهر سلطان بأنيتك يا أنت هل تصح من وجه الحقيقة لا من وجه الوضع أن يقول لي أنت فقال يا عجباً ألست إذ قلت لي أنت أليس باطنها يقول فيك أنا عنك فأنانيتك الباطنة في ظهور اثنينتي لا بد أن أقول لها أنت من وجه الحقيقة كما إذا قلت لك أنت أليست أنانيتي باطنة في ظهور أنانيتك وأنانيتك مني تقول لي أنت وما بقي الشأن إلاّ في فقلت، وما أنت فالوجود يقضي به

فأنانيتك صحيحة كأنانيتي لا بد منها وإنما الشأن فيما يضاف إليها فأمّا إضافة الأنا فالأن لها فصحيح كهي وأما ما عدا هذين فاستخرجه فأني لا أعلمه لك فطربت فقال لي ما أطربك فقلت قد اعلمتني قال كيف وهو أعلم في قوله استخرجته ـ قال ألست تعرف أن لي مكراً قلت بلى قال فإياك أن يكون ذلك من مكري فزال طربي فقلت يا أنا وأن كان مكرك حقاً فالمجاز لا يدخل الحضرة قالت صدقت فهذا هو الشأن فابحث قلت إن كنت الواهب قال ألم أقل لك لا أعلمك قلت يا أنت ما هذا ما قلت لك علمني وإنما قلت لك هبني لي واعطني قال وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً قلت يا أنت من كنت أنت فهو أنيته من يقوم بحجته أنت علمتني الحقائق ـ قال ـ وأمالك فليس له مناجاة لكن يندرج في الأنت وإن لم يفاوضه كما يندرج النحن وواو الجمع في الأنا والهو والأن كانت لكل واحد منهما مراتب لكن الغرض من هذا الكتاب هذه الزبدة المختصرة التي ظهرت وقد تجز الغرض تمّ الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

كتاب الجلالة

وهو كلمة الله إنشاء الشيخ الإمام العالم الأوحد المحقق المتبحر ناصر الطائفة محي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي (ختم الله له بالحسنى ونفعنا الله به) بمحمد وآله وصحبه وسلّم . . .

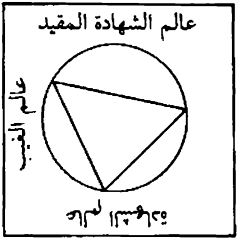
بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله بالله حمداً لا تعلمه الأسرار ولا تعرفه الأرواح ولا تدركه العقول ولا تظهره القلوب ولا تستشرف عليه النفوس ولا تنطق به الأفواه الجامع للمحامد الأزلية والممد للمحامد الأبدية بالتقديس للحامدين عن النظير والأشباه ، والصلاة على السيد المؤتي جوامع الكلم محمد (ص) الذي عنت أي خضعت لقيوميته مشرفة الوجوه ، وسجدت له الجباه صلاة دائمة قائمة ما نطقت بمجده الألسنة وتحرك بالصلاة عليه الشفاه وسلّم تسليماً عليه وعلى الذين اصطفى من حليم أواه .

أما بعد فإني أذكر في هذا الكتاب بعض ما تحتوي عليه الجلالة من الأسرار والإشارات ـ فأقول ـ إن الله للأسماء بمنزلة الذات لما تحمله من الصفات وكل اسم فيه يندرج ومنه يخرج وإليه يعرج وهو عند المحققين للتعلق لا للتخلق وحقيقته أنه دليل الذات لا غير ، ثم إنه يظهر في مواطن كثيرة ومراتب جمة إذ لا فائدة لتصور الذات في تلك المواطن لما تطلبه تلك المراتب والأحكام فتكون الجلالة في ذلك الموطن تعطي ما تحوي أي تجمع عليه من معاني الأسماء ما يعطيه ذلك الاسم من جهة ذلك المعنى الذي يختص به وفيه شرف ذلك

الاسم من حيث أن الجلالة قامت مقامه في ذلك الموطن لهيمنتها على جميع الأسماء وخصوصيتها بالإحاطية فيها فالمذنب إذا قال يا الله اغفر لي فالجلالة نائبة هنا مناب الغفار ولا يجيبه منها إلّا معنى الاسم الغفار وتبقى الجلالة مقدسة عن التقييد ثم أنها غيبت كلها بما فيها من عالم الشهادة شيء الاستراوح بما في وقت تحريكها بالضم في قولك الله لا غير فإن الهو يظهر هناك وما عدا هذا يغيب مجرداً أعني في اللفظ وأما في الخط والرقم فغيب مطلق لا غير ـ قال ـ وأعلموا أنها تحتوي من الحروف على ستة ا ل ل هـ أربعة منها ظهرت في الرقم وهي الألف الأولية ولام بدء الغيب وهي المدغمة ولام بدء الشهادة وهي المنطوق بها مشددة وهاء الهوية وأربعة منها ظاهرة في اللفظ وهي ألف القدرة ولام بدء الشهادة وألف الذات وهاء الهو وحرف واحد فيها لا ظاهر في اللفظ ولا في الرقم لكنه مدلول عليه وهو واو الهو في اللفظ وواو الهوية في الرقم وانحصرت حروفه فاللام للعالم الأوسط وهو البرزخ وهو معقول والهاء للغيب والواو لعالم الشهادة ولما كان الله هو الغيب المطلق وكان فيه واو عالم الشهادة لأنها شفوية ولا يتمكن ظهورها في الله لهذا لم تظهر في الرقم ولا في اللفظ فكانت غيباً في الغيب وهذا هو غيب الغيب ومن هنا صح شرف الحس على العقل فإن الحس اليوم غيب في العقل والعقل اليوم الظاهر فإذا كان غداً في الدار الأخرة كانت الدولة في الحضرة الإلهية وثبتت رؤية في الحس فنظرت إليه الأبصار فكانت الغايات للأبصار والبدايات للعقول ولولا الغايات ما التفت أحد إلى الغايات فانظر ما هنا من الأسرار وهو ان الآخرة أشرف من الدنيا ـ قال الله تعالى : ﴿تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة﴾ وقال : ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ ثم إن الآخرة لها البقاء والدنيا لها الزوال والفناء ، والبقاء والديمومية أحسن وأشرف من الذهاب والفناء ثم إن المعرفة بالله ابتداء علم اليقين وغايتها عين اليقين وعين اليقين أشرف من علم اليقين والعلم للعمل والعين للبصر فالحس أشرف من

العقـل فإن العقـل إليه يسعى ومن أجـل العين ينظر فصـار عالم الشهـادة غيب الغيب ولهذا ظهر في الـدنيا من أجـل الدائـرة فإنـه ينعطف آخـرها على أولها فصار عالم الشهادة أولاً وهـو مقيد عمـا يجب له من الإطـلاق فـلا يبصر البصـر إلاَّ في جهة ولا تسمـع الأذن إلاَّ في قـرب بخـلافـه إذا مشى حقيقـة وانطلق من هـذا التقييد كسمـاع سارية ونظر عمـر إليـه من المدينة وبلوغ الصوت وما أشبـه ذلك فصـار عالم الغيب وسـطاً وهو علم العقـل فإنـه يأخـذ عن الحس براهينـه لمـا يـريـد العلم بـه وصـار عـالم الشهـادة المطلق غيبـاً في الغيب وله يسعى العقـل ويخـدم وصـورتـه في الدائرة هكذا .



فصـل : لكل شيء ظـل وظل الله العـرش غير أنـه ليس كـل ظـل يمتـد والعرش في الألـوهية ظـل غير ممتـد لكنه غيب ألا تـرى الأجسـام ذات الظل المحسوس إذا أحاطت بها الأنـوار كان ظلهـا فيها والنـور ظله فيـه والظلمـة ضياؤهـا فيها ولمـا استوى الله على قلب عبـده ـ فقال ـ مـا وسعني أرضي ولا سمـائي ووسعني قلب عبـدي المؤمن ، حين استـوى الاسم الـرحمن على العرش المسقـوف الـظاهـر والعـرش الـظاهـر ظـل الـرحمن والعرش الإنسـاني ظـل الله وبين العـرشين في المـرتبـة مـا بين الاسم الله والـرحمن فإن كـان قد قـال قـل ادعـوا الله أو ادعـوا الـرحمن أياماً تدعوا فله الاسماء الحسنى فلا يخفي من كـل وجه على كـل عاقـل أتفاوت المراتب بين الاسمين ولهذا قال المكلفـون وما الـرحمن حين قيل

لهم اسجدوا للرحمن ولم يقولوا وما الله حين قيل لهم اعتدوا الله ولما كان العرش سريراً صار غيباً في الرحمانية ولما كان الاستواء الإلهي على القلب من باب وسعني صارت الألوهية غيباً في الإنسان فشاهده إنسان وغيبه إله وليس بان الألوهية أنسية في هذا الشخص الإنساني ادعى الألوهية بالاسم الإله له فقال فرعون ما علمت لكم من إله غيري ولم يتجرأ من أجل أن قالها عن المشيئة لا عن الحال من طريق الأمر أن يقول أنا الله ولا قال إله وإنما قالها بلفظة غيري فتفطن وصرح بالربوبية لكونها لا تقوى قوة الألوهية ـ قال ـ أنا ربكم الأعلى بخلاف من قالها عن الحال من طريق الأمر بمساعدة المشيئة فكان جمعاً مثل أبي يزيد حين قال إنني أنا الله لا إله إلاَّ أنا فاعبدون وقال مرة أنا الله فلا يكن للألوهية فيه موضع إفراط ترجي سهمها فيه لكمال السريان فعزة الألوهية على سائر المراتب الاسمائية ظاهرة وغالبة فلا مقاومة لإسم معها البتة .

فصـــل : الله كلمة نفي سرت في العالم العلوي وارتفع بها الرحمن وما عاد نفياً بعد الإثبات فلا عين له ولو ظهر في اللفظ كما يفني الشريك بقولي لا شريك له فلا عين له في الحكم واللفظ به موجود وما نفي بعد نفي لا إلاَّ الفان وهو الأول والآخر فاضرب أحدهما في الآخر يخرج إلهاً بينهما وينتفيان وهو الهو فإن الأول له تعالى اسم إضافي لا حقيقة له فيه فإن بوجودنا وجد دون غيبنا كان حكم الأولية وبتقدير فناء أعياننا كان حكم الأخرية ونحن من جانب الحقيقة في عين ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾ فكنا لم نكن فلا أولية إذا ولا آخرية إذ لا نحن نبقى هو خاصة وهو المطلوب .

فصـــل : لام هذا الاسم الأولى لام المعرفة فإن الألف للتعريف كما جاء والألف الأولى لكان الله ولا شيء معه فبقيت اللام الثانية والهاء وكلامنا على صورة الرقم فهو لام الملك فإن بزوال الألف واللام

الأولى تبقى صورة له فهي لام الملك والهاء كناية عن غيب الذات المطلقة فإن الهاء أول الحروف ولها المبدأ وهي غيب في الإنسان ولكن افضاء الغيب فصار هذا الاسم بهذه الإشارات يجري على كان الله ولا شيء معه من حيث الألف ويجري على مقام المعرفة من حيث اللام الأولى ويجري على مقام الملك وفيه ظهور كل ما سواه من حيث اللام الثانية ويحتوي على ذكر العالم له من حيث الهاء لأنها دليل الغيب وهو غيب عنهم فلا يطلعون عليه تعالى إلاّ هو فبالالف يذكر نفسه وبالهاء يذكره خلقه وبالوجه الذي يلي الألف من لام المعرفة يعرف نفسه أزلاً وبالوجه الآخر منها الذي هو لام الملك يعرفه خلقه أبداً المعرفة المحدثة ومن حيث اللام نفسها التي هي لام المعرفة تعرفه المعرفة فقد كمل في هذا الاسم المحدث والقديم صفته وموصوفه فانظر ما أتم هذا الاسم وما أكمله وأما الألف الظاهرة في اللفظ بعد لام الملك المتعلقة بالهاء في الخط والواو والعينية في الهاء إذا نطق بالهاء الروح فإن نطق بالهاء الجسم عادت الواو ياء فإن نطقت بها النفس المثلية عادت الفا فحكم هذه الألف النطقية والواو المتحولة من صورة إلى صورة بحسب الناطقين حكم آخر وكذلك أن الهاء لما كانت تنظر إلى الألف الأولى ومقام الألف هناك أن تتصل به شيء ظهرت الألف بعد اللام فاتصلت بها اللام في النطق فبقيت الهاء ولاشيء معها ما دام الكون لا يذكرها فهي ساكنة سكون حياة لا سكون موت ما دام الكون لا يذكرها فإن نطق بها الكون وذكرها فلا بد أن يكون الذاكر كما قدمنا فيظهر بعدها من الحروف ما ذكرنا كما ذكر .

فصل : ثم تحقق ما ذكرناه في الهو والهاء والهي في كتاب الهو من التحام الهويات لايجاد الكائنات إذا نطقت بقولك يا الله بكسر الهاء والله بفتح الهاء والله بضم الهاء تجد الهو في الضم والهاء في الفتح والهي في الخفض وبقي السكون في هذا الباب كما ذكرناه وهو الثبوت .

فصل : لما كانت المهيمنة على سائر الأسماء سرت فيه الأسماء فيها إذا ظهر وسري فيها إذا ظهرت سريان الماء وكان التعيين عن واحد في الماء من هذه الأسماء فيها أو تعينها فيه للحكم والأثر وما توجهت عليه والقصص تبدي الأسماء والألوهية في العلم والأسماء والألوهية توجد القصص فكان الأمر دوري .

فصل : حكم هذا الاسم في العالم الذي يخصه الزائد له على المقام الجمعية والمهيمنية هو الحيرة السارية في كل شيء عند ما نريد المعرفة به أو المشاهدة وحضرته الفعل وهو المشهد الذي لا يشهد منه سواه وكل من تكلم فيه فهو جهل ما تكلم فيه ويتخيل أنه قد أصاب وهو مخطىء وبهذا المشهد الكوني والحضرة الفعلية صحت الألوهية لا غير وأن العقلاء وأصحاب القياس من أصحابنا مثل أبي حامد وغيره يخيل أن المعرفة به تتقدم على المعرفة بنا عند الأكابر وهو غلط نعم يعرفونه من حيث التقسيم الفعلي أن الموجودات تنقسم قسمين إلى ماله أول وإلى مالا أول له وغير ذلك هذا كله صحيح ولا يعرفون أبداً كونه إلها ابتداء قبل معرفتهم بهم وكونه ذاتاً معلوم صحيح غير كونه إلهاً وكلامنا إنما هو في الإلهية لا في أنه ثم ذات قديمة يستحيل عليها العدم فالقائلون بهذا القول لا تثبت لهم المعرفة الإلهية واسم الله إلاّ بعد معرفتهم به .

وبهذا صرح الشرع بالربوبية على حد ما ذكرنا فقال من عرف نفسه عرف ربه ولم يقل من عرف الرب عرف نفسه فإنه لا يصح فإذا كانت الربوبية التي هي الباب الأقرب إلينا لم تتمكن معرفتنا بها إلاّ بنا فأين أنت والألوهية وقد كنى الشرع هذا المقام الإلهي أن حضرة الحيرة في قوله حين قيل له أين كان الله قبل أن يخلق السماء والأرض فقال (ص) : كان في عماء بالقصر والمدما فوقه هواء وما تحته هواء كلمة والقصر للحيرة وجعلها للاسم الله فلهذا حارت الأبصار والألباب في

إدراكه من أي وجه طلبته بأنـه لا يتقيد بـلآن معاً بـلأين والمد بـالسحاب وهو الجو الحاصل للماء الذي هـو الحياة ومنـه كل شيء فهـو في ذاته لا يُقـال فيـه أين ودل عليـه المـوجـود البـرزخي بين السمـاء والأرض وفي البـرازخ حارت الحيـرات فكيف المتحيرون كـالخط بين الـظل والشمس والمتـوهم بين النقـطتين وبين الخـطين وبين السـطحين وبين كـل شيئين فعادت الكلمة البـرزخية إلى الحيـرة بعينها فمـا تم إلاّ الحيرة فمـا حصل أحد منه إلاّ ما عنده لم يحصـل غريبـاً ولا ينبغي أن يحصل فـإن قلت هو هـو فمن هو وإن قلت ليس هـو هو فليس هـو هو حـارت الحيـرة ـ ولمـا أراد الله تعـالى ـ يحيـر بعض المخلوقين من بـاب بعيـد خلق القـدرة الحـادثـة في القـادر الحـادث وأحـال التـأثيـر وخلق التـوجـه من القـادر الحـادث على الفعـل وهـو الكسب فـظهـرنـا ولم نكن . فقـال القـادر : الحـادث هو فعلي وقـال القـادر الحـادث الآخـر هـو كسبي وقـال القـادر الحـادث الثالث ليس فعلي ولا كسبي . وقـال القادر القـديم هو فعلي : وقــال الحق فلم يستحـل عنـد التسليم العقلي أن يكـون مقـدوراً بين قادرين إنما الذي يستحيل مؤثـر بين مؤثرين فبفهم هـذا الفصل يـرشد إن شـاء الله والله تعـالى لا يعلم ولا يتعلم ولا يجهـل ولا يتجهـل ولا يشهـد ولا يكشف ولا يرى ولا يعقل ولا يدرك وإنما تتعلق هـذه الإدركات كلهـا بالأسماء الإلهية وبالأحكـام التي تستحق كالرب والمالـك والمؤمن ولهذا أثبت الكتـاب والسنة الـرؤية في الـدار الآخرة للربـوبيـة وفي هـذه الـدار فقال موسى : رب أرني أنـظر إليك . وقـال : فلما تجلـى ربـه للجبل . فلم يجعل الإلهية مـدخلاً بـل قد نفى . فقـال : لا تدركـه الأبصار وهـو يـدرك الأبصار . فـأتى بالهـو وأثبت أنـه لا يـدرك وهـو صحيـح . وقـال تعالى : ﴿وجوه يـومئذ نـاضرة إلى ربهـا ناظـرة﴾ وبها علق الحجـاب . فقـال : ﴿كلا إنهم عن ربهم يـومئذ لمحجـوبـون﴾ وقـال (ع) : تـرون ربكم كمـا ترون القمـر . وفي حديث آخـر كمـا تـرون الشمس . ذكـره مسلم في صحيحــه وجـاء في الحــديث الصحيح في كتــاب مسلم أن

الرب يتجلى على طائفة في المحشر . فيقول : أنا ربكم . فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورته التي يعرفون فيقول : أنا ربكم . فيقولون : أنت ربنا فما ظهر لهم إلّا الرب، ولا يعرفون إلّا الرب ولا خاطبهم إلّا الرب . وقال : وجاء ربك والملك . ولو جاء الله فإنما معناه الرب كما قدمناه فإن الأحوال والقرائن تطلب بحقائقها من الله . الأسماء الخاصة بها والله هو الجامع المحيط .

فصل : ما أحسن ما نبه الله تعالى حين أمر نبيه وأدرجنا معه في ذلك الأمر ، فقال : فاعلم أنه لا إله إلّا هو . فهذه كلمة تدل على أن النفي هو عين الإثبات وهو عين النافي هو عين المثبت هو عين المنفي فإنه ما نفي إلّا الإلهية وما أثبت إلّا الالهية وما كان الثابت والمثبت إلّا الإلهية والمثبت فإنه لو لم تثبت هي في عينها لم يصح أن يثبتها سواها فلو أثبت مثبت ما ليس بثابت لكان كذباً فهي المثبتة نفسها حقيقة وكلامنا من مقام الحقائق فهذه ستة أحكام : واحد في الحقيقة وهكذا الوجود كله واحد في الحقيقة ولا شيء معه ولهذا ما ألطف إشارة الشرع لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد والشهيد هو الهو . فقال : كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما كان عليه كان بالأن هو الهو وكان هو الهو فما ثم إلّا هو ونحن موجودون وقد أثبت أن الحال الحال والعين العين فما ثم إلّا غيب ظهر ، وظهور غاب ثم ظهر ثم غاب ثم ظهر ثم غاب ثم ظهر ثم غاب هكذا ما ثبت فلو تتبعت الكتاب والسنة ما وجدت سوى واحد أبداً وهو الهو فلم يزل الهو عاماً أبداً وقد أجمع المحققون أن الله لا يتجلى قط في صورة واحدة لشخص وهذا هو توسع الهو . وقال أبو طالب : لا يرى من ليس كمثله شيء إلّا من ليس كمثله شيء فإن كان كما زعم زاعم ليس كهو شيء فالشيء هو الهو وإن كانت الكاف صفة كيف أو زائدة كيف ما كانت فلا تبالي فإن كان صفة كان ما قال أبو طالب وإن لم تكن كان ليس هو

الهو وكان الشيء هو الهو والهو هو الهو فلا هو إلاَّ هو . ومما يؤيد ما ذكرناه في الله ، قوله (ص) : إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره فهذا هو الله وهو الهو كما ذكرناه فما أعلمه (ص) بالمقامات وما أكشفه للأنبياء وليس المراد العدد وإنما المراد أن الله لا يمكن أن يظهر وأيد هذا الكلام بالبصر وهذا من شرف البصر إنه وصف الله والعقل ليس كذلك لأن العقل متعلقه الغيب وما في حق الباري غيب ، والكل له شهادة فلهذا كان البصر ولم يكن العقل ومن هذا الباب على ما قدمناه إن حضرته الحيرة ما دخل من الحيرة على النظار وأرباب الأفكار والاستبصار في الصفات أعني في إثبات أعيانها لله أو نفيها وأما أحكامها فلا خلاف بين الحكماء في ذلك وصورة الحيرة في ذلك أن من أثبت أعيانها زائدة على الذات الموصوفة فقد أثبت العدد والكثرة في الله وهو واحد من جميع الوجوه فكيف يكون هذا وإن قلت لا يلزم مثلاً من هذا إثبات العدد على وجه ما فثم ما هو أشد علينا من العدد وهو أن تكون الذات كاملة بغيرها وكل كامل بغيره ناقص بذاته ومن نفي أعيانها فر من مثل هذين المقامين أما الكثرة وأما النقص تلقاه أمر آخر وهو أن الحكم لا يقدر من وجه الدليل قد نصبتموه على معرفة الله الذي ثبتت هذه الأحكام للذات مجردة فإنه إذا أثبت كونه قادراً لنفسه وقع الفعل أزلاً وهذا محال فإثباته قادراً لنفسه محال ثم أن القلب لا يجد ذلك الجلاء بقياس الشاهد على الغائب لا سيما وقد عرف مع حد العقول من أين هو ومن أين تركب براهينها وأدلتها فالفتور بها منوط والأقدام على هذه الأمور غير حسن وكل ما لا يمكن حصوله إلاَّ بالمشاهدة والرؤية أو التعريف فحصوله من غير هذه الطريق افتيات على المقام وجرأة فالأولى لأصحاب العقول الوقوف والإقرار بالوجود وأحكام الصفات ولا سبيل للتعرض لا لنفيها ولا لإثباتها فإن العقل أعجز من أن يقف على مثل هذا بل على أقل شيء فانظر تسليط هذا الاسم العجيب والكلمة

العجيبة على جميع العالم بالحيرة والعماء فيه فأصحاب العقول انظر ما أشد حيرتهم ما اجتمعوا على شيء لا المثبتين ولا غيرهم من الثقات وأصحاب المشاهدات قد ظهر إليهم ووقع الإنكار والعياذ منه حين لا يوافوا صورة معرفتهم به فمعرفتهم[1] الظاهر لم يزل لكن إذا كان مطلوبك في المرآة أن ترى فيها وجهك فلم تأتها على التقابل بل جئتها على جانب فرأيت صورة غيرك فيها فلم تعرفها وقلت ما هذا أردت فقابلتك المرآة فرأيت صورتك فقلت هذا صحيح فالغيب منك لا من المرآة ولما قيدت الطلب بصورة معقولة فاتك خير كثير فقد صار أهل المشاهدة في حيرة أشد من أصحاب العقول مع المشاهدة وكذلك أصحاب الرؤية أول رؤية تقع لهم فإن الرؤية خلاف المشاهدة ولهذا جاء الخبر بالرؤية غداً لا بالمشاهدة وقد ذكرنا هذا الفصل في كتاب العين فلينظر هناك فيتمسكون أصحاب الرؤية على ما وقع لهم فيها فإذا رأوا مرة أخرى رأوا خلاف ذلك وهكذا في كل رؤية فحاروا كما حار أهل المشاهدة هنا فما ثم إلاّ حيرة في حيرة فلو كان الهو ظاهراً لما صح هذا الخلاف ولو كان الهو ظاهراً ما كان الهو ولكان الأنا ولا بد من الهو فلا بد من الخلاف ولنا من قصيدة :

وإذا أردت تمتعاً بوجوده قسمت ما عندي على الغرماء
وعدمت عن عيني فكان وجوده فظهوره وقف على اخفاء

فصار ظهور الهو الذي هو الله إذا لم يكن أنا حتى يكون هو الهو هو والألف نفيت أنا عند ظهور الهو لكان الأنت والهو لا بد منه فنفي لا بد منه وتعالى وما ينتفي الهو إلاّ في الهو فإن الهو ليس من نفسه في الهو ولا في غيره من هذا الباب .

باب الحيرة : الإلهية وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى . وافعل يا عبدي ما لست بفاعل بل أنا فاعل ولا أفعله إلاّ بك لأنه لا يتمكن

(١) هنا بياض بالأصل .

أن أفعله بي فأنت لا بد منه وأنا بذلك اللازم فلا بد مني فصارت الأمور موقوفة علي وعليه فحرت وحارت الحيرة وحار كل شيء وما ثم إلا حيرة في حيرة ، وكم قلت :

الرب حق والعبد حق يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك نفي أو قلت رب فما تكلف

وكم قلت :

حيرة من حيرة صدرت ليت شعري ثم من لا يحار
أنا محيور ولا فعل لي فالذي أفعله باضطرار
والذي أنشد فعلي له ليس في أفعاله بالخيار
أنا إن قلت أنا قال لا وهو أن قال أنا لم يغار
فأنا وهو على نقطة ثابتة ليس لها من قرار

وكم قلت :

تعجبت من تكليف ما هو خالقي له وأنا لا فعلي لي فأراه
فياليت شعري من يكون مكلفاً وما ثم إلاّ اللّه ليس سواه

ومع قولي هذا كله قيل لي أفعل ومن باب الحيرة الإلهية قوله : لا يبدل القول لدي . والعاقل يأخذه على إمضاء الحكم وإنفاذه ولا مرد له لقوته والمحقق يأخذه من باب الحيرة وأنه لا يتمكن إلاّ هذا وإلاّ فكما وصلت الخمسين إلى الخمسة ولم يتمكن أن ينقص منها كذلك لم يتمكن أن تبقى الخمسين أصلاً لما سبق بها القول ، فهذا بعض ما في الجلالة من الجلالة ، وقد نجز الغرض الذي أعطاه الوقت والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين .

تمَّ بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ومنه وكرمه وجوده ولطفه والحمد لله رب العالمين . وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً .

كتاف الألف
وهو كتاب الأحدية

إنشاء الشيخ الإمام العالم المحقق محي الدين لسان الحقائق محل الأمراء كعبة العارفين أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي(ختم الله له بالحسنى) والحمد لله وحده وصلّى الله على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً أبداً دائماً إلى يوم الدين آمين .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

أحد حمد الـواحد في وحـدانيته وحـدانية حمـد الأحد في أحـديته فردية حمد الوتر في وتريته وترية حمد الفرد في فرديتـه الله أكبر استـدرك الناظر النـظر وقف الخاطـر بهذا حين خـطر على خطر لاح بـالتضمين لا بالتصريح وجود البشر وحدانية حمد الواحد في اثنينيته فرديـة حمد الفـرد في زوجيتـه وتريـة حمد الـوتر في شفعيتـه وبقي حمد الأحـد واحـداً في أحديته صلّى الـواحد سبحـانه على الإنسـان الواحـد محمد الخـارج بعد الضرب الموقوف على صناعـة العدد وهكـذا الفرد والـوتر مـا عدا الأحـد فـإذن عادت الصـلاة عليـه لما لم تجـد من تستنـد إليـه وتسلم من هـذا المقام تسليماً (اخوتي) الأمناء الاتقياء الأبريـاء الأخفياء (سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته)(اسمعوا) وعوا ولا تـذيعوا فتقـطعوا هـذا كتاب الألف وهو كتاب الأحدية حـاكم به رسـولها الـواحد لنثبتكم بـوحدهـا ورسولهـا الفرد لزوجيتكم بفـردها ورسـولها الـوتر لشفعيتكم بـوترهـا فتأهبـوا لقدوم رسلها وتحققوا غايات سبلها والله يمدكم بالتأييد آمين .

أما بعد : فإن الأحديـة موطن الأحـد عليها حجـاب العزة لا يـرفع أبـداً فلا يـراه في أحديتـه سـواه لان الحقـائق بـاب لـذلـك واعلمـوا أن

الإنسان الذي هو أكمل النسخ وأتم النشآت مخلوق على الوحدانية لا على الأحدية لأن الأحدية لها المعنى على الإطلاق ولا يصح هذا المعنى على الإنسان وهو واحد فالوحدانية لا تقوى قوة الأحدية، فلذلك الواحد لا يناهض الأحد ولأن الأحدية ذاتية للذات الهوية والواحدية اسم لها سمتها بها التثنية فلهذا جاء الأحد في نسب الرب ولم يجيء الواحد وجاءت معه أوصاف التنزيه (فقالت) اليهود لمحمد (عليه الصلاة والسلام) أنسب لنا ربك فأنزل الله تعالى ﴿قل هو الله أحد﴾ فجاء بالنسب ولم يقولوا صف ولا انعت ثم إن الأحدية قد انطلقت على كل موجود من إنسان وغيره لئلا يطمع فيها إنسان ـ فقال ـ تعالى: ﴿فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعباده ربه أحداً﴾ وقد أشرك المشركون معه الملائكة والنجوم والأناسي والشياطين والحيوانات والشجر والجمادات فصارت الأحدية سارية في كل موجود فزال طمع الإنسان من الاختصاص وإنما عمت جميع المخلوقات الأحدية للسريان الإلهي الذي لم يشعر به خلق إلاّ من شاء الله وهو قوله تعالى: ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلاّ إياه﴾ وقضاؤه لا سبيل أن يكون في وسع مخلوق أن يرده فهو ماض نافذ فما عبد عابد غيره سبحانه فإذا الشريك هو الأحد المعبود هو الشخص المنصوب وهو السر المطلوب وهو سر الأحدية وهو مطلوب وإنما يعبد الرب وهو الجامع ولهذا أشار لأهل الأفهام بقوله ولا يشرك بعبادة ربه أحداً فإن الأحد لا يقبل الشركة وليست له العبادة وهي الرب فنبه على توفية مقام الربوبية وإبقاء الأحدية على التنزيه الذي أشرنا إليه فالأحد عزيز منيع الحمي لم يزل في العمي لا يصح به تجل أبداً فإنما حقيقته تمنع وهو الوجه الذي له السبحات المحرقة فكيف هو فلا تطمعوا يا إخواننا في رفع هذا الحجاب أصلاً فإنكم تجهلون وتتعبون لكن قووا الطمع في نيل الوجدانية فإن فيها نشأتم فإنها المتوجهة على من سواكم وقد ظهرت في جنة عدن وغيرها ثم تثبت لكم وأضافها إلى الأنا سبحانه وقد ذكرنا

الأنا والإضافة وما أشبه هذه الضمائر في كتاب الياء المعروف بكتاب الهو فلتنظر هناك والواحد لم يثن بغيره أصلاً وإنما ظهر العدد والكثرة بتصرفه في مراتب معقولة غير مجهولة فكل ما في الوجود واحد ولو لم يكن واحد لم يصح أن تثبت الوحدانية عنده لله سبحانه فإنه ما أثبت لموجده إلاَّ ما هو عليه كما قيل :

وفي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد

وهذه الآية التي في كل شيء التي تدل على وحدانية الله هي وحدانية الشيء لا أمر آخر وما في الوجود شيء من جماد وغيره وعال وسفل إلاَّ عارف بواحدنية الله خالقه فهو واحد ولا بد ولا يتخيل أن المشرك لا يقول بالواحد بل يقول به لكن من كان يعبد ولهذا انتفى البعد في المؤن بقوله : من مكان قريب ولهذا أسعد بالقرب وإلاَّ فهذا المشرك قد أثبت وحدانية ذات العبودية وأثبت وحدانية الشريك ثم أعطى لوحدانية الشرك وحدانية حسه وأعطى لوحدانية الحق وحدانية سره كما توجه الوجه للكعبة وتوجه القلب للحق غير أنه لما كان الأمر مشروعاً كان قربة وكما سجدت ذوات الملائكة لآدم وأسرارهم لخالقه وكل عبادة قامت عن أمر أثني عليها وكل عبادة لم تقم عن أمر ذمت ولم يثن عليها لكن قامت على المشيئة التي هي مستوى ذات الأحدية ولهذا قال الله تعالى : ﴿**ما كتبناها عليهم إلاَّ إبتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها**﴾ . فأثبت أن لها حقاً ينبغي أن يرعي ويحفظ وذلك لغيرة الإلهية فإنه لولا سر الإلهية الذي تخيلوا في هذا المعبود ما عبدوه أصلاً فقام لهم سر الألوهية مقام الأمر لنا غير أن الحق قرن السعادة بأمر المشيئة وقرن الشقاوة بإرادة المشيئة فما مشرع غير الله فشرع ينزل على السرار من غير حجاب العقل ينزل به رسول الفكر عن إرادة المشيئة وتسميها الحكماء الشاشة ولهذا تخيلوا أن شرع الأنبياء هكذا هو أصله وما عرفوا أمر المشيئة وسبب هذا جهلهم بالمشيئة فأذن

المعبود بكل لسان في كل حال وزمان إنما هو الواحد والعابد من كل عابد إنما هو الواحد فما ثم إلّا الواحد والأثنان إنما هو واحد وكذلك الثلاثة والأربعة والعشرة والمائة والألف إلى ما لا يتناهى ما تجد سوى الواحد ليس أمر زائد فإن الواحد ظهر في مرتبتين معقولتين فسمي اثنين هكذا ١١ مثلاً ظهر في ثلاث مراتب هكذا ١١١ مثلاً فسمي ثلاثة ثم زدنا واحداً فكان أربعة وواحداً على الأربعة فكان خمسة أيضاً كما أنشأه بعينه بزواله تلك فتكون الخمسة موجودة فإذا عدم الواحد من الخمسة عدمت الخمسة وإذا ظهر الواحد ظهرت وهكذا في كل شيء فهذه وحدانية الحق فبوحدة الحق ظهرنا ولو لم تكن لم نكن ولا يلزم من كوننا أنه سبحانه لا يكون كما لم يلزم من عدم الخمسة عدم الواحد فإن الأعداد تكون عن الواحد لا يكون الواحد عنها فلهذا تظهر به ولا يعدم بعد فيها وهكذا أيضاً فيما يناله من المراتب أن يكون هو في المرتبة المعقولية لم يظهر فتفطن بهذ الواحد والتوحيد واحذر من الاتحاد في هذا الموضع فإن الاتحاد لا يصح فإن الذاتين لا تكون واحدة وإنما هما واحدان فهو الواحد في مرتبتين ولهذا إذا ضربت الواحد في الواحد لم يتضعف ولا يتولد منهما كثرة لأنهما ما هو فإنك ضربت الشيء في نفسه فلم يظهر لك سوى نفسه فاضرب أنا في أنا يخرج لك في الخارج أنا وأضرب هو في هو يخرج لك في الخارج هو وهكذا كل مضروب في نفسه حتى الجمل إذا ضربت الجملة في الجملة يخرج لك من الأعداد إحدى الجملتين كاملة في مرتبة كل واحد من آحاد تلك الجملة المضروب فيها وكذلك لأن الجملة واحدة في الجمل والجمل أحد تكررات الواحد في المراتب فالوحدانية سارية ما ثم غيرها والتثنية مثل الحال لا موجودة فإن الحقيقة تنفيها أوتاء باها ولا معدومة فإن الحق يثبتها ومتى ما ذكرنا من الجمل أن نقول أربعة في أربعة فيكون مجتمع من ذلك ستة عشرة - فكأني قلت - إذا مشت الأربعة بجملتها في أحاد هذه الأربعة أو في أحاد نفسها فهو الصحيح

في الضـرورة يكون ستـة عشرة وكـذلك إذا قلنـا سبعة في ثمـانيـة وهـذا الضـرب المختلف فيكون المـولد المجمـوع منهـا ستـة وخمسين فكـأني قـلت إذا مشـت السبعـة فـي احـاد الثـمـانيـة فـي أحـاد السـبعـة كم من مـرتبة تـظهـر من الآحـاد ولا بـد أن تقـول ستـة وخمسين واحـداً فكأنه قال الواحد مشى ستة وخمسين منـزلاً فكذا فليعـرف الواحـد إلاَّ أن معنى الـواحد لا يشـركه اسم سـوى اسم الوتـر فإنـه شاركـه في المبتـدأ ولهذا يجوز الوتر بركعة أو بثـلاثة فيشـرك الفرد أيضـاً فإن الفـرد لا يظهر إلأَ من الثـلاثـة وصـاعـداً في كـل عـدد ولا يصـح أن ينقسم كـالخمسـة والسبعة والتسعة والإحدى عشرة وما شابـه ذلك فكـان الوتـر طالب مثـال الواحد لأنه اخفي رسمه وعزله من أكثر المواضـع وما أبقي لـه إلاَّ القليل مثـل الـوتـر في مـراتب الصـلاة وفي أسمـاء الحق والـواحـد مستـرسـل منسحب على كـل المراتب والمنـازل وقد جـاء في اللغة الـوتر الـداخـل وهو طلب الثأر فلما شارك الـوتر الـواحد في مبـدأ الكونيـة عزلـه من أكثر المراتب وبالعكس وإنما عزل الواحد الوتر من المراتب لكونـه شاركـه في المبـدأ وإبقاء الفـرد يتميز في المـراتب مثل الـواحد لأنـه لم يشاركـه في المبدأ لكن قد أباحه له لأنه قد يتوليه فلا يبـالي لأنه تحت حكمـه والوتـر مـا والاه الواحـد فلهذا ينبغي فيمـا ذكرنـا فـالأول الأفـراد الثـلاثـة ولهـذا فردانية اللطيفة الإنسانية وتخالـف وحدانيتها له بتقدم الأثنين وهذا تسويـة البـدن وتوجـه الروح الكلي فبقي هـذا الجزء المـولد بينهمـا فرداً فـطلب أهلاً بألف الإلهية وتسكن بسكون الآنيـة الذي هـو الروح الكلي إلى أمـه الـذي هـو الجسم الكلي ، فقــال : **﴿رب لا تـذرني فــرداً وأنت خيـر الوارثين﴾** .ولعلمه بـأن الأمر بعـده يعود إلى ربـه وهنا يصـح استخـلاف العبـد ربه في مقـابلة استخـلاف الـرب إيـاه ، في قـولـه :**﴿وأنفقوا ممـا جعلكم مستخلفين فيه﴾** . وقد ظهـر هنا من النبي (ص) عالم العلماء في دعـائـه في السفـر . اللّهم أنت الخليفـة في أهلي فـاستخلفـه في أهله فكان الحق في حكم العبد وحاز بأمـره **﴿لا إله إلاَّ هـو العزيـز الحكيم﴾**

وكذلك في الميراث ، قال تعالى : ﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده﴾ وقال له العبد الفرد وأنت خير الوارثين ، فقال سبحانه : ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون﴾ . فأين العقول ما لها لا تنظر أين هذا النزول من جراء الحق من أمر العبد من قوله﴿وما قدروا الله حق قدره﴾. ومن وصفه بالعزة قلت وظهرت الفردية في الأجسام الإنسانية في موضعين في آدم ، وفي عيسى قوله :﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾. فصار عيسى لمريم كروح آدم (ع) وإنما ظهر جسماً لظهوره في عالم الأجسام فهو جسم أقرب من الجسد به منه إلى الجسمانية فشأنه كشأن أرواح الملائكة والنارية إذا رأت للأبصار بجسده فوقعت الأبصار على الأجسام وهو في نفسه على روحيته فقال تعالى : ﴿إن مثل عيسى﴾ . أخلص ولهذا سماه روحاً وسمى ذلك آدم من الأدمة فإنه مأخوذ من أديم الأرض وأين الأدمة من الصفا النوراني ولهذا قال : خلقه من تراب . ولم يقل خلقهما والضمير يعود على أقرب مضمور ومن معرفتنا بالصفة فإن آدم خمرت طينته خمرتها اليد المقدسة وكذلك خمر عيسى طينة الطائر الذي خلقه بإذن الله ينبىء لما وقع التشبيه بينه وبين آدم الأمر ليس كما يظنون وأن القوة الروحية لي وأنا جسد وآدم جسم وإني من اليد اليمنى وإن آدم من حيث هو آدم من كلتي يديه يمين وهو من حيث أنا من اليد المطلقة ولهذا ، قال : ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي . فجمع له بين يديه فكل سبب اليوم فهو ثابت عن تلك اليد المقدسة فلو عرفت الأسباب من نابت عنه لعرفت قدر ما هي عليه لكنها عميت عن ذلك فقالت إني لا غير واستكشف عنها غطاءها فيكون بصرها حديداً وكذلك من حيث أنا نقول من اليد المطلقة ومن حيث مريم من اليد المعروفة بكلتا يدي ربي يمين فجسدي بين نبت أبي وأنا روح أبي وأمي وبنيه فما جمعت بين اليدين وتميزنا في الفردية لهذا كان ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾ فهذا من بعض أسرار الفردية وأما حواء فمن

الوحدانية لأن الفرد لم يعلم حتى استيقظ وخلقت كاملة على صورتها من حي نائم كما خلق آدم على صورته من غير مزيد فعقل نفسه فيها وكانت الشهوة النكاحية في الموضع الذي عمرته حواء حين خرجت لأنه ليس في الوجود خلافها فأحلت الشهوة الموضع لنزول حواء فيه ونزلت بالموضع الذي خرجت منه حواء من آدم فعمر الموضع وخرجت الشهوة فيه أقوى مما خرجت في حواء فإن حكم عليها موضع الشهوة فإن النساء أغلب على شهواتهن من الرجال فإن الشهوة بالرجل بذاتها وفي المرأة بما بقي من آثار رحمها في موطنها الذي عمرته فكانت الشهوة كالثوب على حواء من أجل صورة الموضع اشتهت الشهوة في آدم وعمتهما جميعاً لكن بهذا الحكم تعم الشهوة الجماع عند جميع البدن ولهذا أمر بتطهير جميع البدن فإنه فني بكليته في تلك اللحظة فأمر بتطهير كليته من ذلك من أجل مناجاة الحق ، قال تعالى :﴿**يخرج من بين الصلب والترائب**﴾ ..وآدم وحواء واحد وواحد الفرد مبطون فيه فقوة المرأة من أجل الواحد أنه أقوى من قوة الفراشية ولهذا تكون المرأة أقوى في سير المحبة من الرجل ولهذا هي أقرب إلى الإجابة وأصفى كل محل ذلك من أجل الوحدانية ولما كان الفرد لا يكون إلاّ بعد ثبوت الأثنين ضعف عن عزة الوحدانية فقال : ﴿**رب لا تذرني فرداً**﴾ فلا تقل طلب رجوعاً إلى الوحدانية فإن ذلك لا يصح لأمرين : الأمر الواحد أنه فرد لا واحد والثاني أن الله استجاب دعاءه فقال : ﴿**فاستجبناه له ووهبنا له يحيى**﴾ لما وهب الله زوجة فظهر فرد آخر وهو يحيى ثم أشار الحق بوحدانية المرأة وفردانية الرجل وقوة المرأة وضعف الرجل لصورة الميراث فأعطي الأكثر للأضعف كي يتقوى من وجه الضعف ومن جهة التثني فإن الوحداني لا يقبل إلاّ مثله فأعطي قسماً واحداً والفرد إنما هو عن الاثنين فهو ناظر لما هو عنه فأخذ قسمين فمن الوجهين معاً للمرأة الثلث وللرجل الثلثين إذا لم يكن سواهما فافهم فإن الحكم ينتقل بالإنتقال الزائد والناقص وتصير على

صورة وضع المسألة فإن الحكم أبداً إنما هو للمواطن فلهذا قلنا إن عيسى لولا المواطن ما ظهر له جسم ألبتة فحكم عليه موطن هذه الدار الحسية موطن مريم(عليهما السلام)فلما بانت أثنية الواحد وزوجية الفرد طالبنا الوتر بشفعيته أن نبينها للإخوان فإن فيها عزة الواحد فإن الشفعية تبقي لك حظاً في الملك ولما كان للوتر حظ كبير في المبدأ لكن ليس هو كالواحد لأن الواحد ظله لهذا قرن مع الشفع دون غيره ، قال عز من قائل :﴿والشفع والوتر﴾. فأقسم بهما ولم يكن له ذلك السريان جاءت الفهوانية بالوحدانية من جهة غيبها لا من جهة عينها من أجل الوتر أن يقوم بالشفع فيعارض الوحدانية في السريان وليس له ذلك فقال : ﴿والليل إذ يسر﴾ .فهو تنبيه على سير الواحد في المراتب لأظهار الأعداد وكنى عنه بالليل لطموس عين الوحدانية في الأعداد من وجه الظاهر لا في كل مبدأ فإنها تظهر بذاتها فإنك لا تقول بعد الواحد واحد أبداً إنما تقول إثنان ثلاثة أربعة إلى العشرة واشبهت بسائط العدد التي هي اثني عشرة نقطة الواحد في كونها تظهر في المراتب ظهور الواحد فيها فهي نائبة عنه من حيث الاسم لا من حيث المعنى وهي واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة مائة ألف وما ثم أكثر فإن الحكم إنما هو للأثني عشرة الذي قد ربط الله الوجود بها وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، فالواحد للحمل والاثني عشرة للحوت وتسمى بالأعداد على الترتيب قال تعالى : ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ وما في الوجود إلاّ حي لأن كل ما في الوجود يسبح بحمده والتسبيح لا يكون إلاّ من حي فسر الحياة سار في جميع الموجودات كذلك الوجود سار في جميع الأشياء كما ذكرنا فصار لا يظهر في الاعداد إلاّ هذه الاثنا عشرة نقطة فيقول واحد وعشرين اثنان وثلاثين ثلاثة وأربعين أربعة آلاف خمسة عشرة مائة مائة ألف وكذلك حكم هذه الاثني عشرة برجا في جميع الموجودات والأفلاك الروحانيات فتأمل قوة سلطان الوحدانية ما أعزها

وأعظمها وإنما يظهر الواحد باسم لم يوجد لهم عين والفرض إنما هو في ظهور هذه الموجودات فلا بد أن يكون فيها بمعناه ولا يكون فيها باسمه ومهما ظهر اسمه بطل الوجود ومهما ظهر معناه بطل الوجود وانظر يا سيدي بعقلك هل تصح نتيجة قط وعين واحد لا يصح أبداً وإنما تكون النتيجة بظهور معنى الوحدانية في مرتبتين وبإزدواج واحدين تكون النتيجة ويظهر الوجود ولكن أكثر الناس ممن لا يعرف يتخيل أن النتيجة إنما هي عن اثنين وهو باطل وإنما هي عن ثلاثة وهو الأثنان والفرد فإن الفرد مهما يصحب الاثنين لم يكن بينهما قوة النتاج أصلاً أنظر إلى الأنثى والذكر ما انتجا إلّا بالحركة المخصوصة على الوجه المخصوص ولولا ذلك لم يكن النتاج وقد كان الاثنان موجودين ولم يكن ثم حركة مخصوصة على وجه مخصوص فلم يكن ثم نتاج فثبت أن الحركة أمر ثالث وهو الواحد الفرد حتى لا يظهر شيء إلّا بوجود التوحيد لو كان فيهما آلهة إلّا الله وإلهكم إله واحد وكذلك المقدمات العملية لتصور المعلومات بالبراهين ما يتصور قط برهان إلّا من مقدمتين وكل مقدمة من فردين يكون أحد الفردين خبراً عن الآخر وهذا أيضاً لا ينتج فإنه كقولنا السلطان جائر وخالد إنسان فهذه أربعة ولا واحد فيها ولا نتاج لكن هذه الأربعة إن لم تكن ثلاثة من وجه من أجل الوحدانية فإنها لا تنتج إلّا أن تكون من هذه الأربعة تتكرر بالمقدمتين فتكون إذ ذاك ثلاثة فتصح النتيجة فلا بد للإنتاج من وجه خاص به وهو أن يكون الحكم أعم من العلة أو مساويها ولا بد أن يكون على شرط مخصوص وهو أن يتكرر واحد من الأربعة فتكون ثلاثة ليست أربعة والغرض من هذا وجود النتاج لا غير لا ظهور الصدق في ذلك ولا الكذب والصدق والكذب إنما يقع بالأصول التي هي المقدمات فتخبر عن أحدية المقدمتين أو عنهما بما ليس لها أو بما لهما وتنسب نسبة كاذبة وغرضنا من هذا النتاج الذي هو ظهور أعيان الموجودات لا يصح إلّا بالواحد الفرد لا بالواحد غير الفرد ألا ترى الحق سبحانه هل أوجد العالم من

كـونه ذاتـاً فقط أو من كونـه واحداً أو إنمـا أوجـده من كـونـه ذاتـاً قـادرة فهذان أمران ذات وكونها قادرة معقول آخر يعقل منه مالا يعقـل من كونـه ذاتاً وكذلك التخصيص من كونه ذاتاً ومن كونه مريداً أو عـالماً مثـل قولنـا في كـونه قـادراً ثم عندنـا ذات وكونهـا قادرة من غيـر أن يكـون متـوجهـاً للإيجاد هـل يظهـر شيء فيكون بهـا متوجهـاً غير كـونها قـادرة هذا حكم ثـالث وهو حكم الفـرد الواحـد فإنـا قد أثبتنـا أن لا ذات قادرة ولا وجـود لكون الحكم الثالث الـذي هو التـوجه لم نثبتـه فلم يكن الوجـود والفعل يستحيـل أزلاً والقادر لا يستحيـل أزلاً فتأمـل وما ذكـرناه هنـاك من نتائـج المقدمة فأخاف أن لا يعقل ما ذكـرناه حتى أضـرب منه مثـلاً فيما ذكـرناه شرعياً ليكـون فهمك لمعـرفتك بـالدين ـ فـأقول ـ إذا أردت أن تـظهر في الوجود أن النبيذ حرام فيقول كل مسكـر حرام فهـذان اثنان النبيـذ ومسكر والضرورة تنتج أن النبيذ حرام فـلا حذف أعني النتيجـة لكن هذا الحكم صحيح أم لا أمر آخر نحتاج إليه معرفة أخرى ليس هـذا الكتاب محـلاله وإنما زيد الإنتـاج الذي هـو ظهور الـوجود خـاصة بـوجود الفـرد الواحـد فانظر إلى هاتين المقدمتين تجـدهما مـركبتين من ثلاث في أربـع مراتب وهو قولك مسكر وحرام ونبيذ مـأثم رابع لكن تكـرر لتكرر قـولك مسكـر وهـو الـواحـد المـطلوب الـذي بـه يقـع النتـاج فهـو جهـة المخصـوص تكـراره . وأمـا حكم الشـرط المخصـوص في هــذا الإزدواج أن الحكم أعم من العلة في هــذه المسـألــة وهـو أن العلة الاسكـار والحكم هـو التحـريم والتحـريم أعم من الاسكــار فـإن المحـرمـات كثيــرة منهــا المسكـرات وغير المسكـرات فقد بـان لك أن الأمـر والشأن في الـواحـد وهو المطلوب ثم اعلموا أنه لمـا كان الألف يسـري في مخارج الحـروف كلها سريـان الواحـد في مراتب الأعـداد كلها لهـذا سميناه كتـاب الألف وهو قيوم الحروف وله التنـزيه بـالقبلية ولـه الإتصال بـالبعديـة فكل شيء يتعلق به ولا يتعلق هو بشيء فـاشبه الـواحد. لأن وجـود الأعيان يتعلق بـه ولا يتعلق الواحد بهـا فيظهـرها ولا تـظهره ويشبـه في هذا الحكم الـدال

والذال والراء والزاي والواو ويشبهه في حكم السريان الواو المضموم ما قبلها والياء المسكور ما قبلها وقد ذكرنا هذا كله في كتاب الحروف لنا مستوفياً فلتنظر هناك . وكما أن الواحد لا يتقيد بمرتبة دون غيرها ويخفي عينه أعني اسمه في جميع المراتب فيكون الاسم هناك للياء والجيم والحاء وجميع الحروف والمعنى الألف مثل الواحد فلهذا سميناه كتاب الألف وقد نجز الغرض من هذا الكتاب على قدر ما اقتضاه محل المخاطب به حين سأل . تمّ كتاب الألف وهو كتاب الأحدية بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده وصلّى الله على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً .

كتاب أيام الشأن

إنشاء الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المدقق المتبحر كنز الطريقة ومعدن الحقيقة أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي(ختم الله له بالحسنى) ونفعنا به في الدنيا والآخرة بمحمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين آمين .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله العالي الشأن العظيم السلطان الذي هو كل يوم هو في شأن المدلول على ذلك ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾ . عين الأيام بالحركة المحيطة فتعينت وأوجد فيها ما تحت تلك الحركة من الأدوار والأكر فظهرت أعيانها وتثبتت وأظهر في تلك الأكر بحكم الأدوار وجود الليل والنهار فتحكمت روحانيتها في الأركان وتمكنت وأفشت الأركان بتحكم هذا الدور الزماني ما كان كتمه من التكوينات وأعلنت فبرزت المولودات على قدر الاستعدادات وتكونت فتاهت الأرواح السيارة الحاكمة حين تسلطنت وأنبتت بالأرض الأرضية يوم الأحد السعيد عند طلوع الشمس ثبت شرفها فاهتزت وربت لحملها وتحسنت لالتحامها بما وضعته من حملها وازينت فسبحان مسخر الأيام ومنزل الأحكام لا إله إلاّ هو العلي العلام وصلّى الله على من كان يومه المعروف ويومه المشهود المؤثر الثلاثاء ويومه المخصوص بذاته الجمعة وله في كل يوم دقائق وعلى كل ساعة حقائق صلاة تامة وسلاماً دائماً ما انفرد عن جميع الخلائق بأحسن الخلائق .

أمابعد: فهذا كتاب سميته أيام الشأن وهو ما يحدث في أسعد يوم في العالم من الآثار الإلهية وانفعالات من تركيب وتحليل وتصعيد وتنزيل

وإيجاد وإشهاد وكني عز وجلّ عن هذا اليوم الصغير باليوم المعروف بالعامة فوسع في العباد من أجل فهم الخاطبين ، فقال تعالى : **﴿يسأله من السموات والأرض كل يوم هو في شأن﴾** ثم تلاه بقوله جلّ ثناؤه : **﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾** . فهو يفرغ لنا منا لأنا المقصودون من العالم لا غير فنحن روح العالم المنفوخ بالنفخة الإلهية فالعالم جسم سواه الله وحسن خلقه وأكمل نشأته الظلمانية ثم نفخ فيه روحاً من روحه فانفتق رتقه واستنار وجوده وانطردت ظلمته فنطق بالثناء والحمد فنحن الخلفاء ولنا دارت الأفلاك وبنا نزلت الروحانيات والأملاك فكل يوم هو منا سبحانه في شأن فالشأن مسألة السائلين فإنه ما من موجود إلّا وهو سائله لكنهم على مراتب في السؤال فأما الذين لم يوجدهم الله تعالى عن سبب فكونهم يسألونه بلا حجاب لأنهم لا يعرفون سواه علماً وغيباً ومنهم من أوجده الله تعالى عند سبب يتقدمه وهو أكثر العالم وهم في سؤاله على قسمين منهم من لم يقف مع سببه أصلاً ولا عرج عليه وفهم من سببه أنه يدل على ربه لا على نفسه فسؤال هذا الصنف كسؤال الأول بغير حجاب ومنهم من وقف مع سببه وهم على قسمين منهم من عرف أن هذا سبب قد نصبه الحق وأن وارده مطلباً آخراً فوقه وهو المسبب له ولكن ما تمكنت قدمه في دروج المعرفة بواجد السبب فلا يسأله إلّا بالسبب لأنه أقوى للنفس ومنهم من لم يعرف أن خلق السبب مطلباً ولا أن ثم مسبباً فالسبب عنده نفس المسبب فهذا جاهل فيسأل السبب فيما يصار إليه لأنه تحقق عنده أنه ربه فما سأل إلّا الله لأنه لو لم يعتقد فيه القدرة على ما سأله فيه لما عنده وذلك لا يكون إلّا الله فهو ما سأل إلّا الله ومن هذا المقام يجيبه الحق على سؤاله لأنه المسؤول ولكن بهذه المشابة فعلى هذا هو المسؤول بكل وجه وبكل لسان وعلى كل حال هو المشهود له بالقدرة المطلقة النافذة في كل شيء فما من جوهر فرد في العالم إلّا وهو سائله سبحانه في كل لحظة وأدق من اللحظة لكون العالم في كل لطيفة ودقيقة مفتقراً إليه ومحتاجاً

أولها في حظه لبقاء عينه ومسألة الوجود عليه بخلق ما به بقاؤه وليس من شرط السؤال هنا بالأصوات فقط وإنما السؤال من العالم بحسب ما يليق به ويقتضيه أفقه وحركة فلكه ومرتبته وقد قال فيما شرف سليمان به أنه علمه منطق الطير فعرف لغتها وتبسم ضاحكاً من قول النملة للنمل ﴿ادخلوا مساكنكم﴾ وقال الهدهد : ﴿أحطت بما لم تحط به﴾ وقالت السموات والأرض ﴿أتينا طائعين﴾ وأبت السموات والأرض والجبال حمل الأمانة وأشفقن منها - في صحيح الأخبار - ، ما من دابة إلاّ وهي مصيخة يوم الجمعة اشفاقاً من الساعة وكان (ع) راكباً بغلته فنفرت عند قبر لما سمعت عذاب صاحبه حتى كادت أن تلقيه ، وقال في أحد هذا جبل يحبنا ونحبه وسبح الحصا في كفه وهذا حجر كان يسلم عليه ولا تقوم الساعة حتى يحدث الرجل فخذه بما فعل أهله ، وقالت الجلود انطقنا الله الذي أنطق كل شيء ، وقد أخبر الله تعالى أن الظلال ومن في السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ما نزل شيء في العالم من الجماد إلى درجة الإنسان إلاّ وقد أخبر عنه أنه يسجد لله وقال : ﴿وإن من شيء إلاّ يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ ومعلوم أن ما هنا صوت معهود ولا حرف من الحروف المعلومة عندنا ولكن كلام كل جنس مما يشاكلها وعلى حسب ما يليق بنشأتها ويعطي استعدادها لقبول الروحانية الإلهية السارية في كل موجود وكل يعمل على شاكلته فما من موجود بعد هذا وإلاّ يتفق منه السؤال وشأنه في كل دقيقة خلق السؤال في السائلين وخلق الإجابة فإن كان الفلك بعيداً أعني حركة التقدير التي بها ينزل على صاحبها بعد كذا كذا حركة فتتأخر الإجابة وقد تتأخر لدار الآخرة بحسب حركتها وإن كان فلكها قريباً أعني حركة التقدير التي خلقت الإجابة فيها ظهر الشيء في وقته أو بقرب ولهذا أخبر النبي (ص) أن كل دعوة مجابة لكن ليس من شرطها الإسراع في الوقت المؤجل ومنها المعجل بحسب التقدير حقيقة (واعلم) أن الأيام

وإن كثرت فإن الأحكام العقلية الذي هو الشأن يقللها إلى أن يردها أسبوعاً لا غير وتتكيف هذه الأيام بالشهور كما يتكرر الليل والنهار في الأيام كما تتكرر الساعات في الليل والنهار وكذلك الشهور في السنين والسنون في الدهور والأعصار فالله لم يزل يجري في الأشياء على ما تعطيه الحقائق وأن جوز العقل خلافها فلقصوره فإن الحقائق لا تتجلى إلاّ بالكشف الرباني وأما بهذه الأدلة التي بأيدي النظار فما تعطي إلاّ القدر اليسير وقد ربما لا يحصل في التقدير في العقول حد تقف عنده لا تتعداه وهذه الأمور وراء طوره حسبه فيها التسليم والإلتجاء إلى الله حتى يلقيها فيه ضرورة أو يكشفها له غيباً فالحق سبحانه أبداً يعطف بالأعجاز على الصدور فالأمر دوري لا يزال في الروحانيات والجسمانيات وتحدث بينهما الأشكال العجيبة الغريبة﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾ فنهار يكر على ليل وليل يكر على نهار وفلك يدور وخلق يدور وكلام يدور وحرف يدور وأسماء تدور وخريف يدور وربيع يدور وشتاء يدور وصيف يدور وسيارة تدور كما بدأ كم تعدون ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ ، وهذه الأبيات عبرة :

انظر إلى العرش على بابه ... سفينة تجري باسمائه
واعجب له من مركب دائر ... قد أودع الخلق بأحشائه
يسبح في بحر بلا ساحل ... في حندس الغيب وظلمائه
وموجه أحوال عشاقه ... وريحه أنفاس أنبائه
فلو تراه في الورى سائراً ... من لف الخط إلى يائه
ويرجع العود على بدئه ... ولا نهايات لابدائه
الصبح قد يبقى على ليله ... وصبحه يفني بامسائه

فاعداد تدور وحركات تكرر فسبحان مدبرها ومديرها﴿لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم﴾ قال الله تعالى : ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ . مع قدرته على خلقه أياها دفعة واحدة

من غير تدريج لكن القدرة لا تؤثر في القدر إنما أثرها في المقدور وشاهدها القدر وإن شهد لها القدر بالتأثير أثرت وإلاّ أمسكت عن أذن القدر لا عن نفسها فمن حكم القدر كونها في ستة أيام ولا سبيل إلى عدول القدرة عما حكم به القدر . ﴿ما يبدل القول لدي﴾ واليوم عندنا عبارة عن دورة واحدة من دورات فلك الكواكب الثابتة الذي السموات والأرض من جوفه وتحت حيطته وهو من النطيح إلى النطيح ومن البطين إلى البطين ومن الثريا إلى الثريا إلى آخر المنازل ومن درجة المنزلة ودقيقتها إلى درجتها ودقيقتها وأخفي من ذلك إلى أقصى ما يمكن فيه الوقوف عنده ولكن تأثير ما يكون فيه هذه النكتة الدرجات (فيقول) إنه ما من يوم من هذه الأيام المعروفة للعامة وهو من طلوع الشمس إلى طلوع الشمس أو من غروبها إلى غروبها أو من استوائها إلى استوائها أو ما بين ذلك على حسب صاحب اليوم فما من يوم قلنا من هذه الأيام إلاّ وفيه نهاية ثلاثمائة وستون يوماً هذا موجود في كل يوم ولهذا ما من يوم إلاّ ويصلح أن يتكون فيه كل ما يتكون في أيام السنة من أولها إلى أخرها لأن فيها نهاية كل يوم من أيام السنة وفيه حكم ذلك اليوم ولاية لكنه يخفي من أجل ما فيه منه إلى نهايته خاصة واليوم طوله ثلاثمائة وستون درجة لأنه يظهر فيه الفلك كله وتعمه الحركة وهذا هو اليوم الجسماني وفيه يوم روحاني فيه تأخذ العقول معارفها والبصائر مشاهدتها والأرواح أسرارها كما تأخذ الأجسام في هذا اليوم الجسماني أغذيتها وزيادتها وقوتها فالأيام من جهة أحكامها الظاهرة في العالم المنبعثة من القوة الفعالة للنفس الكلية سبعة . الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت ولهذه الأيام أيام روحانية يعرف فيها العارفون لها أحكام في الأرواح والعقول تنبعث من القوة العلامة للحق الذي قامت به السموات والأرض وهو الكلمة الإلهية وعلى هذه الأيام السبعة يكون الكلام في هذا الكتاب فإنها التي تدور ويدور الحكم بدورانها ولما كانت هذه الأيام السبعة من جهة

الحكم الظاهر فيها لم يتمكن لنا إلاَّ أن نبينها كيف هي لأنها ما هي على ما نشهد لأن المشهود إنما هو يوم واحد ليل ونهار وكونها سبعة تدور ليس بمشهود فلهذا جعلناها على ترتيب الحكم واثبت في العلم فنقول ـ قال الله تعالى : ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ فهذا هو المشهود من الأيام المحسوسة ثم أبان الحق من طريق الحكم عن حقيقتين بعد هذا فقال في الواحدة : ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ فهذا قد أبدى أن الليل أصل والنهار كان غيباً فيه ثم انسلخ كمه وراج النور في الظلمة وليس معنى السلخ معنى التكوير فقد عدل في هذه المرتبة عن اليوم المشهود عند العامة فتعين علينا أن نبين ليل كل نهار من غيره حتى ننسب كل ثوب إلى لابسه ونرد كل فرع إلى أصله فنلحق كل ابن بأبيه فإنه ملعون من انتسب إلى غير أبيه ، وقال تعالى في الإبانة على الحقيقة الأُخرى وهي أقوى في الحكم ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ فجعله نكاحاً معنوياً لما كانت الأشياء تتولد فيهما معاً وأكد هذا المعنى بقوله : ﴿يغشى الليل النهار﴾ من قوله : ﴿فلما تغشاها حملت﴾ فأراد النكاح فكني ولهذا كان كل واحد مولج فيه فكل واحد منهما لصاحبه أهل وبعل فكلما تولد في النهار فأمه النهار وأبوه الليل وكلما تولد في الليل فأمه الليل وأبوه النهار فليس إذا حكم الإيلاج حكم السلخ فإن السلخ إنما هو في وقت أن يرجع النهار من كونه مولجاً والليل كذلك إلاّ أنه ذكر السلخ الواحد ولم يذكر السلخ الأخر من أجل الظاهر والباطن والغيب والشهادة والروح والجسم والحروف والمعنى وشبه ذلك فالإيلاج روح كله والتكوير جسم هذا الروح الإيلاج ولهذا كرر الليل والنهار في الإيلاج كما كررها في التكوير هذا في عالم الجسم وهذا في عالم الأرواح فتكوير النهار في إيلاج الليل وتكوير الليل لإيلاج النهار فجاء السلخ واحداً للظاهر لإربابه ولم يذكر السلخ الأخر لأنه معلوم فيه ولولا ذلك التكوير ما كرر وما احتاج الناظر إلى تكرار الإيلاج لأنه لو لم يكرر كل واحد منهما

لتكرار كل واحد من الآخرين لكان في الوجود روحاً بلا جسم أو جسماً بلا روح وهذا لا يوجد أصلاً فلا بد من تكرارهما إفصاحاً فأقول قال الله تعالى في اليوم المشهود في العامة المعروف عند الكافة : ﴿**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**﴾ وكان حساب العجم تقديم النهار على الليل وزمانهم شمس وآيات بني إسرائيل ظاهرة وكانت فيهم العجائب . وقال تعالى في بلعام بن باعورا : ﴿**آتيناه آياتنا فانسلخ منها**﴾ فدل أنها كانت عليه في الظاهر كالثوب فإنه أعطى الحروف فكان يفعل بالخاصية لا بالصدق فليلة السبت عندهم هي الليلة التي تكون في صبحها يوم الأحد وكذا باقي أيام الجمعة وكان حساب عامة العرب في تقديم الليل على النهار وزمانهم قمري فأيامهم ممحوة من ظواهرهم مصروفة إلى بواطنهم واختصوا من بين سائر الأمم بالتجليات وقيل فيهم : ﴿**كتب في قلوبهم**﴾ في مقابلة قولهم : ﴿**فانسلخ منها**﴾ فنحن على ما عندنا من فائدة خصوص هذه الأمة على سائر الأمم جاءنا بالصدق لنا ولما كان في الحظر قوة عربية للحوقه بنا لهذا ما عثر صاحبه على السر الذي منه حكم بما حكم فليلة السبت عندنا هي الليلة التي يكون في صحبتها يوم السبت وعامتنا أعني الدولة العربية أقرب إلى العلم من العجم فإنه يعضدهم السلخ في هذا النظر الذي عولوا عليه غير أنهم لم يعرفوا الحكم فنسبوا الليلة إلى غير يومها كما فعل أيضاً أصحاب الشمس في ذلك أنهم لا يعرفون سوى أيام التكوير وأيام السلخ يعرفها العلماء والحكماء وراث الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين) .

تتميم : قال الله تعالى : ﴿**وآية لهم الليل نسلخ منه النهار**﴾ اعلم أنه لما كانت الأيام شيئاً كان لها ظاهر وباطن وغيب وشهادة وروح وجسم وملك وملكوت ولطيف وكثيف فكان لليوم نهار وليل في مقابلة الظاهر والباطن وهي سبعة أيام نهار وليل من جنسها وأن النهار هو ظل ذلك الليل وهو على صورته في الحكم ولكن في الحقيقة فإن كل يوم

مولج في أيام الأسبوع كما قلنا إن الأيام مولجة في اليوم الواحد . **فقد قال تعالى : ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ فيدخل** هذا في هذا أو هذان في هذا على ما سنذكر إن شاء الله تعالى وإنما جعلنا النهار ظلاً لليل لأن الليل هو الأصل وكذلك الجسم هو الأصل فإنه بعد التسوية انسلخ منه النور عند النفخ فكان مدروجاً فيه من الحجاب فلما أحس بالنفخة الإلهية تسارع إليها فظهر فكان مسلوخاً منه فقد تكلمنا في الجلالة على شرف البصر الحسي على العقل وتضيق هذه الأوراق عن تبيين معنى تولد الروح وقد ذكرنا هذا في كتاب النشأة وبينا فيه أنه يولد كما يولد الجسد ورتبناه ترتيباً عجيباً فلينظر هناك . فلما قال تعالى : **﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾** لم يتبين أي نهار سلخ من أية ليلة ولم يقل ليلة كذا سلخ منه نهار كذا لكن أرسلها مجملة ليفصلها من ألهمه الله من العالم بذلك من عباده إنه منعم مكرم ، وهذا هو فصل الخطاب والحكمة .

فصل الفصل : فكلامنا في السلخ من باب فصل الخطاب وكلامنا في الإيلاج من باب الحكمة التي هي فصل في الفصل . فأقول على المفهوم من اللسان العربي بالحساب القمري على تقديم الليل على النهار أن ليلة الأحد سلخ منها نهار الأربعاء وسلخ من ليلة الاثنين نهار الخميس والشأن كالشأن وسلخ الله من ليلة الثلاثاء نهار الجمعة والشأن هو الشأن وسلخ من ليلة الأربعاء نهار السبت وشأن هذا شأن هذا وسلخ من ليلة الخميس نهار الأحد والشأن الشأن وسلخ من ليلة الجمعة نهار الاثنين والشأن الشأن وسلخ من ليلة السبت نهار الثلاثاء والشأن الذي يفعله في ليلة السبت بفعله في نهار الثلاثاء وفرغ الاسبوع فجعل سبحانه بين كل ليلة ونهارها المسلوخ منها ثلاث ليال وثلاث نهارات فكانت ستة وهي نشأتك يا أخي ذات الجهات الست والليالي منها للتحت والشمال والخلف والنهار منها للفوق واليمين والأمام فلا يكون الإنسان نهاراً أو نوراً يشرق شمسه وتشرق به أرضه

حتى ينسلخ من ليلة شهوته ولا يقبل على من يقبل الجهات التي يتنزه عن جهة هيكله كما يعد هذا النهار من ليلة بثلاث ليال وثلاثة نهارات وحينئذ أشرق فظهر وحكم وشاهد سر هذا فمن أراد أن يتحقق فلينظر فيما ذكرناه ونبهنا عليه نظر منصف وإنما نسبنا هذه النسبة من جهة الاشتراك بينهما في الشأن وأن الله قد ربط الفعل هكذا والحكم لأول ساعة من الليل ولأول ساعة من النهار فنسبت الليلة لوكيل الساعة الأولى منها الذي وكل الله بها وهو روحهما وكذلك النهار فلهذا نسبتا هذه النسبة تكملة ولما استوفينا البيان في آية السلخ فلنذكر الإيلاج .

قال تعالى : ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ اليوم عندنا أربعة وعشرون ساعة فإذا كان اليوم قد أخبر الله تعالى فيه في شأن ولم يقل في شؤون علمنا أن ساعاته تحت حكم واحد وتحت نظر وأول حاكم واحد قد ولاه الله وتولاه وخصه بتلك الحركة وجعله أميراً قيومنا الصحيح إنما هو ما تكون ساعاته كلها سواء فإن اختلف فليس بيوم واحد فطلبنا هذا من جهة الحكم في يوم السلخ فلم نجده إلاّ قليلاً وأما يوم التكوير فبعيد من ذلك فنظرنا يوم الإيلاج فوجدنا مطلوبنا فيه مستوفي وأرسله مطلقاً ولم يقل يولج الليل الذي صبيحته الأحد في الأحد والنهار الذي هو مساء ليلة الاثنين أولجه في ليلة الأثنين فلا يكيف أحداً به من أن ليلة الأحد هي ليلة التكوير ولا ليلة السلخ ونطلب وحدانية اليوم من أجل أحدية الشأن ولنقدم الليل ونبني على ساعاته الأولى وننظر حكمها الذي ولاه الله عليها ما له من ساعات تلك الليلة ونهارها إلى آخر الاسبوع فإنا سنجد له أربعة وعشرين ساعة فلنجعلها يوماً كاملاً فهو يوم الشأن ثم تعدل إلى الليلة الأخرى حتى تتكمل سبعة أيام متميزة بعضها من بعض مولجة بعضها في بعض نهارها في ليلها وليلها في نهارها لحكمة التوالد والتناسل وذلك لسريان الحكم الواحد في الأيام ونسميها على الساعات للتقريب كما مشينا على ما تقدم على درجات السنة ومن شأنه أن نعلق إن عرف فلنفعل

فأقول على الأيام المعروفة عند العامة وهي أيام التكوير ونبتديء بيوم الأحد تبركاً بالاسم فإنه من صفات الحق وله الأولوية وله القلب فقد جمع الشرف من وجوه لا توجد في غيره ونبدأ بليله قبل نهاره لأني عربي بدري وعلى ذلك الحساب عينه يكون العجمي فلنعلم أن ليلة يوم الأحد الإيلاج مركبة من الساعة الأولى من ليلة الخميس والثامنة منها والثالثة من يوم الخميس والعاشرة منها والخامسة من ليلة السبت والتاسعة منها والرابعة من يوم السبت والحادية عشر منها والسادسة من ليلة الأحد فهذه ساعات ليله وأما ساعات نهاره من أيام التكوير كما قلنا فالساعة الأولى من يوم الأحد من أيام التكوير والثامنة والثالثة من ليلة الاثنين والعاشرة منه والخامسة من يوم الأثنين والثانية عشرة منه والسابعة من ليلة الثلاثاء والثانية من يوم الثلاثاء والتاسعة منه والرابعة من ليلة الأربعاء والحادية عشرة منها والسادسة من يوم الأربعاء فهذا يوم الأحد الإيلاجي الشأني فتكمل أربع وعشرون كلها كنفس واحدة لأنها من معدن واحد ويتنوع في الموجودات بحسب استعداداتها فيتكثر بتكثير الأشخاص ويتنوع بحسب الاستعدادات فإن هذا اليوم يوحي الله إلى النفس الواحدة الكلية أن يحرك ركن النار لتسخن العالم ثم يأمر سبحانه روحانية الفلك الرابع بمساعدتها فيتحرك الأثر فيسخن العالم فمن كان قابلاً للحرق أُحرق ومن كان قابلاً للسخانة سخن وكذلك أمر روحانية الفلك السابع بالمساعدة فساعدها بنصف قوته وساعدتها روحانية الفلك الخامس بقوتها وساعدتها روحانية الفلك السادس بنصف قوتها وساعدتها روحانية الفلك الثاني بربع قوتها ولم يكن لروحانية الفلك الأول والفلك الثالث هنا مساعدة وعن شأن هذا اليوم سر الأرواح في الروحانيات والحركات في المتحركات فهذا من شأن هذا اليوم الذي هو فيه وأما ليلة الأثنين الإيلاجي الشاني فمركبة من الساعة الأولى من ليلة الجمعة والثامنة منها والثالثة من يوم الجمعة والعاشرة منها والخامسة من ليلة السبت والاثني عشرة منها والسابعة من يوم

السبت والثانية من ليلة الأحد والتاسعة منها والرابعة من يوم الأحد والتاسعة منها والحادية عشرة منه والسادسة من ليلة الأثنين فهذه ساعات ليلة من أيام التكوير وأما ساعات نهاره فمركبة من الساعة الأولى من يوم الأثنين والثامنة والثالثة من ليلة الثلاثاء والعاشرة منها والخامسة من يوم الثلاثاء والثانية عشرة منه والسابعة من ليلة الأربعاء والثانية من يوم الأربعاء والتاسعة منه والرابعة من ليلة الخميس فهذه أربعة وعشرون ساعة أبرزتها من أيام التكوير لظهور يوم الاثنين الإيلاجي فظهر والحمد لله والشأن فيه واحد وهو أن الله سبحانه أوحى إلى النفس الواحدة أن تمد المولودات ركن العصارات وأمر لروحانيات الأفلاك أن تساعدها منهم من هو تحت شأن هذا اليوم بوجهه كلها أو بوجه ما فساعدها الأول والثالث بكليته وساعدها الثاني بربعه في هبوطه وربعه الثاني في سيره لهبوطه وساعدها السادس بنصف قوته في هبوطه وكذلك السابع ولم يساعدها الرابع والخامس من شأن هذا اليوم ينمو كل جسم ويزيد ومن شأن هذا اليوم هبوب الرياح المنظرات ولا تقوى فيه الحركات وأما ليلة يوم الثلاثاء الإيلاجي الشأني فمركبه من الساعة الأولى من ليلة السبت والثامنة منها والثالثة من يوم السبت والعاشرة منه والخامسة من ليلة الأحد والثانية عشرة منها والسابعة من يوم الأحد والثانية من ليلة الأثنين والتاسعة منها والرابعة من يوم الاثنين والحادي عشرة منه والسادسة من ليلة الثلاثاء وأما ساعات نهاره فمركبة من الساعة الأولى من يوم الثلاثاء والثامنة والثالثة من ليلة الأربعاء والعاشرة منها والخامسة من يوم الأربعاء والثانية عشرة منه والسابعة من ليلة الخميس والثانية من يوم الخميس والتاسعة منه والرابعة من ليلة الجمعة والحادية عشرة منها والسادسة من يوم الجمعة فهذا هو يوم الثلاثاء قد أنشأناه من ساعاته التي كان الولوج بددها في الأيام السبعة أيام التكوير فمن حفظ عليها عرف الشأن الذي الله فيها الذي أوحى الله به للنفس الواحدة فأرسلت قوتها الفعالة فظهر بلطيف الأهوية السخيفات وساعدتها من الأرواح الفلكية عن أمر الحق

أو بمد الإلهي المشروع لهم في حقائقهم ما بينهم وبين ذلك مناسبة إما من جميع الوجوه أو من وجهين ـ فأما الأول والثاني ـ فلا مساعدة لهما هنا وأما السابع فساعدها بنصف قوته في أوجه وكذلك السادس وساعدها الرابع وقواه كلها وساعدها بربع قوته في أوجه وبربعها في صعوده ومن أحكام شأن هذا اليوم إظهار الجهات وانتساب العصب والعتق وأشياء من هذا القول هذا شأنها والغرض الاختصار وإنا قد أستوفينا هذه الشؤون في كتاب الجداول والدوائر مضروب الأشكال وأما ليلة يوم الأربعاء الشأني الإيلاجي فمركبة من الساعة الأولى من ليلة الأحد والثامنة منه والثالثة من يوم الأحد والعاشرة منه والخامسة من ليلة الأثنين والثانية عشرة منها والسابعة من يوم الأثنين والثانية من ليلة الثلاثاء والتاسعة منها والرابعة من يوم الثلاثاء والاحدي عشرة منه والسادسة من ليلة الأربعاء فهذه ساعات ليله وأما ساعات نهاره فمركبة من ساعاته الأولى من يوم الأربعاء من أيام التكوير والثامنة منه والثالثة من ليلة الخميس والعاشرة منها والخامسة من يوم الخميس والثانية عشرة منه والسابعة من ليلة الجمعة والثانية من الجمعة والتاسعة منه والرابعة من ليلة السبت والحادية عشرة منها والسادسة من يوم السبت فهذا يوم الأربعاء قد استوفينا ساعاته من أيام التكوير ثم الشأن الكلي الذي فيه تمزيج البخار الرطب بالبخار اليابس أمر الله تعالى النظر للنفس بهذا التمزيج وأمر روحانيات الافلاك أن تساعدها بما فيها من القوة المناسبة لروحانيته هذه فما بقيت روحانية إلاَّ ساعدت وينبني على هذا علم كثير وأما ليلة يوم الخميس الايلاجي الشأني فمركبة من الساعة الأولى من ليلة الأثنين والثامنة منها والثالثة من يوم الاثنين والعاشرة منها والخامسة من ليلة الثلاثاء والثانية عشرة منها والسابعة من يوم الثلاثاء والثانية من ليلة الأربعاء والتاسعة منها والرابعة من يوم الأربعاء والحادية عشرة منه والسادسة من ليلة الخميس وأما نهاره فمركب ساعاته من الساعة الأولى من يوم الخميس أيام التكوير والثامنة

والثالثة من ليلة الجمعة والعاشرة منها والخامسة من يوم الجمعة والثانية عشرة منه والسابعة من ليلة السبت والثانية من يوم السبت والتاسعة منه والرابعة من ليلة الأحد والحادية عشرة منه والسادسة من يوم الأحد فهذا يوم الخميس قد أتممنا نشأته من ساعات أيام التكوير والشأن الإلهي فيه السيلان والتحليل أمر الله تعالى روحانية الأفلاك بمساعدة النفس في هذا الشأن فساعدها الفلك الأول بنصف قوته وكذلك جميع روحانيات الأفلاك ساعدوها بنصف قواهم إلاَّ الفلك السابع وأما السادس فساعد بقوته كلها وإذا تقرب العشاق الذين حنوا في هواهم إلى هيكل هذا اليوم بما يليق به من الدعوات والصدقات ويلجؤون فيه إلى الله فالشأن يرونه وتحليل ما بقيته هنا على كتاب الهياكل يقتد من أمره وقد ذكرنا هذا في كتاب الهياكل وثم تكلمنا في شأن هذه الأيام على الاستيفاء وهو كتاب شريف وأما ليلة الجمعة فمركبة من الساعة الأولى من ليلة الثلاثاء والثامنة منها والثالثة من يوم الثلاثاء والعاشرة منه والخامسة من ليلة الأربعاء والثانية عشرة منها والسابعة من يوم الأربعاء والثانية من ليلة الخميس والتاسعة منها والرابعة من يوم الخميس والحادية عشرة منه والسادسة من ليلة الجمعة وأما ساعات نهاره فمركبة من الساعة الأولى من يوم الجمعة والثامنة والثالثة من ليلة السبت والثانية عشرة منها والخامسة من يوم السبت والثانية عشرة منه والسابعة من ليلة الأحد والثانية من يوم الأحد والتاسعة منه والرابعة من ليلة الأثنين والحادية عشرة منها والسادسة من يوم الأثنين فهذا قد كمله يوم الجمعة والشأن في هذا اليوم تقصير ما رطب من ركن البخار بمساعدة روحانية الفلك الثالث والأول للنفس الكلية عن القول الإلهي بقوتيهما وساعدها الثاني بنصف قوته في هبوطه وكذلك السادس والسابع وقصدنا الشأن الواحد الأصلي في كل يوم وعنه تكون الشؤون لكن بالقول الإلهي وبوجه الإرادة لا بمباشرة ولا بمعالجة ولا بمحاولة بل كما أخبر عن نفسه ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ فالقول

يتوجه والمراد يتكون سبحان العظيم القدير وأما ليلة يوم السبت وهو آخر أيام الأسبوع فمركبة ساعاتها من السعة الأولى من ليلة الأربعاء والثامنة منها والثالثة من يوم الأربعاء والعاشرة منه والخامسة من ليلة الخميس والثانية عشرة منه والسابعة من يوم الخميس والثانية من ليلة الجمعة والتاسعة منها والرابعة من يوم الجمعة والحادية عشرة منه والسادسة من ليلة السبت وأما نهاره فمركبة ساعاته الأولى من يوم السبت من أيام التكوير والثامنة منه والثالثة من ليلة الأحد والعاشرة منها والخامسة من يوم الأحد والثانية عشرة منه والسابعة من ليلة الأثنين والثانية من يوم الأثنين والتاسعة منه والرابعة من ليلة الثلاثاء والحادية عشرة منها والسادسة من يوم الثلاثاء فهذا يوم السبت الإيلاجي فيه كملت بنيته والشأن الإلهي حفظ نفي صور العالم وأمساكها وسكونها بمساعدة قوة روحانية الفلك السابع للنفس المأمورة بذلك والموكلة به ونصف قوى روحانيات الأفلاك إلاّ الفلك السادس وقد انتهت المقالة في تعيين أيام السائل وفي الشأن الجامع للشؤون والحمد لله (لاحقة) لاتزال للخالق في شأن ولا تزال هذه الأيام دائمة أبداً ولا يزال الأثر والانفعال في الدنيا والآخرة وقد أثبت الحق تعالى دوام هذه الأيام - فقال - ﴿**خالدين فيها ما دامت السموات والأرض**﴾ وخلودهم لا يزال هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار فالسموات والأرض لا تزال والأيام دائرة فيها أبداً بالتكوين ﴿**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها**﴾ فالكون والفساد فيها دائم مستمر والتسعة عشرة عليها طالعة وغاربة ومقعر هذا الفلك هو سقف النار نعوذ بالله وسطح هذا الفلك هو أرض الجنة والعرش سقفها وهو روح هذه الأيام كما قد ذكرنا في أول الجزء أن أزواجاً في الجنة فلا تكون في الجنة إلاّ بحركة هذا الفلك بعينه وهي الأيام التي خلق الله بها السموات والأرض وأيام أهل النار الأيام المعلومة الدنياوية المشهودة بالشمس فهي في الجنان بعلامات مقدرة تعرف بها الأوقات وتعرف بها نتائج الأعمال الكائنات في أوقات الأيام

الدنيا - قال تعالى ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً﴾ فالكون لا يزال في الجنة محسوساً مشاهداً لأنها محسوسة والاستحالات فيها من لذة إلى لذة ومن نعيم إلى نعيم متجدد ﴿وأتوا به متشابها﴾ والتغيير فيها من صورة إلى صورة ومن جنس إلى جنس أخير ومن جمال إلى أجمل ومن كمال إلى أكمل وذلك لما أودع الله من الأسرار في هذه الحركة الفلكية ورتب فيها من الحكم والآيات يعضد ما ذهبنا إليه قوله تعالى : ﴿كلوا واشربوا هنيئاً﴾ ومن أكل شيئاً أزال نظم ذلك وأحاله عن صورته إلى صورة أخرى وهذا هو المعبر عنه بالفساد في الإصطلاح وأما نحن فنفر عن هذه اللفظة ومن لفظة التغيير إلى التحويل وإلى التحليل والتركيب فما استحال عينه كان تحويلاً وما تغير وصفه كان تحليلاً أو تركيباً وقد يتجوز في التحليل إلى بقاء العين وتغيير الوصف . ومما يعضدنا من الأخبار الصحيحة عن الرسول (ع) ما يأكلونه أهل الجنة لا يتغوطونه ولا يبولونه ولكن هو عرق يخرج من أعراضهم يعني أبدانهم أفوح من المسك وأين التفاحة ولحم الطير والمأكولات من العرق فهذا تغيير وتكوين في الجنة فإن العرق تكون ولحم الطير بالأكل يتغير ويستحيل وكذلك التنوع في الصور التي ندخل فيها في سوق الجنة مثل تنوع الأحوال علينا اليوم في بواطننا ولا بد عند المحققين للعالم من هذا التحويل للمقام الإلهي الذي يعطيه منها قوله : ﴿كل يوم هو في شأن﴾ فهذا تحول من صورة إلى صورة ومن أمر إلى أمر كما قال النبي (ع) «إذا تعوذت من الله طائفة عندما يتجلى لها في غير الصورة التي تعرفه فيها أنه يتحول لهم في الصورة التي يعرفون» فالتحول سار في العالم لا بد منه وتجسد الروحانيات النارية والنورية غير منكورة عندنا فالتنوعات والتبديلات ينبغي للعاقل أن لا ينكرها وهل الشأن الذي هو لله في كل يوم إلّا في مثل هذا فإن لله في كل حق موجود في العالم شأناً فانظر في هذا التوسع الإلهي ما أعظمه فقد تبين أن الأيام لا تزال أبداً والشأن لا يزال أبداً فلا بد أن يكون الانفعال لا يزال أبداً وفي قوله :

﴿سنفـرغ لكم أيها الثقـلان﴾ ترتيب الفعـل ويكفي هذا القـدر في الأيام فـإن فيه غيبـة وأما يـوم المثل الـذي هو من سبعـة آلاف سنة ويـوم الرب الـذي هو ألف سنـة ويوم معـراج الهـو الـذي هـو من خمسين ألف سنـة ويـوم القمر الـذي هو من ثمـانية وعشـرين يوماً ويوم الشمس الـذي هـو سنـة كاملة ويـوم زحل على التقـريب الذي هـو من ثلاثين سنـة وكذلـك سائر أيام البروج الذي هو عمر الدهر ويوم المثـل هو يـوم السنبلة ونحن على آخر اليوم وأول يـوم الميزان وهي من ستة آلاف سنة فمذكور هـذا كله في الفتـوحات المكيـة فإن هـذه العجـالـة لا تحتملهـا لضيق الـوقت والله ينفعنـا بالعلم ويـزيدنـا بالعين والحمـد لله رب العـالمين وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم .

(١٢)

كتاب الكنـه
فيما لا بد للمريد منه

- كتـاب الكنـه .
- كتاب نفائس العرفان .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

قال الشيخ الأكبر ، والنور الأبهر ، والكبريت الأحمر ، محي الدين أبو عبد الله محمد بن العربي الحاتمي الطائي الأندلسي (رضي الله عنه) آمين .

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين سألت أيها المريد عن كنه[1] ما لا بد للمريد منه ، فأجبتك في هذه الأوراق والله الموفق لا ربّ غيره .

إعلم أيها المريد وفقك الله وإيانا لطاعته ، واستعلمنَا وإيّاك بما يرضيه ، إن القربَ من الله لا يُعلَم إلاّ بتعريفه إيانا بذلك ، وقد فعل ذلك ولله الحمد والشكر ، فأرسل الرسل وأنزل الكتب ، وأوضح السبل الموصلة إلى السعادة الأبدية ، فآمنا وصدقنا ، وما بقي إلاّ استعمال فيما وقع به الإيمان من الأعمال ، وتقرر في نفوس المؤمنين من وضع الشرع في محله ، ثم يجب عليك أيها المريد توحيد خالقك ، وتنزيهه وما يجوز عليه سبحانه وتعالى، فأما توحيده فلو ثم إله ثاني مع الله لامتنع

---

(١) كنه : كنه الشيء أي نهايته (يُقال أعرف كنه المعرفة وقولهم لا يكتنهه الوصف أي لا يبلغ كنهه كلام مولد) ا . هـ مختار الصحاح .

ممتنع وقوع الفعل من الإلهين ، لاختلاف الإرادات وجوداً وتقديراً وفسد النظام وذلك قوله تعالى : ﴿لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا﴾ .

ولا تسل يا أخي بمن أشرك ، ولا تحتاج إلى إقامة دليل على الوحدانية والأحدية ، فإن المشرك قد أثبت وجود الحق تعالى معك وزاد عليك بالشريك فعليه الدليل على ما زاد ، ويكفيك هذا في التوحيد ، فإن الوقت عزيز والعقدُ سالم ، والمخالف لا عين له موجودة والحمد لله .

وأما تنزيهه فهو آكد عليك من أجل المشبِّهة والمجسمة الظاهرين في هذا الزمان فاعقد على قوله : ﴿ليس كمثله شيء﴾ وحسبك هذا ، فكل وصف يناقض هذه الآية مردود ، ولا تزد ولا تبرح من هذا الموطن ، ولذلك جاء في السنة كان الله ولا شيء معه : ﴿تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً﴾ وكل آيةٍ وحديث يوهم التشبيه مما يعطيه كلام العرب ، أو كلام من أنزل عليه بشيء من الوحي والتبليغ ، فيجب عليك الإيمان به على حد ما يعلمه الله تعالى وما أنزله لا على ما يتوهمه ، واصرف علم ذلك إلى الله ، وما ليس بعد كمثله شيء ، وما ينزهه منزّه إذ وقد نزه نفسه بنفسه وهو أنزه ما ينبغي له .

ثم بعد ذلك أيها المريد يجب عليك الإيمان بالرسل(صلوات الله عليهم)، وبما جاءوا به ، وما خبروا عنه إنه عزّ وجلّ أعظم وأجل مما علمت وجهلت ، ثم حبُّ الصحابة (رضي الله عنهم أجمعين) .

ولا سبيل بتجريحهم البتة ، ولا الطعنِ فيهم ، ولا تفضيل أحداً منهم على الآخر ، إلاّ بما فضله ربه في كتابه العزيز ، أو على لسان نبيه (ص) ، ويجب عليك تعظيمَ من عظّم الله تعالى ورسوله ثم التسليم لأهل هذه الطريق فيما يحكي عنهم من الحكايات، وكلما ترى منهم مما لا يسع العقل ولا العلم وحسن الظن بالناس أجمعين ، وسلامة الصدر والدعاء للمؤمنين بظهر الغيب وخدمة الفقراء برؤية

الفضل لهم في ذلك حيث أرتضوك خديماً لهم وحمل كُلفهم وأذاهم وجفاهم والصبر على أذاهم ، ومما لا بد منه الصمت إلاّ عن ذكر الله تعالى ، وتلاوة القرآن الكريم ، وإرشاد الضال والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والإصلاح بين المتهاجرين ، والتحريض على الصدقة بل على كل خير .

ومما لا بد منه طلب شخص موافق يعينك على ما أنت بصدده وسبيله فإن المؤمن كثير بأخيه ، وإيّاك وصحبة الضد .

ومما لا بد منه شيخ مرشد ، والصدق شعار المريد لأنه إذا صدق مع الله تعالى جعل كل شيطان في حقه ملكاً يرشده إلى الخير ، ويلهمه للخير ، فإن الصدق هو الأكسير الأعظم ما وضع على شيء إلاّ قلب عينه ، ومما لا بد منه البحث عن هذه اللقمة ، فأساس هذا الطريق اللقمة الحلال ، عليها قام عماد هذا الطريق ولا تقل[1] ، على أحد ولا تقبل من أحد ، واحترف وتورع في كسبك ونطقك ونظرك وسمعك وفي جميع حركاتك ، ولا توسع في ثوب ولا في مسكن ، ولا في مأكل ، فإن الحلال قليل لا يحتمل السرف ، واعلم أن النفوس إذا زرع الإنسان الشهوة بها عسير قلعها بعد ذلك ، ليس سعة هذا كله لا بد منه وما لا بد منه قلّة الطعام ، فإن الجوع يورث النشاط في الطاعة ويذهب الكسل وعليك بتعمير الأوقات في الليل والنهار .

فأما الساعات التي دعاك الشرع إليها إلى الوقوف بين يدي ربك وهي الخمسة أوقات الواجبة عليك ، وبقي ما بينهما من الأوقات ، فان كنت صاحب حرفة فاجتهد أن تعمل فيها أياماً مثل البتي بن هارون الرشيد (رحمة الله تعالى عليه)، ولا تفارق مصلاك بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ومن بعد صلاة العصر إلى غروبها بذكر وخشوع

---

(١) تثقل .

وخضوع ، ولا يفوتك الوقوف مصلياً من الظهر إلى العصر ، ومن المغرب إلى العشاء الأخيرة بعشرين ركعة ، وحافظ على أربع ركعات أول النهار وقبل الظهر وقبل العصر ، واجعل وترك ثلاثة عشر ركعة ولا تنم إلاّ عن غلبة ، ولا تأكل إلاّ عن فاقة ، ولا تلبس إلاّ عن وقاية من حر أو برد بنية ستر العورة ودفع الأذى القاطع عن عبادة ربك وإن كنت ممن يعرف يكتب فاجعل على نفسك ورداً من القرآن في المصحف تمسكه في حجرك[1] وتلقي يدك اليسرى تحت المصحف وتمشي بيدك اليمنى على حروفه وأنت تنظر وترفع صوتك بحيث تسمع نفسك وترتل القرآن ، وتسأل في السورة التي توجب السؤال فيها ، وتعتبر في الآية الاعتبار ، وتعامل في كل آية بما يليق بها وما تدل عليه من تلك الصفات ، فانظر ما عندك منها ، وما فقدت من ذلك فاشكره على ما عندك وما فاتك حصله ، وإذا قرأت وصف المنافقين والكافرين فانظر هل فيك من تلك الصفات شيء أم لا .

ومما لا بد منه محاسبتك نفسك ، ومراعاة خواطرك في الأوقات ، ثم اشعر الحياء من قلبك من الله تعالى ، فإنك إذا استحيت من الله منعت قلبك أن يخطر فيه خاطر يذمه الشرع أو تتحرك بحركة لا يرتضيها الحق ، ولقد كان لنا شيخ يقيد حركاته في صحيفة ثم إذا جنه الليل وضعها بين يديه ، ثم حاسب نفسه على ما فيها وزدت على شيخي بتقييدي خواطري .

ومما لا بد منه مراعاة الخواطر والأوقات بأن تنظر في الوقت الذي أنت فيه وتنظر فيما قال لك الشرع أن تعمل فتعمل ، فإن كنت في وقت فرض فأده أو ندب فبادر إليه ، وإن كنت في وقت مباح فاشغل نفسك بما ندبك الحق إليه من الخير على أنواعه ، وإذا شرعت في مشروع يعطي قربة لا تحدث نفسك أن تعيش بعده إلى عمل

---

(١) إذا المراد (الأوده) فتكون حجرتك .

آخر ، فاجعل ذلك آخر عمل من الدنيا الذي تلقي به ربك ، فإذا فعلت هذا خلصت ومع الخلاص يكون القبول .

ومما لا بد منه الجلوس على طهارة دائماً ، ومتى أحدثت توضأت ، ومتى توضأت صلّي ركعتين ، إلاّ أن يكون وقت كراهة نهيت عن إيقاع الصلاة فيه ، وهي ثلاثة أوقات عند طلوع الشمس إلى وقت استوائها إلاّ يوم الجمعة وبعد العصر إلى غروبها .

ومما لا بد منه البحث عن مكارم الأخلاق وإتيانها تعين منها خلقاً كذلك سوء الأخلاق اجتنبها كلها ، واعلم أن من ترك خلقاً كريماً فإنه ذوا خلق ذميم يعني تركه ، واعلم أن الأخلاق على أصناف كما هم الخلق على أقسام فينبغي أن تعرف أيّ خلق تستعمله والذي يعم أكثر الأصناف إيصال الراحة إليهم ودفع الأذى عنهم ، لكن في رضاء الله تعالى .

واعلم أن الخلق عبيد مسخرون مجبورون في حركاتهم ونواصيهم بيد محركهم ، والنبي (ص) قد أراحنا في هذا المقام قال : «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فكل موضع قال لك الشرع فيه إن شئت أن تتصرف ، وإن شئت تركت ، إختر الترك أو قال لك إن شئت جازيت ، وإن شئت عفوت ، فاجنح إلى العفو والصفح وأجرك على الله تعالى ، وإيّاك أن تقتص لنفسك ممن أساء إليك فإن الله عزّ وجلّ سماها سيئة بالجملة ، وإن كانت مما يسوء المقتص منه وكل موضع قال لك الشرع أغضب فإن لم تغضب فما هو خلق حميد لأن الغضب لله تعالى من مكارم الأخلاق مع الله تعالى ، وطوبى لمن عامله وصحبه فسمع الله تعالى يقول : ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ .

ومما لا بد منه مجانبة الأضداد ومن ليس من جنسك من غير أن تعتقد فيهم السوء أو يخطر ذلك في خاطر ولكن نية صحبة الحق تعالى وأهله ، وإيثاره عليهم كذلك فعامل هذه الحيوانات بالشفقة عليهم

والرحمة بهم لأنهم ممن سخرهم الله سبحانه لك فلا تحملهم فوق طاقتهم ولا تركب ما تركب منها بطراً وباشر كذلك ملك اليمن من الرقيق لأنهم إخوانك قد ملكك الله نواصيهم ليرى كيف تتصرف فيهم ، فأنت عبداً له سبحانه وتعالى فما تحب أن يفعله معك كذلك بعينه افعل مع غلمانك وجواريك فإن الله تعالى يجازيك ، وما تحب أن يصرفه عنك من القبيح والسوء ذلك بعينه افعله معهم فالكل عيال الله تعالى وأنت من جملة العيال فإن كان لك ولد فعلّمه القرآن ، لا لغرض من أغراض الدنيا وإلزمه محافظة آداب الشريعة والأخلاق الدينية واحمله على الرفق والزهد من صغره كي يعتادها ولا تزرع الشهوات في قلبه وبغض إليه زينة الحياة الدنيا ، وما يؤول إليها صاحبها من نقص الحظ في الآخرة وما يؤول إليه تاركها من جزيل العطا في الآخرة ، ولا تعمل ذلك شحاً على درهمك ومالك .

ومما لا بد منه أن لا تقترب من أبواب السلطان ، ولا تصاحب المتنافسين في الدنيا فإنهم يأخذون بقلبك عن الله تعالى فإن اضطرك أمر إلى صحبتهم فعاملهم بالنصيحة ولا تغشهم فإنك تعامل الحق سبحانه وتعالى ، ومهما فعلت سُخروا لك في عموم أحوالك فتوجه إلى الله تعالى في تخليصك مما أنت فيه بما هو أحسن لك في دينك ومما لا بد منه الحضور مع الله تعالى في جميع حركاتك وسكناتك ، وأوصيك بالإنفاق في السراء والضراء والشدة والرخاء ، فإن ذلك دليل على ثقة القلب بما عند الله تعالى فإن البخيل جبان يأتيه الشيطان فيمد أمله ، ويطيل عمره ويقول له : إن أنفقت مالك هلكت وبقيت مثلة بين أقرانك وأصحابك بلا شيء فأمسك عليك ، واستعد إلى نوائب الزمان ولا تغتر بهذا الرخاء الذي أنت فيه فما تدري ما يحدث الله في العام القابل ، وإن كانت أوقات شدة وضراء فيقول لك أمسك عليك أحداً شيئاً ، فإنك لا تدري متى تنقضي هذه الشدة ولعل هذا الأمر لا يزداد إلّا صعوبة واحفظ على نفسك فما أحد ينفعك إذا لم يبق معك

شيء ، وتتأخر وتثقل على الخلق وتذهب ماء وجهك فإذا استمرت هذه الوسوسة على قلب هذا المسكين أدّته إلى الشح والبخل وحالت بينه وبين قوله تعالى : ﴿ومن يبخل فإنما يبخل على نفسه﴾ .

وعندنا في هذا الطريق إذا إلتحق رجل بأهل الله تعالى ثم بخل فإنه يستبدل مكانه وينزل عن ذلك المقام من قوله تعالى : ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ وحال بينه وبين قوله تعالى : ﴿ربنا أطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم﴾ فضيعوا فقراءهم فماتوا جوعاً ، وحالت بينه وبين حال النبي (ص) : «أنفق يا بلال ولا تخشى من ذي العرش إقلالاً» وبينه وبين قوله : «إن لله ملكين في كل يوم ينادي عند الصباح : اللّهم أعطي كل منفق خلفاً ، واعط كل ممسك تلفاً» وحالت بينه وبين حال النبي (ص) حين أعطى الكنزين فأختار تركهما على إحداهما وبين حال أبي بكر الصديق(رضي الله تعالى عنه) حين جاء إلى النبي (ص) بجمع ماله ، فقال له النبي (ص) : «ما أبقيت لأهلك يا أبي بكر ، قال الله ورسوله» .

وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله فقال : ما أبقيت لأهلك ، قال النصف وتصدقت بالنصف ، قال ما بينكما كما بين كلمتكما» فالإنفاق سبب لاستجلاب الرزق من الرزاق في الدنيا والآخرة .

فكل من أمسك فهو لله تعالى متهم وعلى درهمه معتمد وكانت ثقته بدرهمه أعظم من ثقته بربه ، وهذا طعن بإيمانه ، ونسأل الله تعالى العافية وعليك بالإنفاق في الشدة ، ولا تخف الفقر فليس الرجل إلّا كما قال رسول الله (ص) من قال بماله هكذا وهكذا يميناً وشمالاً والله تعالى موفٍ لك ما وعدك شئت أم أبيت أشاء العالم أم أبى ، فما هلك سخي قط ، ولولا قصدي الاختصار لسقنا من الأخبار ما يتئد به ما ذكرنا .

فصل : وعليك بكظم الغيظ فإنه دليل على سعة الصدر ، فإنك

إذا كظمت غيظك أرضيت الرحمن وأسخطت ، الشيطان وقمعت نفسك وردعتها حيث لم تنتصر لها ، وأدخلت السرور على قلب من كظمت غيظك عنه ولم تجازه بفعله ، وكان ذلك سبباً في رجوعه إلى الحق وإنصافه وإقراره بالجفا عليك والتعدي ، وربما كان ندم على ما وقع منه .

فعليك بمواقع القبول فتخلق بذلك ، ثم الفائدة الكبرى والفضيلة العظمى أنك إذا كظمت عن من فعل ذلك الغضب (جازاك الله تعالىٰ) على فعلك فأي فائدة أتم من عفوك عن أخيك وتحمل أذاه ، وكظم غيظك ، وما أراد الحق أن تفعله مع عبد فقد أراد أن يفعله معك بعينه ، فاجتهد في هذه الصفات فإنها تورث المودة في قلوب الناس فإن النبي (ص) قد أمرنا بالتودد والتحابب ، وهذا من أعلى أسباب تؤدي إلى المحبة .

فصل : وعليك بالإحسان فهو دليل على الحياء له تعالى وعلى تعظيم الله تعالى في قلب المحسن .

قال جبريل ما الإحسان ، قال النبي (ص) : «أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال (ع) : «إن الحياء من الإيمان ، والحياء خير كله» فمن المحال أن يكون عند المؤمن شر انتهى .

فصل : وعليك بلزوم الذكر والإستغفار إن كان عقيب ذنب محاد وأزاله ، وإن كان عقيب طاعة وإحسان فنور على نور ، وسرور على سرور ، فإن الذكر أجمع للهم وأصفى للخاطر ، فإن سئمت فانتقل إلى تلاوة كتاب الله مرتلاً بتدبر وتفكر وتعظيم وتنزيه وسؤال عند آية السؤال وخوف وتضرع عند آية خوف ووعيد واعتبار . فإن القرآن لا يسأم قارئه لاختلاف المعاني فيه .

فصل : وعليك بحل عَقد الإصرار من قلبك ، ولا تطيق ذلك إلاّ أن تقول لنفسك في النفس الخارج ، هل تدرين يا نفس أن النفس

الآخر يأتيك أم لا فلعل والله تعالى أعلم ، ربما تموتين في هذا النفس فإنه آخر أنفاسك في الدنيا ، وأنت مصرة على السوء عند الله تعالى للمصرين على الذنوب من العذاب ما لا تطيقه الجبال الشوامخ كيف بضعيفة مثلك ، فتوبي إلى الله تعالى فإنك لا تدرين متى يفاجأك الموت فإن الله تعالى يقول : ﴿**وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن**﴾ .

وقال سيد الخلق رسول الله (ص) : «إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ، وكم من شخص فجأه الموت وهو يأكل ويشرب وينكح وهو نائم ، تخرج روحه فلا يستيقظ ، وعظ نفسك بمثل هذا ، فإنه متى كان منك مثل هذا وكثر انحلت عقد الإصرار» .

فصل : وعليك بتقوى الله في السر والعلانية ، ومعنى التقوى وهو الحذر من عقابه فإنه من خاف من عقابه بادر إلى الفعل الذي يرضي الله تعالى والله تعالى يقول : ﴿**ويحذركم الله نفسه**﴾ وقال : ﴿**واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه**﴾ فالتقوى مشتق من الوقاية ، فاتق الله من فعل الله كما قال أعوذ بك منك فكل شيء تخافه وتخشاه ، فاجتنب الطريق الموصلة إليه فإن المعصية طريق موصلة إلى الشقاوة ، والطاعة طريق موصلة إلى السعادة .

فصل : وإيّاك والاغترار فهو أن تخدعك نفسك لكرم الله تعالى وحلمه مع استمرارك على معصيته ، ويخدعك إبليس (لعنة الله عليه) بأن يقول لك لولا ذنبك ومخالفتك من أين يظهر كرمه ورحمته وعفوه ومغفرته ، وهذا غاية الجهل من قائله فإن كرمه ورحمته استعين على طاعته ، وحال بيني وبين معصيته ومخالفته ، ويقول لك : ﴿**ما على المحسنين من سبيل**﴾ فإن الرحمة سبقت لهم من الله تعالى في الدنيا والآخرة ، فلا يغرك هذا الكلام ، فقل له أما كرمه ورحمته وما ذكرت منه كان صحيح أنه لولا المخالفة والذنوب لما ظهرت آثار هذه الصفات

على زعمك ، والآثار والأخبار فيها صحيحة ، لكن يا ملعون تريد أن تغرني بكرم الله تعالى ومن أين أعلم أني ممن عفى عنه أو يغفر له نعم يلحق كرمه ورحمته ومغفرته وعفوه بمن شاء من عباده ، كما يلحق عقوبته ونقمته بمن شاء من عصاته ، وأنا لا أدري من أي الفريقين أنا عند فعلي هذا ، ولعل الله تعالى كما حرمني التوبة من المعصية هنا يحرمني عفوه قبل دخولي النار ، فينتقم مني ، ألا وإن الذنب يزيد الكفر فلو علمت قطعاً أني ممن يعفى عنه قطعاً ، ولا يؤخذ بذنب ربما اغتررت بكلامك ، وذلك حُمق مني وجهل ، بل كان الواجب أن أبذل جهدي في طاعة الله شكراً لله تعالى وحياء منه ، فإنه أولى من أن أستحي منه كيف وما بشرني على التعيين ، ولا أمنني بل تركني مهملاً في معصيتي بين عفوه وعذابه كيف أغتر بزورك وبزور نفسي الأمارة بالسوء .

فصل : وعليك بالورع وهو إجتناب جاءك في صدرك قال النبي (ص) : «دَعْ ما يريبك إلى ما لا يريبك» ولو لم تجد غيره وأنت محتاج إليه واتركه لله يعوضك الله خيراً منه ، ولا تستعجل فالورع أساس الدين ، فإذا استعملته زَكَتْ أفعالك ، ونجحت أحوالك ، وكملت أقوالك ، وسارعت إليك الكرامات ، وكنت محفوظاً في جميع أمورك حفظاً إلهياً لا شك فيه الله الله يا أخي الورع الورع .

فصل : وعليك بالزهد في الدنيا وقلّة الرغبة فيها ، بل إعدمها من قلبك جملة واحدة ، وإن كنت لا بد لها طالباً فاقتصر على طلب القوت منها من وجهه فلا تنافس أبناءها فإنها عَرض لا يبقى ولا ينال الراغب منها مراده أبداً والله تعالى لا يعطيه إلاَّ ما قسم له ، والراغب فيها لا يزال كثير الحزن عليها ممقوتاً عند الله تعالى فإن مثل الطالب لها كمثل شارب ماء البحر كلما ازداد شرباً عطشاً وحسبك من تشبه النبي (ص) بالجيفة والمزبلة ، وهل يجتمع على الجيفة والمزبلة إلاَّ الكلاب .

قـال الله تعـالى : يـا ابن آدم إن رضيتَ بمـا قسمتُ لــك أرحت قلبك وبدنك ، وجاءك رزقـك وأنت محمود ، وإن لم تـرض بما قسمت لـك ، أتعبت قلبك وبـدنـك حتى تـركض وراءهـا ركضُ الـوحـوش في البريةَ ثم وعزتي وجلالي لا ينالك منها إلاّ ما قدرت لك وأنت مذموم .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

قـال الله تعالى : ﴿وأنفقـوا في سبيل الله تعـالى ولا تلقوا بـأيديكم إلى التهلكـة﴾ وهي رجوعهم إلى أمـوالهم بـالنـظر فيهـا﴿واحسنوا إن الله يحب المسحنين﴾ .

والحمد لله رب العالمين .

تمت بحمد الله وحسن عونه

كتـاب
نفائس العرفان

للشيـخ الأكبـر سيـدي محي الـدين بن العـربي الحـاتمي الـطائي الأندلسي(رضي الله عنه) .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

وبه نستعين

هـذا كتاب من الله سبق من قبـل أن فتق ورتقَ ضمَّنـه عـهداً على من صدقه وصـدق وميثاقـاً على من حقق وتحققَ : **﴿يا أيهـا الذين آمنـوا أوفـوا بالعقـود ولا تنقضوا الإيمـان بعد تـوكيدهـا وقد جعلتم الله عليكم كفيـلاً وبعهد الله أوفـوا﴾** واعلموا أن لكـل أجل كتـاب يا أُولـي الألبـاب ولكل سؤال جواب ، ولكل عمل حساب .

وبعد : فيا جامع الأحباب ويا خـلاصة جـوهر الخـطاب المفيد من فوائده لب الفؤاد في عين الصواب من فضل فيض حضرة العزيز الوهاب ، ويا مخبر خبر كل خبر عين خبره في عين خبـره بالعجب العجـاب ، هذه حضرة حضيرة حضائر قدسك الجامع ونور أنوار آلائك الجائـل اللامـع ، ومطلع مطالع طلعة إطلاع بيانـك الطالـع وعبد عبـودية عبـودة موضـوعك التواضع ، وبصـر تبصرات بصيـرة بصرك الخـاشع ، وسمـع مسموعـات استماع سمعك السامع الذي أخترنـاه لك قبـل سبق السوابق ، وألحقنـاه بك قبل لحق اللواحق ، قد أتيناه بـك ومحقنا عنـك آثار البقيـة ، ونزعنـا من صدرك عن الغلول ، وبشرنا به بمبـاشر أرواح الجبـروت ومحونـا عنه أحكـام البشريـة ، ورفعنـاه إذ رفعنـا عنـه بتخليق أخـلاق الحق حجـاب الأخلاق الخليقة ، وجعلناه موضـوعاً لمحمـولك ، ولـوحاً حـافظاً لأقـلام

مقولك ، وكرسياً واسعاً إلى مفترقات مجموعك .

وقد جربنا قدرتك في أملاك أفلاكه الدائرة ، واطلعنا في آفاق سمواته مصابيح كواكب أنوار الظاهرة ، وبسطنا بساط بسيطة قرة لأعينك الناظرة ، فهو أحقُّ إليك من بنانك ، نفي حلالة مرآة قلبه انجلا تجلي جمالك وجلالك وعلى أعلا معالي همم اهتمامه بإلهامك هذا بصرك الناظر ، وإنسان عين وجودك الحاضر ، وقال العالم يستدل على إثبات وجود غيره ، والعارف يكشف عن شهود شاهد عينه .

وقال : الحائر من تعلق علمه بما يغاير موصوفه ، والعالم من تعرف إليه بمعروفه والمتحقق من كان معروفه عين عارفه ، وقال : أكرم الكرماء من أثابك على تقربه بما لا يقدر عليه غيره فيتقرب إليك بنفسه . سبيل السلامة وصراط الاستقامة القيام في كل حال بالله والسماع في كل نطق من الله ، والأخذ في كل نطق من الله ، والأخذ في كل عطاء بيد الله ، وقال من تحقق بوحدانية الله تعالى حفظ أوساد باسمه الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، ومن استعاذ بالله حق إستعاذنه قلب له عين الشيطان الرجيم باكسيرته بسم الله الرحمن الرحيم . قال : وإذا بدأ كل الموجود بأسره قدس الكليم وحضره ، وقال : المتكلم العارف من استبدل بمعرفة نفسه على معرفة الله تعالى ، ثم استدل بالله سبحانه وتعالى على معرفة نفسه ، وبمعرفة نفسه على معرفة كل شيء : ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ وقال : العالم يتحقق بالحق من وجه الخلق والعارف يتحقق بالخلق من وجه الحق وقال من ليس له استناد ليس له مولى ، ومن ليس له مولى فالشيطان أولى به ، وقال أسهل الطرق إلى الله تعالى أن ترد العلم في كل شيء إلى الله وتسمع في كل خير من الله ، ومن رضي بالله تعالى رضيه الله تعالى ، قال : صاحبك من استصحبك أحواله ، وشيخك من نفعتك أقواله وأفعاله ، وخليلك من خاللتك خلاله ، وحبيبك من استهلتك ذاته

وقال ربك من سرت فيك حقيقته وتجلت بك صورته وانجلت لك صنعته ، وقال إذا صحت العبودية بصدق المحبة أفادت العبد صورة معبوده ، وقال : خالقك من خلقك بأخلاقه ، وربك من استوى عليك بصفات أفعاله ، وإلهك من بطن فيك بصفات ذاته ، ورحمانك من وسمك بسمات أسمائه ، وأحدك هو الذي لا يفارقك مع عدم المغايرة وقال : العبد مرآة معبوده ، والشاهد حضرة مشهوده ، والواحد من قام وجود موجوده بعين وجوده .

وقال : الجاهل من جهل نفسه ، والفاقد من غاب عن مشاهدة شيء من معلوماته ، وقال : كل مشتاق مؤمن وكل مشاهد محسن . الأول علم علم اليقين ، والثاني عين اليقين ، وحق اليقين ليس معه شوق ولا شهود وإنما هو تحقيق الوجود بالوجود ، وقال من سمع شاهد غائب عن غائب فهو متوهم ، ومن أبصر عيناً استدل بها على غيب فهو محجوب ، ومن سمع ورد فهو عارف متمكن ، وقال دليلك من ذلك بك عليك والمريد من تحقق بمراده في عين أستاذه .

وقال : السالك من الله بالله لله ، وقال من تصور مطلوبه في الخارج توهم حصوله عنده ، ومن تحقق من داخل إستراح من عناء السفر فإن الحاصل لا ينبغي ، وقال : الوهم هو معرفة الشيء على غير ما هو عليه ، وقال : المعبود من توهم أن أستاذه مخبر عن غيره متكلماً بسواه .

وقال : من لم يجد شيخه لم يجد قلبه ، ومن لم يجد قلبه فقد ربه . وقال : المتكلم من تكلم بلسان قلبه ، والناطق من نطق بلسان مريده بعد تجريده .

وقال : المريد الصادق بسره ناطق بربه الأستاذ عن عالم الجسم فيخبر الصادق عما شاهده من الحقائق ، وقال : المريد الصادق عرش الاستوى رحمان أستاذه .

وقال : شيخك من فرغك منك وملاك منه ، وقال : أستاذك من أفرغ من أكسيرته على نحاس عواملك : ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾ وقال : قلب العبد المريد بيت أستاذه وجسمه قبره الذي يدفن فيه ، وقال : لولا حجاب الجسم لظهر مكنون الغيب ، وقال : الجسم حجاب من لا بصيرة له لأن الأجسام تجب بالأجسام والبصيرة روحانية لا تحجب بكثافة الجسم ، وقال لم يبق بين بقاء بشرية العارف وبين تروحن الأرواح الإلهية وبين فنائها بالكلية في الله تعالى إلاَّ حجاب الوقت ، وقال : العالم يحجبه كل شيء عن الله والعارف من عرف الله سبحانه وتعالى في كل شيء وبكل شيء ، فلا يحجبه شيء .

وقال سيدي من بعض مناجاته : إلهي أنت القائم بذاتك المتجلي بصفاتك الظاهر بأفعالك ، الباطن بما لا يعلمه إلاَّ أنت إلى آخر الورد وهو ورد الشيخ (قدس الله سره العزيز) .

وقال أيضاً : الأعراف سور بين الجنة والنار ، لا من هذه لأنها مؤوين الخلق والأعراف مظاهر تجليات الملك الحق ، وقال : البقاء المطلق نتيجة الفناء المحقق ، وحقيقة الفناء عدم الوجود ، ورفع حكم الغير وسلب قوة التمييز ، وقال الوحدة لا تقبل الكثرة والكثرة وجوه تجليات الواحد الذي لا يحكم عليه العدد ، ولا يفتقر في قبول تجلياته إلى الغير ، وقال : الصلاة من العبد شرط الحضور ، والمراقبة تفيد صورة روحانية نورانية لرقية البشرية عن عالم الفرق إلى عالم حضرة الجمع فإذا حضرت ذلك الحضور وتلاشت في ذلك النور خلع عليه خلعة ربانية رحمانية فردانية ذاتية ، وهي صلاة الله على عبده المخصوص فإذا أنذر بجمالها وتقلد بجلالها وتوجه بتاج كمالها وبرز في ملكوت القدس الأقدس كرامة لهذا النور الأنفس أعلن لسان الذكر الحكيم بالكلام القديم ، ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ .

فإذا كان يوم انكشاف الساق وظهور يوم التلاق واندرجت الصلاة في الصلاة واضمحلت الصفات في الصفات وتجلت حقائق أم القرآن تلى لسان الأحدية : ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض﴾ وقال : أيام الله مظاهر شموس تجليات الربانية ومشارق أنوار معارفه الإلهية ، فإن اليوم عبارة عن طلوع الشمس إلى غروبها والمراد به النور بدلاً من ظلمة الليل ، فيه تبصر الأبصار وتهدي إلى المنافع وما يكون من المصالح وبنو آدم هم مظاهر العقول النورانية والإدراكات العرفانية بها يهتدي الأفكار إلى حضرة الوقائر الإلهي وتبصر البصائر تجلي جمال البهاء الرباني .

ولما كانت الأيام سبع ، ضرب مثلاً من السبع المثاني هم مظاهر تجليات صفات الذات وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام ، ثم القرآن العظيم وهو تجلي اسم الذات مسمى له الأسماء ، وموصوف الصفات ، ثم نزلت الثمانية الحملة العرشية وأبديت فتنزلت إلى السبع الأمرية السموية وأوحى في كل سماء أمرها ، ثم أنبثت فتنزلت في آدم : ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾ وإليه تنتهي الزيادة في حضائر القدس الناطق القدسية وهو المرئي بالأنظار في المشاهد المرضية والحجب الأقدسية وإنما يتجلى لكل أمة في إمامها ، ولكل فرقة في غلامها ، وهم السبعون الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب الذين وجوههم كالبدور والأقمار ، وكشموس النهار وكما قال لهم حين سألوه هل تضامون في رؤية القمر ليلة التم أتضامون في رؤية وقت الظهيرة قالوا لا يا رسول الله قال هكذا ترونه : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ وهم السبعون ألف لوجه انتظامهم في السبع نهاية الأقدام الإيماني .

ومع كل واحد من السبعين عشرة آلاف ، وهي نهاية العدد وهم

من انتظم معهم في القرآن الكريم ، وهذا اليوم هو اليوم المقدر بخمسين ألف سنة ، والمتجلي فيه برؤيته العظيمة ، ويقام الحكم بتخصيص الكلمة ذو المعارج في بسم الله الرّحمن الرّحيم قد جللناه بجلال جمال كمال الجلالة وأقمناه في مقام القيومية ، فاستقام على صراط الاستقامة استوى على سواء سبيل التعديل والعدالة كتب في توقيع ولايته بعد بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ فمنه القطب والإمام والغوث والفرد والخليفة والمحقق ، ومن دونهم يعدون جملة أعدادهم ويمدون بسرائر إمدادهم فيادجة الهو والجلالة وبالألأ الأملاك الإله : ﴿**خذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها**﴾ والله ولي التوفيق .

وقال وقد شكى إليه الخوف الوهمي فقال : أتخاف والله تعالى معك قلت : مالي عادة بالنوم على قارعة الطريق فقال لي نعم ثم واحمد الله الذي حملك على ظهر اللطف وأدخلك على سعة الرحمة ، وأجلسك على بساط الأنس وقال : لم تزل هي تظهر دوراً بعد دور ، وكوراً بعد كور فيمن يعلم ولا يعلم ، وفيمن ينطق ومن لا يتكلم كما جرت السنة من تقاسيم النور من إبراهيم الخليل إلى إسحاق وإسماعيل ، ثم تفرغت في الإسرائيلية إلى النبوية والولاية الخضرية وبقية السريرة الإسماعيلية تظهر في البهم وتندرج في الأعماق الحمق العمي حتى أطلع الله تعالى بشمسها من مطلعها وجلي طلعتها عن خمارها وبرقعها والله ولي التوفيق والتحقيق .

وقال كل من يصدق عليه الوجود يصدق عليه العدم وليس النظام القديم يمنخرم ، ومن علم ما جهل جهل ما علم ومدد الواحد من جميع جهاته ولا ينحصر ولا ينحسم لسانه القادر ناطق بجوامع الكلم الأول بسوابقه الأخر بلواحقه ، الظاهر بجلاله الباطن بجماله .

وقال : الكلام بوحدته لا يُقال عنها بلسان الكثرة الموصوفة وذاته

لا يُشار إليها بعبارة العلوم المحيطة فهي لا مجهولة ولا معروفة ومراتب تجليات لا تنكر ، مع أنها في كثرة لا تتناهي وقيومية حياته لا تجهل مع أنه لا يعرفها سواه خطت مستقيم لا يميل ولا ينحرف ومدة مداد نقطتها لا تتغير ولا تختلف ودورات أدواره تسير ولا تقف ، وتستمر ولا تنعرف ، فسبحان من لا تدركه الأبصار مع أنه مرئي بها في الدار الآخرة كرؤيته ضياء الشمس النهار وكل شيء عنده بمقدار .

وقال : إذا رأيت الواحد من جميع جهاته جاءك بصورة غيرك فاستر أحديتك بمرتبة من مراتب الفرق وإياك أن يراك بعين من عيون سواه ، واحذر فإن فيه عيون محرقة فإن ذلك لواقع ما له من دافع ، وقال إذا رأيت الله سبحانه وتعالى ورأيت معه غيره فاستره عنه بحجاب الغيرة وإيّاك ورؤية البريا ، فإنه الناظر إليك في كل صورة وعين والمطلع عليك من كل وجه ، وإنما الخوف من الحق إذا أتى بالفرق في الخلق .

وقال الكائن في العما ما خرج عنه إلاّ في حق البصير ، والكائن في عما الخلق هو الحق والبصير بنور الله تعالى هو الذي عرف الله بالله فهو في حقه بالصمدانية التي لا ظهر لها ولا بطن ولا قرب ولا بعد ، فأعوذ بالله من ظلمات وعماوة الأغمر ، وقال خف الله تعالى إذا أبصرته فوق حجاب العز في بساط الحكم وجرد سيوف الإبعاد من قراب الحق وبرز عرش العظمة فإن شئت السلامة فتدرع بدروع الطاعة والموافقة ، وانظر إلى الواحد بعين المعرفة ، لا يحل في شيء سواه فإن الأشياء موجودة معه في المجاز معدومة بالحقيقة ، وقال كتب الله على نفسه أن لا يدخل قلباً فيه سواه ولا يظهر لعين رأت غيره في مرآة ، وقال من نسي الله نسيه الله ونسيان الله لعبده هو أن يتجلى لعبده أبداً من وجه الغير في حجاب الغابر ونسيان العبد لربه هو عما بصيرته عن رؤية عين من عيون الله .

وقال : معصيته القلب رؤية الغير مطلقاً لأنه هو الكنز الخفي ومعصيته العقل معارضة الحق بالحجج الداحضة ، ومعصيته النفس خرق حجاب الحكمة .

وقال : إذا جاءك الواحد في صورة المتعلم وقال لك عرفني من أنت فدله عليه من الوجد الذي جاءك به وعنه فإن أقرك على ذلك وقرّ لك به فدله عليك من الوجه الذي أنت به عنده به ، فإن ثبت بذلك فاستعن به علمه وقل أنت المعروف الذي لا يجهله سواه فتكون أنت المتعرف لك بك حتى يكون ذلك سبباً لسلب عارضه البقية عن حضرة بقاء وحدانيتك .

وقال الأحد الفرد أنا الأول بالرحمن والآخر بالإنسان الظاهر بالخلق الباطن بالحق ، فمن عرفني كذلك حشرت أخباره في أولى وأعدت ظاهره في باطني حتى يصير أزلياً لا آخر لأوله وصمدانياً لا ظاهر لباطنه ، وقال : النفوس محجوبة بعالم الأجسام وتدبير المخيلات والأوهام والعقول هي الأرواح المتوجة إلى المعارف الإلهية المصطلمة بأنوار التجليات الربانية ، وهي القلوب الرحمانية المؤثرة بالتخصيص لا بالتنصيص بتاء مثنات من فوق ونون وص مهملة وياء مثنا تحت لأنها لا يخلصها الكتب ، ولا يعدها النظر الصحيح .

وقال : لا يرى وجه الحق من قيدته الجهة ولا يفارق الجهة إلاَّ من تغذ من أقطار السموات والأرض ، ولا ينفذ من حكمت عليه بقية جثمانية لأن جسم الإنسان هو سجنه وسنته فإذا فارقه فارق السجن والسنة ، قال : جسم وجثماني في حصر الجهة والمسافة وكل روح وروحاني في إطلاق الجهة والتجريد والمفارقة ، وكل إلهي ورباني في وسع عظمته[1] ووحدانيته ، ليس كمثله شيء .

---

(١) وتنزيه .

وقال الأجسام جواهر مؤتلفة متغايرة لا شيء أجل منها تتركب في الكل بالكل والتحليل بعقدها والمتعلق من الجواهر المفارقة قاصر على أحكامها مقيد من وجه تدبيرها وإن انحصرت أنواعه في أشخاصه فإن فارقها بالعرفان الإلهي والتخلق الرباني فارق الكون والإمكان ووجبت له شروط المملكة وقدر على إخراج ما في قوته للفعل ﴿والله بكل شيء عليم﴾ ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ .

وقال : المرتبة[1] بريئة من الأجسام وأحكام الأجسام ونتائج الأجسام لأنها متغيرة لا تقتضي الدوام ، وكل متغير حادث فمن فارق الأجسام فارق الحدوث ومن فارق الحدوث استحق نقيضه ، ومن استولت على فطرته النفوس المحجوبة بالأجسام أوهنت قوى استعدادها عن قبول مفهوم هذا الكلام ، ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ .

وقال : ليس على الله حكم ولا خروج شيء عن حكمه ، فمن فني في الله إستحال وقوع الحكم عليه ، ومن كان بنفسه وجب وقوع الحكم عليه ، فالأحرار في الله تعالى متفاوتون كل حرية بحسب ما فني فيه وبقي من نفسه وقال الولاية لها ظاهر وباطن ، ظاهرها توفيق العبد لأن يتولى الله تعالى بامتثالك أمره ونهيه واتباع مرضاته والنبوة فوق ذلك بما خصص الله تعالى به الأنبياء والرسالة أعلى من ذلك كله وقال الإنسان هو بيت الله تعالى المعمور بذكر وبأرواح حضائر قدسه وضع أساسه على سوابق أزليته ورفع قواعده على دعائم لواحق أبديته وشيد بنيانه في حضائر جبروتيه ، ووضع فيه من الألاهوتيه وأودع فيه من خصائص ملكوته ، وجمع فيه مفترقات المخترعات الموضوعات وحقائق الأسماء والصفات جعله نسخة أحاطته تأثير قدرته ، ولذلك خلق آدم على صورته فإن غمره بأنوار تجلياته وأسرار أسمائه وصفاته

---

(١) الإلهية .

سجد له الساجدون وسبح له المسبحون ، والسر في السكان لا في المنزل وإن خلا من أنوار تجليات الحق تحكمت فيه أنواع أجناس الخلق وكل يطلبه أن يكون فيه ديار أو يكون دار قرار وتمكن استقر ، ومن عز حكم ومن غلب ألقي إليه السلم :

﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء﴾ فمتى استدرجه الرحمن عن الإنسان صار عبد الأكوان : **﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾** .

وقال : أوجد الله تعالى قلب الإنسان بالتوحيد والجمع وأوجد الإدراك البشري للفرق والتمييز ، فإذا استولى الإدراك البشري على القلب فرقه عن مقام جمعه ونقله الله تعالى إلى مقام الحس بعد الموت وغمره في بحر الفرق ووحشته ، وإن غلب حكم القلب على الإدراك البشري رقاه الله تعالى إليه بعد الموت وجمعه في حضرة : **﴿ما ودعك ربك وما قلي * وللآخرة خير لك من الأولى﴾** ومن جعل الهموم هما واحداً جمع الله تعالى همه وجعل غناه في قلبه ، ومن تفرقت عليه الهموم لا يبالي الله تعالى بأي واد من أودية جهنم يلقيه ليهلك .

وقال أجلس مع الله تعالى على بساط التوحيد ، وتأدب بآداب العبيد ، وانظر إليه بعين التفريد ، وخاطبه بلسانه فإن أمرك بالرجوع لعالم الفرق وكلفك هداية الخلق فقل : **﴿ربي أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾** .

وقال القطب معلوم بالغيب مجهول بالعين ، معروف عند الحق بالحق ، مجهول ومنكر عند الخلق بالخلق يؤتي بكل صورة بحقها في صورة جمعها وفرقها ، حتى إذا جاءهم في غير الصورة التي يعرفونه فيها ويعبدون الله من وجهها ، قالوا نعوذ بالله منك وجهدوا على

نكرهم ، فإذا تحـول لهم في الصورة التي يعـرفونـه فيها آمنـوا به وأقـروا له .

وقـال القـطب اسم بـدل من اسم الله وهـو المهيمن على جميـع الأسمـاء كـذلـك القـطب اسم مهيمن على أسمـاء النـزول كمـا أن الله تعـالى ٩٩ اسم كذلـك القطب لـه ٩٩ اسـم كـل اسم يحتـوي على اسم من أسمـاء الله تعالى فهـو عين عينه وظـاهر بـاطنه ، ووجـه ذاتـه ومجلي تجلي أسمائه وصفاته ، فمن عـرفه عـرف حضرة الله تعـالى ، فمن ينكر عليه فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم .

وقـال : الإحـاطـات تنقسم إلى أربعـة أقسـام حقيقـة وحق ووهم وخيال فالعقول الإلهية في نظام سلك الحقيقة والأنفس الجبـروتية منـظمة في سلك الحق والعقول الملكوتية الخليقة منتظمة في سلك الخيال .

وقـال ينقسم الـعـالم إلـى قسـميـن : عـالم الأرواح ، وعـالـم الأجسـام ، ثم تنقسم إلى أربعـة فـروع : إلى أرواح نبـويـة ، وأرواح ملكية ، وأرواح جانية ، وأرواح آدمية .

فالعقل الأول أبـو الأرواح النبويـة كما أن آدم أبـو الأرواح البشريـة كذلك جبـريل أبـو الأرواح الملكية ، كمـا أن إبليس أبو الأرواح الجـانية وقـال : الخواطـر هي الأرواح المجردة عن الأجسـام ، وكـل خـاطـر لـه حكم وعلم ونعت ومقصـد ومنها الإلهيـات ، ومنها الـربـانيـات ، ومنهـا النبويات ومنهـا الملكيات ومنهـا الجانيـات ومنها الشيـطانيات ولكـل منها ورود مختلف قـد تـرد نفسـانيـة وقـد تـرد جنيـه ، ومن هـذا يـطلع على البرازخ الكونيـة والملكوتيـة والجبروتيـة : ﴿**والله يقول الحق وهـو يهدي السبيل**﴾ .

وقال الحضرات الإلهية ثلاثة : حضرة الأفعـال وهي شهود الأرواح الروحانيات النورانيـة بالحـروف الظلمـانية ، وحضـرة الذات وهي شهـود جمـع الجمع ورفـع حكم الغي في العطا والمنـع ، وحضرة الصفـات ،

وهي مجلي تجلي الهويته بالتأثيرات الأسمائية .

وقال : الأحدية نعت للذات الإلهية المطلعة وهي التي لا تقبل التنْويه مطلقاً بشيء من الوجود كان الله ولا شيء معه وهو الآن كما كان عليه كان ، والوحدانية أصل الكثرة والتجلي ومنشأ الوجود مطلقاً والفردانية هي تميز الواحد الأول الصمد هو الذي لا من شيء ولا في شيء ولا عن شيء ولا إلى شيء ولا على شيء .

﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يُولد * ولم يكن له كفواً أحد﴾ وقال : لكل من تحقق بدائرة من دوائر أسماء الله الحسنى كان قطباً في دوائر العلى ، وما تحقق بدائرة الاسم الجامع المحيط كان هو القطب الفرد الجامع للخصوص بالميزان الإلهي والوارث المحمدي ، والتجلي الرحماني ، والإستواء الرباني .

وقال : القطب هو المعجوز عنه بالإدراك البشري ، والفرد بالاطلاع في مراتب القطب على شهود من لا تدركه الأبصار ، والغوث هو قابل تنزلات الأفاضلة القطبانية ، والغوث الجامع بالأمداد الخلق والأمر من حضرة الحق والسر والخليفة بذل الغوث من مقام الفرق الإمام بدل الفرد من مقام الجمع ، والمحقق هو رابط الجميع في غير جمع الجمع : ﴿والله من ورائهم محيط * بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ﴾ .

وصلّى الله على سيدنا محمد ، سيّد الكائنات ، علوها وسفلها ، وعلى آله وصحبه ولكل المسلمين ، والحمد لله ربّ العالمين ، حمداً كثيراً مدراراً .

تمّ بحمد الله

(١٣)
إصطلاحات الصوفيــة

- جاء في كشف الظنــو ن .
- الإصطلاحات الصّوفيــة .

قال ناسخ الكتاب :

[هـذا كتاب «الإصـطلاح» للشيخ الإمـام العالـم العـلامة : سيـدي محي الـدين بن عـربي ، (تغمـده الله بـرحمتـه)، وأدخله فسيـح جنتـه آمين]ا . هـ .

جاء في كشف الظنون ج ١ ص ١١١ طبع دار سعادت ما نصه :

«إصـطلاحـات الصـوفيـة» للشيـخ كمـال الـدين أبي الغنـا ، ثم عبـد الـرزاق بن جمـال الـدين الكـاشي : المتـوفى سنـة ٧٣٠ ثـلاثين وسبعمـائـة هـ ، وهـو مـختـصـر رتب عـلى قسـميـن : الأول : في المصـطلحات على الحـروف المعجمة ، والثـاني في التفاريـع : أوله : «الحمد لله الذي نجـانا من مبـاحث العلوم الرسميـة» ا هـ ، صنفها بعـد شـرح «منازل السـائرين» ، و «الفصـوص» ، و «تأويـلات القرآن» لكـون هـذه على تلك الإصـطلاحـات ، وعليـه تعايقـة لشمس الـدين : حمـزة الفناري المتوفى سنة ٨٣٤ أربع وثلاثين وثمانمائة .

ولمـا كان القسـم الأول مشتمـلاً على إصطلاحـات غريبـة وحشو ، والثاني غير محرر عن تكـرار وتطويـل : لخصها حيـدر بن علي بن حيدر

[العلوي الآملي] المتوفي سنة .... ورتبه ترتيباً آخر ، وأول المختصر: «الحمد لله الذي خلق الخلق» ا هـ .

وللشيخ محي الدين : محمد بن علي ، المشهور بابن عربي المتوفى سنة ٦٣٨ ثمان وثلاثين وستمائة تصنيف مختصر في الإصطلاحات : «صنفه في صفر سنة ٦١٥ خمس عشرة وستمائة بملطية» ا هـ .

* * *

وهذه النسخة التي بين يديك أيها القاريء الكريم ، وهي التي أشار إليها صاحب كشف الظنون :

نقلتها من مكتبة الأزهر الشريف ، وهي ضمن مجموعة ـ في مجلد ـ بقلم معتاد من ص: ٣٨١ إلى ص ٣٨٣ .

٣٣٠ مجاميع ١١٠٨٨ .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

قال الشيخ الإمام العالم العلامة ، الراسخ المحقق ، الورع الزاهد ، محي الدين : [أبو عبد الله] محمد بن علي بن محمد بن العربي الحاتمي (رحمه الله تعالى) :

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وعليك أيها الحميم ، والصفي الكريم ، ورحمة الله وبركاته :

أما بعد :

فإنك أشرت علينا[1] بشرح الألفاظ التي تداولها الصوفية المحققون ، أهل الله .

لما رأيت كثيراً من علماء الرسوم[2] ، وقد سألوني في مطالعات مصنفات أهل طريقتنا ، مع عدم معرفتهم بما تواطئوا عليه[3] من الألفاظ التي يفهمها بعضنا عن بعض ، كما جرت عادة أهل كل فن

(١) الخطاب موجه لأحد الذين تتلمذوا له .

(٢) هذا التعبير عند الصوفية يرمز به إلى العلماء الذين جهلوا علوم الصوفية ، وذلك لأنهم تقيدوا برسم الحرف ، دون النظر إلى المعاني والأسرار .

(٣) التواطؤ هو : الاتفاق على شيء واحد .

من العلوم ، فأجبتك إلى ذلك ، ولم أستوعب الألفاظ كلها ، ولكن اقتصرت منها على الأهم ، فالأهم ، وأخبرت عن ذكر ما هو مفهوم من ذلك عند كل من ينظر فيه في أول نظرة ، لما فيه من الإستعارة والتشبيه[1] .

وقد أوردنا ذلك : لفظة لفظة ، والله المؤيد والنافع ، لا رب غيره .

فمن ذلك :

١ ـ المزعج : يعبرون به عن الخاطر الأول ، وهو الخاطر الرباني ، وهو لا يخطىء أبداً .

وقد نسميه «السير الأول» وهو : الخاطر .
فإذا تحقق في النفس سموه : «إرادة» .
فإذا تردد الثالثة سموه «هما» .
وفي الرابعة سموه «عزماً» .
وهو عقد التوجه على[2] الفعل .
فإن كان «خاطر فعل» سموه «قصراً»[3] .
ومع الشروع في الفعل سموه : «نية» .

٢ ـ الإرادة هي : لوعة في القلب ، يطلقونها ، ويريدون بها : إرادة التميز ، وهو منه[4] .

---

(١) ذلك لأن كلام هؤلاء الصفوة ، مبني على أساس لغة العرب ، ففيه من الكنايات ، والاستعارات ، والتشبيه ، والتقديم والتأخير ، وما إلى ذلك مما هو من أصل لغة العرب .

(٢) عداها بـ «على» لأن لفظ «إلى» يكون غالباً في المحسوسات .

(٣) لأنه مقصور على هذا الفعل .

(٤) أي من الله ، لأن القلب لا يصرفه أحد غير الله ، بدليل : قول رسول الله (ص) : «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» رواه مسلم .

وإرادة الطبع ، ومتعلقها : الحظ النفسي .

وإرادة الحق ، ومتعلقها : الإخلاص .

٣ ـ المريد : هو المتجرد عن إرادته .

قال أبو حامد [١] : «هو الذي صحت له الأسماء ، ودخل في جملة المنقطعين إلى الاسم» .

٤ ـ المراد : عبارة عن المجذوب [٢] عن إرادته ، مع تهيء .

٥ ـ المراد له : مجاوزة [٣] الرسوم كلها ، والمقامات من غير مكابدة [٤] .

٦ ـ السالك : هو الذي مشي على المقامات بحاله ، لا بعلمه ، فكان العلم له عيناً [٥] .

٧ ـ المسافر : هو الذي سافر بفكره في المعقولات والاعتبار ، فعبر من العدوة الدنيا إلى العدوة القصوى .

٨ ـ السفر ـ عبارة عن القطب : إذا أخذ في التوجه إلى الحق تعالى بالذكر .

٩ ـ الطريق : عبارة عن مراسم الله تعالى المشروعة ، التي لا رخصة فيها [٦] .

---

(١) هو الإمام حجة الإسلام الغزالي (رحمه الله تعالى) .

(٢) هو : من جذبه الحق تعالى ، مع أنه من أعقل الناس . والمراد : إن الله تعالى أراده وانتقاه .

(٣) في المخطوطة «مجاوز» بدون التاء .

(٤) والمعنى أن الله تعالى يوصله إلى ما يريد له سبحانه وتعالى من غير مشقة وتعب لسر أودعه الله تعالى فيه .

وقد ورد أن الله تعالى يدخل الجنة سبعين ألفاً بغير حساب ، ولا حتى مجرد عتاب .

(٥) جعل العلم دليلاً له في طريق الله ، فسلك على بصيرة وهدى .

(٦) وهو هنا يريد أن يقول : إن طريق القوم لا يتوصل إليها إلّا عن طريق شرع الله .

١٠ ـ الوقت : عبارة عن حالك في زمن الحال ، لا تعلق له بالماضي ولا بالمستقبل .

١١ ـ الأدب : وقتاً يريدون به : أدب الشريعة ، ووقتاً يريدون به أدب الخدمة ، ووقتاً يريدون به ، أدب الحق .

فأدب الشريعة : الوقوف عند مرسومها .

وأدب الخدمة : الفناء عن رؤيتها ، مع المبالغة فيها[١] .

وأدب الحق : أن تعرف مالك[٢] ، وإلاّ رميت من أهل البساط .

١٢ ـ المقام : عبارة عن استيفاء حقوق المراسيم على التمام .

١٣ ـ الحال : هو : ما يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب .

ومن شروطه : أن يزول ، ويعقبه المثل ، إلى أن يصفو ، وقد لا يعقبه المثل .

ومن هنا نشأ الخلاف ، فمن أعقبه المثل ، قال بدوامه .

وقيل : الحال : تغير الأوصاف على العبد .

١٤ ـ التحكم : هو الذي يجري الولاء بمن يريد إظهاراً لمرتبته : لأمر يراد .

١٥ ـ الانزعاج : هو أثر الوعظ في قلب المؤمن .

وقد يطلق ويراد به : التحرك للوجد والأنس .

١٦ ـ الشريعة : عبارة عن الأمر بالتزام العبودية .

---

(١) الضمير راجع إلى الخدمة : يعني : إذا صليت مثلاً عشرين ركعة ، فلا تنظر إلى العدد ، ولكن جاهد أن يكونوا ثلاثين ، وأربعين ، وخمسين ، وهكذا .

وأما النظر فيها فلأنك : لو نظرت إليها مننت على الله تعالى ، فيكون هذا محبطاً لها . والله تعالى أعلم .

(٢) أي الذي لك حقيقة ، وهل لك من الله شيء ؟ ـ إن الأمر كله لله ـ .

١٧ ـ الشطح : عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونـة ودعوى ، وهي تارة توجد من المحققين .

١٨ ـ العدل ، والحق ، والمخلوقية : عبـارة عن أول موجـود خلقه الله وهـو : قولـه تعالى : ﴿ومـا خلقنا السمـاوات والأرض وما بينهـا إلاَّ بالحق﴾[1] .

١٩ ـ الأفراد : عبارة عن : الرجال الخارجين عن نظر القطب .

٢٠ ـ القطب هو والغوث : عبارة عن الواحد الذي هو مـوضع نـظر الله تعالى من العالم ، في كل زمان ، وهو على قلب إسرافيل (ع) .

٢١ ـ الأوتـاد : عبارة عن أربعـة رجـال ، منـازلهم منـازل الأربعـة أركـان من العالم : شـرق وغرب ، وشمـال وجنـوب ، مقـام كـل واحـد مقام تلك الجهة .

٢٢ ـ البدلاء : هم سبعة ، ومن سـافر من القـوم في موضـع وترك جسداً على صورته[2] حتى لا يعرف أحد أنه فعـل ، فذلـك هو البـدل ، وهو على قلب إسرافيل (ع) .

٢٣ ـ النقبـاء : هم الـذين استخـرجوا خبـايـا النفـوس ، وهم ثلاثمائة .

٢٤ ـ النجبـاء : هم أربعـون ، وهم المشتغلون بحمـل أثقـال الخلق[3] ، فلا يتصرفون إلاَّ في حق الغير .

---

(١) سورة الحجر ؛ الآية : ٨٥ .

(٢) وهـذا من إكرام الله ، لا بفعله هـو ، ولا بقدرتـه ، ولله أن يهب من شاء مـا شـاء ، لا معقب له سبحانه ، وقد شاهد هذا كثير من الناس .

(٣) ينزل الله تعالى بـلاء على رجل من المسلمين ليصـرفه عن أمـة ، فيكرم الله هـذه الأمة بالعفو ، ويكرم هذا برفع الدرجة ، والله تعالى أعلم .

٢٥ ـ الأمامان[١] : هما شخصان : أحدهما عن يمين الغوث ، ونظيره في الملكوت ، والآخر عن يساره ، ونظيره في الملكوت ، وهو أعلى من صاحبه ، وهو [الذي يخلف صاحب اليمين[٢]] .

٢٦ ـ الملامتية : هم الذين لم يظهر على ظواهرهم مما في بطونهم أثر ، البتة .

تلامذتهم يتقلبون في أطوار الرجولية .

٢٧ ـ المكان : عبارة عن منزل في البساط ، لا يكون إلَّا لأهل الكمال ، الذين تحققوا بالمقامات والأحوال ، وحازوها إلى المقام الذي فوق الجلال والجمال ، فلا صفة لهم ، ولا نعت .

٢٨ ـ القبض : حال الخوف في الوقت .

وقيل : وارد برد على القلب بتوجه إشارة إلى عقاب وتأديب .

وقيل : أحد واردي الوقت .

٢٩ ـ البساط [٣]: هو عندنا ما يسع الأشياء ، ولا يسعه شيء ، وقيل : الرجاء ، وقيل : هو وارد توجيه الإشارة إلى قول ورحمة وأنس .

٣٠ ـ الهيبة هي : أثر ترجمان حضرة الألوهية في القلب ، وهو : جمال الجلال .

٣١ ـ التواجد : ادعاء[٤] الوجد .

---

(١) في المخطوطة «الأمينان» والتصحيح من رسالة «نقطة الدائرة» للسيد أحمد عابدين (رحمه الله تعالى) .

(٢) في المخطوطة «وهو الذي يخلف الأمناء هم الملائكة» ولا معنى لها ، والتصحيح من الرسالة السابقة .

(٣) في المخطوطة «البسط» ومن المعروف أن البسط هو ما ضد القبض ، ولا يعطي المعنى الذي تكلم عنه من أنه يسع الأشياء ، والله تعالى أعلم .

(٤) في المخطوطة «استدعاء» ومن معاني الاستدعاء : الطلب ، وهذا لا يناسب كلام =

وقيل : إظهار حالة الوجد من غير وجد .

٣٢ ـ الوجد : ما يصادف القلب من الأحوال المغيبة[١] له عن شهود الوجود ، بوجدان الحق في الوجد .

٣٣ ـ الجمال : نعوت الرحمة والألطاف من الحضرة الإلهية .

٣٤ ـ الجمع : إشارة إلى خلق بلي حق .

وقيل : مشاهدة العبودية .

٣٥ ـ البقاء : رؤية العبد قيام الله على كل شيء[٢] .

٣٦ ـ الفناء : فناء رؤية العبد لفعله بقيام الله عز وجلّ على ذلك .

٣٧ ـ الغيبة[٣] : غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل الحسن[٤] ، لما ورد عليه .

٣٨ ـ الحضور : حضور القلب بالحق عن غيبته .

٣٩ ـ الصحو : رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة بوارد قوي .

٤٠ ـ السكر : غيبة بوارد قوي .

٤١ ـ الذوق : أول مبادىء التجليات الآلاهية[٥] .

٤٢ ـ الشرب : أوسط التجليات .

= الشيخ (رحمه الله تعالى) فيما بعد، والتواجد شيء ، والوجد شيء آخر .

(١) بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الياء المكسورة .

(٢) قيوم السماوات والأرض : كل شيء بيده سبحانه وتعالى ، فإذا اعتقد المؤمن هذا بقي بإبقاء الله له ، وليس المقصود البقاء المعروف ، وإنما تكون حياته دنيا وأخرى تحت كنف الله تعالى ، نسأل الله تعالى أن يمن علينا بهذا وكل مسلم .

(٣) بفتح الغين المعجمة .

(٤) في المخطوطة «لشكل الحس» .

(٥) في المخطوطة «الألوهية» .

٤٣ ـ الري : غايتها في كل مقام .

٤٤ ـ المحو : رفع أوصاف العادة .

وقيل : إزالة العلة .

وقيل : ما ستره الحق ، ونفاه[١] عنك .

٤٥ ـ الإثبات : إقامة أحكام العبادة .

وقيل : إثبات الموصلات .

٤٦ ـ القرب : القيام بالطاعة .

وقد يطلق القرب على حقيقة «قاب قوسين» .

٤٧ ـ البعد : الإقامة على المخالفات .

وقد يكون البعد منك .

ويختلف باختلاف الأحوال فيدل على ما تأكد به قرائن الأحوال .

وكذلك القرب .

٤٨ ـ الحقيقة : سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه ، بأنه الفاعل ، فيكون منك ، لا أنت[٢] ـ ﴿ما من دابة إلَّا هو آخذ بناصيتها﴾[٣] .

٤٩ ـ النفس[٤] : روح يسلطها الله على نار القلب ليطفيء شررها .

---

(١) في المخطوطة «ما ستره الحق ، ونفاه الحق عنك» وهذا لا يستقيم .

(٢) معنى «منك لا أنت» أي أنك تفعل هذا الشيء بإجراء الله تعالى له على يديك ، واستدلاله بالآية موضح لما يريد .

(٣) سورة هود ؛ الآية : ٥٦ .

(٤) بفتح النون المشددة والفاء .

٥٠ ـ الخاطر : ما يرد على القلب والضمير من الخطاب : ربانياً كان أو ملكياً ، أو نفسانياً ، أو شيطانياً : من غير إقامة .

وقد يكون بوارد ، ولا يعمل بذلك .

٥١ ـ علم اليقين : ما أعطته المشاهدة والكشف .

٥٢ ـ حق اليقين : ما حصل من العلم بما أريد له ذلك المشهود .

٥٣ ـ الوارد : ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة من غير تعمد .

ويطلق بإزائه : كل ما يرد من اسم على القلب .

٥٤ ـ الشاهد : ما تعطيه المشاهد[١] من الأثر في القلب المشاهد[٢] ، فذلك هو الشاهد ، وهو على حقيقة ما يضبطه القلب من صورة المشهود .

٥٥ ـ النفس[٣] : ما كان معلوماً من أوصاف العبد .

٥٦ ـ الروح[٤] : تطلق بإزاء الملقي على القلب ، على غيب : على وجه الخصوص .

٥٧ ـ السر : يطلق ، ويُقال : سر العلم ، بإزاء حقيقة العالم به ، وسر الحال : بإزاء معرفة مراد الله فيه ، وسر الحقيقة : ما تقع به الإشارة .

---

(١) جمع مشهد ، وهي بفتح الميم .

(٢) بضم الميم ، وهو من يشهد المشاهد .

(٣) بسكون الفاء ، فنقول : نفس رحمانية ، ولأنها أتصفت بصفات الرحمة ، ونفس شيطانية ، لأنها اتصفت بصفات الشيطان .

(٤) للروح عدة معان ، منها ما ذكره الشيخ (رحمه الله تعالى) .

٥٨ ـ الوله[١] : إفراط[٢] الوجد .

٥٩ ـ الوقفة : بين المقامين[٣] .

٦٠ ـ العثرة : خمود نار البداية المحرقة .

٦١ ـ التجريد : إماطة السوء ، والكون عن القلب والسر .

٦٢ ـ التفريد : وقوفك بالحق معك .

٦٣ ـ اللطيفة : كل إشارة دقيقة المعنى ، تلوح في الفهم ، لا تسعها العبارة .

وقد تطلق بإزاء النفس الناطقة .

٦٤ ـ القلة[٤] : تنبيه الحق لعبده : بسبب وبغير سبب .

٦٥ ـ الرياضة : رياضة الأدب ، وهو الخروج عن طبع النفس .

ورياضة القلب ، وهو : صحة المراد به .

وبالجملة فهي عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسانية .

٦٦ ـ المجاهدة : حمل النفس على المشاق البدنية ، ومخالفة الهوى على كل حال .

٦٧ ـ الفضل : قوة ما ترجوه من محبوبك .

وهو عندنا : تمييزك عنه بعد حال الإيجاد .

٦٨ ـ الذهاب : غيبة القلب عن كل حس وكل محسوس

---

(١) بفتح الواو واللام .

(٢) إفراط المحب في محبوبه ، هذا في حب الدنيا والناس وما إلى ذلك .
أما في حب الله فلا إفراط مهما أحب العبد ، والله تعالى أعلم .

(٣) المقصود بالمقامين هنا : مقام الحب ، ومقام الوله .

(٤) بفتح القاف واللام المشددة ، وهي الشد [من العثرة] .

بمشاهدة محبوبه : كان المحبوب ما كان[1] .

٦٩ ـ الزمان : السلطان الزاجر ، واعظ الحق في قلب المؤمن ، وهو الراعي .

٧٠ ـ المحق : ذهاب تركيب : تحت القهر .

٧١ ـ الحق : فناؤك في غيبه .

٧٢ ـ الستر : كل ما سترك عما يفنيك .

وقيل : غطاء الكون ، وقد يكون : الوقوف مع العبادات ، وقد يكون : مع نتائج الأعمال .

٧٣ ـ التجلي : ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب .

٧٤ ـ التخلي : اختيار الخلوة ، والاعراض عما يشغل عن الحق .

٧٥ ـ المحاضرة : حضور القلب بتواتر البرهان ، وعند محاضرة الأسماء ، تنبيهاً بما هي عليها[3] من الحقائق .

٧٦ ـ المكاشفة : تطلق بإزاء الإنسانية : على الفهم ، وقد تطلق بإزاء تحقيق زيادة الحال ، وتطلق بإزاء الإشارة .

٧٧ ـ المشاهدة : تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد ، وتطلق بإزاء رؤية الحق بالأشياء ، وتطلق بإزاء حقيقة اليقين من غير شك .

٧٨ ـ المحادثة : خطاب الحق للعارفين من عالم الأسرار

---

(١) كما كان يقع من قيس بن الملوح :(رحمه الله تعالى) .

(٢) هكذا هي في المخطوطة ، ولعلها : «المحق» أيضاً بدليل أنه ذكر الفناء ومنه تعرف أنه عرف المحق مرتين : مرة «ذهاب تركيب» إلى آخره ، ومرة «فناؤك في غيبه» والله تعالى أعلم .

(٣) هكذا هي في المخطوطة .

والغيوب ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ .

٧٩ ـ اللوائح : ما يلوح للأسرار الظاهرة من حال إلى حال .

وعندنا : ما يلوح للبصر : إذا لم يتقيد بالجارحة من الأنوار الربانية : لا من جهة السلب .

٨٠ ـ الطوالع : أنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة ، فتطمس سائر الأنوار .

٨١ ـ اللوامع من أنوار التجلي : وقتين[١] .

ويقرب من ذلك الحال .

٨٢ ـ البوادي : ما يفجأ القلب من الغيب على سبيل الوله : أما موجب فرح ، وإما موجب ترح .

٨٣ ـ الهجوم : ما يرد على القلب بقوة الوقت ، بغير تصنع منك .

٨٤ ـ التلوين : تقلب العبد في أحواله ، وهو عند الأكثرين : «مقام ناقص» .

عندنا هو أكمل المقامات[٢] ، وحال العبد فيه : هو حال قوله تعالى : ﴿كل يوم هو في شأن﴾ .

٨٥ ـ التمكين : عندنا هو التمكن في التكوين .

وقيل : هو حال أهل الوصل .

---

(١) هكذا هي في المخطوطة ، ولفظ «وقتين» مفعول لفعل محذوف ، تقديره «يقع في وقتين» والله تعالى أعلم .

(٢) يعني يتغير من حال إلى حال ، وشاهده هذه الآية الكريمة ، وذلك أن الله تعالى مغير للأحوال في كل طرفة عين أو أقل .

٨٦ ـ الرغبة : رغبة النفس في الثواب ، ورغبة القلب في الحقيقة ، ورغبة السر في الحق .

٨٧ ـ الرهبة : رهبة الظاهر لتحقيق الوعد ، ورهبة الباطن لتقلب العلم ، [ورهبة لتحقيق[١]] أمر السبق .

٨٨ ـ المكر : أرداف النعم مع المخالفة[٢] ، وإبقاء الحال مع سوء الأدب ، وإظهار الآيات والكرامات من غير أمر ولا حد .

٨٩ ـ الإصطلام : نعت وله ، يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه .

٩٠ ـ الغربة : تطلق بإزاء مفارقة الوطن في طلب المفقود .

ويُقال : غربة [على الحال من حقيقة القيودية ، وغربة عن الحق من الدهش عن المعرفة] .

٩١ ـ الهمة : تطلق بإزاء تجريد القلب للمني[٣] .

وتطلق بإزاء أول صدق المريد .

وتطلق بإزاء جمع الهم بصفاء الإلهام .

٩٢ ـ الغيرة : غيرة في الحق ، لتعدي الحدود ، وتطلق بإزاء كتمان الأسرار .

وغيرة الحق على أوليائه .

٩٣ ـ الحرية : إقامة حقيقة العبودية لله تعالى[٤] .

---

(١) هي هكذا في المخطوطة .

(٢) تكون نعم الله مترادفة بعضها ردف بعض ، والمنعم عليه غارق في لجج المعاصي ، وهو يعتقد أن الله مكرم له ، وهو من أهل جهنم والعياذ بالله .

(٣) لما يتمناه من صلته بالله تعالى .

(٤) الحر الحقيقي هو من كانت عبوديته لله صادقة .

٩٤ ـ المطالعة : توقيعات الحق للعارفين [إبتداء عن غير سؤال منهم](١) فيما يرجع عن حوادث الكون .

٩٥ ـ الفتوح : فتوح العبادة في الظاهر ، وفتوح الحلاوة في الباطن ، وفتوح المكاشفة .

٩٦ ـ الوصل : إدراك الغائب .

٩٧ ـ الاسم : الحاكم على كل حال العبد في الوقت من الأسماء الإلهية .

٩٨ ـ الرسم : نعت يجري في الأزل .

٩٩ ـ الزوائد : زيادة الإيمان بالغيب ، واليقين .

١٠٠ ـ المحضر(٢) : يعبر به عن البسط .

١٠١ ـ البأس : يعبر به عن القبض .

١٠٢ ـ الغوث : هو واحد(٣) الزمان بعينه ، إلّا أنه إذا كان الوقت : يعطي الإلجاء إلى غايته .

١٠٣ ـ الواقعة : هو ما يرد على القلب إذا كان العالم بأي طريق كان : من خطاب أو مثل .

١٠٤ ـ العنقاء : هو الهباء الذي فتح الله فيه أجساد العالم .

١٠٥ ـ الورقاء : النفس الكلية ، وهو اللوح المحفوظ .

١٠٦ ـ العقاب(٤) : القلم ، وهو : الفصل الأول .

---

(١) في المخطوطة «وابتداء عن سؤال منهم» ولا يستقيم لها معنى .

(٢) بفتح الميم وسكون الحاء .

(٣) في المخطوطة «أحد» ، وهو بلا شك من تحريف النسخ ، لأن الأحدية لا تطلق إلّا على الله تعالى ، على أن المعروف في إصطلاح الصوفية (رضي الله عنهم) «الغوث هو واحد الزمان» .

(٤) بضم العين .

١٠٧ ـ الغراب : الجسم الكلي .

١٠٨ ـ الشجر : الإنسان الكامل .

١٠٩ ـ السمسمة : معرفة تدق عن العبارة .

١١٠ ـ الدرة البيضاء : العقل الأول .

١١١ ـ الزمردة : النفس الكلية .

١١٢ ـ اللمحة : الخوف ، وهو ما يجاذبك به الحق من العبارات .

١١٣ ـ السكينة : ما تجده من الطمأنينة ، عند تنزل الغيبة .

١١٤ ـ التداني : معراج المقربين .

١١٥ ـ التدني : نزول المقربين ، ويطلق بإزاء نزول الحق إليهم عند التداني .

١١٦ ـ الترقي : التنقل في الأحوال والمقامات والمعارف .

١١٧ ـ التلقي : أخذك ما يرد من الحق عليك .

١١٨ ـ التوني : رجوعك[١] : إليك منك .

١١٩ ـ الخوف : [أمن المكروه في المستأنف][٢] .

١٢٠ ـ الرجاء : الطمع في الآجل .

١٢١ ـ الصعق : الفناء عند التجلي .

١٢٢ ـ الخلوة : خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية .

---

(١) في المخطوطة «روعك» .

(٢) هكذا هي في المخطوطة ، والمعنى أنه يطلب الأمن من المكروه في المستقبل .

١٢٣ ـ الجلوة : محادثة السر مع الحق[١] ، حيث لا ملك ولا أحد .

١٢٤ ـ المخدع[٢] : موضع سر القلب من الأفراد الواصلين .

١٢٥ ـ الحجاب : كل ما ستر مطلوبك عن عينك .

١٢٦ ـ التواله : الخلع التي تخص الأفراد ، وقد يكون الخلع المطلقة الحرس[٣] .

١٢٧ ـ الخطاب : الخطاب بضرب من القهر[٤] .

١٢٨ ـ الاتحاد : تصبر الذائقين ، ولا يكون إلاَّ في العدد، وهو حال العلم .

١٢٩ ـ التعلم : علم التفصيل[٥] .

١٣٠ ـ الأنانية : قولك أنا ـ بالنون ـ .

١٣١ ـ علم الهوية[٦] : الحقيقة في علم الغيب .

١٣٢ ـ اللوح : محل التدوين والتسطير المؤجل إلى حد معلوم .

١٣٣ ـ الأنية : الحقية بطريق الإفاضة .

١٣٤ ـ الرعونة : الوقوف مع الطبع .

١٣٥ ـ الإلهية : كل اسم إلهي مضاف إلى البشر .

---

(١) هناك أسرار بين العبد وربه : لا يعلمها أحد ، حتى الكرام الكاتبون (عليهم الصلاة والسلام) .

(٢) بفتح الميم وسكون الخاء وفتح الدال .

(٣) الحرس بسكون الراء : الدهر ، والمعنى : الخلع المطلقة على الدوام .

(٤) يعني يخاطبه بقوة وغلبة .

(٥) لأن المتعلم يحتاج إلى أن يعلم الشيء : جزءاً جزءاً .

(٦) بتشديد الواو المكسورة والياء المفتوحة المشددة .

١٣٦ ـ الختم : علامة الحق[1] على قلوب العارفين .

١٣٧ ـ الطبع : ما سبق به العلم في حق كل شخص .

١٣٨ ـ الالهي[2] : كل اسم إلهي مضاف إلى ملك أو روحاني .

١٣٩ ـ المنقبة : مجلي الأعراس ، وهي تجليات روحانية .

١٤٠ ـ الجسد : كل روح ظهر في جسم نوراني أو ناري ، أو نوري .

١٤١ ـ النور : كل وارد إلهي بطريق الكون عن القلب .

١٤٢ ـ الظلمة : قد تطلق على العلم بالذات ، فإنها لا تطلق معها غيرها .

١٤٣ ـ الضياء : رؤية الأغيار بعين الحق .

١٤٤ ـ الظل : وجود الرأفة خلف الحجاب .

١٤٥ ـ القشر : كل علم يصون فساد عين الحق : لما يتجلى له .

١٤٦ ـ اللب : ما صفي من العلوم على القلوب المعلقة بالكون .

١٤٧ ـ لب اللب : مادة النور الإلهي .

١٤٨ ـ العموم : ما يقع منه الاستنزال في الصفاء المخصوص .

١٤٩ ـ أحدية كل شيء : الإشارة تكون مع حضور العين ، وتكون مع البعد .

---

(١) في المخطوطة «علاقة الحق» وهو من تحريف النسخ . والله تعالى أعلم .

(٢) في المخطوطة «الإله» وهي كذلك من تحريف النسخ فيما نعتقد ، والله تعالى أعلم .

١٥٠ ـ العيب : كل ما ستره الحق عنك منك[١] : لا منه .

١٥١ ـ عالم الأمر : ما أوجد عن[٢] الحق : بغير سبب ، ويطلق بإزاء الملكوت .

١٥٢ ـ عالم الخلق : ما وجد عنه بسبب ، ويطلق أيضاً بإزاء عالم الشهادة .

١٥٣ ـ العارف والمعرفة[٣] : من أشهده الرب بنفسه[٤] ، فظهرت عليه الأحوال ، والمعرفة حاله .

١٥٤ ـ العالم والعلم : من أشهده الله لألوهيته وذاته[٥] ، ولم يظهره عليه ، والعلم : حالة .

الحق : ما وجب على العبد من جانب الله ، وما أوجبه الحق على نفسه .

١٥٥ ـ الباطل : هو العدم .

١٥٦ ـ الكون : كل أمر وجودي .

١٥٧ ـ المراد : الظهور بصفات الحق .

١٥٨ ـ الدين : محل الاعتدال في الأشياء .

١٥٩ ـ الكمال : التنزيه عن الصفات وآثارها .

---

(١) وشاهده قوله تعالى : ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ فالعيب من العبد .

(٢) «عن» بمعنى «من» وكثيراً ما ينوب حروف الجر بعضها عن بعض .

(٣) ما قدر له من غير واسطة .

(٤) هكذا هي في المخطوطة .

(٥) من قوله تعالى : ﴿شهد الله أنه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولوا العلم﴾ وشهود الذات معناه : الإقرار اليقيني الذي يصل إلى درجة الرؤية في الأعتقاد .

١٦٠ ـ البرزخ[1] : العالم المشهود بين المعاني والأجسام .

١٦١ ـ الجبروت [عند أبي طالب المكي] : هو عالم العظمة .

وعند الأكثرين هو : العالم الأوسط .

وقيل هو : عالم الشهادة .

١٦٢ ـ الملكوت : هو عالم الغيب .

١٦٣ ـ مالك الملك : هو الحق في مجازاة العبد إذا كان منه على مأمور به .

١٦٤ ـ المطلع : النظر إلى عالم الكون ، والنظر بعين الحق .

١٦٥ ـ حجاب العزة : هو العمي والحيرة .

١٦٦ ـ المثل : هو الإنسان ، أو هو الصورة التي فطر عليها .

١٦٧ ـ العرش : مستوى الأسماء المفبدة .

١٦٨ ـ الكرسي : موضع الأمر والنهي .

١٦٩ ـ القدم : ما ثبت للعبد في علم الحق .

١٧٠ ـ العيدة[2] : ما يعود على القلب من التجليات بإعادة الأعمال .

١٧١ ـ الحدة[3] : الفصل بينك وبينه .

١٧٢ ـ الصفة : ما طلب لمعنى ، كالعلم .

١٧٣ ـ النعت : ما طلب النسبة الأول[4] .

---

(١) البرزخ : كل حاجز بين شيئين .

(٢) هكذا هي في المخطوطة .

(٣) بكسر الحاء وفتح الدال . تقول : فلان على حدة من فلان ، أي : منعزل عنه .

(٤) أي المنعوت .

١٧٤ ـ الرؤية : المشاهدة بالبصر ، لا بالبصيرة ، حيث كان .

١٧٥ ـ كلمة الحضرة : كف الألسن [عن ما يقع[1] به] الافصاح الإلهي لآذان العارفين .

١٧٦ ـ الهو : الغيب لا يصح شهوده .

١٧٧ ـ الفهوانية : خطاب الحق بطريق المكافحة في عالم المثل .

١٧٨ ـ السوا : بطون الحق في الخلق ، والخلق بالحق .

١٧٩ ـ العبودية : ما شهد نفسه لربه : مقام العبودية .

١٨٠ ـ الانتباه : زجر الحق للعبد على طريق العناية .

١٨١ ـ اليقظة : الفهم عن الله في زجره .

١٨٢ ـ التصوف : الوقوف مع آداب الشريعة ظاهراً وباطناً ، وهو الخلق[2] الإلهي .

وقد يُقال بأنه : إثبات مكارم الأخلاق واجتناب سفسافها .

١٨٣ ـ التجلي : الاتصاف بالأخلاق الإلهية[3] .

وعندنا الاتصاف بأخلاق العبودية ، وهو الصحيح ، فإنه أتم وأذكى .

---

(١) في المخطوطة «كف الأنس ما يقع» ولا تؤدي المعنى المطلوب .

(٢) كما قال رسول الله (ص) لصحابي استشهد أبوه في معركة من المعارك : «إن الله خاطب أباك كفاحاً» .

(٣) بضم الخاء واللام . وفيه رد على من يتهمونه .

أخذه من قوله (ص) :

«إن لله تعالى مائة خلق ، وسبعة عشر خلقاً ، من أتاه بخلق منها دخل الجنة» رواه الحكيم ، وأبو يعلى ، والبيهقي في شعب الإيمان .

١٨٤ ـ سر السر : ما تفرد به الحق عن العبد[١] .

والله سبحانه وتعالى أعلم

تم كتاب «الإصطلاح للعبارة»

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

وبعد إنتهاء هذا الكتاب وجدت رسالة صغيرة لطيفة ، وأعتقد أنها من رسائله ـ أي من رسائل الشيخ ابن عربي ـ لأنها ملحقة بالكتاب نفسه ، ونصها كما يأتي :

بسم الله الرّحمن الرّحيم

أقول مستعيناً بالله وراغباً في رحمته :

١ ـ التقي : مجتهد .

٢ ـ والمحب : متكلم .

٣ ـ والعارف : ساكت .

٤ ـ والموجود : مفقود .

٥ ـ لا سكون : لتقي .

٦ ـ ولا حركة : لمحب .

٧ ـ لا تحصل المحبة : إلّا بصفاء المحبين .

٨ ـ المحب : أنفاسه حكمة .

٩ ـ والمحبوب : أنفاسه[٢] قدرة .

---

(١) اي لا يعلمه أحد .

(٢) التي ينفس الله بها عن عبده المحب .

١٠ ـ العبادات : للمعاوضات [١] .

١١ ـ والمحبة : للقربات [٢] .

[أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر] [٣] .

[لما أرادوني : أعطيتهم] [٤] .

١٢ ـ إذا أفناك عن هواك بالحكمة ، وعن إرادتك بالعلم : صرت عبداً صرفاً : لا هوى ، ولا إرادة ، فحينئذ يكشف لك فتضمحل العبودية في الوحدانية ، فيفني العبد ، ويبقى الرب عزّ وجلّ .

١٣ ـ الشريعة كلها فيض ، والعلم كله بسط ، والقدرة كلها صفاء .

١٤ ـ طريقتنا : محبة : لا عمل [٥] ، وفناء : لا بقاء .

١٥ ـ إذا دخلت في العمل كنت لك [٦] .

١٦ ـ وإذا دخلت في المحبة كنت لي [٧] .

١٧ ـ العابد راء لعبادته ، والمحب : راء محبوبه .

١٨ ـ إذا عرفته : كانت أنفاسك به ، وحركاتك له .

١٩ ـ إذا جهلته : كانت حركاتك لك .

---

(١) لأن العابد ينتظر الأجر .

(٢) لأنه يطلب الله وحسب .

(٣) حديث قدسي .

(٤) على لسان الحضرة الإلهية .

(٥) وليس معنى هذا أنه يدعو لعدم العمل ، وإنما يقول إن الأصل عندنا الحب ، والمحب لمن يحب مطيع ، والعامل بغير حب كأجير السوء .

(٦) لأن عملك راجع إليك ثوابه .

(٧) هذا كلام على لسان الحضرة الإلهية .

٢٠ ـ العابد : ماله سكون .

٢١ ـ والزاهد : ماله رغبة .

٢٢ ـ والعارف : ماله حول ولا وقوة ، ولا اختيار ولا إرادة ، ولا حركة ولا سكون .

٢٣ ـ والموجود : ماله وجود .

٢٤ ـ إذا أنست به استوحشت[١] .

٢٥ ـ [من اشتغل بنا : له : أعميناه ، ومن اشتغل بنا : لنا : بصرناه[٢]] .

٢٦ ـ إذا زال هواك : يكشف لك باب الحقيقة فتفني إرادتك ، فيكشف لك عن الوحدانية ، فتحقق : أنه هو : لا أنت .

٢٧ ـ إن سلمت إليه قربك ، وإن تقربت بك أبعدك .

٢٨ ـ إن طلبته لك : كلفك ، وإن طلبته له : دلك .

٢٩ ـ قربك : خروجك عنك ، وبعدك . وقوفك معك .

٣٠ ـ إن جئت بلا أنت : قبلك ، وإن جئت بك : خجلك .

٣١ ـ العامل لا يكاد يتخلص من رؤية أعماله ، فكن في قبيل المنة لا في قبيل العمل .

٣٢ ـ إن عرفته : سكنت ، وإن جهلته : تحركت .

٣٣ ـ فالمراد أن يكون ، ولا تكون .

٣٤ ـ العامة : أعمالهم مهمات .

---

(١) من الخلق لأنك أنست بالله ، فماذا تفعل بالخلق ! ؟ .

(٢) على لسان الحضرة .

٣٥ ـ والخاصة : أعمالهم قربات .

٣٦ ـ وخاص الخاص : أعمالهم درجات .

٣٧ ـ كلما اجتنبت هواك : قوى إيمانك .

٣٨ ـ وكلما اجتنبت ذاتك : قوي توحيدك .

٣٩ ـ الخلق حجاب ، وأنت حجاب ، والحق محتجب عنك بك ، وأنت محجوب عنك بهم ، فانفصل عنك : تشهده .

والسلام .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً .

(١٤)

الحكمة الحاتمية

- الحكم الحاتميــة .
- حدود هذه الأصــول .
- الإقتباسات الإلهاميــة .

نقلت هذه الرسالة : من مكتبة الأزهر الشريف ، جعله الله عامراً .

وجاء في فهرست المكتبة ما يلي :

«رسالة ابن العربي في الكلمات الحكمية والمصطلحات الجارية على السنة الصوفية .

أولها : بعد الديباجة :

فهذه نبذة لطيفة ، وكلمات ظريفة ، يستعان بها في طريق أهل الله [تعالى] .

وهي من الحكم الإلهية الجارية على لسان بعض أهل الله [تعالى]» الخ .

نسخة في مجلد بقلم معتاد ، في أربع ورقات .

رقم خاص : ١٨٧٣ ، رقم عام : ٥٩٨٣٤ ، تصوف .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

قال الشيخ الإمام العالم العلامة ، شيخ المحققين ، وإمام العارفين الواصلين ، الشيخ الأكبر ، والكبريت الأحمر : محي الملة والدين : ابن العربي الحاتمي الطائي ، الأندلسي (قدس الله أرواحنا ببركته) آمين .

أما بعد :

فهذه نبذة لطيفة ، وكلمات ظريفة ، يستعان بها في طريق أهل الله تعالى ، وهي من الحكم الإلهية ، الجارية على لسان بعض أهل الله .

وهي هذه الكلمات :

١ ـ تجلي الحق : لكل فرد من أفراد الموجودات بما يليق به من سر التجليات .

٢ ـ أخذ كل موجود حظه مما قابله : بحسب «كل ميسر لما خلق له»[١] .

---

(١) لفظ حديث شريف رواه الإمام أحمد وأبو داوود عن عمران بن حصين ، والترمذي عن عمر ، والإمام أحمد عن أبي بكر .

٣ ـ أفن ما أضيف إليك : تبق بما أضيف إليه[١] .

٤ ـ كل منحة وافقت هواك فهي : محنة ، وكل محنة خالفت هواك فهي : منحة[٢] .

٥ ـ إن رددت الأمور كلها إليه : استرحت من منازعات كثيرة .

٦ ـ عطايا الله كلها حسنة ، فما وافق هواك : جعلته خيراً ، وما خالفه : جعلته شراً : ﴿قل كل من عند الله﴾ .

٧ ـ خف من كل مالك فيه آنية[٣] : ولو كان طاعة ، ولا تخف ما أنت مقهور فيه ، ولو كان معصية[٤] .

٨ ـ نوافق الخلق من حيث لطائف الأرواح : واختلفوا من حيث كثائف الأشباح .

٩ ـ بما عاملت به الخلق : يعاملك به الحق ، وبما عاملت به الحق : يعاملوك به الخلق[٥] .

١٠ ـ ليس الزاهد من زهد في الدراهم والدنانير : إنما الزاهد من زهد فيما سوى الجبار .

١١ ـ لا ينال غاية رضاه : من في قلبه شيء سواه .

---

(١) لانك فإن ، والإضافة إليك إضافة فان إلى فان ، فهي فناء مطلقاً ، أما إذا أضفت إلى الباقي سبحانه وتعالى : بقيت بإبقائه .

(٢) لأن الخير كله في مخالفة النفس .

(٣) الانية : أن تقول مثلاً : أنا فعلت ، أنا كذا ، أنا كذا لأنك إذا قلت مثلاً : إني صليت ١٠٠ مائة ركعة وافتخرت بذلك : زهت نفسك وركبها إبليس فتهلك لأن الانية دخلت في الفعل فانقلبت الطاعة إلى شر مستطير .

(٤) لو أن احداً ارغمك على فعل منكر ، إن لم تفعله قتلك مثلاً ، ففعلته وأنت مقهور ، فليس هذا بمعصية في واقع الأمر ، ـ إلاّ من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان ـ هذا هو ما يقصد الشيخ(رحمه الله تعالى)، والله تعالى أعلم .

(٥) في الجملة تقديم وتأخير ، وتقديرها : «الخلق يعاملوك به» .

١٢ ـ المريد : من سار بنفسه إليه ، والمراد هو : الذي سير[١] به رغماً عليه .

١٣ ـ لا يرتجي الوصول : ممن لم يتابع الرسول[٢] (ص) .

١٤ ـ من لم يتصف بالصفات الروحانية : لم ينقل عن مراتب الحيوانية [٣] .

١٥ ـ من لم يمت حسه : لم يعرف نفسه [٤] .

١٦ ـ لا يعرف ما نقول : إلاَّ من اقتفى أثر الرسول (ص) .

١٧ ـ لا تأخذ العلم : إلاَّ عمن يعمل به .

١٨ ـ من لم يمت عن هواه : لا يمكن أن يراه [٥] .

١٩ ـ ما دمت في طلب الحق : فلا تقف مع الخلق .

٢٠ ـ السائر إلى الله : منقطع برؤياه [٦] .

٢١ ـ من قنع بخالص الحلال : يرجى له الكمال .

٢٢ ـ من أخلص لله نيته : تولاه الله وملائكته .

٢٣ ـ حجبت[٧] به عنك : ولو فنيت عنك به : رأيته معك[٨] .

---

(١) بكسر السين وفتح الراء .

(٢) رد على كل من يتهمونه مفحم .

(٣) « . . . . . . فأنت بالروح لا بالجسم إنسان» .

(٤) لأنك بفقدان سلطان الجسد تفقد حيوانيتك ، وترتقي روحك .

(٥) يراه : بإثبات الألف ، مراعاة للسجع .

(٦) يعني : ما دام يرى نفسه ويعظمها .

(٧) بضم الحاء وكسر الجيم .

(٨) لحديث «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه» والمعنى أن يكون الله تعالى هو كل شيء في نفسك ، وليس من المعقول أن تكون معه ولا يكون معك .

٢٤ ـ ما لم تفن بشريتك وتموت : لم تعرج في معارج الملكوت .

٢٥ ـ لا تعرف الحق وصفاته : ما لم تشهد سره فيك ، وآياته .

٢٦ ـ من لم يأخذ الطريق من الرجال[1] : فهو ينتقل من محال إلى محال .

٢٧ ـ من لم يتحقق بحقائق الأسماء والحروف : فهو عن كشف سر غوامض الأشياء مصروف .

٢٨ ـ لا يبرز لسر الله: إلاَّ من تبدلت أرضه وسماه .

٢٩ ـ لا يعرف الاسم الأعظم :إلاَّ من له في الولاية قدم .

٣٠ ـ من عرف الاسم الأعظم : في العالمين تحكم[2] .

٣١ ـ لا تكون عبداً لله :وأنت تميل إلى شيء سواه .

٣٢ ـ الحكم الالية[3] : منبع الروح العلية .

٣٣ ـ بالفتح الألي[4] : أنت جزء كلي .

٣٤ ـ لا يرى لطائف الأرواح :إلاَّ من تصفي من كثائف الأشباح .

٣٥ ـ لما نقطت نقطة سر الحقيقة : انطبع فيها صور الأكوان ،

(١) يعني الكمل ، الذين لا تشوبهم شائبة .

(٢) لفظ «في العالمين» بفتح الميم مع سكون الياء .

(٣ ، ٤) بكسر الهمزة وتشديد اللام والياء ، بمعنى المتابعة لله تعالى ، لأن «ال» بكسر الهمزة وتشديد اللام : إسم من أسماء الله تعالى ، قال في القاموس المحيط «والال بالكسر : العهد ، والحلف ، وعين ، والجار ، والقرابة ، والأصل الجيد ، والمعدن ، والحقد ، والعداوة ، والربوبية ، واسم الله تعالى» ا هـ .

وهي من معاني قوله تعالى : ﴿لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة﴾ .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : قال : لا يرقبون في مؤمن «إلاًّ» قال : «الال : الله» . انظر ابن كثير وغيره .

فلما تجردت إلى مركزها : تركت كل صورة في كونها ، وتجردت للرحمن .

٣٦ ـ لا يتصرف بالأسماء والحروف : إلاّ من غيبة له مكشوف .

٣٧ ـ العبد : عبد حسه ، إلاَّ من استخلصه الله لنفسه .

٣٨ ـ لا تصحب من الرجال إلاَّ من كان : حاله يترجم دون المقال .

٣٩ ـ الحقيقة لا ينطق بها لسان[١] : بل هي ذوق ووجدان .

٤٠ ـ الشيخ : من أخذك منك ، وكشفك عنك .

٤١ ـ الشيخ : من حمل عنك المشقات : وأشهدك منازل القربات .

٤٢ ـ لا يصلح أن يربى الخلق : إلاّ من كانت صفته من صفة الحق[٢] .

٤٣ ـ لا يقدر أن يتصرف في الأكوان إلاَّ من كان له الحق : السمع ، والبصر ، واللسان .

٤٤ ـ لا تترك الوسائط : ما لم تصر من البسائط .

٤٥ ـ محبته لك محبة الأصل لفرعه : ومحبتك له : محبة الفرع لأصله[٣] .

---

(١) لأن اللسان يعجز عن التعبير عنها ، لأنها سر من أسرار الله تعالى ، فلا تكيف بالحروف والكلمات .

(٢) لقوله (ص) : «تخلقوا بأخلاق الله» .

(٣) أخذها من قوله تعالى : ﴿يحبهم ويحبونه﴾ نقدم محبته لأنه هو الذي أودع فيهم الإيمان ، فأنت ـ أيها المؤمن ـ عنده محبوب أنه ، ولو لم يحبك : ما أودع فيك الإيمان ، وقوله «محبة الأصل لفرعه» يقصد أنك به كنت ، ولولاه ما كنت ، والله تعالى أعلم .

٤٦ ـ الحق تعالى ظاهر من حيث مخلوقاته : باطن من حيث ذاته .

٤٧ ـ من عرف الحق : استغنى به عن الخلق .

٤٨ ـ ما عرف الحق عارف : إلاَّ بما فيه منه[١] ، ولا أنكره جاهل إلاَّ بما حجبه عنه .

٤٩ ـ من توكل على الله في جميع أموره ووالاه : أتاه برزقه من حيث لا يحتسب ، وتولاه[٢] .

٥٠ ـ قرب الحق من الخلق : [لا] من حيث ذاته[٣] .

٥١ ـ القوم لا يتكلمون في دفاترهم : إلاَّ ببعض ما شهدوه ببصائرهم .

٥٢ ـ التوحيد : نفي الاثنينية ، وإثبات العينية[٤] .

٥٣ ـ التوحيد : فناؤك أيها الموحد ، وحدك[٥] ، وبقاؤه فيك ، وبعدك .

٥٤ ـ الصبر عنه : صبر وبلوى[٦] .

٥٥ ـ الصبر فيه : شهد وحلوى[٧] .

---

(١) من سر الإيمان الذي أودعه فيه .

(٢) من قوله تعالى : ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ .

(٣) وإنما من حيث : إكرامه ، والإنعام عليه ، وحفظه وصونه ، وما إلى ذلك .

(٤) يعني إثبات عين ذاته تعالى .

(٥) بتشديد الدال : أي مقامك الذي تقف عنده .

(٦ ، ٧) الصبر بفتح الصاد المشددة وسكون الباء ، وبفتح الصاد وكسر الباء : الدواء المر .

والمراد : إن الصبر عن الله تعالى مرض : دواؤه مر ، والصبر ، في الله ، هو المجاهدة في طاعته والتقرب ، وفرق بين أن تصبر فيه وأن تصبر عنه .

٥٦ ـ من تـاب من نفسـه نـكث[١] ومـن تـاب[٢] عليـه : ثـبت ومكث .

٥٧ ـ من لم تكن سابقات العناية تـدنيه : وإلاّ فـالأعمال الصـالحة ترديه[٣] .

٥٨ ـ حلية الأبدال : الصمت ، والسهر ، والجوع ، والاعتزال .

٥٩ ـ كثير الأكل من الحلال : يطمس بصائر أكثر الرجـال ، وقليل من أكل الحرام يوجب الآثام ، وسبب الإنتقام .

٦٠ ـ من صدقته سريرته : انفتحت بصيرته .

٦١ ـ من صدقه مقاله : استقام حاله .

٦٢ ـ من ذكر الله وأكثر : فتح عليه ما لا يحصر .

٦٣ ـ الخير : كله مجموع في غيب خزائن الجوع .

٦٤ ـ إن ظفرت بشيخ من الأبدال : فأبشر بمنازل الكمال .

٦٥ ـ العوالم العلوية : صور معاني الـروحية ، والعـوالم السفلية : صور قوالب الجسمية .

٦٦ ـ مراتب السبعة الأبدال : مظاهر صفات الكمال .

٦٧ ـ طـرق الحق : لا تحصى لـلاكثـار ، وأقـربهـا إليـه : الـذل والانكسار .

٦٨ ـ لا تصحب من الأخوان : إلا صادق اللسان .

---

(١) لأن النفس نزاعة إلى النكث ، وأما من تاب الله عليه : أعانه ووفقه .

(٢) والفاعل محذوف : تقديره «الله» .

(٣) لأنها صالحة في مظهـرها فقط ، والعبـرة بما في القلوب لا بمـا يظهـر على الأجساد ، ودليل الشيخ ـ على سابقات العناية ـ قـوله تعـالى : ﴿وأما الـذين سعدوا ففي الجنـة﴾ بضم السين وكسر العين .

٦٩ ـ الفتوح الالي : الفاني في العزلي .

٧٠ ـ لا يصل إلى القربات : إلّامن كان طالباً للذات .

٧١ ـ لا يسمى ـ في الحقيقة ـ عارفاً : إلّا من كان بقدم الولاية طائفاً .

٧٢ ـ الحروف خزائن الله المخفية ، فمن شاهدها : تصرف في العلوية والسفلية .

٧٣ ـ سر الحروف لا يفشي : والعارف لا يرقب غير الله ولا يخشى .

٧٤ ـ إن قصدت الحلال في المطعم : فأنت في الطاعة ـ بعونه ـ محكم .

٧٥ ـ أكل الشبهات : يورث في القلب القساوات .

٧٦ ـ الشيخ : من زاح عنك كل حجبك ، واستأذن الحق في قربك .

٧٧ ـ الشيخ : من نقلك من نار البعد والانفصال إلى جنة القرب والاتصال .

٧٨ ـ الشيخ : من أمات نفسك قبل أن تموت ، وأجال بروحك في عوالم اللاهوت .

٧٩ ـ من قنع من الدنيا باليسير : هان عليه كل عسير .

٨٠ ـ لا يسمى : عارفاً بالله ، إلّا من أبصر الحق ، وناجاه .

٨١ ـ الخمول : يذهب الحجب ، والشهوات : تورث العجب .

٨٢ ـ الشيخ : من نقل اسمك ومحى رسمك .

٨٣ ـ الشيخ : من أطلعك على حالك ، لا من أخذ مالك[١] .

٨٤ ـ ليس العارف من ينفق من الجيب : إنما العارف من يأكل من الغيب .

٨٥ ـ بذكرك ـ لا باسم الجلالة ـ : تبلغ في المراتب الجلالة[٢] .

٨٦ ـ إذا كان اسم الله حجيرك[٣] : نور قلبك ، وضاعف نورك .

٨٧ ـ من أكثر من اسمه «اللطيف» : ذهب عنه كل كثيف[٤] .

٨٨ ـ من لازم لذكر الله : قطعه عن كل شيء سواه[٥] .

٨٩ ـ من لم يفقد ذاته : لا يشهد بركاته[٦] .

٩٠ ـ من لا يكمل عقله : لا يمكن نقله .

٩١ ـ من لا يسكن شواهق الجبال : لا يقدر على محض الجلال .

٩٢ ـ في القرن العاشر : أحذر تعاشر .

٩٣ ـ في القرن العاشر من القرون : تساء بالصالحين الظنون .

٩٤ ـ ما الدين كثرة صوم وصلاة ، إنما الدين : خوف من الله في كل الأوقات .

---

(١) كما يفعل مشايخ السوء في هذا الوقت .

(٢) «الجلالة» الأولى : اسم الله تعالى ، والثانية من الرفعة والترقي ـ والمعنى والله تعالى أعلم ـ أنه بالذكر القلبي مع اللسان : تبلغ .
أما إذا كان اللسان ذاكراً مع شغل القلب بغير الله فلا .

(٣) حجير : بفتح الحاء ـ على وزن «فعيل» ـ ، بمعنى حاجرك عن : ما سوى الله تعالى

(٤) لأن الذكر يلبس الذاكر به صفته ، فذاكر الله تعالى باسم الجلالة «الله» لا بد أن ترى عليه الهيبة ، وذاكره باسم «الرحمن» أو «الرحيم» لا بد أن ترى فيه الرحمة ، وهكذا .

(٥) لأنه أحبه ، ومن أحب شيئاً : شغل به .

(٦) وهذا ما يسمونه «مقام الفناء» .

٩٥ ـ وحي الأنبياء بالملائكة الكرام : ووحي الأولياء بالإلهام .

٩٦ ـ قوالب ألفاظ الكلمات : لا تحمل عبارة معاني الحالات[١] .

٩٧ ـ الرؤية لذات الله ممنوعة ، ومشاهدة الصفات مجموعة .

٩٨ ـ الحق تعالى : بذاته عن خلقه محجوب ، وبصفاته يتجلى في القلوب .

٩٩ ـ بوجود الموجودات : أظهر الأسماء والصفات .

١٠٠ ـ محبته لك : من أجل ظهوره بك بالصفات ، ومحبتك له من قوام مرادك بالبركات[٢] .

١٠١ ـ المحبة : تصحيح النسب، وثمرة المكتسب .

١٠٢ ـ المعرفة : محض الإيمان، ومشاهدة الإحسان .

١٠٣ ـ المعرفة : علم إلي[٣] وكشف كلي .

١٠٤ ـ ليس الشيخ : من تخدمه الملوك الدنيوية ، إنما الشيخ من تخدمه الملائكة العلوية .

١٠٥ ـ التوبة : في ترك الإصرار، وملازمة الاستغفار .

١٠٦ ـ أداء المفروضات : أفضل القربات .

١٠٧ ـ من طاب مطعمه : كثر مغنمه .

---

(١) لأن كلمات الإنسان تعبر عن شيء محمدود ، والحال مترجم عن معاني يعجز عنها البيان .

(٢) لأن صفات الله تتجلى في عباده ، كالرزاق مثلاً : صفة لها مرزوق ، والخلاق صفة لها مخلوق ، والمنعم صفة لها منعم عليه ، وهكذا ، فهو تعالى أحبك ، وأنت يجب عليك أن تحبه لأنك تلتمس منه البركة والمعونة .

(٣) بكسر الهمزة وتشديد اللام المكسورة وتشديد الياء المضمومة المنونة .

١٠٨ ـ من توقى صغائر الشبهات : سلم من كبائر الآفات .

١٠٩ ـ من صدق توجهه إلى الله : أعطاه الله كل ما تمناه .

١١٠ ـ من خاف الله مولاه : خاف منه كل ما سواه[١] .

١١١ ـ الأخ : من عرف حال أخيه في حياته وبعد ما يواريه .

١١٢ ـ إذا انفسدت أحوال الشريعة : فأشراط الساعة سريعة .

١١٣ ـ إذا فسدت معاملة الناس : تمكن منهم الوسواس .

١١٤ ـ بنسيان الحكام : تبطل الأحكام .

١١٥ ـ تعلم يا بني : من العلوم لما ينفعك في القدوم[٢] .

١١٦ ـ ما تعلمت العبيد : أفضل من علم التوحيد .

١١٧ ـ بقدر فضول الأكل والشرب : يكون المكث في طول الحساب[٣] .

١١٨ ـ من توقى دخول الحرام عليه : لم تتطرق النكبات إليه .

١١٩ ـ لا يصح أن يقول : وصلت إلى حقائق الأسرار إلاّ من كلمته عوالمه جهاراً .

١٢٠ ـ لا تأكل القوت المقسوم إلاّ من الحل المعلوم .

١٢١ ـ من ترك أكل الحيوان : شاهد لطائف الإنسان .

---

(١) لقوله (ص) في الحديث الصحيح :
«من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء» رواه أبو الشيخ في أماليه عن واثلة : وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم في أماليه ، والرافعي عن ابن عمر .

(٢) يعني على الله تعالى .

(٣) ولذلك قالوا : «من سأل الله الغني فقد سأل الله طول الحساب» لأنه سيناقش عن كل درهم : من أين أكتسبته وفيم انفقته ، وويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة .

١٢٢ ـ الشيخ : من كشف عنك غطاءك ، وأشهدك من إيّاك .

١٢٣ ـ المحبوب: من جذبه الحق إليه ، [وأقبل من كل وجه إليه] .

١٢٤ ـ شهودك الكمال في مختلفات عوالم الأكوان : دليل على الإرتقاء من درجات النقصان .

١٢٥ ـ الواصل : من غاب وجوده ، واتصل شهوده .

١٢٦ ـ العارف : من أشهده الحق إياه في كل شيء .

١٢٧ ـ كل من الخلق أسير نفسه : ولو كان طلبه حضرة قدسه .

١٢٨ ـ لبست كل حاسة في حواس الإنسان(١) : [ما] يناسبها من تجليات الرحمن .

١٢٩ ـ إن وقفت مع الأشياء : حجبت بها عنه ، وإن بقيت بلا شيء : نلت حظك منه .

١٣٠ ـ من حفظ حواسه : تعطرت أنفاسه .

١٣١ ـ من وقف في جميع أموره مع القدرة : صرفته كما يريد بلطافتها ، وأورثته العبرة .

١٣٢ ـ من صدق مع الحق : قطع علائقه من الخلق .

١٣٣ ـ إن ظفرت بشيخ من الأبدال عارف : سلم نفسك إليه ، وإياك ثم إيّاك أن تعترض في أمر ما عليه .

١٣٤ ـ ما سبق صادقاً إلى الحق سابق : ولو كان مجداً وامق .

١٣٥ ـ جلاء القلوب بذكر المحبوب : يطلعك على علام الغيوب .

---

(١) في المخطوطة «ليست كل حاسة» ولا معنى لها .

١٣٦ ـ القلب كنز ، ومفتاحه الذكر ، وأسنانه : كف الحواس والفكر .

١٣٧ ـ الفتح كله ممنوع : إلاّ على أهل العزلة والجوع .

١٣٨ ـ ما اكتسبت القلوب الريون[١] : إلاّ من كثرة فضلات البطون .

١٣٩ ـ من خالف هواه : قهر أعداءه .

١٤٠ ـ معاملة الإنسان : دليل على ثبوت الإيمان .

١٤١ ـ كم من قائم بنفسه : مشهور في القبائل[٢] ، وكم من قائم بربه : مطروح على المزابل[٣] .

١٤٢ ـ كثرة تلاوة الأذكار : تنزع كثائف الأستار .

١٤٣ ـ لا تصحب من الناس: إلاّ كل متشرع[٤] ذي بأس .

١٤٤ ـ من تعدى الحدود : فهو عن الحضرة مطرود .

١٤٥ ـ لا ينال غاية رضاه: إلاّ من خالف نفسه وهواه .

---

(١) جمع ران ، وهو : ما يتراكم على القلوب من ظلمات المعاصي .

(٢) ولا قدر له عند الله تعالى .

(٣) وله عند الله شأن كبير وتكريم وإفضال وإنعام .

وقد مر رجل على رسول الله (ص) فقال لأصحابه : «ما تقولون في هذا الرجل ؟ قالوا : حق له أن قال أن يسمع له ، وإن خطب أن يزوج ، ثم مر رجل آخر من فقراء المسلمين ، فقال لأصحابه ، ما تقولون في هذا الرجل ؟ قالوا : حق له أن قال أن لا يسمع لقوله ، وإن خطب ألا ينكح . فقال : والذي نفسي بيده لهذا الرجل خير من ألف من مثل هذا» ، أو كما قال .

(٤) ألا يستحيي من الله أولئك الذين يخوضون في عرضه ويكفرونه ، وهو يقول هذا القول ؟؟

كيف يكفر بالله من يدعوك إلى العمل بشرعه !! ؟ .

١٤٦ ـ لكل شيء من الأشياء وجهان : وجه إلى ربه بالبقاء ، ووجه إلى نفسه بالحدثان .

١٤٧ ـ من أراد طريق النجا : يلاحظ في المخالفة : الخوف وفي الطاعة الرجا .

١٤٨ ـ من علامة أهل الكمال : عدم الثبوت على حال .

١٤٩ ـ بورود الحالات: تنقطع المقامات ، وبلزوم الطاعات : تظهر الكرامات .

١٥٠ ـ البرزخ هو : الذي جمع فيه ما حوى طرفه .

١٥١ ـ رب ذائق في ذوقه يا أخوان : اعلم بالله من عالم بالسنة والأركان .

١٥٢ ـ أنهى معارف الخلق من[1] ذاته : صورة مظهر[2] من صور تجلياته .

١٥٣ ـ ما تخلقت العرب والعجم بخلق عند الله أعظم : من الكرم .

١٥٤ ـ من عرف حقيقة وجوده : فاز من ربه بشهوده .

١٥٥ ـ من شاهد مظاهر الحق وصورها من ذاته : فقد انكشف له ما انطبع في مرءاته .

١٥٦ ـ لما كان الله ﴿ليس كمثله شيء﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه : خلق كل فرد من أفراد الموجودات﴿ليس كمثله شيء﴾في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله ، فافهم .

والله أعلم

---

(١) من : بفتح الميم .

(٢) «صورة مظهر» : مضاف ومضاف إليه .

وهذه كلمات بها حدود هذه الأصول

إذا سأل سائل عنها وهي :

١ ـ إذا قيل لك : ما الواصل ؟

٢ ـ فالواصل : هو الذي أتصل غيبه بشهادته ، حتى صارا شيئاً واحداً .

٣ ـ المشاهد : هو الذي شهد بعينه غيبه وشهادته .

٤ ـ العارف : هو الذي عرف شهادته وغيبه ، وأعطى كل ذي حق حقه .

٥ ـ المحب : هو الذي أحب ما احتجب عنه ، وهو غيبه .

٦ ـ الكامل : هو الذي شهد في الغيب الشهادة ، وفي الشهادة الغيب .

٧ ـ السالك : هو الذي سافر من شهادته إلى غيبه .

٨ ـ المكاشف[١] : هو الذي استوى غيبه وشهادته في اللطائف .

---

(١) بفتح الشين ، ويجوز الكسر .

٩ ـ المتصرف[1] : هو الذي غلب غيبه على شهادته .

١٠ ـ الفاني : هــو الـذي غلب عليه الغيب على الشهادة .

١١ ـ الموحد : هــو الذي لا غيب له ولا شهادة[2] .

١٢ ـ المحجوب : هــو الذي وقف مع الشهادة عن الغيب .

١٣ ـ اعلم أن الغيب : هو الحق ، والشهادة هي الخلق .

١٤ ـ الغيب : هويتك ، والشهادة هي أنيتك[3] .

١٥ ـ الغيب : هو باطنك ، والشهادة هي ظاهرك .

١٦ ـ الغيب : هو عـالم الأمـر ، والشهـادة هي : عـالم الخلق ، والمعنى واحد ، فافهم .

---

(١) ومنه : القطب المتصرف .

ومن هذا التعريف : تعرف أن المهاجمين الذين يهاجمون التصوف ، لا يعرفون عنه شيئاً ، لأنهم يعتقدون أن المتصرف هو الـذي يتصرف في الكـون ، ولا متصرف في الكون إلا الله .

ولكن الصوفية (رضي الله عنهم) لهم عبارات ومعان خـاصة ، وألفـاظ متـداولـة فيمـا بينهم .

(٢) لأنـه يؤمن بالله تعـالى وحده : الإيمـان المطلق ، ولا يـرى شيئاً غيـره تعـالى في كـل أحواله .

(٣) لعل المقصود بها : أنه يكثر من قوله «إني كذا ، إني كذا» ومن كانت هـذه صفته كـان معتـزاً بنفسه ، جـاعلاً لهـا قدراً وقيمـة ، وذلك مـرذول عن السـادة الصـوفية(رضي الله تعالى عنهم) .

الاقتباسات الالهامية

١ ـ من كتم : تم .

٢ ـ من انفصل : اتصل .

٣ ـ من أمتلأ : ابتلي .

٤ ـ من عرف : وصف .

٥ ـ من باح : ناح[١] .

٦ ـ من قنع : شبع .

٧ ـ من إتضع : ارتفع[٢] .

٨ ـ من فار : غار[٣] .

٩ ـ من صدق : سبق .

١٠ ـ من حاز : فاز .

١١ ـ من جد : وجد .

١٢ ـ من سلم : تعلم .

١٣ ـ من اتقى : ارتقى .

---

(١) لأن من باح بسر نفسه : ندم .

(٢) في الحديث : «من تواضع لله رفعه» رواه أبو نعيم في الحلية .

(٣) الفوران : شدة الغليان ، وغار «من الغيرة» ، ولعل الجملة من باب المقلوب ، والله تعالى أعلم .

١٤ ـ من عشق : علق[١] .

١٥ ـ من ضل : ذل .

١٦ ـ من جاد : ساد .

١٧ ـ من تفكر : تذكر .

١٨ ـ من جاز : حاز .

١٩ ـ من اشتهر : انتظر .

٢٠ ـ من صبر : قدر .

٢١ ـ من اختلي : اجتلي[٢] .

٢٢ ـ من حب : دب[٣] .

٢٣ ـ من رمق : علق[٤] .

٢٤ ـ من ثبت : نبت .

٢٥ ـ من طاب : غاب .

٢٦ ـ من اختفى : التقى .

٢٧ ـ من صفا : عفى .

٢٨ ـ من تزوق : تعوق[٥] .

٢٩ ـ من ابتدع : انقطع .

٣٠ ـ من رقد : فقد[٦] .

٣١ ـ من أخلص : تخلص .

٣٢ ـ من خرس : حرس[٧] .

---

(١) بمعنى تعلق .

(٢) لأنه خلا بذكر الله وانقطع عن الناس ، فإذا فعل ذلك انجلت مرآة قلبه .

(٣) وفي المثل العامي «الرجل تدب مطرح ما القلب يحب» .

(٤) الرمق : النظر ، والمعنى : من نظر إلى شيء بإعجاب تعلق به .

(٥) لعلها من العيافة ، وهي : التجمل الزائد عن الحد ، أو من التعوق ، وهو التأخر .

(٦) من نام : فاته خير كثير .

(٧) لأن اللسان أصل من أصول المصائب ، فمن أخرسه عن الكلام : حرس من الشر . والله تعالى أعلم .

٣٣ ـ من تجوع : تنوع[١] .
٣٤ ـ من وافق : رافق .
٣٥ ـ من طمع : منع .
٣٦ ـ من ساح : ارتاح .
٣٧ ـ من شرب : طرب .
٣٨ ـ من افتقر : افتخر[٢] .
٣٩ ـ من صلى : تملى[٣] .
٤٠ ـ من رضي : حظي .
٤١ ـ من قرأ : دري .
٤٢ ـ من إلتجأ : نجا .
٤٣ ـ من غفل : وجل .
٤٤ ـ من ذكر : حضر .
٤٥ ـ من استغاب : استعاب .
٤٦ ـ من فني : بقي[٤] .
٤٧ ـ من ترفق : تحقق ، ومن تمكن : تركن .
٤٨ ـ من كرب : كرب[٥] .
٤٩ ـ من سجد : عبد .
٥٠ ـ من خاف : شاف .
٥١ ـ من قصر : تحسر .

---

(١) فرق بين : تجوع ، وجاع ، فإن الذي يتجوع يجيع نفسه ، وهو يملك القوت ، وجاع : لم يجد ما يأكله ، والله تعالى أعلم .
(٢) لعله : من الإفتقار إلى الله تعالى .
(٣) المصلّي هو التابع ، وفي المختار : المصلّي : تالي السابق ، فالتابع : يتملي من المتبوع ، أي فيفعل كما يفعل ، والله تعالى أعلم .
(٤) فني عن نفسه ، وبقي بإبقاء الله له .
(٥) كرب : بفتح الراء من أفعال المقاربة ، والثانية من الكرب .

٥٢ ـ من استاف [١] : انكشف .

٥٣ ـ من افتكر : اعتبر .

٥٤ ـ من توقى : تنقى .

٥٥ ـ من تكاسل : تناسل [٢] .

٥٦ ـ من سها : لهي .

٥٧ ـ من تأدب : تهذب .

٥٨ ـ من تأنى : تهنى .

٥٩ ـ من ألف : تلف [٣] .

٦٠ ـ من تعمق : تعلق .

٦١ ـ من تكثر : تكسر .

٦٢ ـ من تدبر : تخير .

٦٣ ـ من سار : استنار .

٦٤ ـ من تخشع : تدمع .

٦٥ ـ من تقندل : تجندل [٤] .

٦٦ ـ من تولغ : توجع [٥] .

٦٧ ـ من غفل : أفل .

٦٨ ـ من تولع : ترفع .

---

(١) الاستياف : الشم ، قال في القاموس «واستاف : اشتم» ولعل الكشف هنا هو : معرفة قوة حاسة الشم عنده ، فينكشف بذلك ، والله أعلم .

(٢) لعله يقصد ـ والله أعلم ـ أن المتكاسل قعيد البيت .

(٣) لقوله (ص) : «لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً» فالألفة المبغوضة هنا أن يعلق بصاحبه كما يعلق الصبي ، كما وضحه رسول الله (ص) لما سألوه : كيف كلفاً وتلفاً ؟ قال(عليه الصلاة والسلام) : «إذا أحببت كلفت كلف الصبي ، وإذا أبغضت تمنيت لصاحبك التلف» رواه البخاري في الأدب المفرد وغيره .

(٤) تقندل الرجل في مشيته «مشي في استرخاء واسترسال» فيعثر ، فيقع على وجهه .

(٥) لعله ـ والله تعالى أعلم ـ يقصد : المستولغ : الذي لا يبالي ذماً ولا عاراً ، كما في القاموس .

٦٩ ـ من تطفل : تسفل .
٧٠ ـ من ذاق : راق .
٧١ ـ من حاص : غاص[١] .
٧٢ ـ من تمول : تميل[٢] .
٧٣ ـ من كـر : سـر .
٧٤ ـ من تياءس : تخاسس .
٧٥ ـ من هوى : غوى .
٧٦ ـ من ضمن : وزن .
٧٧ ـ من حسد : فسـد .
٧٨ ـ من أتى : جنى .
٧٩ ـ من توكل : تكمل .
٨٠ ـ من تزيد : تسيـد .
٨١ ـ من صام : قام .
٨٢ ـ من صام : عام[٣] .
٨٣ ـ من تنفل : توصل .
٨٤ ـ من آثر : أجر .
٨٥ ـ من خان : مـان .
٨٦ ـ من جاهد : شاهد .
٨٧ ـ من دعا : سعي .
٨٨ ـ من تنبه : توجه .
٨٩ ـ من ضاق : حاق .
٩٠ ـ من ذاق : ضاق .

---

(١) غاص على الأمر : علمه ، وحاص فنزع إلى أمر أهمه ، ومنه «حاصوا حيصة حمر الوحش» ، والمقصود أن من أهمه شيء طلبه .
(٢) التمول : كثرة المال ، والتميل : عدم الاستقامة ، والله تعالى أعلم .
(٣) هكذا في الأصل المخطوط .

٩١ ـ من اعترف : اغترف .

٩٢ ـ من وصل : حصل .

٩٣ ـ من صلح : سمح .

٩٤ ـ من قنع : ورع .

٩٥ ـ من تعجب : تغرب .

٩٦ ـ من سلم : تعلم .

٩٧ ـ من تعلم : تكلم .

قال النبي (ص) :

«الشريعة مقالي ، والطريقة أفعالي ، والحقيقة : حالي»[١] .

قلت :

١ ـ «الشريعة : جسم ، والطريقة نفس ، والحقيقة : روح» .

٢ ـ «الشريعة : اسم ، والطريقة : عذر ، والحقيقة: خاصة».

٣ ـ «الشريعة : أسماء ، والطريقة : صفات ، والحقيقة : ذات» .

٤ ـ «الشريعة : عرف[٢] ، والطريقة : ظرف[٣] ، والحقيقة : غرف» .

٥ ـ «الشريعة : بداية ، والطريقة : توسط ، والحقيقة : غاية » .

٦ ـ «الشريعة : اجتهاد ، والطريقة : انقياد ، والحقيقة : اعتماد .

---

(١) لعله من الأحاديث التي رواها السادة الصوفية (رضي الله عنهم)، وهو : صحيح المعنى والحمد لله رب العالمين .

(٢) عرف : بفتح العين وسكون الراء ، والعرف : هو الطيب .

(٣) بفتح الظاء ، أي آناء ، والمعنى : أن الطيب إذا وضع في الإناء يغترف منه ، ولا طيب أطيب من الشريعة .

٧ ـ «الشريعة : ريادة ، والطريقة : اجتهاده، والحقيقة : سيادة» .

٨ ـ «الشريعة : ظاهرة ، والطريقة : باطنة ، والحقيقة : مشاهدة» .

٩ ـ «الشريعة : علم ، والطريقة : عين ، والحقيقة : حق»[(١)] .

١٠ ـ «الشريعة : تبيين ، والطريقة : تعيين ، والحقيقة : تمكين» .

١١ ـ «الشريعة : أساس : والطريقة : حيطان ، والحقيقة : سقف» .

١٢ ـ «الشريعة : أصل ، والطريقة : فرع ، والحقيقة : الثمر» .

١٣ ـ «الشريعة إسلام ، والطريقة : إيمان ، والحقيقة : إحسان» .

١٤ ـ «الشريعة : عبادة ،والطريقة: إفاده، والحقيقة : مرادة» .

١٥ ـ «الشريعة : تدليل ، والطريقة : تعليل ، والحقيقة : توصيل» .

١٦ ـ «الشريعة : تقوى ، والطريقة : ورع ، والحقيقة : إتكال» .

١٧ ـ «الشريعة : تقوى ، والطريقة : ورع ، والحقيقة : زهد» .

١٨ ـ «الشريعة : تعلق ، والطريقة : تخلق ، والحقيقة : تحقق» .

١٩ ـ «الشريعة : أوعاظ ، والطريقة : استيقاظ ، والحقيقة : أعواض» .

٢٠ ـ «الشريعة : مقام ، والطريقة : مرام ، والحقيقة : التمام» .

---

(١) علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين .

قواعد التربي : خمسة :

١ ـ معرفة المعبـــود .

٢ ـ والرضـــا بالموجـود .

٣ ـ والوقوف على الحدود[١] .

٤ ـ والوفاء بالعهـــود .

٥ ـ والصبر على المفقود .

قلـت :

١ ـ ورأيت العز : في الزهد .

٢ ـ والغني : في الفقر .

٣ ـ والقناعة : في الورع .

٤ ـ والفرج : في الصبر .

٥ ـ والرزق : في التوكل .

٦ ـ والحق : في الصدق .

٧ ـ والدين : في التقوى .

٨ ـ والراحة : في العزلة[٢] .

٩ ـ والهداية : في المجاهدة .

١٠ ـ والفناء : في المشاهدة .

١١ ـ والمحبة : في المتابعة[٣] .

١٢ ـ والبركة : في الحلال .

١٣ ـ والنور : في العبادة .

١٤ ـ والسر : في الكتمان .

١٥ ـ والسعادة : في العناية .

---

(١) بأن لا يتعدى حدود الله .

(٢) البعد عن الناس في زمن الفتن : راحة كبرى .

(٣) متابعة الرسول (ص) لقوله تعالى : ﴿اتبعوني يحببكم الله﴾ .

١٦ ـ والرفق : في المعيشة .
١٧ ـ والحلم : في القدرة .
١٨ ـ والوفاء : في العهد .
١٩ ـ والود : في الصحبة .
٢٠ ـ والرفعة : في التواضع .
٢١ ـ والشرف : في العلم .
٢٢ ـ والحكمة : في الصمت[١] .
٢٣ ـ والصحة : في الحمية[٢] .
٢٤ ـ والكشف : في الجوع .
٢٥ ـ والمراقبة : في السهر .
٢٦ ـ والغفلة : في الكسل .
٢٧ ـ والربح : في المسامحة .
٢٨ ـ والخوف : في القلب .
٢٩ ـ واللطف : في المعاشرة .
٣٠ ـ والموافقة : في الصحبة .
٣١ ـ والاعتبار : في الافتكار .
٣٢ ـ والتوبة : في اليقظة[٣] .
٣٣ ـ والعلم : في التواضع .
٣٤ ـ والكرم : في الجود .
٣٥ ـ والرحمة : في التوادد .
٣٦ ـ والإنتقام : في الغضب .
٣٧ ـ والإبتلاء : في المحبة .

---

(١) لقوله (ص) : «الصمت حكم ، وقليل فاعله» رواه القضاعي عن أنس ، والديلمي في المسند عن ابن عمر .
(٢) بكسر الحاء وسكون الميم .
(٣) اليقظة التي هي ضد الغفلة ، والله تعالى أعلم .

٣٨ ـ والخشوع : في البكاء .
٣٩ ـ والقرب : في النوافل .

والحمد لله وحده .
وصلّى الله على من لا نبي بعده
وعلى آله وصحبه وسلّم .

(١٥)
رسالة

● جاء في كشف الظنون .

● رسالة .

● وصيته إلى ولده .

جاء في كشف الظنون ما يلي :

«رسالة الشيخ الأكبر إلى ـ الفخر الرازي ـ قال فيها : «أنا أحبك» و «وقفت على بعض تآليفك» .

ثم أخذ يقول فينبغي للعاقل كذا وكذا ، كأنه نصحه» ا هـ .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

هـذه الرسـالة كتبهـا ابن عربي إلى الإمـام فخـر الـدين الـرازي : نقلتها من مكتبة الأزهر : تحت رقم .

٦١٢٧ ـ عام ، ٩٧٤ ـ مجاميع تصوف .

ونصها كما قال ناسخها (رحمه الله تعالى) :

بسم الله الرّحمن الرّحيم

كتب الشيخ الإمام الراسخ ، سـراج الطريقـة ، كاشف الحقيقـة ، محي الدين بن عربي الطائي الأندلسي ، إلى الإمـام العلامـة فخر الملة والدين [أبي عبد الله] محمد بن عمر الرازي(قدس سرهما) .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى - وعلى وليي[1] في الله : [فخر الدين] محمد : أعلى الله همته - ورحمة[2] الله وبركاته .

أما بعـد :

فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو .

وقال رسول الله (ص) :

«إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه إيّاه»[3] .

وأنا أحبـك .

ويقول الله تعالى : ﴿وتواصوا بالحق﴾[4] .

---

(١) أي نصيري في الله ، وفي المصباح : «والولاية بالفتح والكسر النصرة» .
و «المولى : العصبة والناصر ، والحليف : والولاء : النصرة» اهـ بتصرف .

(٢) واو العطف راجعة إلى «وسلام» الخ .

(٣) وفي رواية : «إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه» ، رواه الإمام أحمد ، والبخاري في الأدب ، وأبو داوود ، والترمذي ، وابن حبان ، والحاكم ، وللحديث ألفاظ أخرى .

(٤) سورة العصر ؛ الآية : ٣ .

وقد وقفت على بعض تآليفك[1] وما أيدك الله من القوة المتحبلة[2] وما تتخليه من الفكر الجليلة .

ومتى فقدت النفس كسب بدنها ، فإنها لا تجد حلاوة الجود والوهب ، وتكون ممن أكل من تحت رجله[3] .

والرجل : من أكل من فوقه ، كما قال الله تعالى : **﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾**[4] .

وليعلم ولي[5] وفقه الله : إن [الوراثة[6] الكاملة هي] . التي تكون من جميع الوجوه ، لا من بعضها ، و «العلماء ورثة الأنبياء»[7] .

فينبغي للعاقل : أن يجتهد أن يكون وارثاً من جميع الوجوه ، لا يكون ناقص الهمة .

وقد علم ولي (وفقه الله) أن حسن اللطيفة الإنسانية ، إنما يكون بما يحمله من المعارف الإلهية .

وقبحها بضد ذلك .

وينبغي للعاقل ، العالي الهمة : أن لا يقطع عمره في معرفة المحدثات وتفاصيلها ، فيفوته حظ من ربه .

---

(١) في المخطوطة «تواليفك» .

(٢) المتحبلة : المليئة .

(٣) كالبهيمة .

(٤) سورة المائدة ؛ الآية : ٦٦ .

(٥) الولي يطلق على عدة معان منها : الصديق .

(٦) في المخطوطة «أن الوراثة الكامل هي» ولا يستقيم .

(٧) لفظ حديث شريف : رواه ابن النجار ، والإمام أحمد ، وأبو داوود، عن أبي الدرداء مرفوعاً ، وصححه ابن حبان ، والحاكم ، وغيرهما ، وحسنه حمزة الكتاني .

وينبغي لـه أيضـاً : أن لا يشـرح صـدره من سلطان فكـره ، فـإن الفكـر يعلم مـأخـذه ، والحق المـطلوب ليس ذلـك ، وأن العلم بـالله ، بخلاف العلم بوجود الله .

فـالعقـول[1] يعـرف الله من حيث كـونـه مـوجـوداً ، ومن حيث السلب ، لا من حيث الاتهاب .

وهـذا خلف[2] الجماعـة من العقلاء والمتكلمين ، إلاّ سيـدنـا أبـا حامد الغزالي ، فإنه معنا في هذه القضية .

ويجل الله سبحانه وتعالى : أن يعرفه العقل بنظره وفكره .

وينبغي للعـاقل : أن يخلي قلبـه عن الفكر ، إذ : معـرفـة الله من حيث المشاهدة .

وينبغي للعـالي الهمة : أن لا يكـون تلقيه ـ عنـد هـذا ـ من عـالم الخيـال ، وهي الأنوار المتحـدة الدالـة على معانٍ وراءهـا ، فإن الخيـال ينـزل المعاني العقليـة في القوالب الحسيـة ، كالعلم في صـورة اللبن[3] والقرآن في صورة الحبل ، والدين في صورة القيد .

وينبغي للعـالي الهمة : أن لا يكـون معلمه مؤنثـاً : متعلقاً بـالأخذ من النفس الكلية .

---

(١) بفتح العين وضم القاف .

(٢) بسكـون الـلام ، وهـو يستعمـل في السـوء ، وبفتحهـا في الخيـر . قـال الله تعـالى : ﴿فخلف من بعـدهم خلف﴾ بـسكون الـلام ، والذين ذكـرهم الشيخ استعملوا العقـول في الاستدلال على الله تعالى ، ولذلك قال (رضي الله عنه) :

الـلّه يـعـلم أنـي لـسـت أعـلـمـه ... وكـيـف يعلم من بـالـعلم نـجهـله

إنـي عـلمـت وجـوداً لا يـقـيـده ... نـعت بـحـق ، ولا خـلق يـفـصـله

(٣) روى مسلم أن رسول الله (ص) قال : «بينا أنا نـائم إذ رأيت قدحاً أتيت به ، فيـه لبن فشربت منه حتى أني لأرى الري يجري في أظفـاري ، ثم أعـطيت فضلي عمر بن الخطاب قالوا : فما أولت ذلك يا رسول الله ؟ ، قال : العلم» وهكذا .

كما ينبغي له : أن لا يتعلق بالأخذ من الفقير أصلاً .

وكل من لا كمال له : إلاَّ بالغير فهو فقير .

فهذا حال كل ما سوى الله تعالى .

فارفع الهمة في : أن لا تأخذ علماً إلاَّ منه سبحانه ، على الكشف ، فإن عند المحققين : أن لا فاعل إلاَّ الله ، فلا تأخذون[١] إلاَّ عن الله تعالى ، لكن : عقلاً لا كشفاً ، وما فاز أهل الهمة إلاَّ بالوصول إلى عين اليقين : أنفة من البقاء مع علم اليقين[٢] .

واعلمَ أن أهل الأفكار ، إذا بلغوا فيه الغاية القصوى : إذا هم فكرهم في حالة المقلد الصميم ، فإن الأمر أعظم من أن يفعله الفكر .

فما دام الفكر ، فمن المحال أن يطمئن العقل ويسكن .

وللعقول[٣] حد تقف عنده من حيث قوتها في التصريف الفكري .

ولها صفة القبول لما يهبه الله تعالى .

فإذن : ينبغي للعاقل أن يتعرض لنفحات الجود ، ولا يبقى ما هو في قيد نظره وكسبه ، فإنه على شبهة في ذلك .

ولقد أخبرني من أثق به من إخوانك ، وممن له فيك نية حسنة جميلة : إنه رآك يوماً قد بكيت ، وسأل هو من حضر عن بكائك ، فقلت :

---

(١) هكذا هي في المخطوطة ، وهي من باب التفخيم .

(٢) هذه مفسرة للكلام قبله ، ولا تناقض .

(٣) وهذا من الأدلة على أنه لا يستعمل الفلسفة ، ولا يميل إليها فإن الفلاسفة يستعملون عقولهم إستعمالاً مطلقاً .

«مسألة اعتقدتها منذ ثلاثين سنة ، تبين لي الساعة بدليل لاح لي : أن الأمر على خلاف ما كان عندي ، فبكيت ، وقلت : ولعل الذي لاح لي أيضاً : يكون مثل الأول» :

فهذا قولك :

ومن المحال على العارف بمرتبة العقل والفكر : أن يسكن أو يستريح ، ولا سيما في معرفة الله تعالى ، إذ من المحال أن يعرف ماهيته بطريق النظر ، فما لك يا أخي تبقى في هذه الورطة ، ولا تدخل طريق الرياضات والمجاهدات والخلوات : التي شرعها رسول الله (ص) ، فتنال ما نال من قال فيه سبحنه وتعالى : **﴿فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً﴾**[1] ومثلك من يتعرض لهذه الخطة الشريفة والمرتبة العظيمة الرفيعة .

وليعلم وليي (وفقه الله تعالى) أن كل موجود عند سلب ذلك السبب محدث مثله ، فإن له وجهين :

وجه ينظر به إلى سببه .

ووجه ينظر به إلى موجده ، وهو الله سبحانه .

فالناس كلهم ناظرون إلى وجوه أسبابهم ـ الحكماء من الفلاسفة وغيرهم ـ إلاّ المحققين من أهل الله تعالى ، كالأنبياء ، والأولياء ، والملائكة (ع) ، فإنهم ـ مع معرفتهم بالسبب ـ ناظرون ـ من الوجه الآخر ـ إلى موجدهم .

من نظر إلى موجده من وجه سببه ، لا من وجهه فقال : «حدثني قلبي عن ربي» .

وقال الآخر ـ وهو الكامل ـ «حدثني ربي» .

---

(١) سورة الكهف ؛ الآية : ٦٥ .

وإليه أشار صاحبنا العارف بقوله :

«أخذتم علمكم عن الرسوم : ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت»[1] .

ومن كان وجوده مستفاداً من غيره ، فحكمه ـ عندنا ـ : حكم لا شيء .

فليس للعارف أن يقول غير : «الله ، الله» .

ثم ليعلم ولي أن الحق ـ وإن كان واحداً ـ ، فإن له إلينا وجوهاً كثيرة مختلفة .

فأحذر عند الموارد الإلهيات وتجلياتها في هذا الفصل ، فليس الحق من كونه رباً ، وما حكمه كحكمه من كونه مهيمناً ، ولا حكمه كحكمه من كونه رحيماً : له من كونه منتقماً .

وكذلك جميع الأسماء .

وأعلم أن الوجه الإلهي الذي هو اسم «الله» لجميع الأسماء مثل : الرب ، والقدير ، والشكور ، وجميعها كالذات الجامعة لما فيها من الصفات .

فاسم «الله» مستغرق جميع الأسماء ، عند المشاهدة منه ، فإنك لا تشاهده مطلقاً ، فإذا ناجاك به ، وهو الجامع ، فانظر ما يناجيك به .

وانظر : المقام الذي تقتضيه تلك المناجاة ، أو تلك المشاهدة .

---

(١) يقصد بذلك العلماء فإنهم يأخذون العلم بالرواية عالم عن آخر ، وليس القرآن والحديث النبوي من هذا الباب . .

وأخذهم عن الله تبارك وتعالى ، هو كما قال تعالى : ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ فنسب التعليم لنفسه مباشرة بدون واسطة ، وقال عن الخضر (ع) : ﴿وعلمناه من لدنا﴾ بدون واسطة ﴿علماً﴾ .

وانظر : أي اسم من الأسماء الإلهية ينظر إليها ، فذلك الاسم هو الذي خاطبك ، أو شاهدته ، فهو المعبر عنه بالتحويل في الصورة ، كالغريق إذا قال : يا الله ، فمعناه : يا غياث ، أو منجي ، أو منقذ .

وصاحب الألم : إذا قال : يا الله ، فمعناه : يا شافي : يا معافي ، وما أشبه ذلك .

وقولي لك : التحول في الصور : ما ذكره مسلم في صحيحه « ... الباري يتجلى في (...)[1] فينكر ويتعوذ منه ، فيتحول لهم في الصورة[2] التي عرفوه فيها ، فيقرون بعد الإنكار .

وهكذا هي : معنى المشاهدة ههنا ، والمناجاة والمخاطبات الربانية .

وينبغي للعاقل : أن لا يطلب من العلم إلاَّ ما يكمل به ذاته ، وينتقل معه حيث انتقل .

وليس ذلك إلاَّ العلم بالله من حيث الوهب والمشاهدة ، فإن علمك بالطب مثلاً : إنما يحتاج إليه في عالم الأسقام والأمراض .

فإذا انتقلت إلى عالم ما فيه مرض ولا سقم ، فمن تداوى بذلك العلم ؟

---

(١) هنا كلمة مطموسة ، والحديث : في مسلم ، وهو حديث طويل في باب «معرفة الرؤية» وفيه :

«... فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتي ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله تعالى ، في صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا» .

وهو حديث طويل جداً فراجعه هناك .

(٢) في القاموس : «تستعمل الصورة : بمعنى الصفة» .

فالعاقل : لا يسكن حيث أن لا يكون له غيره[1] .

وإن أخذه من طريق الوهب ، كطلب الأنبياء (ع) ، فلا يقف معه ، وليطلب العلم بالله .

وكذلك العلم بالهندسة إنما يحتاج إليه في عالم المساحة فإذا انتقلت : تركته في عالمه ، ومضت النفس ساذجة ، ليس عندها شيء .

وكذلك الاشتغال بكل علم تتركه النفس عند إنتقالها إلى عالم الآخرة .

فينبغي للعاقل : أن لا يأخذ منه إلاَّ ما مست الحاجة الضرورية إليه .

وليجتهد في تحصيل ما ينتقل معه حيث انتقل .

وليس ذلك إلاَّ علمان خاصة :

العلم بالله تعالى .

والعلم بمواطن الآخرة ، وما يقتضيه مقاماتها ، حتى يمشي فيه كمشيه في منزله ، فلا ينكر شيئاً أصلاً ، فإنه من أهل الفرقان ، لا من أهل النكران .

وتلك المواطن : مواطن التمييز ، لا مواطن الامتزاج التي تعطي الغلط .

ويخلص ـ إذا حصل في هذا المقام ـ أن يتميز في حزب الطائفة التي قالت عندما تجلى بها ربها ـ نعوذ بالله منك ، لست ربنا ، ها

(١) قوله : «لا يسكن حيث أن لا يكون له غيرة» هكذا في المخطوطة ، والمعنى : أنه لا يهدأ إلاَّ وهو عزيز .

نحن منتظرون حتى يأتينا ربنا ـ فلما جاءهم في الصورة التي عرفوه فيها : أقروا به .

فما أعظمها من حيرة ؟؟ .

وينبغي للعاقل : الكشف عن هذين العلمين بطريق الرياضة والمجاهدة والخلوة ـ على الطريقة المشروطة ـ .

وكنت أذكر الخلوة وشروطها ، وما يتجلى فيها على الترتيب شيئاً فشيئاً ، لكن منع من ذلك : الوقت ـ وأعني بالوقت : علماء السوء ، الذين أنكروا ما جهلوا ، وقيدهم التعصب ، وحب الظهور والرئاسة عن الأذعان للحق ، والتسليم : إن لم يمكن الإيمان به .

والحمد لله .

وصلّى الله على سيدنا محمد ، وآله ، وصحبه وسلّم .

[انتهى عبارة المكتوب إلى الفخر الرازي (رحمه الله) ، والله أعلم] .

وصيته التي كتبها (رضي اللّه عنه) إلى بعض ولده

راجعها وعلق عليها

عبد الرحمن حسن محمود

[نقلتها من مخطوطة بالمكتبة العامرة : مكتبة الأزهر الشريف] .

ورقمها : ٧٤١ خـــاص ، ٣٤٧٨٨ عام ، مجاميع حليم .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

هذا كتاب وصية الغوث الفرد الجامع الرباني ، السيد الجليل ، سلطان الأولياء ، الشيخ محي الدين بن العربي(قدس الله سره العزيز) ، وقد سأل[1] بعض أولاده الوصية .

قال (رحمه الله) :

[يا ولدي أوصيك بتقوى الله عزّ وجلّ ، ولزوم الشرع ، وحفظ حدوده ، وتعلم العلم»] .

«يا ولدي: (وفقك الله وأنا والمسلمين أجمعين) .

وطريقتنا هذه مبنية على «الكتاب والسنة» وسلامة ، الصدر ، وسخاء اليد ، وبذل الندا[2] وكره الجفا[3] ، والصفح عن[4] عثرات الأخوان» .

وأوصيك يا ولدي بالفقر ، وهو : «حفظ حرمات الشيوخ ،

(١) في المخطوطة : «سئل» .

(٢) الندا : قال في المختار «فلان ندى الكف : سخي» .

(٣) الجفا : ضد البر .

(٤) في المخطوطة «على» ولا يستقيم الكلام .

وحسن العشرة مع الأخوان ، والنصيحة للأصاغر والأكابر ، وترك الخصومات ، إلّا في ترك أمور الدين» .

«واعلم يا ولدي (وفقنا الله وإياك والمسلمين أجمعين) : أن حقيقة الفقر : أن لا تفتقر إلى من [هو](1) مثلك ، وحقيقة الغنى أن تستغني عن من هو مثلك .

وإن التصوف : لم يؤخذ عن القيل والقال .

لكن إذا لقيت الفقراء ، ورأيت الفقير ، فلا تبدأه بالعلم ، وأبدأه بالرفق ، فإن العلم يوحشه ، والرفق يؤنسه» .

«وأعلم يا ولدي (وفقنا الله تعالى وإيّاك والمسلمين أجمعين) أن التصوف مبني على ثمانية خصال :

الأول : السخاء (2).

والثاني : الرضا (3) .

والثالث : الصبر (4) .

والرابع : الإشارة (5).

والخامس : الغربة (6) .

---

(1) في المخطوطة «من مثلك» .

(2) لقول رسول الله (ص) : «الجنة دار الأسخياء» رواه ابن عدي ، والدارقطني في المستجاد والخرائطي .

(3) ومنه قوله (ص) : «من رضي عن الله رضي الله عنه» رواه ابن عساكر .

(4) لقوله تعالى : ﴿إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ .

(5) كناية عن لزوم الصمت والصوم عن الكلام إلّا إذا لزم الأمر .

(6) وليس المقصود بالغربة التغرب في البلاد ، وإنما المقصود منه الحض على ملازمة الصلاح ، فإن الرجل الصالح غريب ، لقول رسول الله (ص) : «الغرباء في الدنيا أربعة : قرآن في جوف ظالم : ومسجد في نادي قوم لا يصلّي فيه ، ومصحف في بيت لا يقرأ فيه ، ورجل صالح مع قوم سوء» .

وقد ألف ابن رجب الحنبلي في حديث الغربة ـ بدأ الإسلام غريباً ـ جزءاً طيب سماه «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة» أجاد فيه وأفاد ، فطالعه للإستفادة .

والسادس : لبس الصــوف .
والسابع : السياحــة .
والثامن : الفقــر .

فالسخاء لنبي الله إبراهيم (ع)[1] .
والرضا لنبي الله إسحاق (ع)[2] .
والصبر لنبي الله أيوب (ع) .
والأشارة لنبي الله زكريا (ع)[3] .
والغربة لنبي الله يوسف(ع)[4] .
ولبس الصوف لنبي الله يحيى (ع) .
والسياحة لنبي الله عيسى (ع) .
والفقر لنبي الله محمد (ص) وشرف وكرم وجمل وعظم[5]» .

---

(١) لأنه أول من ضيف الضيف .
(٢) وإن كـان (رحمه الله تعالى) يميل إلى أن الذبيح سيدنا إسحاق، فإن هـذا الرأي قـال به جماعة من العلماء ، إلَّا أنه رأى مرجوح ، حيث أن أغلب العلماء قالوا إن الذبيـح هو سيدنا إسماعيل ، واستنبطوه من القرآن حيث ذكر سبحانه قصة الذبيح ثم قـال بعدهـا ـ ﴿وبشرناه بإسحق﴾ وهذا يفيد أن الذبيح غير المبشر به» .
(٣) لقوله تعالى : ﴿فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً﴾ والإيحاء هنـا : الإشارة ، قـال في القاموس : «والوحي الإشارة» .
(٤) وسيدنا يوسف(عليه الصلاة والسلام) جمع بين الغربتين : غربة الدار وغربة الدين .
(٥) في المخطوطة «وجميل وعظيم» .
واعلم أن الفقر المذكور ليس هو الفقر المعروف عند الناس ، وإنمـا له عـدة معان ، منها : البذل حتى لا يبقى عنده شيء .
وقد كان (ص) إذا جاءه مال : لا يدخل بيته حتى يوزعه على الناس ، وكـان يقول : «لا ينبغي لمحمـد ، ولا لآل محمد أن يبيتـوا وعندهم شيء من هـذا» [يعني الـذهب والفضة] .
وروى أن عبد الله بن جعفر (رضي الله عنهما)، وفد على أحد خلفاء بني أُميـة ، فقال له الخليفة : كم كان أمير المؤمنين يعطيك في السنة ؟ ـ [يعني أباه] .
قال : كان(رحمه الله تعالى)، يعطيني ألف ألف درهم .

«وأوصيك يا ولدي (وفقك الله وإيانا والمسلمين أجمعين) أن تصحب الأغنياء بالتعزز ، والفقراء بالتذلل» .

«وعليك بالإخلاص ، وهو : نسيان : رؤية الخلق ، ودوام رؤية الخالق» .

«ولا تتهم الله في الأسباب ، وأشكر إليه في جميع الأحوال» .

«وألا تضع حوائجك اتكاء بأحد ، لما بينك وبينه من المودة والصداقة والقرابة ، فإن الله فرض لكل مؤمن حقاً» .

«وعليك بخدمة الفقراء في ثلاثة أشياء :

أحدها : التواضع .

والثاني : حسن الأدب .

والثالث : استخفاف النفس» .

«وأمت نفسك ، حتى تحيا» .

«وأقرب الخلق الى الله تعالى أحسنهم خلقاً» .

= قال : زدناك لترحمك عليه : ألف ألف أخرى .

قال : بأبي أنت وأمي .

قال : وبهذه ألف ألف أيضاً .

قال : ولا أقولها لأحد بعدك .

قال : وبهذه أيضاً ألف ألف .

فقيل ـ بعد قيام عبد الله ـ يا أمير المؤمنين : ليس الرفق [أو العطف] هكذا فقد فرقت بيت مال المسلمين على رجل واحد .

قال : صه ، إنما فرقته على أهل المدينة أجمعين .

ثم وكل به من يعلمه بخبره من حيث لا يشعر .

[فلما قدم المدينة بالمال، فرق جميع ما معه على المستحقين حتى احتاج بعد شهر إلى القرض] اهـ .

[من الهبات البينات للشيخ كمال الدين العراقي (رحمه الله تعالى)] .

«وأفضل الأعمال : رعاية السر ، عن الإلتفات إلى شيء سوى الله تعالى» .

«وعليك إذا جمعت بالفقر بالتواصي[1] إلى الصبر» .

«وأوصيك من شيئين[2] : صحبة فقير ، وحرمة ولي» .

«وتعلم[3] يا ولدي أن الفقير هو : الذي لا يستعين بشيء سوى الله تعالى» .

«واعلم : أن التصوف على من هو دونك : ضعف ، وعلى من هو فوقك : قحط[4]» .

«وإن الفقر والتصوف كله جدك ، لا تخلطه بشيء من الهزل» .

وهذه وصيتي لك ، ولمن يسمعها من المؤدبين ، كتبك الله منهم .

يوفقك الله تعالى وإيانا ، كما ذكرناه وبيناه ، وجمعناه بمن يقتفي[5] آثار السلف الماضين ، ويتبع أخبارهم بحق سيدنا محمد صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

ورضي الله تعالى عنا ، وعن أصحاب رسول الله صلّى الله عليهم وسلّم أجمعين .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١) في المخطوطة «بالتوحي» بالحاء المهملة .

(٢) يعني أحفظهما ، وأحذرك من عدم العمل بهما .

(٣) بمعنى : أعلم ، ومنه قول الشاعر :

تعلم رسول اللّه أنك مدركي وأن وعيداً منك كالأخذ

(٤) المقصود أنك لا تتكلم بشيء مطلقاً ، لأنك إذا تصوفت على من هو دونك فقد تكبرت ، والكبر من الجرائم الكبرى ، وإذا تصوفت على من هو فوقك ، فقدت الأدب ، وسوء الأدب لا يرضاه الله تعالى .

(٥) في المخطوطة «يتفق» .

ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم .

والحمد لله رب العالمين» ا هـ

قال ناسخها رحمه الله رحمة واسعة :

[تمت في أواسط رمضان المبارك : سنة ١٠٣٤ هـ] .

(١٦)
توجهات الحروف

- الإهـــداء .
- توجهات الحـــروف .
- الصيغة المطلسمـــة .
- الصيغة الأكبريـــة .
- الصيغة الفيضيـــة .
- الدور الأعـــلى .

الإهداء

كلمتي أبعث بها من روحي الخالصة المتقلصة من روح أستاذي العارف المحقق عالم زمانه بلغات القوم واصطلاحاتهم . المتفرد بالوقوف على المراجع الصحيحة والأسانيد الدقيقة . الأستاذ السيد محمد عبد الوهاب الليثي القصري المحامي (رضي الله عنه) نسيماً يعبق عطره ويفوح في الملأ نشره . وبهاء يتلألأ في الآفاق سناه ريحاناً ونوراً متواصلين إلى روح صاحب التأليف وأستاذ التصانيف العبقري الملكوتي . والفرد الأوحد اللاهوتي إكليل المعارف وأكسير الحقائق أستاذ العارفين سيدي محي الدين «قدس الله سره» .

وكلمتي إذ أهديها وإن تقاصرت ـ لتلكم الروح العالية ـ فإنما أنفثها لا من روحي فحسب . بل من أرواح أولئك الذين استناروا من قبس هذا المؤلف الفريد . فتحققوا به وسلكوا بمدده مسالك الواصلين المقربين . فسلام على روحك الطاهرة في عليين . يا سيدي محي الدين . مني ومن كل تلميذ درس في مدارس علومك واغترف من محيطات أسرارك . فغرق في بحار معارفك . وإن أسفارك : الخالدة ، ونفثات روحك العالية التي تمد بها طلاب الحقائق وغواصي بحار الأصداف لتسمو على أن توصف بوصف وتجل عن أن تحد بكم أو كيف .

وإن تلميذ تلميذك صاحب الإهداء عبد الحميد . ليس هو عبد الحميد الكاتب حتى تتاح له قوة التعبير والبيان . بل هو عبد الحميد الشيمي . الذي من الله عليه بمدارسة الكثير من مؤلفاتك القيمة على يد أستاذه السيد محمد عبد الوهاب . ومن بينها هذه التوجهات العالية . التي أمدتني برقائق دقائق المعرفة وسوانح الوجدان فأفاض الحق على سماء روحي أصولاً متينة في ترتيب قراءة هذه التوجهات ومناسبات قوية في حقائق الإرتباطات الحاصلة بحكم التجلي الإلهي بين روحانية هذه الدعوات وخواص الأيام . وهذا ما حفزني على طبعها ونشرها تعميماً لنفعها بواسطة مكتبة القاهرة لصاحبها : علي يوسف سليمان .

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ﴿الـذي علم بـالقلم * علم الإنسـان مـا لم يعلم﴾ والصـلاة والسلام على رسـوله محمـد سر الحـرف ونقـطة الـوصـل ولام التنـزيـل وأصـل التكـوين . وعلى آلـه وصحبه الـذين فـازوا بسعـادة الدارين .

وبعد : فإن للحـرف أسراراً ومقامات وتعينات وخواص استـوجبت مني أن أرتب قـراءتها بحسب مخـارجها في النفس الإنسـاني تمشيـاً مـع القـواعد الكليـة والضوابط الأصليـة التي حققها الإمـام في الجزء الثـاني في بـاب النفس من فتوحـاته . بعـد أن سقتها على النهـج الـذي جـري عليـه في الجزء الأول عنـد بسطه الكـلام على أسرار الحـروف وطبائعهـا وما لها من لطائف علوية .

فإلى القارىء جدولاً مفصلاً بما ذكر .

«الجـــدول»

أولاً : تراعي الليالي لا الأيام :

بسم الله الرّحمن الرّحيم

جدول يشتمل على دعوات الحروف وترتيب قراءتها على حسب ليالي الأسبوع وأيامه . مع ذكر المناسبات الحاصلة بين الحروف ودعواتها وأيام الأسبوع وخواصها والإرتباطات الواقعة بين قلوب الأنبياء وأرواح الحروف . وذكر الأسماء الإلهية المناسبة لكل ما ذكر .

الليالي	اسم النبي (ص)	الحرف	الإسم الإلهي
الأحد	يعقوب	ك	الشكور
الإثنين	لوط	ل	القاهر
الثلاثاء	يوسف	ج	الغني
الأربعاء	عزيز	ن	النور
الخميس	إدريس	ح	الآخر
الجمعة	سليمان	ط	المحصي
السبت	صالح	ي	الرب

الأيام	اسم النبي (ص)	الحروف	الأسماء الإلهية
الأحد	آدم . يحيى . يونس	ا . س . ت	البديع . المحيي . القابض
الاثنين	خالد . نوح . لقمان	ب . ع . ث .	اللطيف . الباطن الرزاق
الثلاثاء	موسى . إسحاق . داود	ف . خ . د	القوي . الحكيم . المبين
الأربعاء	هارون . زكريا	ذ . ص	المذل . المميت
الخميس	شيث . إسماعيل . شعيب	هـ . ق . ص	باعث . محيط . عليم
الجمعة	محمد . عيسى . إلياس	م . و . لا . ر . ظ	الجامع . رفيع الدرجات الله . المصور . العزيز
السبت	أيوب . هود . إبراهيم	ز . ش . غ	الحي . المقدر . الظاهر

ترتيب الحروف في النفس الإنساني وما لكل حرف من مراتب الوجود .

الحرف	المرتبة المناسبة	الحرف	المرتبة المناسبة	الحرف	المرتبة المناسبة
ا	العقل أو القلم	ش	الكواكب الثابتة	ز	كرة الهواء
هـ	اللواح أو النفس	ي	السماء الأولى	س	كرة الماء
ع	الطبيعة	ض	السماء الثانية	ص	كرة التراب
ح	الهباء	ل	السماء الثالثة	ظ	المعدن
غ	الجسم	ن	السماء الرابعة	ث	النبات
خ	الشكل	ر	السماء الخامسة	ذ	الحيوان
ق	العرش	ط	السماء السادسة	ف	الملائكة
ك	الكرسي	د	السماء السابعة	ب	الجن
ج	الأطلس	ت	كرة الأثير	م ولا	الإنسان

ثانيــاً :

دعاء حرف القاف ينتهي عند قوله : **﴿لأكـون من المتطهـرين﴾** وأما مـا بعده وهـو قولـه : «وقابلني بنـور من عنايتـك يملأ وجـودي ظاهـراً أو بـاطناً» إلـخ ، فهو من كـلام شرف الـدين البوني (رضي الله عنه). هكذا أفـادني أستاذى السيـد محمد عنـد الوهـاب(رضي الله عنه) ولكنه ألزمني بقراءة الدعاء بما يتبعه من الذيـل المذكـور . وهكذا كـان يقرأ هو (رضي الله عنه) وكان يقـول : ليس المقصـود هـو مجـرد القـراءة بـل المقصـود القـراءة مع الفهم . والمـراقبة للهـوية في مـظهر الإسم الأعـظم وفاتحـة الكنـز المـطلّسم . وهـو الـروح المحمدي (صلوات الله وسـلامــه عليـه دائماً). هذا وممـا تجدد الإشـارة إليـه . أن هـذه التـوجهـات ليست من محض الأحـزاب التعبـديـة فقط . وإنمـا هي عبـارة عن تسعـة وعشـرين درسـاً في الإليهات العـالية . ملقـاة من ناظم عقـدهـا «قـدس الله سـره» على أتبـاعـه الـذين تشـرفـوا بفخـر الإنتسـاب إليـه . إذ هـو ختم الآبـاء الـروحانيين مـظاهـر الكمـال المحمدي الجمعي في سـائـر دوائـر أفـلاك الولاية العامة المحمدية .

١. توجه حرف الألـف :

إلهي اسمـك سيد الأسمـاء . وبيـدك ملكـوت الأرض والسمـاء . وأنت القــائم بكـل شيء . وغني عن كــل شيء . ثبت لــك الغنى . وافتقر إلى فيضك الأقـدس الهو والأنـا . أسألـك باسمـك الحق . الذي جمعت به متفرقات الأمر والخلق . وأقمت بـه غيب كل شـاهد وأظهـرت بـه كل غـائب . أن تهبني صمـدانيـة أسكن بهـا لمتحـرك قـدرك . حتى يتحـرك لإرادتي كـل سـاكن ويسكن كـل متحـرك . فـأجـدني قبلة كـل متوجه . وجامع شتات كل متفرق . من حيث اسمك الـذي توحـدت إليه وجهتي . واضمحلت عنـده كلمتي . فيقتبس كــل مـني جـذوة هــدى توضح لـه أني إمامـه الفرد الـذي لولاه لم تثبت أنـانية المقتبس . يـا من

هـو ولا أنا . أسـألك بكـل اسم استمـد من ألف الغيب المحيط بحقيقـة كـل مشهود . أن تشهـدني وحدة كـل متكثر في بـاطن كـل حق . وكثـرة كـل متوحـد في ظاهـر كل حقيقـة . ثم وحدة الـظاهـر والبـاطن حتى لا يخفي على غيب ظـاهـر . ولا يغيب عني خفي بـاطن . وأن تشهـدني الكـل في الكل . يـا من بيده ملكـوت كل شيء . أنت أنت أنت . ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ .

وصلّى الله على سيـدنـا محمـد النبي الأُمي وعلى آلـه وصحبـه وسلّم .

٢. توجه حرف الهاء المهملة :

اللّهم أنت المحيط بغيب كـل شاهـد . والمستولي على بـاطن كل ظاهر أسألك بوجهك الذي عنت له الـوجوه وبنـورك الذي شخصت إليـه الأبصـار . أن تهديني إلى صـراطك الخـاص هداية تصـرف بهـا وجهي عن كـل مطلوب سـواك وخذ بنـاصيتي إليك أخـذ عنايـة ورفق يا من هـو الهـو المطلق وأنـا الهو المقيـد . بل لا هـو إلاّ هـو . إلهي شـأنـك قهـر الأعـداء وقمع الجبـارين . أسألـك مدداً من عـزتـك يمنعني من كـل من أرادني بسـوء حتى تكف به عني أكف العـادين وتقطع بـه دابـر الـظالمين وملكني نفسي ملكاً تقدسني بـه عن كل خلق سيء . وأهـدني إليك يـا هادي . إليك مرجع كل شيء وأنت بكل شيء محيط .

وصلّى الله على سيـدنـا محمـد النبي الأُمي وعلى آلـه وصحبـه وسلّم .

٣. توجه حرف العين المهملة :

اللّهم يـا من لعلوه خضعت الجبـاه ولهيبتـه خـرست الألسن في الأفواه وجودك آية وجودك . وأنوار جمالـك مانعـة من شهودك . صـورت الصور على ما علمت . وألهمت المصـور ما ألهمت . فـظهرت عجـائب

الكـون . وانكشف رداء الكتم واللصون . فتنـزهت الألبـاب إذ انكشف الحجـاب . وتـرتبت الأسبـاب . فهـانت الصعـاب . تبـاركت محكم المصنوعات وصانع المحكمـات . محوت نقـطة الغين . فظهـرت العين واضمحـل الكيف والأين . وجمعت بحكمتـك بين الأكـدر والأصفى وجعلت الأظهر آية على الأخفى . فـظهرت الأسمـاء والأفعال . وبـرزت المثـل والأشكـال . وتجلت العبـر والآيـات . وأشـرقت الأرضـون والسمـوات . فلك السمـو الأرفـع . والمجـد الأمنـع والعلم المحيط الأوسـع . شمـل علمـك كـل المعلومـات . وسـري مـددك في قـوابـل الذوات . أسألك إتمام مـا توجهت إليـه وجهتي . وتعلقت به إرادتي وأن تكشف لي فيـه عن وجـه الحكمـة القنـاع . وأن تصحبني فيـه التيسير والإبـداع . واكسني في كل مـا أحاولـه بهجـة منـك تـرتـاح إليهـا أرواح المدركين . وتشخص لها أبصار النـاظـرين . وتسر بهـا أسرار العـارفين . ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾ ومعلمها .وكاشف الأسرار ومفهمها .

وصلّى الله على سيـدنـا محمـد النبي الأُمي وعلى آلـه وصحبـه وسلّم .

٤ . توجه حرف الحاء المهملة :

ربِّ أحي روحي ببارقة منـك تسـري مـني في أي صـورة أردت إحيـاءها بـك . وأشهدني بـديع حكمتـك في صنعك حتى أحكم صنعـة كـل مصنوع . إنـك أصنع الحكمـاء وأحكم الصـانعين . إلهي أشهـدني التمكين في التلوين شهـوداً يحكم لي عقـد التـوحيـد . حتى تتجلى في كل ذرة من ذرات وجودي رقيقة من أمرك تعـرفني مرتبـة كل مـوجود مني فـأقابـل كلا بمـا يجب له علي . وأتقـاضي منه سـرك المـودع لي فيـه . وأرني سريان أمرك في معلم كل معلوم . حتى أتصـرف في الكل بـرقيقة من رقـائق عـظمتـك ينفـل لهـا الـوجـود بـالإذن العلي السـاري في كـل مـوجود . حتى يحيـا لي كـل قلب ميت وتنقـاد إلي كـل نفس أبيـة . إن

شأنك العدل والإصلاح . وإليك تنقاد النفوس والأرواح وأنت على كل شيء قدير .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

٥. توجه حرف الغين المعجمة :

رب أغنني بك عن سواك غني يفنيني عن كل حظ يدعو إلى ظاهر فرق أو باطن أمر وبلغني غاية سيري . وارفعني إلى سدرة منتهاي . وأشهدني الوجود كورياً . والسير دورياً . لأعاين سر التنزل إلى النهايات والعود إلى البدايات . حيث ينقطع الكلام وتسكن حركة اللام . وتنمحي نقطة العين وينوب الواحد عن الإثنين . إلهي يسر علي في السير الذي يسرته عل كثير من أوليائك تيسيراً يعجم عين عنائي . وأيدني في ذلك بنور شعشعائي يخطف بصر كل حاسد من الجن والإنس . وهبني ملكة الغلبة بكل مقام واغنني بك عن سواك غنى يثبت لي فقري إليك . إنك أنت الغني المجيد والولي الحميد .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

٦. توجه حرف الخاء :

اللّهم خالق المخلوقات . ومحي الأموات . وباسط النور على الذوات . لك الملك الأوسع . والجنات الأرفع . الأرباب عبيدك والملوك خدامك . والأغنياء فقراءك . وأنت الغني بذاتك عمن سواك أسألك باسمك الذي خلقت به كل شيء فقدرته تقديراً ومنحت به من شئت من خلقك خلافة وملكاً كبيراً . أن تذهب حرصي . وتكمل نقصي . وأن تفيض على سوابغ النعماء وأن تعلمني من أسمائك ما أصلح به للأخذ والإلقاء . وأملأ باطني خشية ورحمة . وظاهري عظمة

وهيبة حتى تخافني قلوب الأعداء . وترتاح إلي أرواح الأولياء خاء خاء خاء خاء خاء خاء (ست مرّات) يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون . اللّهم وهبني استعداداً تاماً لقبول حق فيضك أخلفك به في بلادك . وأدفع به سخطك عن عبادك . ﴿**تستخلف من تشاء**﴾ . ﴿**وأنت على كل شيء قدير**﴾ . ﴿**وأنت الخبير البصير**﴾ .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأُمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

٧ـ توجه حرف القاف :

إلهي أنت القائم على كل نفس . والقيوم في كل معنى وحس . قدرت فقهرت . وعلمت فقدرت . فلك القوة والقهر . وبيدك الخلق والأمر . وأنت مع كل شيء بالقرب ووراءه بالقدرة والإحاطة وأنت القائل ﴿**والله من ورائهم محيط**﴾ .إلهي أسألك مدداً من أسمائك القهرية . تقوي به قواي القلبية والقالبية . حتى لا يلقاني صاحب قلبه إلّا انقلب على عقبه مقهوراً . وأسألك إلهي لساناً ناطقاً . وقولاً صادقاً . وفهماً لائقاً وسراً ذائقاً . وقلباً قابلاً وعقلاً عاقلاً . وفكراً مشرقاً . وطرفاً مطرقاً . وشوقاً محرقاً . ووجداً مقلقاً . وهبني يداً قادرة وقوة قاهرة . ونفساً مطمئنة . وجوارحاً لطاعتك لينة . وقدسني للقدوم عليك . وارزقني التقدم بين يديك . إلهي قلبي أقبل عليلك في قفر الفقر . يقوده الشوق ويسوقه التوق . وزاده الخوف والفرق . ورفيقه القلق . وقرينه الأرق وقصده القبول والقرب . وعندك زلفى القاصدين . إلهي ألق على السكينة والوقار . وجنبني العظمة والإستكبار . وأقمني في مقام القبول بالإنابة . وقابل قولي بالإجابة . إلهي قربني إليك قرب العارفين . وقدسني عن علائق الطبع . وأزل مني علق الذم . لأكون من المتطهرين . وقابلني بنور من عنايتك يملأ وجودي ظاهراً وباطناً . وأسألك إلهي مدداً روحانياً تقوي به قواي

الكلية والجزئية حتى أقهر به كل نفس قاهرة فتنقبض لي رقائقها إنقباضاً تسقط به قواها فلا يبقى في الكون ذو روح متوجه إلي بقهر . إلا ونار القهر أخمدت ظهوره . يا شديد البطش يا قهار . وأوقفني موقف العز يا قيوم يا قدير . تقدس مجدك يا ذا القوة المتين يا قدوس . إلهي أسألك الأنس بمقابلات سر القدر أنساً يحمو مني آثار وحشة الفكر حتى يطيب قلبي بك فأطيب بوقتي لك فلا يتحرك ذو طبع لمخالفتي إلّا وصغر لعظمتك . وقصم لكبريائك . إنك جبار الأرض والسموات وقاهر الكل بقهرك يا قوي يا قريب يا مجيب الدعاء . ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأُمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

٨ـ توجه حرف الكاف :

إلهي كنت ولا شيء . فأوجدت الكل بكاف الأمر . فالكون رقك . والمكون أمرك . والكائن خلقك . بسطت الرزق فلك الفضل وكفيت الكل فسقط الكل . أسألك روحاً من أمرك يشهدني حقيقة كل متكون . حتى أكون به معك ومعه بك . فأستقل بإظهار ما أريد مؤيداً ملك بكلمة جامعة أتمكن بها من كشف ما أقصد وكتم ما أشهد . وأجعل لي لسان صدق . معبراً عن شهود حتى . وأكلأني بعين حراسة تمنعني من كل يد تمتد إلي بسوء . وقدسني عن كل وصف يشهدني الأكوان عرية عنك . وجنبني النسمات المظلمة من أبناء الأثير والثري . واجعلني لاهوتي المشهد . ملكوتي المقعد . وزين ظاهري بالهيبة . وباطني بالرحمة . واجعلني متردداً بين الرهبة منك والرغبة إليك . واكنفني في ذلك كله بغواشي الإشراق . واكفني ما أخافه . متكفلاً لي بما أرجوه . إنك أنت الكافي الكفيل . السيد الجليل .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأُمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

٩ ـ توجه حرف الضاد :

اللّهم يا من هو الخافض الرافع . المانع المعطي الضار النافع . المقسط الجامع . أسألك باسمك الذي أرديت به الأعداء فضلوا خاسرين . وقصمت به ظهور الجبارين . وقطعت به دابر الظالمين . أن تهبني ملكة كاملة سارية في قواي وذرات وجودي . محجوبة عن أوليائي . مصحوبة بكل وصف حلمي وخلق رحيمي لهم أقهر بها كل متكبر . وأذل بها كل عزيز . وأخفض بها كل متعالي علي واجعلني قائماً بالحق فيك ولك . متعرضاً لكل معرض عنك . وضاعف لي الملكة ما ضعفت . وامددني بالمعونة إن عجزت . أنت المولى الجليل . وأنت حسبي ونعم الوكيل . ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأُمي وعلى آله وصحبه. وسلّم .

١٠ ـ توجه حرف الجيم :

إلهي كل الآباء العلوية عبيدك . وأنت الرب على الإطلاق . جمعت بين المتقابلات فكنت الجليل الجميل . لا غاية لا بتهاجك بذاتك . إذ لا غاية لشهودك منك . وأنت أجل من شهودنا وأجمل . وأعلى مما نصفك به وأكمل . وتعاليت في جلالك عن سمات المحدثات . وتقدس جمالك العلي عن مواقع الهبوط إليه بالشهوات . أسألك بالسر الذي جمعت به بين كل متقابلين . أن تجمع على متفرق أمري جمعاً يشهدني وحدة وجودي . واكسني حلة جمال ترتاح إليها الأرواح الأريحية . وتنبسط بها الأسرار القدسية . وتوجني بتاج جلال . تخضع له النفوس الشرية . وتنقاد إليه القلوب الأبية . وأعل قدري عندك علواً يخضع لي كل متعال . ويذل لي كل عزيز وملكني ناصية كل ذي روح ناصيته بيدك . واجعل لي لسان صدق في خلقك

وأمرك . واحملني محفوظاً ملحوظاً في برك وبحرك . وأخرجني من قرية الطبع الظالم أهلها . واعتقني من رق الأكوان واجعل لي برهاناً يورث أماناً . ولا تعجل لغيرك إعلي سلطاناً . وأغنني بالفقر إليك عن كل مطلوب . واصحبني بعنايتك في نيل كل مرغوب . أنت وجهتي وجاهي وإليك المرجع والتناهي . تجبر الكسير الحائر . وتجير الخائف . وتخيف الجائر . لك المحل الأرفع . والتجلي الأجمع . سبحانك لا إله إلاّ أنت . وسعت كل شيء رحمة وعلماً وأنت على كل شيء قدير .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

١١ ـ توجه حرف الشين المعجمة بثلاث :

إلهي أنت الشديد البطش ، الأليم الأخذ ، العظيم القهر ، المتعالي عن الأضداد والأنداد ، والمنزه عن الصاحبة والأولاد ، شأنك قهر الأعداء وقمع الجبارين ، تمكر بمن تشاء ، وأنت خير الماكرين أسألك باسمك الذي جذبت به النواصي ، وأنزلت به من الصياصي ، وقذفت به الرعب في قلوب الأعداء ، وشقيت به أهل الشقاء ، أن تمدني برقيقة من رقائق إسمك الشديد تسري في قواي الكلية والجزئية حتى أتمكن بها من فعل ما أريد بمن أريد ، فلا يصل إلي ظالم بسوء ولا يسقط علي متكبر بجور ، واجعل غضبي لك وفيك مقروناً بغضبك لنفسك ، واطمس على أبصار أعدائي واشدد على قلوبهم . واضرب بيني وبينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، إنك شديد البطش أليم العقاب .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

١٢ـ توجه حرف الياء المعجمة :

سيدي نظمت طبقات السفليات كما نظمت طبقات العلويات ، وفتحت أبواب التنزلات لظهور التجليات ، وتنزلت إلى غيب السماء الدنيا لإجابة الدعوات ، وظهرت في كل شيء ظهوراً مقدساً عن التلبس بالمحدثات ، فلك المثل الأعلى في الأرض كما لك المثل الأعلى في السموات ، أسألك يقيناً يقيني الشبهات ، وقلباً متواضعاً لهيبة السبحات ، واجعلني جليساً للمنكسرة قلوبهم من أجلك ، حتى أشهدك في التجلي شهوداً لا حجاب بعده ، واخفض لي من عبادك جناح الذل واحجبني عنهم بأشعة البهاء وأشهدني أفعالهم صادرة عنك لأراهم مجبورين تحت قهرك ، فلا أغضب إلاّ لك ، يا من نسبة التحت إليه كنسبة الفوق ، أنت أقرب إلينا منا ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأُمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

١٣ـ توجه حرف اللام المهملة :

إلهي ما أوصل لطفك للعبيد ، وألطف وصلك بمن تريد ، أرسلت رسلك تترى ، وقرنت الأولى بالأُخرى ، تبارك إسمك صانع اللطف ولطيف الصنع ، لا إله إلاّ أنت جامع المتفرقات ، وناظم أشتات الطبقات عنت لك الوجوه ، وشخصت إليك الأبصار ، وسبحتك الألسن على قدر معرفة القلوب ، وأنت وراء نطق كل ناطق ، احتجبت عن الغير ، وتلطفت في إيصال الخير ، ونهجت الطريق للسير ، إلهي أيقظت أبناء الغفلات ، وأعتقت عبيد الطبع ، وسرحت مساجين الحس وأطلقت أسراء الشهوات وأجبت دعاء الداعين ، وصاح مناديك بالمبعدين ، فلك الحمد والمدح ، وبيدك الفلح والفتح ، أسألك شوقاً يوصلني إليك ، ونوراً يدلني عليك ، وروحاً قدسياً ينفث في روعي كل

سر انعجم على فهمه ، أو عزب عني علمه ، وأيدني بروح منك واكنفني بنور من نورك أوضح به طريق الرشاد للسالكين ، وأعرف به رتبة الوصلة للقاصدين ، وأفتح لي باباً إلى الأفق الأعلى والأفق المبين ، وارفع رقي في عليين وردني برداء اللطف معلماً باليقين إنك أنت ألطف اللطفاء وأرحم الراحمين .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأُمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

١٤ـ توجه حرف الراء المهملة :

رب ربني بلطيف ربوبيتك تربية مفتقر إليك . لا يستغني أبداً عنك . وراقبني بعين رعايتك مراقبة تحفظني من كل طارق يطرقني بأمر يسوءني في نفسي أو يكدر علي حسي أو يثبت في لوح ذاتي خطأً من خطوط حظوظي . وارزقني راحة الأنس بك . ورقني إلى مقام القرب منك . وروح روحي بذكرك . ورددني بين رغب فيك ورهب منك . وردني برداء رضوانك . وأوردني موارد القبول . وهبني رحمة منك تلم بها شعثي . وتقوم بها عوجي . وتكمل بها نقصي وترد بها شاردي . وتهدي بها حائري . فأنت رب كل شيء ومربيه . رحمت الذوات . ورفعت الدرجات . قربك روح الأرواح وريحان الإرتياح . وعنوان الفلاح وراحة كل مرتاح . تباركت رب لأرباب . ومعتق الرقاب : وكاشف العذاب . وسعت كل شيء رحمة وعلماً . وغفرت الذنوب حناناً وحلماً . وأنت الرؤوف الرحيم .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأُمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

١٥ـ توجه حرف النون :

إلهي أنوار عظمتك قاهرة . وأشعة سبحات وجهك محرقة .

وأنت أعظم من أن تشهد بل تفرد . وأعظم من أن تجحد بل تعبد . تعالى جدك . تعالى مجدك عظم جلالك . سبحت في بحار عظمتك الأفكار ، وسنحت من جنات قدسك لوامع الأنوار ، وتاهت في بيداء كمالك عقول الأبرار ، وتناهت إليك طلبات الكمل الأخبار فأنت رب العباد ، وباسط المهاد ، وقامع الأضداد ، وجامع الناس ليوم الميعاد ، إرتديت بالكبرياء وتعززت بالمجد وحجبت بالجبروت ونصرت بالرعب ، لا يعلم جنودك سواك ، ولا يطيق شهودك غيرك ، كذب المدعون ، ذاتك أجل من أن تدرك ، وصفاتك أعظم من أن تعقل ، وإنما هي تجليات أسمائية في مظاهر مثالية ، احتجبت بها عن أبصار الطالبين ، وآنست بها أسرار المستوحشين ، إلهي خشعت الأبصار لهيبة جلالك ، ووجلت القلوب لعظمة جبروتك . وتفطرت الأكباد لخوف مكرك ، واقشعرت الجلود لهيبة سلطانك ، وشهاب قهرك محرق كل ما ود ، إلهي وسيدي ، أسألك يا من هو فوق مقالتي بما لا يتناهى باسمك الذي ملأت به القلوب رعباً ، وأنرت به الوجود شرقاً وغرباً ، وبنور سبحات وجهك المشرق والمحرق كل جبار عنيد ، أن تمنحني من صدمات قهرك ، ما أذل به من اعتز بغيرك ، وأقمع به كل جبار عتيد ، ممن مكر بالعبيد ، حتى أغلب كل غالب ، وأحتمي بك عن كل طالب ، واكنفني في ذلك بلطف ترتاح إليه أرواح الأولياء ، وتنبسط به نفوس السعداء ، وغشني بغاشية نور منك تدهش كل مرتاب ، فإن نورك جذوة كل مقتبس وأخذة كل مغترس وأنت أظهر عزيز ، وأعز ظهير ، أنت نعم المولى ونعم النصير .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

١٦. توجه حرف الطاء المهملة :

إلهي أطلقت الألسن بذكرك ، وقيدت النعم بشكرك ، وشرحت

الصدور لأمرك ، وسيرت ركائب الآمال في بر برك ، وسرحت أفهام ذوي القربى في مسرح ميرك ، طارت نحوك القلوب من أوكارها ، وتخلصت إليك النفوس من قيادها ، وعلقت بك أيدي الطالبين ، وفي سجن الطبع عبد لا يطيق الإباق ، وقيد السجن مثقل كل مسجون ، وأنت المطلق لكل قيد . والممد لكل يد ، إلهي أمطر علي من سحائب لطفك الخفي ما يطهرني من رجس الطبع ؛ ويحفظ علي أدب الشرع ، وأفض علي شآبيب رحمتك التي وسعت كل خطا ، وكشفت كل غطا وهبني استعداداً تاماً لقبول الفيض الأقدس ، حتى تقابل كل رقيقة مني حضرة الاسم اللائق بها ، وعصمني في الأخذ والإلقا واكنفني بغواشي إليها: مصحوباً في ذلك بسر تنقاد إليه النفوس إنقياد محبة تصحبها رغبة ، واجعل لي فرقاناً أميز به بين الحق والباطل والجائر والعادل ، وقدسني عن العلائق تقديساً ينزهني عن رجس النفس ، ويطلقني من حبس الحس ، حتى لا أرد إلاَّ مورداً لك فيه رضا ، ولا أقف إلاَّ لديك موقف زلفى ، يا من به فرح المقربين ، أغثني فكوثر عنايتك طهور المحبين .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأُمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

١٧ـ توجه حرف الدال المهملة :

سيدي دام بقاؤك ، ونفذ في الخلق قضاؤك ، تقدست في علاك وتعاليت في قدسك ؛ لا يؤدك حفظ كون ؛ ولا يخفي عليك كشف عين ؛ تدعو من تشاء إليك ؛ وتدل بك عليك ؛ أسألك يقيناً صادقاً بمعاملة لائقة تكون غايتها قربك ؛ يا من نتائج الأعمال موقوفة على رضوانه هبني سراً أزهر يكشف لي عن حقائق الأعمال ؛ واخصصني بحكمة معها حكم وإشارة يصحبها فهم ؛ إنك ولي من تولاك ؛ ومجيب من دعاك ؛ إلهي أدم على نعمك حتى أتنعم بدوام مشاهدتك

وأشهدني ذاتي من حيث أنت لا من حيث هي حتى أكون بك ولا أنا ؛ وهبني من لدنك علماً تنقاد إلي فيه كل روح عالمة إنك أنت العليم العلام ؛ تبارك اسمك ذا الجلال والإكرام .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأُمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

١٨ ـ توجه حرف التاء :

إلهي أنت التواب على من تاب ، والمقرب لمن أناب ، والكاشف لمة الحجاب ، تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، إليك ترجع الأُمور وبك تدفع الشرور ، اللَّهم إني أسألك سراً من سرك وروحاً من أمرك ، ونوراً من نورك ، يورثني السكون لمقدورك ، وهبني توفيقاً منك يوقظ غافلي ، وبعلم جاهلي ، ويوضح إليك طريقي ، ويكون في النجعة والرجعة رفيقي ، فيك جهادي وعليك اعتمادي ، وإليك مرجعي ، وبين يديك مصرغي ، تعلم حقيقة أمري ، وسواء لديك سري وجهري ، تعاليت عن سمات المحدثات ، وتنزهت عن النقائص والآفات ، وتقدس علمك عن معارضة الشبهات ، إلهي أسألك توبة تمحو بها زللي . وتتقبل بها عملي ، وتصلح بها ظاهري وتجمع بها شملي ، وتشمل بها جمعي ، وتقدس بها سري ، وتيسر بها تقديسي وتزكي بها نفسي وتطهرني بها من رجسي ، وهبني نوراً أمشي به بين الناس ، إنك واهب الأنوار ، وكاشف الأسرار ، وكل شيء عندك بمقدار .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأُمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

١٩ـ توجه حرف الصاد المهملة :

رب أفض علي شعاعاً من نورك يكشف لي عن كل مستور في حتى أشاهد وجودي كاملاً من حيث أنت لا من حيث أنا ، فأتقرب إليك بمحو صفتي مني ، كما تقربت إلي بإفاضة نورك علي ، رب الإمكان صفتي ، والعدم سادني ، والفقر مقومي ، وجودك علني ، وقدرتك فاعلي . وأنت غايتي ، حسبي من معرفتك جهلي ، أنت كما أعلم ، ووراء ما أعلم بما لا أعلم ، وأنت مع كل شيء ، وليس معك شيء ، قدرت المنازل للسير ، ورتبت المراتب للنفع والضير ، وأبنت مناهج الخير ، فنحن في كل ذلك بك وأنت بلا نحن ، فأنت الخير المحض ، والوجود الصرف ، والكمال البحت ، أسألك باسمك الذي أفضت به النور على القوابل ، ومحوت به ظلمة الغواسق ، أن تملأ وجودي نوراً من نورك الذي هو مادة كل كمال ، وغاية كل مطلب ، حتى لا يخفي عني شيء مما أودعته في ذرات وجودي ، وهبني لسان صدق ، معبراً عن شهود حق ، واخصصني من جوامع الكلم بما تحصل به الإبانة والبلاغ ، واعصمني في ذلك كله من دعوى ما ليس لي بحق ، واجعلني علي على بصيرة منك في أمري أنا ومن اتبعني ، أعوذ بك من قول يوجب حيرة ، أو يعقب فتنة ، أو يوهم شبهة ، منك يتلقى الكلم ، وعنك تؤخذ الحكم ، أنت مسكن السماء ، ومعلم الأسماء ، لا إله إلاّ أنت الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأُمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

٢٠ـ توجه حرف الزاي :

اللّهمّ رب السموات السبع ، وجامع الناس ليوم الجمع ، أرسلت سيدنا محمداً بالهدى ودين الحق ، وأوضحت بنور شريعته مناهج

الفرق ، وفضلته على سائر الخلق ، فلك الحمد والمجد والجد ، تجليت في جمالك فانبسط بساط الرحمة . وزكت سرائر ذوي القرب وانقادت النفوس للأنس ، فأنت راحة الأرواح ، ومفيض الأفراح ، بك ابتهاجي ، وإليك احتياجي ، فمني الشكر الدائم ، ومنك دوام المزيد ، إلهي أسألك عناية تخلصني مني إليك ، حتى أكون بك معك ، فلا أبرح مسروراً بإرادتك مني مستعداً لما يرد علي منك ، فلا يزعجني وارد قدر سبق به قضاؤك ، ولا تتحرك نفسي لإرادة لم يكن فيها رضاؤك ، إلهي أسألك بلداً طيباً يخرج نباته بإذنك إنك خير الزارعين ، وامنحني زيادة بهجتي لأكون من المحبورين ، وزكني من كل نقص إنك تحب المتطهرين ، واجعلني من الفرحين بما آتيتهم من فضلك المستبشرين .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

٢١ ـ توجه حرف السين المهملة :

سيدي سلام علي منك، أنت سندي سواء عندك سري وجهري ، تسمع ندائي وتجيب دعائي : محوت بنورك ظلمتي . وأحييت بروحك ميتتي . فأنت ربي ، وبيدك سمعي وبصري وقلبي . ملكت جميعي . وشرفت وضيعي ، وأعليت قدري ، ورفعت ذكري ، تباركت نور الأنوار ، وكاشف الأسرار وواهب الأعمار تنزهت في سمو جلالك عن سمات المحدثات ، وعلت رتبة كمالك عن تطرق النقائص إليها والآفات ، ونارت بشهود ذاتك الأرضون والسموات ، فلك المجد الأرفع والجنات والأوسع ، والعز الأمنع ؛ (سبوح قدوس رب الملائكة والروح ٧ مرّات) جللت السموات والأرض بالعظمة وتفردت بالوحدانية وقبرت العباد بالموت ، اقهر أعداءنا بالموت وبارك لنا في الموت وما بعد الموت ؛ منور الصياصي المظلمة ؛ وغواسق الجواهر المدلهمة .

ومنقذ الغرقى من بحر الهيولى ، أعوذ بك من غاسق إذا وقب ، وحاسد إذا ارتقب ، مليكي أناديك وأناجيك مناجاة عبد كسير يعلم أنك تسمع ، ويطمع أنك تجيب ، واقف ببابك وقوف مضطر لا يجد من دونك وكيلاً ، أسألك إلهي بالاسم الذي أفضت به الخيرات ، وأنزلت به البركات ، ومنحت به أهل الشكر الزيادات ، وأخرجت به من الظلمات ، وفرجت به من الكربات ، أن تفيض علي من ملابس أنوارك وأضوائك ما ترد به عني أبصار الأعادي حاسرة ، وأيديهم خاسرة ، واجعل حظي منك إشراقاً يجلو لي كل خفي . ويكشف لي عن كل سر علي ، يا نور النور ، يا كاشف كل مستور إليك ترجع الأمور، وبك تدفع الشرور ، لا إله إلاّ أنت مجيب الداعين ، وملاذ الأوابين ، أنت حسبي ونعم الوكيل .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

٢٢ـ توجه حرف الظاء المعجمة :

رب ظفرني بنية مطالبي منك حتى أظهر لعبادك بكل وصف مضاف إليك . وسر مفاض منك . فأكشف لهم عن رمز أسمائك مرقومة في ألواح الأشباح فإذا هم شاخصون ، رب أسألك كمالاً يظهر في يبشرني ، وروحاً ينشر في يطهرني ، وقابلني بحضرة اسمك الجامع مقابلة تملأ وجودي وتبسط شهودي حتى لا يقابلني ذو نقص إلاّ انقلب كاملاً . ولا ذو ظلم إلاّ رجع عادلاً . ونور ذاتي بنورك . واكشف لي عن خفي مستورك . أنت السريع القريب . وأنت الرقيب المجيب . ظهرت بالنور : واحتجبت بغلبة الظهور فأنت الظاهر في كل باطن وظاهر . والمستولي على كل أول وآخر .

وصلّى الله على سيدنا محمد لنبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

٢٣ـ توجه حرف الذال :

رب اغمسني في بحر عبودتك غمسة تحقر مني كل وصف يجر إلى دعوى أو حظ يعقبني بلوى . وأوقفني بين يديك موقف الذل لك حتى أشهدك منفرداً بالعزة . وتلطف بي في إيصالي إليك بك . وأذهب مني كل ظلمة توجب انحرافاً عنك . واملأ قلبي بذكرك . ولساني بشكرك . واذكرني عندك ﴿**إنك خير الذاكرين**﴾. إلهي أذقني حلاوة قربك : وألق على محبة منك . وصرفني في المهج بمبهجات الأنس واجعلني مظهر كمالك الأقدس . وأيدني في ذلك بهيبة تصحبها رحمة . وتلقني بالروح والريحان وفرحني بالأمن منك والرضوان . وقلبني بين الشوق إليك والسرور بك . وهبني التلذذ بك وبمناجاتك يا من به فرح المحزونين . وأنس المستوحشين . يا ذا الجلال والإكرام والطول والإنعام . لا إله إلاّ أنت . إني لعهدك من الذاكرين وبذكرك من المحبورين .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

٢٤ـ توجه حرف الثاء المثلثة :

إلهي أنت الثابت قبل كل ثابت : والباقي بعد كل شيء ناطق وصامت . بل لا ثابت إلاّ أنت ولا موجود سواك . لك الكبرياء والجبروت والعظمة والملكوت : تقهر الجبارين ، وتبيد الظالمين . وتبدد شمل الملحدين . وتذل رقاب المنكرين . أسألك يا غالب كل غالب . ويا مدرك كا هارب . برداء كبريائك . وإزار عظمتك وسرادق هيبتك ، وما وراء ذلك مما لا يعلم علمه إلاّ أنت ، أن تكسوني هيبة من هيبتك تحن لها القلوب ، وتخشع لها الأبصار ، وملكني ناصية كل جبار عنيد ، وأبق على ذل العبودية في ذلك كله ، واعصمني من الخطأ والزلل ، وأيدني في القول والعمل ، إنك مثبت القلوب ،

وكاشف الكروب لا إله إلاَّ أنت .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

٢٥ ـ توجه حرف الفاء :

اللَّهم يا فاتح أبواب الغيوب ، ويا كاشف حجب القلوب ، حارت فيك الفكر ، وسبقت إلى معرفتك الفطر ، فتقت رتق الأكوان بيد تقديرك ، وأدرت الأفلاك بمشيئة تسخيرك ، وعلمت كل شيء ففصلته تفصيلاً ، وأقمت الظاهر على الباطن دليلاً ؛ فأنت فالق النواة . ومحيي الرفات ، وفاطر الأرضين والسموات ؛ حكمك فصل . وقضاؤك عدل ، وعطاؤك فضل ؛ فاز عبد فر منك إليك ؛ وأفلح فتى فارق فرقة الفرق فعول لديك ؛ أسألك باسمك الذي فتحت به كل مقفل ؛ وأيقظت به كل مغفل ؛ وفصلت به كل مجمل . وفرقت به كل أمر منزل ، أن تهبني فرقاناً منك ينشرح له صدري ، ويرتفع به قدري . ويستنير به فضاء سري . وأنجح به في معارج أمري . وينكشف به سداف همي وعسري . وينحط به وزري الذي أنقض ظهري . ويرتفع به في عوالم الملكوت ذكري . وينعجم به على الفئة الفاجرة سري . وأقمني على فراش أمنك بمنك . واحرسني بحارس حفظك وصونك . واكنفني بكنف رعايتك . وتكفل لي بما تكفلت به لأهل عنايتك ، وأرضني بالفلح منك والفتح ، واكتب لي عملي في صفحة الصفح ، وافرق بيني وبين مضلات الفتن ، وأسرع لي سريان لطفك الخفي قبل نزول المحن ؛ وفرجني بفرج يفتح لي باب الفلاح والنجاح . ويعرفني سبل الرشاد والصلاح . ووفقني للخلق الفاضل . وأيدني بالفتح الكامل ، وأهلني لقبول فيضك الأقدس واستنشاق نفسك الأنفس ، وخذني إليك مني . وارزقني الفناء فيك عني ولا تجعلني مفتوناً بنفسي : ولا محجوباً بحسي : واعصمني في الفعل والقول . يا ذا

الفضل والطول .

وصلّى الله على سيـدنـا محمـد النبي الأمي وعلى آلـه وصحبـه وسلّم .

٢٦ـ توجه حرف الباء :

سيـدي أنت مسبب الأسباب ومـرتبهـا ومصـرف القلوب ومقلبهـا . أسألك بـالحكمة التي اقتضت تـرتب الأخر على الأول وتـأثير الأعلى في الأسفـل . أن تشهـدني تـرتيب الأسبـاب صعـوداً ونـزولاً ، حتى أشهـد للبـاطن منهـا بشهـود الـظاهـر ، والأول في عين الأخـر ، وألحظ حكمـة التـرتيب بشهـود المـرتب ، وتسبب الأسبـاب مسبـوقـاً بـالمسبب ، فـلا أحجب عن العين بـالغين فأعـد من الفجـرة وإن كنت من البـررة ، إلهي ألق إلي مفتـاح الإذن الذي هـو كاف العـارف حتى أنطق في كـل بـدايـة باسمك البديع الـذي افتتحت به كـل رقيم مسطور ، يـا من بسمو اسمـه ينخفض كـل متعال ، كـل بك وأنت بـلا هـو ، فـأنت بـديـع كـل شيء وباديه ، لك الحمد يا باري على كل بدايـة ، ولك الشكـر يا بـاقي على كل نهاية ، أنت الباعث على كـل خير ، بـاطن البواطن ، بـالغ غـايات الأمـور ؛ باسط أرزاق العـالمين ؛ بارك اللهم علي في الآخـرين ، كمـا بـاركت على سيدنـا محمد وإبـراهيم ؛ إنه منـك وإليك ، وإنـه بسم الله الرحمن الرحيم .

وصلّى الله على سيـدنـا محمـد النبي الأمي وعلى آلـه وصحبـه وسلّم .

٢٧ـ توجه حرف الميم :

سيـدي ما أكمـل ملكك وأتم كمـالك ؛ ختمت بمـا بـه افتتحت ؛ وأعدت إلى ما منـه بدأت ؛ وانفـردت بملك الملك ؛ وأنقذت من شـرك الشـرك ؛ وأبنت مناهـج السبل ؛ ومننت بخـاتم الرسـل ؛ سجـدت لـك الأمـلاك ، وسبحت لـك الأفـلاك . وشهـد لـك الفـرش بمـا شهـد بـه

العرش . سبحانك سبحانك لا إله إلاّ أنت رب الألباب ومنزل الكتاب . أسألك باسمك الذي ملكت به النواصي . وأنزلت به الضياء في الصياصي . أن تكسوني في هذه الساعة وما بعدها سراً تخضع له أعناق المتكبرين . وتنقاد إليه نفوس الجبارين . وردني برداء الهيبة وأجلسني على سرير العظمة . متوجاً بتاج البهاء . مشرفاً بنور الإقتداء . واضرب على سرادق الحفظ . وانشر علي لواء العز . واحجبني بحاجب القهر . وأصحبني في ذلك كله بمعرفة نفسي . حتى أكون بك فيما لك . يا من بيده ملكوت الأرض والسماء . عظمت هيبتك في القلوب . وأحاط علمك بالغيوب . لك المجد الأرفع . والملك الأوسع . سبحانك لا إله إلاّ أنت .**﴿وسعت كل شيء علماً﴾** . **﴿وأنت على كل شيء قدير﴾** .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

٢٨ ـ توجه حرف الواو :

إلهي وسع علمك كل معلوم وأحاطت خبرتك بباطن كل مفهوم . وتقدست في علائك عن كل مذموم . تسامت إليك الهمم وصعد إليك الكلم . وأنت المتعالي في سمائك . فأقرب معارجنا إليك التذلل ظهرت في كل باطن وظاهر ودمت بعد كل أول وآخر سبحانك لا إله إلاّ أنت . سجدت لعظمتك الجباه . وتنعمت بذكرك الشفاه أسألك باسمك الذي إليه سمو كل مترق . ومنه قبول كل متلق . رفعة يضمحل معها علو العالين . ويقصر عنها غلو الغالين . حتى أرقى بك إليك مرقي تطلبني فيه الهمم العلية . وتنقاد إلي النفوس الأبية . وأسألك ربي أن تجعل سلمي إليك التنزل ومعراجي إليك التواضع والتذلل . واكنفني بغاشية من نورك تكشف لي عن كل مستور وتحجبني عن كل حاسد مغرور . وهبني خلقاً أسع به كل خلق .

وأقضي به كل حق كما وسعت كل شيء رحمة وعلماً لا إله إلَّا أنت يا حي يا قيوم .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

٢٩ـ توجه حرف اللام ألف :

اللّهم لا إله إلَّا أنت . إياك نعبد وإياك نشهد . منيبين إليك لا شي من دونك . أسألك بك من حيث أنت . أنت أنت يا من لا هو إلَّا إلَّا هو . أن تقبض عني ظل التكوين حتى أشهدني عريا عن كل وصف يكون حجاباً من دونك عن مشاهدتي إياك من حيث أنا . وقدسني عن كل نعت أو حكم يوجب رؤية حظ ﴿**كل شيء هالك إلَّا وجهه**﴾ ﴿**ألا إلى الله تصير الأمور**﴾ اللّهم صلِّ على نبيك سيدنا محمد المخصوص بهذا المحو الأتم . والجمع الأكمل . الذي هو فوق منال الحكمة . وعلى آله المهتدين بهذا الهدى العلي والنور الجلي . اللّهم اجعل صلاتي على نبيك سيدنا محمد المصطفى (ص) نوراً ظاهراً مظهراً تمحو به مني ظلمة كل بغي وكفر . وشك وشرك ونكر . حتى لا يكون في رؤية لغيرك . وارجعني إليك مني في كل وارد علي منك يا من إليه وجهة كل متوجه ﴿**ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال**﴾ .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

تمت توجهات سيدنا الإمام محي الدين بن العربي الحاتمي الطائي الأندلسي(قدسنا الله بأسراره النورانية).(والله ولي التوفيق)

الصيغة المطلسمة

في الصلاة على الذات المحمدية له أيضاً(قدس سره العالي) .

اللّهم صلّ على الذات المطلسم . والغيب المطمطم . والكمال المكتم . لاهوت الجمال . ناسوت انوصال . طلعة الحق . هوية إنسان الأزل في نشر من لم يزل من قامت به نواسيت الفرق في طريق الحق . بقاب ناسوت الوصال الأقرب . صلّ اللّهم به منه فيه عليه وسلّم .

تــمت

(والله ولي التوفيق)

الصيغة الأكبرية

له أيضاً (رضي الله عنه وعنا به آمين)

اللّهم صلّ وسلّم على سيدنا محمد أكمل مخلوقاتك . وسيد أهل أرضك وأهل سمواتك . النور الأعظم . والكنز المطلسم . والجوهر الفرد . والسر الممتد . الذي ليس له مثل منطوق . ولا شبه مخلوق . وأرض عن خليفته في هذا الزمان . من جنس عالم الإنسان . الروح المتجسد . والفرد المتعدد . حجة الله في الأقضية . وعمدة الله في الأمضية . محل نظر الله من خلقه . منفذ أحكامه بينهم بصدقه . الممد للعوالم بروحانيته . المفيض عليهم من نور نورانيته . من خلقه الله على صورته . وأشهده أرواح ملائكته . وخصصه في هذا الزمان ليكون للعالمين أمان . فهو قطب دائرة الوجود . ومحل السمع والشهود . فلا تتحرك ذرة في الكون إلاّ بعلمه . ولا تسكن إلاّ بحكمه . لأنه مظهر الحق . ومعدن الصدق . اللهم بلغ سلامي إليه . وأوقفني بين يديه وأفض علي من مدده . وأحرسني بعدده . وانفخ في من روحه كي أحيا بروحه . ولأشهد حقيقتي علي التفصيل . فأعرف بذلك الكثير والقليل . وأرى عوالمي الغيبية تتجلى بصوري الروحانية على اختلاف المظاهر . لأجمع بين الأول والآخر والباطن والظاهر . فأكون مع الله آله . بين صفاته وأفعاله . ليس لي من الأمر شيء

معلوم . ولا جزء مقسوم . فأعبده به في جميع الأحوال . بل بحول وقوة ذي الجلال والإكرام . اللّهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمعني به وعليه وفيه . حتى لا أفارقه في الدارين . ولا أنفصل عنه في الحالين . بل أكون كأني إياه في كل أمر تولاه من طريق الأتباع والانتفاع . لا من طريق المماثلة والأرتفاع . وأسألك بأسمائك الحسنى المستجابة أن تبلغني ذلك منه مستطابة . ولا تردني منك خائب . ولا ممن لك نائب . فإنك الواجد الكريم وأنا العبد العديم . وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الصيغة الفيضية

له أيضاً (رضي الله عنه وعنا به آمين)

بسم الله الرّحمن الرّحيم

اللّهم أفض صلة صلواتك وسَلامة تسليماتك على أول التعينات المفاضة من العماء الرباني . وآخر التنزلات المضافة إلى النوع الإنساني . المهاجر من مكة كان الله ولم يكن معه شيء ثاني إلى مدينة وهو الآن على ما عليه كان . محصي عوالم الحضرات الإلهية الخمس في وجوده ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ . وراحم سائلي استعداداتها بنداه وجوداه . ﴿وما أرسلناك إلاَّ رحمة للعالمين﴾ . نقطة البسملة الجامعة لما يكون وكان . ولفظة الأمر الجوالة بدوائر الأكوان سر الهوية التي في كل شيء سارية. وعن كل شيء مجردة وعارية. أمين الله على خزائن الفواضل ومستودعها . ومقسمها على حسب القوابل وموزعها . كلمة الإسم الأعظم ، وفاتحة الكنز المطلسم ، المظهر الأتم الجامع بين العبودية والربوبية ، والنشء الأعم الشامل للإمكانية والوجوبية ، الطود الأشم الذي لم يزحزحه التجلي عن مقام التمكين ، والبحر الخضم الذي لم تعكره جيف الغفلات عن صفاء اليقين ، القلم النوراني الجاري بمداد الحروف العاليات ، والنفس الرحماني ، الساري بمواد الكلمات التامات ، الفيض الأقدس الذاتي الذي تعينت به الأعيان واستعدادتها ، والفيض المقدس الصفاتي الذي تكونت به الأكوان واستمداداتها ، مطلع شمس الذات في سماء الأسماء

والصفات ، ومنبع نور الإفاضات في رياض النسب والإضافات ، خط الوحدة بين قوسي الأحدية والواحدية ، وواسطة التنزل الإلهي من سماء الأزلية إلى أرض الأبدية ، النسخة الصغرى التي تفرعت عنها الكبرى ، والدرة البيضا التي تنزلت إلى الياقوتة الحمرا . جوهر الحوادث الإمكانية التي لا تخلو عن الحركة والسكون ، ومادة الكلمة الفهوانية . الطالعة من كن كن إلى شهادة فيكون . هيولا الصور التي لا تتجلى بإحداها مرة لاثنين ولا بصورة منها لأحد مرتين . قرآن الجمع الشامل للممتنع والعديم وفرقان الفرق الفاصل بين الحادث والقديم صائم نهار إني أبيت عند ربي . وقائم ليل تنام عيناي ولا ينام قلبي ، واسطة ما بين الوجود والعدم﴿مرج البحرين يلتقيان﴾.ورابطة تعلق الحدوث بالقدم ،﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾فذلكة دفتر الأول والآخر . ومركز إحاطة الباطن والظاهر حبيبك الذي استجليت به جمال ذاتك على منصة تجلياتك ونصبته قبلة لتوجهاتك في جميع تجلياتك ، وخلعت عليه خلعة الصفات والأسماء وتوجته بتاج الخلافة العظمى ، وأسريت بجسده يقظة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حتى انتهى إلى سدرة المنتهى ، وترقي إلى قاب قوسين أو أدنى ، فسر فؤاده بشهودك حيث لا صباح ولا مسا . ما كذب الفؤاد ما رأى ، وقر بصره بوجودك حيث لا خلا ولا ملا ما زاغ البصر وما طغى . صلّ اللَّهم عليه صلاة يصل بها فرعي إلى أصلي ، وبعضي إلى كلي ، لتتحد ذاتي بذاته ، وصفاتي بصفاته ، وتقر العين بالعين ، ويفر البين من البين وسلّم عليه سلاماً أسلم به في متابعته من التخلف وفي طريق شريعته من التعسف ، لأفتتح باب محبتك إياي بمفتاح متابعته ، وأشهدك في حواسي وأعضائي من مشكاة شرعه وطاعته ، وأدخل وراءه حصن لا إله إلاّ الله ، وفي أثره إلى خلوة لي وقت مع الله ، إذ هو بابك الذي من لم يقصدك منه سدت عليه الطرق والأبواب ، ورد بعصا الأدب إلى اصطبل الدواب . اللَّهم يا رب يا من ليس حجابه إلاَّ

النور ، ولا خفاؤه إلاَّ شدة الظهور أسألك بك في مرتبة إطلاقك عن كل تقييد التي تفعل فيها ما تشاء وتريد ويكشف عن ذاتك بالعلم النوري ، وبتحولك في صور أسمائك وصفاتك بالوجود الصوري ، أن تصلي على سيدنا محمد صلاة تكحل بها بصيرتي النور المرشوش في الأزل ، لأشهد فناء ما لم يكن وبقاء من لم يزل ، وأرى الأشياء كما هي في أصلها معدومة مفقودة ، وكونها لم تشم رائحة الوجود فضلاً عن كونها موجودة وأخرجني اللّهم بالصلاة عليه من ظلمة أنانيتي إلى النور ، ومن قبر جسمانيتي إلى جميع الحشر وفرق النشور ، وأفض علينا من سماء توحيدك إياك ما تطهرنا به من رجس الشرك والإشراك ، وأنعشنا بالموتة الأولى والولادة الثانية ، وأحينا الحياة الباقية في هذه الدنيا الفانية ، واجعل لي نوراً أمشي به في الناس ، فأرى وجهك أينما توليت بدون اشتباه ولا إلتباس ، ناظراً بعيني الجمع والفرق ، فاصلاً بين الباطل والحق ، دالاً بك عليك ، وهادياً بإذنك إليك ، يا أرحم الراحمين ، يا أرحم الراحمين ، يا أرحم الراحمين ، صل وسلّم على سيدنا محمد صلاة وسلاماً تتقبل بهما دعائي ، وتحقق بهما رجائي ، وعلى آله أهل الشهود والعرفان وأصحابه أصحاب الذوق والوجدان ، ما انتشرت طرة ليل الكبان ، وأسفر صبح جبين العيان ، آمين آمين آمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

(اللّهم رب سيدنا محمد وآل سيدنا محمد صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واجز عنا سيدنا ومولانا محمداً صلّى الله عليه وسلّم أفضل ما هو أهله) (ثلاث مرّات) .

الدور الأعلى

ويسمى حزب الوقاية لمن أراد الولاية

له أيضاً (رضي الله عنه وعنا به آمين)

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ ـ اللّهم يا حي يا قيوم بك تحصنت، فاحمني بحماية كفاية وقاية حقيقة برهان حرز أمان بسم الله .

٢ ـ وادخلني يا أول يا آخر مكنون غيب سر دائرة كنز ما شاء الله لا قوة إلاّ بالله .

٣ ـ وأسبل علي يا حليم يا ستار كنف ستر حجاب صيانة نجاة **﴿واعتصموا بحبل الله﴾** .

٤ ـ وابن يا محيط يا قادر على سور أمان إحاطة مجد سرادق عز عظمة ذلك خير ذلك من آيات الله .

٥ ـ وأعذني يا رقيب يا مجيب واحرسني في نفسي وديني وأهلي ومالي وأولادي بكلاءة إغاثة إعاذة وما هم بضارين به من أحد إلاّ بإذن الله .

٦ ـ وقني يا مانع يا دافع بآياتك وأسمائك وكلماتك شر الشيطان والسلطان فإن ظالم أو جبار بغي على أخذته غاشية من عذاب الله .

٧ ـ ونجني يا مذل يا منتقم من عبيدك الظالمين الباغين علي وأعوانهم فإن هم لي أحد منهم بسوء خذله الله وختم على سمعه وقلبه

وجعل علي بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله .

٨ ـ واكفني يـا قـابض يـا قهـار خـديعـة مكـرهم وأرددهم عني مـذمومين مـذؤومين مدحـورين بتخسير تغيير تدمير فما كـان له من فئة ينصرونه من دون الله .

٩ ـ وأذقني يا سبوح يا قدوس لـذة مناجـاة أقبل ولا تخف إنـك من الآمنين بفضل الله .

١٠ ـ وأذقهم يـا ضار يـا مميت نكال وبـال زوال فقطع دابـر القـوم الذين ظلموا والحمد لله .

١١ ـ وآمني يا سلام يا مؤمن صولة جولة دولة الأعـداء بغاية بدايـة آية لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله .

١٢ ـ وتـوجني يا عـظيم يا معـز باج مهـابـة كبـريـاء جـلال سلطان ملكوت عز عظمة ﴿**ولا يحزنك قولهم إن العزة لله**﴾ .

١٣ ـ وألبسني يا جليل يا كبير خلعة جلال جمـال كمال إقبال ﴿**فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاشا لله**﴾ .

١٤ ـ وألق يا عزيز يا ودود علي محبـة منك فتنقـاد وتخضع لي بهـا قلوب عبادك بالمحبة والمعزة والمـودة من تعطيف تـأليف ﴿**يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله**﴾ .

١٥ ـ وأظهر على يا ظاهر يا باطن آثار أسرار أنـوار ﴿**يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله**﴾ .

١٦ ـ ووجه اللّهم يا صمد يا نـور وجهي بصفاء جمـال أنس إشراق فإن حاجوك ﴿**فقل أسلمت وجهي لله**﴾ .

١٧ ـ وجملني يـا بديـع السموات والأرض يـا ذا الجلال والإكـرام بالفصاحة والبلاغة والبراعة ﴿**واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي**﴾ برقة

رأفة رحمة ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله .

١٨ ـ وقلدني يا شديد البطش يـا جبار سيف الهيبـة والشدة والقـوة والمنعة من بأس جبروت عزة **﴿وما النصر إلّا من عند الله﴾** .

١٩ ـ وأدم علي يـا بـاسط يـا فتـاح بهجـة مسـرة **﴿رب أشـرح لي صدري * ويسر لي أمري﴾** بلطائف عواطف **﴿ألم نشـرح لك صـدرك﴾** وبأشائر بشائر **﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾** .

٢٠ ـ وأنـزل اللّهم يا لـطيف يـا رؤوف بقلبي الإيمـان والإطمئنـان والسكينة لأكون من الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله .

٢١ ـ وأفـرغ علي يا صبـور يا شكـور صبر الـذين تـذرعـوا بثبـات يقين . **﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾** .

٢٢ ـ واحفـظني يـا حفيظ يـا وكيـل من بين يـدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتـه بوجـود شهود جنـود **﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾** .

٢٣ ـ وثبت اللّهم يـا قـائم يـا دائم قـدمي كمـا ثبت القائل **﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله﴾** .

٢٤ ـ وانصـرني يا نعم المـولى ويا نعم النصيـر على أعدائي نصـر الذي قيل له **﴿أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله﴾** .

٢٥ ـ وأيدني يا طـالب يا غـالب بتأييـد نبيك محمـد (ص) المؤيد بتعزيز توفير **﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾** لتؤمنوا بالله .

٢٦ ـ واكفني يـا كافي يـا شافي الأعـداء والأسواء والأدواء بعـوائـد فوائد **﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خـاشعاً متصـدعاً من خشيـة الله﴾** .

٢٧ ـ وامنن علي يـا وهاب يـا رزاق بحصـول وصـول قبـول تيسيـر

تسخير ﴿كلوا وأشربوا من رزق الله﴾ .

٢٨ ـ وتولني يا ولي يا علي بالولاية والعناية والرعاية والسلامة بمزيد إيراد إسعاد إمداد ﴿ذلك من فضل الله﴾ .

٢٩ ـ وأكرمني يا غني يا كريم بالسعادة والسيادة والكرامة والمغفرة كما أكرمت ﴿ الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله﴾ .

٣٠ ـ وتب علي يا تواب يا حكيم توبة نصوحاً لأكون من ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلاَّ الله﴾ .

٣١ ـ وألزمني يا واحد يا أحد كلمة التقوى كما ألزمت حبيبك سيدنا محمداً (ص) حيث قلت ﴿فاعلم أنه لا إله إلاَّ الله﴾ .

٣٢ ـ واختم لي يا رحمن يا رحيم بحسن خاتمة الناجين والراجين ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ .

٣٣ ـ وأسكني يا سميع يا قريب جنة أُعدت للمتقين دعواهم فيها سبحانك اللَّهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله يا الله يا الله يا الله يا الله . يا ربّ يا ربّ يا ربّ يا ربّ . يا نافع يا نافع يا نافع يا نافع . يا رحمن يا رحمن يا رحمن يا رحمن . يا رحيم يا رحيم يا رحيم يا رحيم . أسألك بحرمة هذه الأسماء والآيات والكلمات سلطاناً نصيراً ورزقاً كثيراً وقلباً قريراً وقبراً منيراً وحساباً يسيراً وأجراً كبيراً . وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأُمي وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً .

الصلاة النارية

وهي لمولانا الإمام الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي (قدس سره) كما أفاده أستاذنا وشيخنا السيد محمد عبد الوهاب المحامي (تغمده الله برحمته) . حيث قال : إن من الخطأ نسبتها لغيره .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

اللّهم صلّ صلاة كاملة وسلّم سلاماً تاماً على سيدنا محمد الذي تنحل به العقد . وتنفرج به الكرب . وتقضي به الحوائج . وتنال به الرغائب وحسن الخواتيم . ويستسقي الغمام بوجهه الكريم . وعلى آله وصحبه في كل لمحة ونفس بعدد كل معلوم لك .

يقول مصحح هذه التوجهات وناشرها بفضل مقبض الآلاء من خزائن الأسماء . خويدم الطريقة الأكبرية ومعالم حقائقها الحاتمية العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الحميد بن السيد بن أحمد بن محمد الشيمي (عفى عنه) .

الحمد لله الذي أنار القلوب الزكية فكانت مجلى لتجلي ذاته وصفاته الأحدية . وصلاة وسلاماً على عين الرحمة الإلهية وسر الرأفة العامة الرحمانية . وآله وصحبه كنوز المعارف الوهبية .

أما بعد فإن من نعم الله الجزيلة الغراء ومننه الجليلة الزهراء (طبع توجهات الحروف) للحبر الهماه والبدر التمام الذي تبلجت المهارق بنور براعته وتبرجت الحقائق بلطيف عبارته . مرشد السالكين إلى أقوم طريق ومربي العارفين الأفاضل بدقائق أسرار التحقيق الشيخ الأكبر والمسك الأذفر الإمام محي الدين بن العربي (قدس الله سره) وأعلى في الوجود ذكره آمين . كيف لا وقد اجتمع في تضاعيفها من رقائق الحقائق وفرائد المعارف ما صارت به ميداناً لركض جياد الفهوم المتسابقة . يطرب طائر فصاحتها المسموع . ويخجل التطبع بديع بيانها المطبوع . بإيضاح لتجليات الجلالة وتدليات الجمال التي تتضاءل لعظمتها الكواكب النيرات . فورب السماء والأرض إنها لكتاب كريم ونبأ من أنباء الحقائق لو تعلمون عظيم . فما كل من جمع ألف ولا كل من أكثر النقل صنف . إنما تلك سواهب تشير إلى الفوز بأعلى

المراتب . وإني وإن مددت ذراعي وأجلت في ميدان مديحها يراعي فما أنا في وصف كمال محاسنها إلّا في قصور . إذ لا تساوي الحجر الأرضية القصور . ولما كانت هذه التوجهات بهذه الصفة فما ذكر من بعض أوصافها . والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل .

وآخر دعوانا أن الحمد
للّه ربّ العالمين

الفهـرس